



# الدراسات الأفريقية والعربية

**فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:  
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الإستراتيجية**

**المجلد الرابع العدد (١٥) يونيو ٢٠٢١**

**Iraqi - African Center for Strategies Studies**

**Tel: 00964776837196**

**(NGO) 1E78478**

**<http://ciaes.net/>**

**<http://afroar.com/>**

# مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

## African & Arab Studies

International Scientific Periodical Journal Issued  
by the Iraqi - African Center for Strategies Studies

ISSN: 2709 - 2828

نصدر عن:

المركز العراقي الإفريقي

Iraqi - African Center for Strategies Studies



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨/١٨١٩

وكيل المجلة بجمهورية مصر العربية  
مؤسسة النيل للدراسات الإفريقية  
والإسبانيكية



وكيل المجلة في ليبيا  
دار البيان للنشر والتوزيع

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية - ليبيا

٢٠١٨/١٥٥

التلقيح الدولي بالمركز الدولي (CJEPS) - فرنسا

ISSN: 2709 - 2828



## الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير

دينا العشري (مصر)

مديري التحرير:

أ. رشا العشري (مصر)

أ.عبيد إميغن (موريتانيا)

أعضاء هيئة التحرير

د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)

رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. عزيز بن طالب (المغرب)

رئيس المركز الدولي للوحدات والمناطق الجبلية

د. أحمد قاسم أحمد (تشاد)

مدير مركز البحوث والدراسات الأفريقية والترجمة بجامعة الملك فيصل

د. علاء حسين فرج عبيد (العراق)

مدرس دكتور جامعة المستنصرية

د. خالدة سالم بابكر (السودان)

باحثة متخصصة في الشأن الأفريقي

أ.محمد عز الدين (مصر)

رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية

التنسيق والمراجعة وإخراج :

أ. مصطفى فؤاد

تصميم الغلاف:

م. كمال سند

# الهيئة العلمية الإسنشارية للمجلة

## رئيس الهيئة العلمية الإسنشارية

أ.د. علاء النميمي

✿ أ.د. عطية محمود الطنطاوي

أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية. ووقائم بأعمال عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

✿ أ.د. محمود أبو العينين

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد - كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

✿ أ.د. صبري سلامة

أستاذ لغة الهوسا ورئيس قسم اللغات الإفريقية سابقاً - كلية الدراسات الإفريقية العليا - جامعة القاهرة (مصر)

✿ أ.د. مولاي إبراهيم سدر

أستاذ التعليم العالي بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس (عميد كلية العلوم والتقنيات بالرشيدية) (المغرب)

✿ أ.د. ناصر النائي آدم

عميد كلية الدراسات العليا - جامعة الملك فيصل (تشاد)

✿ أ.د. ريم موسى

أستاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان).

✿ أ.د. محمد المختار جي

استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

✿ د. بلهول نسيم

✿ أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية - جامعة البليدة ٢ (الجزائر).

✿ أ.د. صالح زيان

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة ١ (الجزائر).

✿ أ. د. بن يزة يوسف

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة جامعة باتنة ١ (الجزائر).

## الهيئة العلمية الإسنشارية للمجلة

✽ د. زينب محمد حامد محمد أحمد

أستاذ التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط – جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا)

✽ د. مهدي ذهب حسن ذهب

استاذ العلوم السياسية – رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة إفريقيا العالمية (السودان).

✽ د. تامر محمود عبدالوهاب

مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

✽ د. محمد أدريس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

✽ د. سيد رشاد قرني

مدرس الدراسات اللغوية واللغة السواحيلية بقسم اللغات الإفريقية كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

✽ د. أوان عبد الله الفيضي

الأستاذ المساعد في كلية الحقوق – جامعة الموصل (العراق).

✽ د. رامي عاشور

دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر).

✽ د. محسن الندوي

علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

✽ د. عبد السلام بشير خليفة

دكتوراه في العلاقات الدولية – جامعة الزاوية (ليبيا).

✽ د. عوض أحمد حسين شبا

نائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر (السودان).

✽ د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي

أستاذ مشارك – جامعة كسلا – كلية التربية – قسم الجغرافيا (السودان).

✽ د. حسين محمد أحمد الربابعة

أستاذ مشارك جامعة البلقاء التطبيقية (الأردن).

## رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة:

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق - بغداد، بالتعاون مع دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عموماً في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصادياً وسياسياً، وثقافياً واجتماعياً، أملاً في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تساهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معاً يداً وصوتاً واحداً يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

### شروط النشر

- أن يكون البحث أصيلاً معداً خصيصاً للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئياً أو كلياً أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: [african.arabia@gmail.com](mailto:african.arabia@gmail.com)
- يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه.
- يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة إلى اللغات الأخرى، من غير الرجوع إلى الباحث.
- تخضع الأبحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:  
أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسليم.

ب- يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.

ت- الأبحاث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

ث- الأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

• يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

• يراعى في أسبقية النشر:

أ- الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د- تنوع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

• تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

#### كيفية اعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

#### عنوان جهة الباحث

- الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس

كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث

الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث

- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي

تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد

مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشرات

الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلاً بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي

استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في

الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.
  - ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:
  - أ- إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
  - ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.
  - ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.
  - د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.
- يرأوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و ٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- يتم تنسيق الورقة على قياس (A4) ، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:
- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic
  - حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس ، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و ١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.
  - حجم ١١ عادي للجداول والأشكال ، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.
  - نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman ، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية ، ١٤ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال ، ١٢ عادي للملخص والهوامش.
  - يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هامش مناسبة (٢.٥) من جميع الجهات.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة. وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والأفريقية، كما يتولى اتحاد الأكاديميين العرب (صنعاء) الذي عقد شراكة مع المجلة، نشر المجلة في كافة أرجاء الوطن العربي.

**Iraqi-African Center For Strategic Studies**

**Tel: 00964776837196**

**(NGO)1E78478**

**<http://ciaes.net/>**

**<http://afroar.com/>**

## تقرأ في هذا العدد

|     |                                                                                                                                               |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 13  | ➤ الافتتاحية ..... بقلم: رئيس التحرير                                                                                                         |
| 15  | ➤ تقييم أداء التكامل الاقتصادي بين دول حوض النيل .....<br>..... د/ سلوى حجازي (مصر)                                                           |
| 37  | ➤ دور التمويل الأصغر في ريادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة .....<br>..... د/ مهند عبدالحفيظ حسين ، أ. صفاء ياسر بابكر (السودان)                |
| 59  | ➤ التفاعل السياسي بين إثيوبيا والثالوث فوق الإقليمي (إسرائيل، إيران،<br>وتركيا) ..... دينا السيد عشري (مصر)                                   |
| 91  | ➤ النظام السياسي في أوغندا منذ الاستقلال .....<br>..... د. محمد فؤاد رشوان (مصر)                                                              |
| 117 | ➤ سياسة اللامركزية وتأثيرها على التنمية دراسة حالة رواندا منذ عام<br>٢٠٠١م ..... هدير أحمد شلبي (مصر)                                         |
| 139 | ➤ تعليم اللاجئين الواقع والمأمول (التعليم المجتمعي للاجئين نموذجاً) ...<br>..... مصطفى دررق، تهاني قاسم (السودان، مصر)                        |
| 161 | ➤ الحروب البيولوجية وإعادة ترتيب توازنات القوى في شرق آسيا .....<br>..... حورية قصعة ، سهام حدادة (الجزائر)                                   |
| 187 | ➤ تقنيات الزمان السردي في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم<br>للكاتب الهوساوي د/ أبوبكر إمام .....<br>..... د. شوقي صلاح نوح الفرماوي (مصر) |
| 217 | ➤ مظاهر المكان السردي في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم<br>للكاتب الهوساوي د/ أبوبكر .....<br>..... عطية عبد الموجود ناجي القط (مصر)      |
| 239 | ➤ الدلالات اللغوية وأهميتها في الاستنباط الفقهي، قضايا ونماذج<br>..... د. رشيد نصري (المغرب)                                                  |



- دور العصبية القبلية في إثراء الشعر العربي القديم .....  
263 ..... د/ سهام عبد الرحمن طيب الأسماء (السودان)
- رفع الروح المعنوية دراسة تربوية تحليلية .....  
295 ..... د. حافظ عبد الرحمن بشارة تبين (السودان)
- نظرية العلم عند ابن رشد الحفيد .....  
327 ..... د. كمال أمساعد (المغرب)
- مدى استخدام معلمي العلوم (المرحلة الثانوية) لمهارات التفكير العليا  
361 للوصول بالتلاميذ للإبداع والابتكار من خلال التدريس، بولاية الخرطوم  
..... د. هدى داؤود حسن داؤود

## افتتاحية العدد

مرت القارة الأفريقية على مدار الأشهر الماضية بمزيد من التحديات حول أزمة فيروس كوفيد مع تصاعد أعداد المصابين والوفيات، إلا أن الأمر لم يصل لدرجة الخطورة بالمقارنة بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. يمكن القول أن القارة أصبحت مهياة لمواجهة الأخطار الوبائية نتيجة خبرات الماضي، والقدرة على التعامل مع التحديات الجديدة، ووقوف العديد من الدول المانحة والمنظمات لتخطيها خطر الذروة بإمدادها بالمساعدات اللوجستية والمادية لتحسين المنظومة الصحية لمواجهة خطر الأزمة.

خطر الوباء ليس أكثر حدة من تطورات الأوضاع على المستوى السياسي والأمني الذي تشهده العديد من الدول الأفريقية. فما زالت أزمة سد النهضة تنذر بمزيد من توترات الأوضاع في المنطقة مع شروع إثيوبيا بإقدامها على الملء الثاني في مقابل رفض مصري سوداني على اتخاذ قرار أحادي الجانب من الطرف الإثيوبي وتعتنها في عملية المفاوضات، وذلك في ظل الخطر الذي قد يؤثر على السودان من الفيضانات نتيجة زيادة تدفق المياه وعدم إصدار أي معلومات للجانب السوداني عن كمية المياه المتوفرة التي قد تصل السودان وتسبب فيضانات عارمة تؤثر بشكل كبير على الدولة. هذه وغيرها من الإشكاليات الفنية بجانب عدم التوافق بين الأطراف الثلاثة ينذر بمزيد من التصعيد على المستوى الدبلوماسي والسياسي وكذا العسكري ولو باحتمال قليل. هذا من جهة، من ناحية أخرى تواجه إثيوبيا إشكاليات جمة على المستوى الداخلي تتمثل في حربها مع عرقية التجراي، وأزمة تأجيل الانتخابات الرئاسية، والتي تؤول إلى أزمة سياسية بين النظام وباقي العرقيات.

على الجانب الآخر مازال هناك تخوف من تصعيد التنظيمات الإرهابية لعملياتها خاصة جماعة بوكو حرام سواء في نيجيريا أو دول الجوار لاسيما مع مقتل زعيمها أبو بكر شيكاو، وإثبات القدرة على الاستمرارية والحراك الإرهابي. وعلى الجانب العربي، يتجه صناع القرار لوضع إطار جديد من العلاقات قائم على تجاوز الخلافات السياسية، وذلك مع التقارب الخليجي القطري من ناحية والتقارب المصري القطري من ناحية أخرى والتوجه نحو تعزيز نمط الاعتماد الأمني المتبادل. إلا أنه مازالت هناك إشكاليات تعقيد الأزمة السياسية في العديد من الملفات خاصة الملف السوري واليمني والليبي.

تلك القضايا وغيرها من الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية تركز عليها المجلة في أعدادها السابقة والحالية والقادمة لتكون منارة للباحثين في الدراسات الأفريقية والعربية. لذلك يرصد العدد الحالي العديد من الموضوعات الهامة التي تركز على الجانب الاقتصادي من خلال موضوعات ترصد تقييم أداء التكامل الاقتصادي بين دول حوض النيل، ودور التمويل الأصغر في ريادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة. وأخرى تركز على الجانب السياسي حيث ترصد سياسة اللامركزية وتأثيرها على التنمية دراسة حالة رواندا منذ عام ٢٠٠١م، والحروب البيولوجية وإعادة ترتيب توازنات القوى في شرق آسيا. بالإضافة لبعض الدراسات التي تركز على الجانب المجتمعي تمثلت في موضوعات بعنوان دور العصبية القبلية في إثراء الشعر العربي القديم، رفع الروح المعنوية دراسة تربوية تحليلية؛ وغيرها من الدراسات العلمية التي تزخر بها أعداد المجلة لتكون وجهة للباحثين لإثراء المعرفة العلمية.

**بقلم:**

**رشا العشري**

**مدير تحرير المجلة**

## تقييم أداء التكامل الاقتصادي بين دول حوض النيل

د/ سلوى حجازي

دكتوراه الفلسفة في الإحصاء التطبيقي والاقتصاد القياسي باحثة اقتصاد في الشأن الأفريقي- جامعة القاهرة

### Conclusion :

The study discussed evaluating the performance of economic integration between the countries of the Nile Basin through several item, the trade agreements of the Nile Basin countries, where the most important agreements that facilitate foreign trade movement and support economic cooperation links between countries in various sectors were presented, including agricultural, industrial cooperation, energy and infrastructure.

The study also discussed, Economic initiatives and achievements were presented, most important projects that had already been implemented and the under implementation, in addition the export , services sectors, as they are the main engine of economic growth, also seek to complete the development of infrastructure, increase production capacity, water resources, dams and irrigation projects, completing structural reforms, increasing private sector investment to support their economies.

### مقدمة:

تسعى دول حوض النيل إلى تنمية العلاقات الاقتصادية والاستفادة من الاندماج الاقتصادي الإقليمي مع السعي الدائم إلى التكامل الاقتصادي وما يترتب عليه من تنشيط حركة التجارة الخارجية ومن ثم زيادة الصادرات وفتح أسواق تصديرية جديدة مما يؤدي إلى تحقيق معدلات نمو مرتفعة وتوفير الإحتياجات من النقد الأجنبي والذي يساهم بدوره في خفض العجز المستدام في الميزان التجاري وتسعى أيضاً إلى تفعيل العديد من إتفاقيات التكامل الاقتصادي والإتفاقات التجارية لكل دولة ودخولها حيز النفاذ ونجد أن دول حوض النيل أعضاء في تجمع السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا Common Market For Eastern and Southern Africa (COMESA) باستثناء تنزانيا التي انسحبت من الإتفاقية في سبتمبر ٢٠٠٠ وجنوب السودان<sup>(١)</sup>، أيضاً كينيا ورواندا وبوروندي أعضاء في تجمع شرق أفريقيا (EAC)<sup>(٢)</sup>.

وتهدف الدراسة إلى تقييم أداء التكامل الاقتصادي بين دول حوض النيل باعتبارها قوة اقتصادية وسوق استهلاكية واعدة بالإضافة إلى كونها بعداً قومياً واستراتيجياً لمصر وتعتبر القوة البشرية من أهم الثروات الاقتصادية والتي تؤثر على التعاون البيئي لدول حوض النيل حيث يبلغ عدد سكان دول حوض النيل ٥٤٩.٣ مليون نسمة<sup>(٣)</sup> ويعمل معظم السكان بالزراعة، وفي كينيا ٩٠.٢% من إجمالي عدد السكان يعمل بالزراعة يليها بوروندي، اريتريا، تنزانيا بنسبة ٧٨%، ٧٧.٤%، ٧٧.٣% على التوالي<sup>(٤)</sup>.

يقوم اقتصاد دول حوض النيل على العلاقات الاقتصادية التجارية والتي تتسم بسيطرة المحاصيل الزراعية واستحواذ المواد الخام الأولية على صادراتها والتي تحظى بالأولوية وتمثل الجزء الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي بالإضافة إلى المعادن الخام كثروة

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر: common market for eastern and southern Africa at : <http://www.comesa.int>

(٢) دكتورة سلوى حجازي، "تحليل أداء التجارة الخارجية لدول تجمع شرق أفريقيا EAC في الفترة (٢٠٠١-٢٠١٦م)، قراءات أفريقية"، المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد ٤٤، أبريل، ٢٠٢٠

(٣) تم حساب القيمة بواسطة الباحثة باستخدام بيانات

World Population, at : <http://www.worldometers.info/> in May 2021

(٤) القيم محسوبة بواسطة الباحثة باستخدام بيانات world Development Indicators, at: <http://databank.worldbank.org>

طبيعية إستخراجية وتعتمد وارداتها على ما يوفر احتياجاتها من السلع الاستهلاكية والغذائية والرأسمالية من دول العالم الخارجي مما يجعلها عرضة للتقلبات الاقتصادية العالمية وما يتبعه من تأثير سلبي على الاقتصاد القومي بجميع قطاعاته<sup>(١)</sup>

وتناقش الدراسة المحاور التالية:

أولاً: الإتفاقيات التجارية لدول حوض النيل

ثانياً: الأداء الاقتصادي لدول حوض النيل

ثالثاً: المبادرات والانجازات الاقتصادية

رابعاً: التحديات وآفاق المستقبل

---

(١) د/سلوى حجازي، التبادل التجاري بين مصر ودول حوض النيل خلال الفترة (٢٠٠١-٢٠١٦)، الدراسات الأفريقية والعربية، (ليبيا، البيان، المجلد الأول، العدد الثاني، يونيو، ٢٠١٨)

## أولاً: الإتفاقيات التجارية لدول حوض النيل

تسعى دول حوض النيل إلى تحقيق النمو والتكامل الاقتصادي في وجود العديد من إتفاقيات التعاون التي تسهل حركة التجارة الخارجية وتدعم أواصر التعاون الاقتصادي بين الدول في شتى القطاعات ومنها التعاون الزراعي والصناعي ومجال الطاقة وفيما يلي نلقى الضوء على الإتفاقيات التجارية لدول حوض النيل.

### مصر

وقعت مصر و٤٣ دولة أفريقية على إتفاق إطلاق منطقة التجارة الحرة القارية الأفريقية في مارس ٢٠١٨ ومن بينها دول حوض النيل باستثناء تنزانيا وجنوب السودان بهدف تسهيل حركة التجارة البينية على مراحل زمنية وزيادة حجم التبادل التجاري وإزالة العوائق الجمركية، ويمثل هذا الإتفاق فرصة كبيرة لتواجد المنتج المصري في الأسواق الأفريقية مع إمكانية إستيراد المواد الخام التي تحتاجها الصناعة المحلية من القارة الأفريقية<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى الإتفاقيات الإقليمية الأخرى وسبل التعاون من إفاد بعثات تجارية إلى كينيا وتنزانيا وأوغندا والمشاركة في العديد من المعارض المتخصصة وإمكانية فتح أسواق جديدة لنفاذ الصادرات<sup>(٢)</sup>.

### كينيا

وقعت مصر وكينيا على مذكرة تفاهم في مارس ٢٠١٥ خاصة بإنشاء مزرعة نموذجية مشتركة وتعتبر كينيا أكبر اقتصاد بدول شرق أفريقيا وخاصة بعد الاكتشافات الجديدة للنفط والغاز والفحم ٢٠١٢ كمحركات للنمو الاقتصادي، ولا تزال كينيا تدعم التكامل الإقليمي لدول شرق أفريقيا باعتبارها عضو بتجمع (EAC)، عضو في منظمة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا (PTA) وعضو مؤسس في (COMESA) منذ عام ١٩٩٤، كما انضمت إلى تجمع الساحل والصحراء ٢٠٠٨.

### إريتريا

وتعتبر إريتريا عضو في منظمة (PTA) وعضو مؤسس بتجمع (COMESA) منذ ١٩٩٤ بالإضافة إلى انضمامها إلى تجمع الساحل والصحراء عام ١٩٩٩ مما يتيح فرصة لنفاذ صادراتها إلى الأسواق الأفريقية، فبالرغم من تمتع الدولة بالثروات الطبيعية الزراعية

(1) <http://www.fei.org.eg/index.php/ar/committees-1-ar/3461-internal-trade-supplies-committee> , in Feb,2021

(2) [http://www.cec-eg.com/Default\\_a.aspx](http://www.cec-eg.com/Default_a.aspx)

والاستخراجية نلاحظ أن حجم التجارة الخارجية ضئيل وكذلك معدلات النمو وعدد سكان اريتريا ٦.٢ مليون نسمة<sup>(١)</sup> ويعمل بالزراعة ٧٧.٤% من السكان وتبلغ قيمة الصادرات ٤٩٩.٠٢٥ مليون دولار والواردات ما يقرب من ٣٨٧.٠٠٤ مليون دولار بنهاية ٢٠١٩<sup>(٢)</sup> كما تقوم بتصدير المواد الخام الأولية الاستخراجية بدون أى معالجة ولذلك فإن الصادرات يهيمن عليها مجموعة سلعية واحدة.

### تنزانيا

تنزانيا عضو مؤسس بالجماعة الإنمائية للجنوب الأفريقي (SADC)<sup>(٣)</sup> ومنظمة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا (PTA) وتجمع (EAC) تنزانيا وتتمتع بموقع جغرافي إستراتيجي فضلاً عن الموارد الطبيعية والثروة النباتية والحيوانية الهائلة مما يجعلها مصدرة للثروة الحيوانية فى القارة .

ومن سبل التعاون افتتاح المرحلة الأولى من محطة توليد الطاقة الشمسية بالمزرعة المصرية التنزانية المشتركة، ومتابعة تنفيذ سد "ستيبلر جورج" بتنزانيا بالإضافة إلى المشروعات الزراعية التى تم تنفيذها وحفر عدد كبير من الأبار.

### إثيوبيا

إثيوبيا عضو فى منظمة (PTA) وعضو (COMESA) منذ ١٩٩٤ وتعتمد على عدد محدود من المواد الزراعية الخام غير المصنعة وتحتل النصيب الأكبر من إجمالى صادرات إثيوبيا فنجد أن مجموعة البن والشاي والتوابل تسيطر على قائمة الصادرات وتعتمد عليها حصيلة الصادرات بالإضافة إلى مجموعة الأشجار والنباتات والخضروات والفاكهة وبالتالي فإن الصادرات يهيمن عليها مجموعة سلعية واحدة.

### الكونغو الديمقراطية

وقعت الكونغو الديمقراطية العديد من الاتفاقات التجارية الثنائية والمتعددة الأطراف مع أكثر من ٥٠ دولة وتنتمي إلى العديد من المنظمات التجارية الدولية والإقليمية<sup>(٤)</sup>.

(1) <http://www.doingbusiness.org> , in May ,2021

(2) [https://www.trademap.org/Product\\_SelProduct\\_,May,2021](https://www.trademap.org/Product_SelProduct_,May,2021)

(3) The Southern African Development Community "SADC"

(٤) منظمة التجارة العالمية (WTO)، (COMESA)، (SADC) والمجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا (ECCAS) ومبادرة حوض النيل (NBI) والجماعة الاقتصادية لدول البحيرات العظمى (GLFC)



كما وقعت مع مصر على ثلاثة مذكرات تفاهم للتعاون في مجالات الصحة والبيئة والطاقة ٢٠١٥ وتم إصدار بيان مشترك بشأن المشاركة المصرية في المرحلتين الثالثة والرابعة من مشروع إنشاء سد إنجا في فبراير ٢٠١٦، وأسهمت المبادرة المصرية لتنمية دول حوض النيل في تنفيذ عدة مشروعات في الكونغو الديمقراطية منها إنشاء مزرعة نموذجية مشتركة وعدد من محطات توليد الكهرباء ومركز طبي وساهمت في تنفيذ عدة مشروعات في مجال الزراعة والصحة والصناعة والطاقة في بوروندي واريتريا وإثيوبيا.

**أوغندا**

أوغندا عضو مؤسس في تجمع شرق أفريقيا (EAC)، تجمع السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا (COMESA) ومنظمة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا (PTA) وقد وقعت الولايات المتحدة اتفاقات التجارة والاستثمار (TIFA) مع مجموعة شرق أفريقيا (EAC) في عام ٢٠٠٨ ومع (COMESA) عام ٢٠٠١<sup>(١)</sup> وأدى إزالة ٨ حواجز غير جمركية إلى زيادة التجارة بين أوغندا دول مجموعة (EAC)، وتعزيز التجارة أيضاً مع دول (COMESA).

**رواندا**

رواندا بتجمع شرق أفريقيا (EAC) حتى عام ٢٠٠٧ ، وعضو بمنظمة (PTA)، وانضمت إلى (COMESA) عام ٢٠٠٤ وحققت مكاسب تنموية سريعة في أعقاب الإبادة الجماعية ١٩٩٤ وتسعى إلى تطوير الإنتاج الزراعي وتشجيع الاستثمار وتنمية التجارة الخارجية باعتبارها جزء من إستراتيجية تعميق التكامل الإقليمي والتعاون الاقتصادي داخل منطقة شرق أفريقيا.

ومن حيث التجارة والتكامل الإقليمي تهتم بزيادة الصادرات وفتح أسواق جديدة للمنتج الرواندي باعتبارها أداة قوية لتحفيز النمو الاقتصادي ورفع مستويات المعيشة وذلك في إطار استراتيجية التنمية الاقتصادية والحد من الفقر (EDPRS-II) وقد انخفضت الاختلالات الخارجية وساعد الأداء الجيد للزراعة على دعم النمو الاقتصادي وساهم في دعم أسعار الغذاء بشكل عام.

(1) Office of The United States Trade Representative , Uganda at - <https://ustr.gov/countries-regions/africa/east-africa/uganda>

وأدى إزالة ٨ حواجز غير جمركية إلى زيادة التجارة بين رواندا وباقي دول تجمع شرق أفريقيا (EAC) وتعزيز التجارة مع أوغندا وتنزانيا، وساهمت في تسهيل الإجراءات الخاصة بشراء المعدات الكهربائية والمحولات والكابلات لتقليل تكاليف إستيراد المعدات مع ضمان جودتها دعماً لبرنامج صنع في رواندا (Rwanda Made in) وتشجيع شراء السلع والخدمات من الشركات المحلية والأجنبية الموجودة برواندا وقد تم إنشاء ثلاثة شركات جديدة لتصنيع الملابس.

### بوروندي

بوروندي عضو في المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا (ECCAS)<sup>(١)</sup> وعضو منظمة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا وانضمت إلى (COMESA) عام ٢٠٠٤ بالإضافة إلى عضويتها في (EAC) حيث انضمت في عام ٢٠٠٩ وقد حقق ممثلي التجارة في الولايات المتحدة إقامة شراكة تجارية وإستثمارية جديدة مع دول مجموعة شرق أفريقيا ومنها بوروندي.<sup>(٢)</sup> وتعتمد على الحاصلات الزراعية وتصدر بوروندي البن الأخضر والشاي ويستحوذ على نسبة كبيرة من صادراتها بالإضافة إلى الخضروات.

### السودان

السودان عضو في منظمة (PTA)، بالإضافة إلى عضوية الدول في تجمع (COMESA) وبلغ عدد سكانها ٤١.٩١ مليون نسمة<sup>(٣)</sup> بنهاية ٢٠١٩ وبلغ الناتج المحلي الإجمالي ١٢٩٣٩١ مليون دولار ونصيب الفرد ٢٧٣٠ ، ٣٠١٦ دولار في ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ ، على التوالي بينما كانت نسبة العاملين في قطاع الزراعة ٨% ومعدل التضخم ١٦% عام ٢٠١٩.

مع بداية ٢٠٢١ واجهت تحديات كثيرة خاصة بالموازنة العامة وبدأت بخلل هيكلي، حيث تجاوز معدل التضخم الحالي ٢٧٥% ولعلاج هذا الخلل فلا بد من زيادة الإنتاج، وزيادة الناتج المحلي الإجمالي من خلال دعم الاستثمارات المحلية في قطاعات الزراعة والثروة الحيوانية والصناعات التحويلة كالزيوت والجلود والتعبئة والتغليف مع التركيز على القيمة المضافة بجميع القطاعات، وتطمح السودان في المضي قدماً نحو هذا الإصلاح.

(1) (Economic Community of Central African State "ECCAS")

(2) <https://ustr.gov/countries-regions/africa/east-africa/burundi>

(3) <http://www.worldometers.info/world-population/sudan-population>, May, 2021

## جنوب السودان

يبلغ عدد سكان جنوب السودان ١٢.٩ مليون نسمة<sup>(١)</sup> وبنهاية ٢٠١٨ بلغ الناتج المحلي الإجمالي ٤٥٦٥ مليون دولار ونصيب الفرد ٥١٥ دولار وكانت نسبة العاملين في قطاع الزراعة 75% عام ٢٠١٩ وظلت النسبة ثابتة في ٢٠٢٠.

انضمت دولة جنوب السودان إلى مجموعة دول شرق أفريقيا (EAC) في مارس ٢٠١٦ وهذه العضوية تمنح الدولة فرصة الاندماج الاقتصادي مع دول الجوار والوصول إلى الأسواق الإقليمية والعالمية نظراً لموقعها الجغرافي غير الساحلي كما تعد الدولة عضواً جديداً بالوكالة الأفريقية للتأمين التجاري وعضو ببنك التنمية الأفريقي في مايو ٢٠١٢<sup>(٢)</sup>.

ويقوم البنك بتمويل ثلاثة مشاريع جارية باستثمارات إجمالية تبلغ حوالي ١٧.٨ مليون دولار وبعطى أولوية لبناء القدرات المؤسسية وإدارة المالية العامة مع تبنى خطة شاملة لإنشاء وتطوير البنية التحتية (IAP) مما يؤثر على حركة التبادل التجاري المحلي والاقليمي وفتح أسواق جديدة.

بالإضافة إلى مبادرة التنمية السودانية (SDI)<sup>(٣)</sup> وتعطى الأولوية للمشروعات والبرامج التحويلية وبناء الاقتصاد مع التأكيد على أهمية الإيرادات والخدمات وتهيئة مناخ الاستثمار بالإضافة إلى مشروع دعم القطاع الزراعي وبرنامج دعم الجفاف في القرن الأفريقي<sup>(٤)</sup> أيضاً مشروع تعبئة الإيرادات غير النفطية لتوفير الدعم اللازم لتعزيز الاستدامة وتحسين النمو الاقتصادي من خلال زيادة تعبئة الموارد المحلية<sup>(٥)</sup>.

وفي تقرير أعده المعهد الأفريقي للدراسات الأمنية في مارس ٢٠٢١ أكد أن الإتحاد الأفريقي برئاسة الكونغوا الديمقراطية سيركز في المرحلة القادمة على ما يتعلق بمنطقة التجارة الحرة القارية الأفريقية والتكامل الاقتصادي، وأجندة ٢٠٦٣ فضلاً عن الشراكات الخارجية للإتحاد الأفريقي كالشراكة مع الإتحاد الأوروبي وإعطاء أولوية للاستثمار في

(1) <http://www.worldometers.info/world-population/South-Sudan>, in May, 2021

(2) John Tanz, South Sudan Official: Country Will Benefit by Joining EAC, 2016, at: <https://www.voanews.com/government-south-sudan.html>

(3) Sudanese Development Initiative " SDI"

(4) Interim Country Strategy Paper (I-CSP) 2012-2014, at: <https://www.afdb.org/Project-and-Operations/2012-2014, South-Sudan-Paper>

(5) Ministry of Finance and Planning ,GPN Sudan Non-Oil Revenue Mobilization and Accountability in South Sudan NORMA-SS Project, at: [www.afdb.org/fileadmin/uploads/afdb/Documents/Procurement](http://www.afdb.org/fileadmin/uploads/afdb/Documents/Procurement)

مشروع سد "إنجا" الكبير لتوليد الكهرباء بالقوى المائية على نهر الكونغو، والسد بوضعه الحالي يمكن أن يساعد على الوفاء بنسبة ٤٠% من الطلب على الكهرباء في القارة الأفريقية<sup>(١)</sup>.

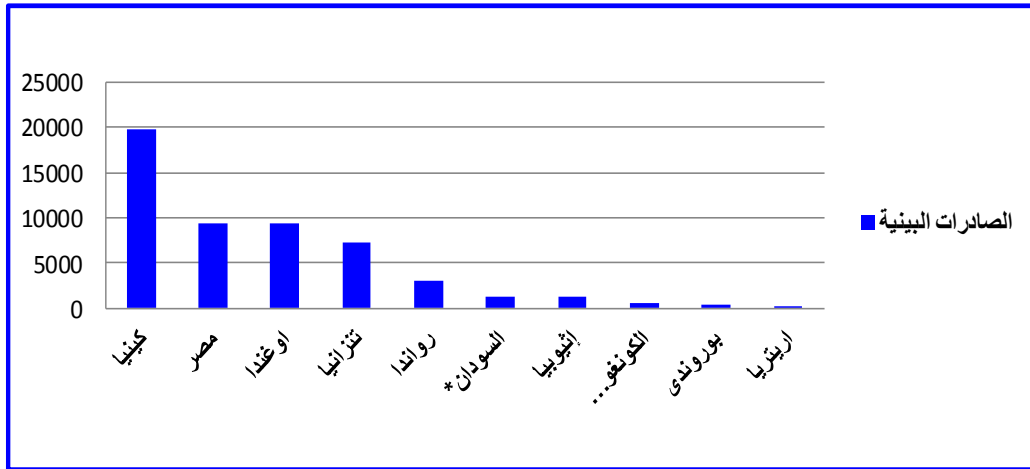
## ثانياً: الأداء الاقتصادي لدول حوض النيل

نتناول أداء التجارة البينية لبعض دول حوض النيل والتي تحتل المراكز المتقدمة وتتصدر القائمة في الأداء الاقتصادي حيث تحظى التجارة البينية والتعاون البيني في مختلف المجالات بأهمية كبيرة لدى دول حوض النيل وتتميز العديد من الدول بأنها دول محورية فاعلة وباعتبارها من أهم الشركاء التجاريين.

وتسيطر كينيا على الصادرات البينية لدول حوض النيل بقيمة ١٩٨٨٢.٨ مليون دولار خلال الفترة من (٢٠١٥-٢٠١٩) بما يعادل ٣٧.٧% يليها مصر، أوغندا، تنزانيا وهي دول تحتل المراكز المتقدمة من الصادرات البينية بما يعادل ١٧.٩٠% ، ١٧.٨٠% ، ١٣.٩٠% على التوالي والشكل رقم (١)، رقم (٢) يوضح ذلك.

شكل رقم (١)

إجمالي الصادرات البينية لدول حوض النيل، (٢٠١٥-٢٠١٩) بالمليون دولار



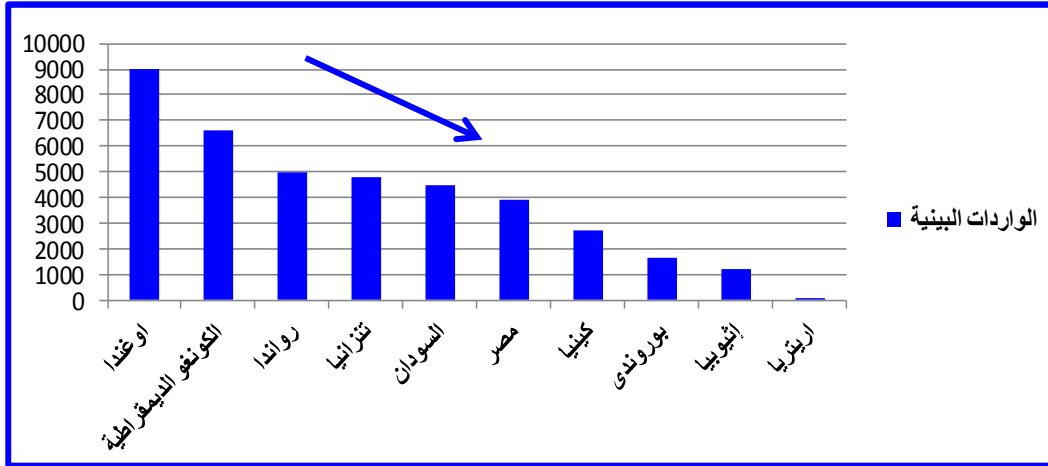
المصدر : من إعداد الباحثة باستخدام بيانات:

<https://www.trademap.org/Product,in April,2021>

(١) المعهد الأفريقي لدراسات الأمن، مارس ٢٠٢١، <https://gate.ahram.org.eg>

شكل رقم (٢)

إجمالي الواردات البينية لدول حوض النيل (٢٠١٥-٢٠١٩) بالمليون دولار



المصدر: من إعداد الباحثة باستخدام بيانات <https://www.trademap.org/Product,in April,2021>

## مصر

سجلت الصادرات المصرية ٣٠٦٣٢ مليون دولار والواردات ٧٨٦٥٧.٥١ مليون دولار بنهاية ٢٠١٩ وارتفعت صادرات الكيماويات والبلاستيك والأسمدة والدهانات إلى القارة الأفريقية وقد أكد مجلس تصدير الحاصلات الزراعية على زيادة صادرات القطاع وتحديدًا الموالح نظراً لزيادة الطلب وكان لتزايد معدلات نمو التجارة البينية له تأثير إيجابي على الناتج المحلي الإجمالي ومن ثم النمو الاقتصادي.

بلغ الناتج المحلي الإجمالي لمصر ٢٤٩٥٤ مليون دولار تقريباً، ٢٥٠٥٥ مليون دولار عام ٢٠١٨، ٢٠١٩ على التوالي يليها إثيوبيا وكينيا وتنزانيا، وتشهد المنتجات المصرية رواجاً متزايداً بالأسواق الأفريقية وتصدر ما يعادل ١٧.٩% من إجمالي الصادرات البينية لدول حوض النيل خلال الفترة (٢٠١٦-٢٠٢٠) وتشمل الوقود والزيوت المعدنية يليها الخضروات والفواكه الطازجة والمنتجات الغذائية والزيوت العطرية والمنتجات الورقية، والصناعات الكيماوية ومنتجاتها ومواد التشييد والبناء بينما تستورد ما يعادل ١٠% من الواردات البينية لدول حوض النيل خلال نفس الفترة وتضم البن والشاي والتبغ والكاكاو والتوابل وتستحوذ كينيا على النصيب الأكبر من واردات الشاي والتبغ بينما تعد

السودان أهم الشركاء التجاريين لمصر وتستحوذ على ٢٩% من الصادرات المصرية يليها كينيا وأثيوبيا وأريتريا وأوغندا.

### كينيا

تحتل كينيا مركز متقدم في حجم التبادل التجاري لدول حوض النيل وتقدر صادراتها بحوالى ٥٨٣٦.١ مليون دولار بينما تقدر الواردات بما يقرب من ١٧٢٢٠ مليون دولار<sup>(١)</sup> وتعد أوغندا أهم الشركاء التجاريين لكينيا وتستحوذ على ٢٦% من صادراتها الإقليمية ويعتمد الاقتصاد الكيني على الزراعة بصفة أساسية ويعمل بها ٩٠.٢% من إجمالي عدد السكان وتصدر الزهور المقطوفة والبن الأخضر وقرون الكاكاو بالإضافة إلى الشاي الأخضر بدون أى قيمة مضافة وتستورد المواد الكيميائية والسلع الاستهلاكية والمنتجات الورقية.

### إثيوبيا

تصدر إثيوبيا ما يعادل ٢.٥% من الصادرات البينية لدول حوض النيل وتشمل عدد محدود من المنتجات الزراعية مثل البن والشاي والتوابل والبذور والحبوب الزيتية وأيضاً الجلود الخام ومعدن الذهب وتمثل معاً ٧٨% من إجمالي حصة الصادرات مع عدم وجود قيمة مضافة<sup>(٢)</sup> وتستورد ما يعادل ٣.١% من إجمالي الواردات البينية لدول حوض النيل كالوقود والزيوت المعدنية ومنتجات التقطير والزيوت النباتية بالإضافة إلى النحاس ومصنوعاته والبلاستيك والمنتجات الورقية.

### تنزانيا

تعد تنزانيا ثاني أكبر اقتصاد في مجموعة شرق أفريقيا ويعتمد اقتصادها على الزراعة، ويعمل بها ٧٧.٣% من إجمالي عدد السكان في سن العمل وتعتبر من أسرع الاقتصادات نمواً واهتمت بقطاع التعدين وإنتاج الفحم والغاز الطبيعي بالإضافة إلى التشييد والبناء والنقل مما ساهم في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر وبلغت قيمة الصادرات ٤٩٤٦.٧١ مليون دولار والواردات ١١٥٧٣.٦ مليون دولار بنهاية ٢٠١٩<sup>(٣)</sup>.

(١) د.سلوى حجازي، "تطور التجارة الخارجية في دولة كينيا: التحديات وآفاق المستقبل"، رؤية أفريقية، (العراق، المجلد الثاني، العدد الثامن، أكتوبر ٢٠١٨)

(2) Ethiopia Country Commercial, Ethiopia – Agriculture, at: <https://www.export.gov/article?id=Ethiopia-Agriculture>

(3) [https://www.trademap.org/Product\\_SelProduct\\_May,2021](https://www.trademap.org/Product_SelProduct_May,2021)

### الكونغو الديمقراطية

يبلغ عدد سكان ٨٤.٢ مليون نسمة في مايو ٢٠٢١<sup>(١)</sup> وتقدر نسبة العاملين في قطاع الزراعة 54.2% من السكان في سن العمل.

تقوم مصر بتصدير المواد العطرية، العصائر، والخلاصات النباتية وتستورد النحاس والزنك وبلغت صادرات الكونغو الديمقراطية ما قيمته ٨٣٧٢.٧٧ مليون دولار والواردات ٧٧١٤.٤٩ مليون دولار<sup>(٢)</sup>.

### أوغندا

تبلغ نسبة العاملين في قطاع الزراعة ٧٦.١% طبقاً لتقرير ٢٠١٩ وتعتبر عضو فاعل في العديد من التجمعات الاقتصادية وفي عام ٢٠١٩ بلغت صادرات أوغندا ما قيمته ٣٥٦٣.٧٨ مليون دولار والواردات ٧.٦٩٦.٠٢ مليون دولار، وتعد من الشركاء التجاريين.

### رواندا

دولة حبيسة غير ساحلية تتميز بخصوبة أراضيها وتقع في منطقة البحيرات الكبرى في وسط القارة يبلغ عدد سكانها ١٢.٩ مليون نسمة، مايو ٢٠٢١ ويعمل بقطاع الزراعة ٧٠% من السكان في سن العمل وتصدر المواد الخام الأولية سواء الزراعية أو الاستخراجية وتقوم بتصدير البن الأخضر بأنواعه بكميات كبيرة باعتبار البن من المحاصيل النقدية والتي تتميز رواندا بإنتاجه بأنواع مختلفة بجودة عالية وميزة تنافسية.

### بوروندي

بلغ عدد سكان بوروندي ١١.٩١ مليون نسمة<sup>(٣)</sup> في مايو ٢٠٢١ وبنهاية عام ٢٠١٩ بلغ الناتج المحلي الإجمالي ٢٩٩٨ مليون دولار وكان نصيب الفرد ٢٥٢، ٢٥٢ دولار في ٢٠١٨، ٢٠١٩ على التوالي بينما كانت نسبة العاملين في قطاع الزراعة ٧٨% من السكان في سن العمل.

(1) <http://www.worldometers.info/world-population/democratic-republic-of-the-congo-population/>

(2) [https://www.trademap.org/Product\\_SelCountry\\_TS.aspx?nvpm](https://www.trademap.org/Product_SelCountry_TS.aspx?nvpm)

(3) <http://www.worldometers.info/world-population/burundi-population/>

### ثالثاً: المبادرات والإنجازات الاقتصادية لدول حوض النيل

فى إطار التعاون البينى وتحقيق التنمية الاقتصادية بين دول حوض النيل كان هناك العديد من الانجازات والمشروعات البينية التى تم تنفيذها على أرض الواقع لاسيما ما قدمته وزارة الموارد المائية والري خلال عام ٢٠٢٠ وقد قامت بتنفيذ العديد من المشروعات وهى مستمرة حتى الآن نذكر منها.

- تنفيذ المشروع المصري الأوغندي لمقاومة الحشائش المائية بالبحيرات العظمى وتم إنجاز أربعة مراحل وجارى تنفيذ المرحلة الخامسة منه حالياً.
- إنشاء عدد ٢ مرسى نهري بمنطقة حوض بحر الغزال بجنوب السودان.
- تقديم الدعم الفني لإنشاء مركز للتنبؤ بالفيضان ودراسة التغيرات المناخية بالكونغو الديمقراطية ويتم الإعداد لإفتتاح المركز بالعاصمة كينشاسا فى ٢٠٢١.
- مشروع درء مخاطر الفيضان بغرب أوغندا ويتم تنفيذ المرحلة الثانية حالياً.
- تم حفر العديد من الآبار ومحطات مياه الشرب الجوفية منها ١٨٠ بئر بكينيا، ٣٠ بئر بتنزانيا، ١٠ آبار بالسودان، ٦ آبار بجنوب السودان، ٧٥ بأوغندا.
- المساهمة فى إعداد دراسات الجدوى الفنية والاقتصادية لمشروعات إنشاء السدود متعددة الأغراض لتوفير الكهرباء ومياه الشرب وتم الانتهاء من إعداد الدراسات لمشروع "سد واو" بجنوب السودان.
- تقديم العديد من الدورات التدريبية لإعداد الكوادر الفنية ويتم تدريب ١٠٠ متدرب سنوياً من السودان وجنوب السودان وكينيا وإثيوبيا وأوغندا وإريتريا وتنزانيا ورواندا وبورندى والكونغو الديمقراطية وتوفير منح دراسية للطلاب بالجامعات المصرية خاصة طلاب الدراسات العليا<sup>(١)</sup>
- الانجازات الاقتصادية التى تحققت فى ظل قيادة مصر للاتحاد الأفريقى ٢٠١٩ والنسبة توتى ثمارها خلال الأعوام القادمة وأهمها اطلاق المرحلة التشغيلية لمنطقة التجارة

(١) مدحت اسماعيل ، "تفاصيل مشروعات التعاون الثنائى بين مصر ودول حوض النيل فى:

<https://almaalnews.com> in April 2021



- الحرّة الأفريقية التي عُقدت بالنيجر ووقعت عليها ٥٤ دولة، ودخول الإتفاقية حيز التنفيذ في ٣٠ مايو ٢٠١٩ وتستهدف الاتفاقية ٢ مليار نسمة، ٣ ترليون دولار.
- كما تهدف إلى إزالة الحواجز التجارية أمام حركة التجارة البينية الأفريقية وإلغاء التعريفات الجمركية تدريجياً بين الدول والعمل على إنشاء سوق أفريقية موحدة للسلع والخدمات وإنشاء الاتحاد الجمركي الأفريقي وتطبيق التعريفات الجمركية الموحدة تجاه واردات القارة الأفريقية من الخارج، مما يؤثر بشكل إيجابي على التنمية المستدامة بالإضافة إلى جذب الاستثمارات الأجنبية في عدة قطاعات مع الأخذ في الاعتبار آليات منظمة التجارة العالمية والإقليمية والتكتلات الاقتصادية التي تهدف إلى إنشاء مناطق للتبادل التجاري الحر.
- المنتدى الاقتصادي لأفريقيا نوفمبر ٢٠١٩ حيث استضافت مصر فعاليات المنتدى واهتم بدور القطاع الخاص وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة وتعزيز الفرص الاستثمارية بمجالات البنية التحتية والتحول الرقمي والطاقة المتجددة مع إستمرار تمويل الاستثمار في رأس المال البشري بالتدريب و تنمية المهارات والاهتمام بالبعثات التعليمية.
  - اهتم المنتدى الاقتصادي لأفريقيا بالعديد من المجالات كالزراعة بهدف تطوير الخدمات المقدمة لزيادة الرقعة الزراعية وتحسين إنتاج المحاصيل الزراعية مع الاهتمام بالمحاصيل النقدية فضلاً عن توفير تكنولوجيا لإدارة الموارد المائية وتقليل ظاهرة التصحر مع الحفاظ على تحسين نوعية وجودة التربة من خلال إنشاء صندوق للتنمية الزراعية.
  - اهتم المنتدى الاقتصادي لأفريقيا أيضاً بقطاع الصناعة وإعطاء أولوية كبرى للتصنيع المحلي تأكيداً على فكرة "صنع في أفريقيا"، كما أهتم المنتدى بتطوير قطاع الصحة والتعليم.
  - مؤتمر المدن الأفريقية قاطرة التنمية المستدامة، يونيو ٢٠١٩، اهتم بالتعاون مع الدول الأفريقية في مجال النقل البحري والبري ومن أهم المشروعات خطط الربط الملاحي بين بحيرة فكتوريا والبحر المتوسط وطريق "القاهرة-كيب تاون"، أطول مشروع لربط دول شمال القارة بجنوبها، ويربط مصر بجنوب أفريقيا، بطول ١١ ألف كم، ويمر بـ ٩ دول من الشمال إلى الجنوب، وسيؤثر على نشاط التبادل التجاري والاستثمار وما يتبعه من نمو اقتصادي وبالفعل بدأت مصر بتنفيذ المرحلة الأولى من المشروع في ٢٠٢٠م.

- مشروع الربط المائي "الإسكندرية- فكتوريا" ويهدف إلى إحداث نهضة إقليمية لدول حوض النيل، ويتضمن إنشاء مجارى نهريّة وسكة حديد وطرق برية، ويوفر شبكات للإنترنت ومراكز لوجستية، لتنشيط التبادل التجاري وتوطيد العلاقات الاقتصادية بين الدول.
- مشروعات الربط الكهربائي بين دول حوض النيل ويهدف إلى تنمية قطاع الكهرباء، وتحسين العمليات التجارية والمالية للقطاع بالإضافة إلى دعم وتطوير مستوى إنتاج الطاقة وقد تم بالفعل إنشاء ثلاث مؤسسات اقليمية لتجارة الطاقة، أهمها "الجمعية الدولية للكهرباء" في البحيرات العظمى والمنظمات الاقتصادية الإقليمية في شرق أفريقيا، بهدف دعم قطاع الطاقة والكهرباء بين دول حوض النيل.
- توقيع الاتفاقية التأسيسية لمنطقة التجارة الحرة الثلاثية في القارة الأفريقية (TFTA) بمدينة شرم الشيخ عام ٢٠١٥ بمصر<sup>(١)</sup> وتمثل قوة أفريقية يمكنها معاً مواجهة تحديات المنافسة الخارجية بعدد ٢٦ دولة أفريقية ونجد كينيا ورواندا وبوروندي من الدول الأعضاء في تجمع تجمع السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا، (COMESA)، و تجمع شرق أفريقيا (EAC)<sup>(٢)</sup>.
- تأسست "مبادرة حوض النيل" عام ٢٠٠٠م بتنزانيا وتضم في جميع دول حوض النيل وذلك قبل انفصال جنوب السودان وكان الهدف الأساسي تدعيم وتحقيق التعاون الإقليمي وتعزيز التكامل الاقتصادي وتنمية المصادر المائية لحوض النيل مع ضمان كفاءة إدارتها والاستخدام الأمثل للموارد وكثفت مصر جهودها تجاه القارة من خلال تنشيط التعاون في كافة المجالات واستضافة عدد من المؤتمرات والمنتديات التي تهتم بالاستثمار والاقتصاد والأمن.<sup>(٣)</sup>

(١) انضم ثلاثة تجمعات اقتصادية هي تجمع السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا (COMESA) والجماعة

الانمائية للجنوب الأفريقي (SADC) وتجمع شرق أفريقيا (EAC)

(٢) محمد عبد الشفيق عيسى وآخرون "اتفاقية منطقة التجارة الحرة الأفريقية وآثارها على الاقتصادات الأفريقية

عموماً والاقتصاد المصري خصوصاً، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية (٢٨٣)، (القاهرة:معهد التخطيط

القومي، سبتمبر (٢٠١٧)، ص ١، في <http://inplanning.gov.eg/pages>

(٣) الهيئة العامة للاستعلامات، مايو ٢٠٢١، <http://sis.gov.eg>

- إنشاء المنتدى الدولي لحوض النيل، والذي يمثل منظمات المجتمع المدني في دول حوض النيل بهدف متابعة تنفيذ مشروعات وبرامج مبادرة حوض النيل التي تم إنشاؤها عام ٢٠٠٠م وتزليل الصعاب التي تواجه عملية التنفيذ<sup>(١)</sup>.
- قامت مصر بإنشاء العديد من السدود لحصاد مياه الأمطار وقد ساهمت في إعداد الدراسات اللازمة لمشروعات إنشاء السدود متعددة الأغراض بهدف توفير الطاقة الكهربائية إضافةً إلى محطات المياه الجوفية لتوفير مياه الشرب النقية في العديد من المناطق النائية البعيدة عن التجمعات المائية وبالفعل تم استخدام تكنولوجيا الطاقة الشمسية في عدد كبير من الآبار الجوفية لاسيما تنزانيا، كما تم تنفيذ عدة مشروعات لتطهير المجاري المائية والحماية من أخطار الفيضانات وقد تم إنشاء العديد من المزارع السمكية والمراسي النهرية في العدة من دول حوض النيل.

#### رابعاً: التحديات وآفاق المستقبل

##### التحديات التي تواجه دول حوض النيل

- تواجه دول حوض النيل العديد من التحديات التي تعوق قطار التنمية الاقتصادية وتحول دون تحقيق أهدافها وأهم هذه التحديات ما يلي :
- مشكلة سد النهضة الإثيوبي التي تثار حالياً ورغبة مصر الواضحة في استكمال المفاوضات مع التأكيد على ثوابت مصر في الحفاظ على حقوقها المائية والسعي للتوصل إلى اتفاق قانوني عادل وملزم لجميع الأطراف يلبي طموحات جميع الدول في التنمية.
- التغيرات المناخية التي يمر بها العالم ومروراً بمشكلة الجفاف والتصحر ومدى التأثير السلبي المباشر على الرقعة الزراعية ومن ثم الأمن الغذائي لدى شعوب دول حوض النيل حيث تعتمد الدول على حصة الصادرات الزراعية سواء في التصدير أو الاكتفاء الذاتي.
- العجز الدائم في الميزان التجاري نظراً لزيادة الواردات بالإضافة إلى فوائد الدين المتراكمة التي تمثل عبء على كاهل الاقتصاد النامي

(١) د. أيمن السيد عبد الوهاب ، التعاون المائي في حوض النيل : المجتمع المدني المصري مدخل لتفعيل الإدراك التعاوني مجلة آفاق أفريقية، (جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة للاستعلامات، المجلد العاشر ، العدد ٣٦، ٢٠١٢)

- ضعف التمويل بمختلف القطاعات الاقتصادية وضعف القدرة الإنتاجية والفنية
- ضعف إمكانيات تطوير البنية التحتية وتجهيز الموانئ والنقل بمختلف أنواعه مما يؤثر على حركة التبادل التجاري
- نقص كفاءة الموارد البشرية المتاحة نظراً لضعف الإمكانيات الخاصة بالتدريب وتحسين المهارات الفنية
- تحديات تتعلق بجودة المنتج والقدرة التنافسية للصادرات الأفريقية بالأسواق العالمية
- تصدير المواد الخام سواء الزراعية أو الاستخراجية في صورتها الأولية بدون قيمة مضافة بأثمان منخفضة وإستيرادها نصف مصنعة أو كاملة الصنع بتكلفة مرتفعة تعوق التنمية الاقتصادية
- تصدير النفط والغاز في صورته الأولية يقلل من حصيلة الصادرات لاسيما مع وجود اكتشافات جديدة في هذا القطاع
- ضعف التبادل التجاري وقلة الاهتمام بالمحاصيل النقدية (البن، الشاي، الكاكاو، التبغ، التوابل)
- تشابه المنتجات وتخصص معظم الدول في عدد محدود من السلع يجعلها معرضة للتقلبات الاقتصادية المفاجئة

#### دول حوض النيل وآفاق المستقبل:

- يعتبر النمو في معدلات التجارة البينية له تأثير إيجابي على نمو الناتج المحلي الإجمالي ومن المتوقع نمو الناتج المحلي الإجمالي خلال عام ٢٠٢١، نظراً لوجود اكتشافات جديدة من النفط والغاز ونتيجة لسعي الدول للتكامل الاقتصادي.
- تسعى الدول إلى تنمية قطاع الصادرات وتعزيز قطاع الخدمات باعتبارهما المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي.
- إهتمام دول حوض النيل إلى استكمال تطوير البنية التحتية وزيادة الطاقة الإنتاجية.
- سعى الدول إلى زيادة الرقعة الزراعية وتنمية بقطاع الصناعة لتعزيز الصناعة المحلية وزيادة الإنتاج.
- الإهتمام بالتقنيات الحديثة المستخدمة في مجال الزراعة وتطوير نظم الري القائمة وزيادة الانتاجية لاسيما المحاصيل النقدية.

- استكمال الإصلاحات الهيكلية والاستثمار في البنية التحتية، وزيادة استثمارات القطاع الخاص .
- تسعى دول حوض النيل إلى الإهتمام بمشروعات الموارد المائية والسدود والرى.
- التعاون فى مجال الطاقة والحفاظ على البيئة خاصة فى ظل التغيرات المناخية .

## الخاتمة :

تناولت الدراسة تقييم أداء التكامل الاقتصادي بين دول حوض النيل من خلال عدة محاور هي الإتفاقيات التجارية لدول حوض النيل حيث تم عرض أهم الاتفاقيات التي تسهل حركة التجارة الخارجية وتدعم أواصر التعاون الاقتصادي بين الدول في مختلف القطاعات ومنها التعاون الزراعي والصناعي ومجال الطاقة والبنية التحتية.

كما ناقشت الدراسة الأداء الاقتصادي لدول حوض النيل وتناولت أداء التجارة البينية لبعض دول حوض النيل التي تحتل المراكز المتقدمة وتتصدر القائمة في الأداء الاقتصادي وكان من أهمها مصر وكينيا.

كما تم عرض المبادرات والانتجازات الاقتصادية وعرض أهم المشروعات التي تم تنفيذها بالفعل وأيضاً ما هو قيد التنفيذ.

و أخيراً تناولت الدراسة التحديات التي تواجه دول حوض النيل وكان من أهمها قضية سد النهضة الإثيوبي المثارة حالياً بين إثيوبيا ودول المصب مصر والسودان إضافة إلى مشكلة التغيرات المناخية التي تجتاح العالم مروراً بمشكلة الحفاف والتصحر وتأثيرها على الرقعة الزراعية ومن ثم الأمن الغذائي كما تناولت الدراسة آفاق المستقبل والمشروعات البينية لدول حوض النيل.

ومن العرض السابق فإن دول حوض النيل تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد في العديد من المجالات والقضايا الهامة لدعم العلاقات فيما بينها وتنمية اقتصاداتها وهناك توقعات باستمرار تعزيز تلك الجهود والسعى نحو تحقيق التكامل الاقتصادي، كذلك نمو اقتصادات عدد من الدول في مقدمتها مصر وكينيا وتنزانيا ورواندا. فضلاً عن الإهتمام بقطاع الصادرات وقطاع الخدمات باعتباره المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي، كما تسعى دول حوض النيل إلى استكمال تطوير البنية التحتية وزيادة الطاقة الإنتاجية مع الإهتمام بمشروعات الموارد المائية والسدود والرى. بالإضافة إلى استكمال الإصلاحات الهيكلية، وزيادة استثمارات القطاع الخاص لدعم اقتصاداتها.

## المراجع أولاً : المراجع العربية

المقالات:

- (١) د.أيمن السيد عبد الوهاب، التعاون المائي في حوض النيل :المجتمع المدني المصري مدخل لتفعيل الإدراك التعاوني، مجلة آفاق أفريقية، (جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة للاستعلامات،المجلد العاشر، العدد ٢٠١٢، ٣٦)
- (٢) د. سلوى حجازي، "تطور التجارة الخارجية في دولة كينيا : التحديات وآفاق المستقبل"، رؤية أفريقية،(العراق ، المجلد الثاني، العدد الثامن ، أكتوبر ٢٠١٨).
- (٣) د. سلوى حجازي ، " تحليل أداء التجارة الخارجية لدول تجمع شرق أفريقيا EAC "في الفترة (٢٠٠١-٢٠١٦م)، قراءات أفريقية،(المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد ٤٤، ابريل، ٢٠٢٠)
- (٤) د. محمد عبد الشفيق عيسى وآخرون إتفاقية منطقة التجارة الحرة الأفريقية وآثارها على الاقتصادات الأفريقية عموماً والاقتصاد المصري خصوصاً، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية (٢٨٣)،(القاهرة: معهد التخطيط القومي،سبتمبر ٢٠١٧).
- (٥) مدحت اسماعيل ، "تفاصيل مشروعات التعاون الثنائي بين مصر ودول حوض النيل في <https://almaalnews.com>, in April 2021
- (٦) الهيئة العامة للاستعلامات، مايو ٢٠٢١، في <https://sis.gov.eg>

## ثانياً: المراجع الأجنبية

### Articles:

- (1) John Tanz,South Sudan Official: Country Will Benefit by Joining EAC,2016, at: <https://www.voanews.com/government-south-sudan.html>
- (2) Interim Country Strategy Paper(I-CSP) 2012-2014, at: <https://www.afdb.org/>
- (3) Ministry of Finance and Planning, GPN Sudan Non-Oil Revenue Mobilization and Accountability in South Sudan NORMA-SS Project, at:[www.afdb.org/fileadmin/uploads/afdb/Documents/Procurement](http://www.afdb.org/fileadmin/uploads/afdb/Documents/Procurement)
- (4) internal-trade-supplies-committee, in Feb,2021,at [http://www.cec-eg.com/Default\\_a.aspx](http://www.cec-eg.com/Default_a.aspx)
- (5) African development bank group: Rwanda Economic Outlook, at <http://www.afdb.org/en/countries/east-africa/rwanda/rwanda-economic-outlook>

### Internet Resource

1. <https://www.fei.org.eg/index.php/ar/committees-1-ar/3461-internal-trade-supplies-committee>
2. <https://inplanning.gov.eg/pages>
3. <https://www.amcham.org.eg/egypttradehub/Agreement.asp>
4. <http://www.worldometers.info>, World Population ,in May 2021
5. <http://databank.worldbank.org>, World Development Indicators,
6. <http://www.fei.org.eg/index.php/ar/committees>
7. <http://www.doingbusiness.org> , in May ,2021
8. [https://www.trademap.org/Product\\_SelProduct\\_,May,2021](https://www.trademap.org/Product_SelProduct_,May,2021)
9. <https://ustr.gov/countries-regions/africa/east-africa/uganda>
10. <https://ustr.gov/countries-regions/africa/east-africa/burundi>
11. <http://www.worldometers.info/world-population/sudan-population,May,2021>
12. <http://www.worldometers.info/world-population/South-Sudan,in May ,2021>
13. <https://gate.ahram.org.eg>
14. Ethiopia Country Commercial, Ethiopia–Agriculture,at: <https://www.export.gov/article?id=Ethiopia-Agriculture>
15. [https://www.trademap.org/Product\\_SelProduct\\_,May,2021](https://www.trademap.org/Product_SelProduct_,May,2021)
16. <http://www.worldometers.info/world-population/democratic-republic-of-the-congo-population/>
17. [https://www.trademap.org/Product\\_SelCountry\\_TS.aspx?nvpm](https://www.trademap.org/Product_SelCountry_TS.aspx?nvpm)
18. <http://www.worldometers.info/world-population/burundi-population/>
19. <http://inplanning.gov.eg/pages>
20. <https://sis.gov.eg>





## دور التمويل الأصغر في ريادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة (دراسة حالة بنك الادخار والتنمية الاجتماعية ولاية القضايف)

أ. صفاء ياسر بابكر

د. مهند عبدالحفيظ حسين بريير

استاذ معاصر كلية الاقتصاد والعلوم الادارية جامعة القضايف

استاذ مساعد كلية الاقتصاد والعلوم الادارية جامعة القضايف

### المستخلص:

تناولت البحث دور التمويل الأصغر ومساهمته في ريادة الأعمال والمشروعات وتم أخذ بنك الادخار والتنمية الاجتماعية ولاية القضايف كحالة دراسية للبحث ، هدف البحث للتعرف علي دور التمويل الأصغر على ريادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة و إلقاء الضوء على المشروعات الصغيرة والمتوسطة التي استفادت من التمويل الأصغر في تمويل عملياتها الإنتاجية والتسويقية ، وقد أتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على جمع البيانات وتحليلها واستخلاص النتائج بالإضافة للمنهج الإحصائي لتحليل البيانات الأولية المتمثلة في الاستبانة التي تم توزيعها علي عينة عشوائية من العاملين في بنك الادخار والتنمية الاجتماعية ولاية القضايف قدر عددهم ب (٥٠) عامل وتم استخدام حزمة التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS). وتوصل البحث لعدد من النتائج منها أن التمويل الأصغر يساهم في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وذلك عبر تبني المشاريع الرائدة التي تقدم منتجات للمجتمع وتوفر في تشغيل العمالة مما يؤدي إلي تقليل البطالة وزيادة القوى العاملة . وعليها تم اعتماد توصيات للبحث منها نشر الوعي بأهمية ريادة الأعمال وتشجيع العمل الحر وتبني ذلك على مستوى الدولة .

## Abstract

The role of the micro funding in pioneering and leading the small, the intermediate and the big projects . The study case of this research has chosen the social development investment bank in Gedarif State as a model example for the study of the research. The study aims at recognizing and identifying the role of the micro funding in leading and pioneering the business affairs of the small , the intermediate and the big projects , and also aims to shed light on the small , intermediate and the big projects that benefited from the micro funding in funding its productive and marketing operations. The researcher followed and applied the statistical analytical descriptive method in collecting and analyzing the data collection and the information about the case study of the research , and then working out and inferring the results ,also the researcher adopts the statistical analytic method for analyzing the data that shown in the questionnaire that has been distributed to random samples of the workers and the personnel working in the social development investment bank in Gedarif state , the numbers of the estimated samples are fifty workers . The researcher has applied the statistical analytics method for the social sciences (PSS) in analyzing the data collection of his random samples , to infer and work out the results . The researcher concluded that the micro funding contributed in solving the economical and the social problems through adopting the pioneering projects that provide products and services to the communities , it also helps in creating jobs to the workers that leads to decreasing the rates of idleness in the communities and increases the working power. And accordingly the researcher , recommends that the importance of increasing the projects that provide jobs and encourage free work that should be adopted at the levels of the government.

## مقدمة:

التمويل سواء أكان كبير متوسط أو صغير يساهم في توفير الأموال (السيولة النقدية) أو الأصول الثابتة من أجل الاستثمار في الأعمال الإنتاجية وذلك لتحقيق الأرباح والعوائد على المشروعات والأعمال المستثمر فيها . بينما تشير ريادة الأعمال إلى ابتكار أفكار جديدة لتقديم خدمات ومنتجات متميزة أو اختراع أسلوب إنتاج جديد أكثر كفاءة وتتميز هذه الأساليب الإنتاجية الجديدة بعدد من العناصر أهمها عنصر المخاطرة من خلال تطوير منتج قديم أو تقديم منتج أو خدمة جديدة ، كذلك تتميز الأعمال الريادية بالإبداع والابتكار في ما يتعلق بالحصول على التمويل وطرق وأساليب التسويق ، والمشروعات الريادية التي تنشأ في مرحلة من مراحل دورة حياتها وتكون صغيرة ومن ثم تنمو وتزدهر وتصبح من المؤسسات أو الشركات عابرة للقارات وتكون أسباب انتشارها في الفكرة أو الطريقة التي يتم بها الإنتاج أو طريقة التسويق وغيرها .

## مشكلة البحث :

تواجه المشروعات الصغيرة والمتوسطة في بداية حياتها العملية بعدد من العوامل منها ما يشكل مهدد ومنها ما يشكل فرصة ، وبعض المهددات التي تشكل خطر على المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتي قد تحدد مسيرة حياتها هي مسألة التمويل الذي تشكل أهميته أهمية الدم في جسم الإنسان ومن هنا تأتي مشكلة البحث في السؤال الرئيسي الاتي :

ما هو دور التمويل الأصغر في ريادة الأعمال والمشروعات الصغيرة والمتوسطة ؟  
وتفرعت منه عدد من الأسئلة تتمثل في :

- ١- هل التمويل الأصغر يزيد من رأس مال المشروعات الصغيرة والمتوسطة ؟
- ٢- هل التمويل الأصغر يساهم في تكوين مشروعات صغيرة ومتوسطة جديدة ؟
- ٣- إلى أي مدى ساهم التمويل الأصغر في زيادة العمليات الإنتاجية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة ؟

## أهمية البحث :

### أ- الأهمية العلمية للبحث :

- ١- تسليط الضوء على الجوانب النظرية لمفهوم التمويل الأصغر وريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة وعرض أهم النظريات في مجال ريادة الأعمال .

٢- معرفة الدور العام الذي يحدثه التمويل الأصغر في المجتمع بشكل خاص والنشاط الاقتصادي بشكل عام باعتباره مصدر من مصادر زيادة رأس المال .

### ب- الأهمية العملية :

توضيح الدور الذي يقوم به بنك الادخار والتنمية الاجتماعية في زيادة رأس المال للمشروعات الصغيرة والمتوسطة ومدي مساهمة هذا الدور في تكوين مشاريع صغيرة ومتوسطة رائد في المجال الاقتصادي وما يوفره للمجتمع من توفير فرص عمل وإخراج فئات المجتمع من دائرة الفقر والبطالة إلى دائرة الإنتاج بما ب=يقدمه من آليات وسبل للتوفير والادخار تساهم في الاقتصاد الكلي .

### أهداف البحث :

- ١- التعرف على المفاهيم المتعلقة بالتمويل الأصغر في السودان .
- ٢- التعرف علي دور التمويل الأصغر على ريادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة
- ٣- إلقاء الضوء على المشروعات الصغيرة والمتوسطة التي استفادت من التمويل الأصغر في تمويل عملياتها الإنتاجية والتسويقية .
- ٤- معرفة سياسات وإجراءات المصارف السودانية في منح التمويل الأصغر للمشروعات الصغيرة والمتوسطة.

### فرضيات البحث :

- ١- هناك علاقة بين التمويل الأصغر وزيادة رأس مال المشروعات الصغيرة والمتوسطة.
- ٢- هناك علاقة بين التمويل الأصغر ودورة حياة المشروعات الصغيرة والمتوسطة الجديدة.
- ٣- هناك علاقة بين التمويل الأصغر و الإبداع والابتكار في العمليات الإنتاجية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة .

### منهج الدراسة :

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي ودراسة حالة بنك الادخار والتنمية الاجتماعية ولاية القضارف .

### حدود البحث:

الحدود المكانية: السودان- ولاية القضارف بنك الادخار والتنمية الاجتماعية .  
الحدود الزمنية: في الفترة من ٢٠٢١م.

## النمويل الأصغر:

مفهوم التمويل: يعرف التمويل بأنه توفير الأموال (السيولة النقدية) من أجل إنفاقها على الاستثمارات وتكوين رأس المال الثابت بهدف زيادة الإنتاج والاستهلاك.<sup>(١)</sup>  
الكلمات المفتاحية: التمويل الأصغر، زيادة الأعمال، المشروعات الصغيرة.

### تعريف التمويل الأصغر:

<sup>١</sup> - تعريف صندوق الأمم المتحدة لتنمية رأس المال هو تقديم نطاق واسع من الخدمات المالية في مجالات الائتمان والادخار والإيداع وخدمات الرقميات والتأمين والتحويلات النقدية أيضا والتدريب وبناء القدرات لذوي الدخل المنخفضة وصغار المنتجين والمدخرين والفقراء النشطين اقتصاديا والذين لا يتمكنون من الوصول للخدمات المالية الرسمية.<sup>(٢)</sup>

<sup>٢</sup> - تعريف منظمة العمل الدولية: هو توفير الخدمات المالية بصورة مستدامة لصغار المبادرين أو الأشخاص ذوي الدخل المنخفضة من الذين ليس لديهم إمكانية الحصول على خدمات مالية تجارية وهو تيسير التمويل الأصغر كخدمات مصرفية للفقراء.<sup>(٣)</sup>

<sup>٣</sup> - تعريف بنك السودان المركزي للتمويل الأصغر: هو التمويل الذي يستهدف الفئات الفقيرة القادرة على الإنتاج ويقصد به أي تسهيل ممنوح للفقير النشط اقتصاديا أو لمجموعة من الفقراء النشطين اقتصاديا بحيث لا يتجاوز ٢٠٠٠٠ جنيه سوداني للفرد حسب ما يقرره المصرف من وقت لآخر.<sup>(٤)</sup>

١ عبد الوهاب عمر عبدالله ، التمويل الأصغر في محاربة الفقر، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة النيلين ٢٠٠٩م ص ٢٠.

٢ رؤية تطوير وتنمية قطاع التمويل الأصغر في السودان ،إعداد يونكونزا للاستشارات المحدودة ، ترجمة محمد خيرى فقيرى ٢٠٠٦/ ص ٢١.

٣ عبدالمطلب بن عوف ، تقييم دور البنوك في محاربة الفقر عبر آلية التمويل الأصغر ، مجلة حوض النيل، العدد ٢٠١٤، ٦م ص ٣٧.

٤ منشورات بنك السودان المركزي ، وحدة التمويل الأصغر ، الضوابط التنظيمية والرقابية لمؤسسات التمويل الأصغر ٢٠١١م ، ص ١٧.

٤- التمويل الأصغر يقصد به تقديم حزمة من الخدمات المالية وغير المالية للنشطين اقتصاديا القادرين على الكسب والإنتاج وتمثل الحزمة الأولى الادخار، الائتمان، التحويلات، التأمين. والحزمة الثانية تمثلها الخدمات غير المالية ويعني بها تقديم التدريب والاستشارات والدعم الفني.<sup>(١)</sup>

٥- تعريف بنك السودان المركزي: يشير التمويل الأصغر إلى توفير الخدمات المالية والقروض صغيرة الحجم للعملاء الفقراء النشيطين اقتصاديا (باستثناء أصحاب الأجور) الغير قادرين على الحصول على الخدمات التي تقدمها المؤسسات المالية وكذلك لحوجتهم للدخول في مشروعات مدرة للدخل للذين ليس لديهم ضمانات عينية بهدف خلق فرص مستدامة للفقراء وذلك باندماجهم في مجموعة من الخدمات المالية الجيدة وذلك بهدف خروج الفقراء من دائرة الفقر وزيادة دخولهم واستقرارهم اقتصاديا.<sup>(٢)</sup>

### مصادر التمويل:

يمكن تقسيم مصادر التمويل إلى ثلاثة تقسيمات:

التقسيم الأول: من حيث المصدر:

أ- مصادر داخلية: وهي الأرباح وبيع الأصول والأموال.

ب- مصادر خارجية: تشمل الاقتراض المباشر من المؤسسات المالية.

التقسيم الثاني: من حيث الملكية:

أ- قيام مالكي المؤسسة بزيادة رأس المال والاحتفاظ بكل الأرباح أو جزء منها.

ب- المقترضين كالبنوك وتأجير الآلات.

التقسيم الثالث: من حيث الفترة الزمنية:

أ- مصادر قصيرة الأجل.

ب- مصادر متوسطة الأجل.

ج- مصادر طويلة الأجل.<sup>(٣)</sup>

1 Ssdbank.info/23/6/5/2021

2 Cbos.gov.sd 23/7/5/2021

٣ زينب عبدالواحد محمد أحمد، دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين ٢٠١٢م ص ١١.

## أهمية التمويل الأصغر:

أ- الأهمية الاقتصادية :

- ١- المساهمة في بناء القدرات الإنتاجية الشاملة .
  - ٢- التمويل الأصغر يلعب دورا في تخفيض حدة الفقر .
  - ٣- توفر مصدر دخل للعاطلين عن العمل والأسر الفقيرة والحرفيين .
  - ٤- التمويل الأصغر يمول تكاليفه المالية .
- ب- الأهمية الاجتماعية للتمويل الأصغر :
- ١- يعتبر للتمويل الأصغر أحد الآليات المبتكرة التي تسعى لتخفيف حدة الفقر والخروج بالفقراء من دائرة خط الفقر إلى درجة الرفاهية والتواصل الاجتماعي والثقة بالنفس .
  - ٢- للتمويل الأصغر وسيلة لنجاح الإنسان في الحياة .
  - ٣- غرس ثقافة التوظيف الذاتي بالانتماء للعمل بروح الجدية والثقة بالنفس .
  - ٤- التعامل بالصدق والأمانة والشعور الدائم بسداد الديون وإرجاعها في مواعيدها .
  - ٥- التحلي بالأخلاق الإسلامية والتعامل بالسلوك القويم والالتزام والابتعاد عن الممارسات التي تتنافى مع الأخلاق .
  - ٦- العمل على تشجيع الادخار من منطلق ديني لترشيد عملية الصرف الأموال في الأغراض المهمة للحياة الضرورية .
  - ٧- الاستعداد التام لتحمل المسؤولية الأسرية والاعتماد على الذات .<sup>(١)</sup>

## أهداف التمويل الأصغر:

- ١- تقوية وتمكين الفئات السكانية الفقيرة .
- ٢- توفير فرص العمل من خلال تمويل المشروعات ومتابعتها .
- ٣- المساعدة في نمو الأعمال وتنويع أنشطتها في الأعمال الصغيرة .
- ٤- الحد من الفقر وذلك بالوصول إلى الفقراء الذين ترفض المؤسسات المالية التعامل معهم.<sup>(٢)</sup>

١ يعرب محمود الجبوري، دور المصارف الإسلامية في التمويل الإسلامي، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ٢٠١٤م ص ٩ .

٢ اسماعيل محمد احمد شبو و عمر السر حسن ، معوقات التمويل الاصغر -دراسة نظرية ؛سلسلة ندوات التنوير ، مركز التنوير المعرفي ، ٢٠١٤م ص ١٣٢ .

### مؤسسات التمويل الأصغر:

- ١- تعريف مؤسسات التمويل الأصغر هي المؤسسات التي تعني بتقديم خدمات مالية للفقراء وأغلبها مؤسسات قائمة على برامج الائتمان الأصغر وتقبل إيداع المبالغ الصغرى من عملائها فقط وليس من العامة. أما المصارف ذات المهام المزدوجة (تمويل أصغر وتمويل متوسط وأعلى) فتقبل الودائع من العامة مثل مصرف الادخار في السودان والعدالة في كينيا وراكيات في اندونيسيا .
- ٢- مؤسسة التمويل الأصغر هي المؤسسة التي تقبل الودائع ويقصد بها أي هيئة أو شركة مساهمة عامة أو خاصة مرخص لها بالعمل من قبل المصرف المركزي لمزاولة خدمات التمويل الأصغر أو متناهي الأصغر.<sup>(١)</sup>
- ٣- تشير عبارة مؤسسة مالية إلى أي مؤسسة عامة أو خاصة تجمع رؤوس الأموال من الجمهور أو الجهات المانحة وتستثمرها في أصول مالية كالقروض أو السندات أو الإيداعات وليس في ممتلكات مادية ملموسة.<sup>(٢)</sup>
- ٤- مؤسسات التمويل الأصغر هي مؤسسات مالية تركز على تقديم خدمات التمويل الأصغر وهي تضم مجموعة من المؤسسات تتراوح ما بين :  
أ- الرسمية مثل البنوك .  
ب- شبه الرسمية مثل التعاونيات والمنظمات غير الحكومية وبنوك الادخار في القرى غير الرسمية مثل مجموعات الادخار والائتمان أو التسليف.<sup>(٣)</sup>

### مفهوم ريادة الأعمال :

يتعلق مفهوم ريادة الأعمال بابتكار أفكار جديدة لتقديم خدمات ومنتجات متميزة أو أسلوب إنتاج (فن إنتاجي) جديد أكثر كفاءة تركز على عنصر المخاطرة من خلال تطوير منتج قديم أو تقديم منتج أو خدمة جديدة ، فالمخاطرة تتضمن إمكانية قبول المستخدمين للمنتج أو الخدمة بالشكل الجديد أو عدم الأقبال على المنتج أو الخدمة الجديدة وهذا ما يجعل

١ صالح جبريل حامد ، التمويل الأصغر في السودان ، ط١، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ٢٠١٠م ص٤٩ .

٢ حنان علي سليمان إدريس ، التمويل الأصغر في السودان ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ٢٠١٥م ص ١٨

٣ حنان علي سليمان مرجع سبق ذكره ص ١٦ .



مفهوم ريادة الأعمال ليشمل المالك والمبادر ورائد الأعمال الناجح والمالك المخاطر ، والمبدع الإنتاجي .

وريادة الأعمال (Entrepreneurship) كلمة فرنسية الأصل تعني الشخص الذي يشرع في إنشاء عمل تجاري وفق أفكار خلاقة مبدعة وطرق مبتكرة تركز على المخاطرة ورأس المال الجريء ، وتسعي ريادة الأعمال إلى تلبية حاجات وإشباع رغبات المستفيدين من الخدمة أو المنتج من خلال أنشطة متنوعة .<sup>(١)</sup>

والريادة في اللغة العربية (الرائد هو الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاً ومساقط الغيث ، والجمع رواد ، والريادة التقدم في الإنجاز).<sup>(٢)</sup>

الأعمال في اللغة العربية (العمل هو المهنة والفعل ، والجمع أعمال ، اعتمل أي عمل بنفسه ، وأستعمله أعمل غيره لديه ، والأعمال المهن والأشغال)<sup>(٣)</sup>

رائد الأعمال في اللغة العربية هو أول من ينطلق في مشروع ما ، ويمهد الطريق أمام الآخرين بهذه الانطلاقة .

تعريف الشخص الريادي اصطلاحاً في مجال الأعمال : هو الشخص المبادر إلى الفكرة الخلاقة ، وهو السباق إلى تخطيط مشروع يقوم على فكرة مبتكرة وجديدة ، وينفذها بمخاطر عالية ، مع ضمان نجاح المشروع .

ورغم اختلاط كلمة ريادي وإحاقها بالعديد من التخصصات ، إلا أن هذه الكلمة ارتبطت بقطاع الأعمال ، وليس بالضرورة أن يكون كل رجل أعمال ريادياً ، فرجل الأعمال يحقق الربح ، لكن الريادي هو من يسعي للابتكار والتطوير والمخاطرة إضافة إلى الربح.<sup>(٤)</sup>

١ ياسر سالم المري ، ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية ، أطروحة دكتوراة في العلوم الأمنية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، كلية الدراسات العليا ٢٠١٣ م . ص ١٧

٢ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب طه ، بيروت - دار صادر ، ٢٠٠٥ م ص ٢٥٩ .

٣ [www.almaany.com/ar/dict/ar-ar](http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar)

٤ عبد الحميد مصطفى أبو ناعم ، ريادة الأعمال ٢ ، كلية التجارة - جامعة القاهرة ، ٢٠٢٠ م . ص ١٦ .

### تعريف ريادة الأعمال :

- ١ - عرفها dolling (هي عملية خلق منظمة اقتصادية مبدعة من أجل تحقيق الربح أو النمو تحت ظروف المخاطرة وعدم التأكد).<sup>(١)</sup>
- ٢ - عرفها الشميمري والمبيريك (نشاط ينصب على إنشاء مشروع عمل جديد ، يقدم فعالية اقتصادية مضافة، من خلال إدارة الموارد بكفاءة وأهلية متميزة لتقديم شيء جديد ، أو ابتكار نشاط اقتصادي وإداري جديد يتسم بالإبداع ويتصف بالمخاطرة )<sup>(٢)</sup>

### نشأة وتطور ريادة الأعمال :

يرجع مفهوم ريادة الأعمال للاقتصادي جوزيف شومبيتر وبعض الاقتصاديين النمساويين حيث عرف شومبيتر رائد الأعمال بأنه ذلك الشخص الذي لديه الإرادة والقدرة على لتحويل فكرة وجديدة أو اختراع جديد إلى ابتكار ناجح آخر يعتبر ريادة الأعمال ريادة الأعمال تتمحور بالأساس على المخاطرة عند تطبيق الفكرة موضع التنفيذ .

وقد تأثرت ريادة الأعمال في بدايتها بالعلوم المرتبطة بها كعلم الاقتصاد وعلم النفس وعلم التسويق والإدارة الاستراتيجية وعلم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم الإنسان ، مما أدى إلى تباين تفسيراتها وتعدد نظرياتها ، وعدم الاتفاق على مفهوم محدد لها ، بل ترادفت في كثير من الأحيان مع مفاهيم الإبداع والابتكار . وقد عرف مفهوم الريادة في الستينات والسبعينات من القرن العشرين ، لكن شهدت الثمانينات والتسعينات انتشارا واسعا لهذا المفهوم الذي مزج بين جني الأرباح التي تثمر عنها العمليات التجارية المختلفة من جهة وفكرة التقدم على مختلف الأصعدة من جهة أخرى من خلال ابتكار أساليب جديدة وحديثة في العمل .<sup>(٣)</sup>

وقد تأثرت ريادة الأعمال أثناء تطورها بالمدارس الفكرية المختلفة ، فقد ساهم رواد المدرسة الكلاسيكية بنصيب وافر في تفسير السلوك الريادي ، ويرجع الفضل إلى ريتشلرد

---

١ رزاز المطر-عبير الهاجري وآخرون ريادة الأعمال -جامعة الدمام ،كلية الدراسات التطبيقية وخدمة المجتمع ،٢٠١٤-٢٠١٥م المستوى السادس ص ١ .

٢ أحمدبن عبدالرحمن الشميمري ووفاء بنت ناصر المبيريك، ريادة الأعمال ط٢، المملكة العربية السعودية الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠١١م ص ٢٥ .

٣ مجدي عوض مبارك ، الريادة في الاعمال (المفاهيم والنماذج والمداخل العملية ) ط١ ،عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن ،٢٠٠٩. ص ١٨

كانتيلون في إدخال مصطلح الريادة إلى النظرية الاقتصادية من خلال اعتبار الريادة هي تحمل مخاطر ارتفاع أو انخفاض الأسعار مستقبلا ، أما بيوكليوا فكان أول من عرف الريادي بأنه الشخص الذي يتحمل المخاطر ، ويعود الفضل إلى ساي الذي يعد أول من أدخل مصطلح الريادي إلى النظرية الاقتصادية ، بينما أشار فرانسيس ووكر إلى أن الريادة تتمثل في القدرات الإدارية التي تميز الريادي وتساعد في جني الأرباح .

أما المدرسة الاقتصادية فقد اعتبرت الريادة عنصر من عناصر الإنتاج ويرى آدم سميث أن الريادي هو من يملك رأس المال أو المزود له ، في حين أشار ألفرد مارشال إلى أن الريادة هي أحد تكاليف الإنتاج بينما أشار شولتز إلى أن الريادي هو من لديه القدرة على التعامل مع ظروف عدم التوازن.

وقد ركزت المدرسة النمساوية على اعتبار الريادة مرادف للابتكار والإبداع ، حيث أشار جوزيف شومبيتر إلى أن الريادي هو المبدع الذي يقدم ابتكارا تقنيا غير مسبوق ويعد آرثر رائد مدرسة جامعة هارفارد أول من أسس مركز الريادة الأعمال تحت مسمى مركز بحوث التاريخ الريادي في جامعة هارفارد في العام ١٩٤٨م وأشار إلى أن ريادة الأعمال تتحقق من خلال إنشاء منظمات الأعمال والاستثمار فيها لتنمية وتطوير الاقتصاد الوطني .

أما رواد المدرسة الحديثة فقد أسهموا بنصيب وافر في تطور مفهوم الريادة ، فقد أشار كل من ماكلياند ودراكر ومنتزبيرغ وروبرت هيزبرج إلى الريادة باعتبارها تمثل الحاجة إلى الانجاز ، وتعظيم الفرص ، والإبداع والابتكار ، وإنشاء منظمات الأعمال ، والمخاطرة ، وتكوين الثروة.

وقد بدأ التوجه الحديث نحو ريادة الأعمال في أوائل القرن الحادي والعشرين ، حيث أوجه الجميع للنشاط الريادي كوسيلة حتمية لتغيير مفاهيم المنافسة والمزايا واشتداد حدة المنافسة التي أدت إلى التحول من المزايا النسبية إلى المزايا التنافسية ، مما شكل تحديات لرجال الأعمال وتسويق المنتجات لتحقيق التنمية في ظل تضائل الموارد المتاحة والحاجة إلى تقديم منتجات وخدمات غير تقليدية لكي تلقي قبول واستحسان المستهلك أو المستفيد من الخدمة ، بجانب مواجهة البطالة ودعم الرياديين على إنشاء مشروعات خاصة بهم ليتيحوا فرص العمل لهم ولغيرهم من خلال تقديم منتجات مبتكرة في المجالات التي يجيدون ويبدعون فيها .

أن ريادة الأعمال اكتسبت مفاهيم متغيرة بتباين المدارس الإدارية التي تناولتها حسب توجهات كل مدرسة ، فتدرجت بين معاني تحقيق الربح ، والتغيير ، والإبداع والابتكار ، وتشكيل أحد عناصر الإنتاج إلى شمولها لكافة عناصر العملية الإنتاجية والتنموية التي تكفل الديمومة والاستمرار للمنشآت في تقديم أنشطتها من خلال دعم مستمر ومتواصل من الأجهزة ذات العلاقة لضمان إسهامها في دعم الاقتصاد الوطني ، بالإضافة إلى الحد من ظاهرة البطالة.<sup>(١)</sup>

### صفات ومزايا مفهوم الريادة :

- ١- الريادة هي أحدي مدخلات عملية اتخاذ القرار المتعلق بالاستخدام الأفضل للموارد المتاحة للوصول إلى إطلاق المنتج أو الخدمة الجديدة وكذلك الوصول إلى تطوير طرق وأساليب جديدة للعمليات .
- ٢- الريادة هي الجهد الموجه نحو التنسيق الكامل بين عمليات الإنتاج والبيع .
- ٣- الريادة هي مجموعة المهارات الإدارية الإبداعية المستندة على المبادرة الفردية الموجهة نحو الاستخدام الأفضل للموارد المتاحة والتي تتسم قراراتها بمستوى معين من المخاطرة .
- ٤- الريادة تعني الإدراك الكامل للفرص المتمثلة بالحاجات والرغبات والمشاكل والتحديات والاستخدام الأفضل للموارد نحو تطبيق الأفكار الجديدة في المشروعات التي يتم التخطيط لها بكفاءة عالية .
- ٥- الريادة هي المحور الإنتاجي للسلع والخدمات والتي تعود للقرارات الفردية الهادفة إلى تحقيق الربح من جراء اختيار النشاط الاقتصادي الملائم .
- ٦- الريادة تعني العمل الذي يقوم به الفرد تلقائيا حيث يشتري بسعر معين في الوقت الحاضر ليبيع بسعر غير مؤكد في المستقبل مما يجعله عرضة لحالات عدم التأكد.<sup>(٢)</sup>

١ أحمد بن عبد الرحمن الشميري ووفاء بنت ناصر المبيريك، مرجع سبق ذكره ص ٢٣.

٢ جمعة صالح النجار وعبد الستار محمد العلي ، الريادة وإدارة الأعمال الصغيرة ، ط٢ ، عمان-الأردن :- دار الحامد ٢٠٠٩ م . ص ٣٠.

## المشروعات الصغيرة :

### مفهوم المشروع :

المشروع هو كل كيان تنظيمي مستقل يديره منظم أو أكثر يقوم بدمج ومزج عناصر الإنتاج المتاحة بنسب معينة وبأسلوب معين بهدف إنتاج سلعة أو خدمة تطرح في السوق لإشباع حاجات خاصة أو حاجات عامة خلال فترة معينة <sup>(١)</sup>.

### مفهوم المشاريع الصغيرة:

اختلفت تعريفات المنشآت الصغيرة والمتوسطة بحسب نوعية هذه المشروعات والهدف منها ، وحجمها ورأسمالها ، وعدد العاملين بها ، حيث تسعى غالبيتها لتحقيق ربح لتغطية نفقات المعيشة ، وتكون في الغالب مملوكة لفرد أو مجموعة أفراد بينهم روابط اجتماعية أو علاقات قرابة ، فالهدف منها هو تحصيل الرزق من خلال أنشطة فردية أو عائلية ، لذلك فالمنشآت الصغيرة والمتوسطة عبارة عن (أنشطة خاصة فردية أو عائلية تستهدف الربحية الاقتصادية وزيادة الدخل وتوفير فرص عمل من خلال إنتاج تشكيلة من السلع والخدمات ، وتعتمد بدرجة أكبر على العمالة الماهرة وغير الماهرة المحلية والتقنية والخامات المحلية ، وتركز على القوة الدافعة للقطاع الخاص والأسر والأفراد والمبادرات الذاتية وتحتاج لدعم ومعونة مجتمعية في المجالات الإدارية والتمويلية والفنية .

ويعزى الاختلاف في تحديد مفهوم المنشآت الصغيرة والمتوسطة إلى الاختلاف في وصفها وتحديد مجالات نشاطاتها وأهدافها في ضوء تعدد الأطراف المعنية بها التي تعطيها أسماء وتعريفات مختلفة ، ففي الدول المتقدمة تعرف المنشآت الصغيرة والمتوسطة بأنها (عمل مملوك ويدار بشكل مستقل وهو غير مهيم في مجال عمله ) أما في الدول النامية فتعرف المنشآت الصغيرة والمتوسطة على أساس معيار حجم العمالة بأنه (العمل الذي يستخدم خمسة أو عشرة أفراد أو أقل )

وقد يتم تعريف المشروعات الصغيرة حسب القائمين على اتخاذ القرارات بها حيث عرفتها لجنة والت شاير البريطانية بأنها ( مشروع يقوم فيه شخص أو اثنان فقط باتخاذ القرارات الرئيسية في مجالات التمويل ، والإنتاج ، والتسويق ، والخدمات والبيع دون مساعدة المتخصصين الذين يعملون في هذا المشروع ).

١ عاطف وليم أندراوس ، دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات، ط١، دار الفكر الجامعي الاسكندرية

٢٠٠٧م ص ٨

وقد يتم تعريف المشروعات الصغيرة حسب رأس مالها العامل فيعرف البعض المشروعات الصغيرة ( بأنها نشاط إنتاجي قائم على رأسمال قليل ويستخدم عدد قليل من العمالة ، ويعتمد على الموارد المحلية ، ويستخدم مهارات محدودة ومعدات تقليدية ذات كفاءة تقنية منخفضة نسبيا ، ويسوق منتجاته في المناطق المحلية . )<sup>(١)</sup>

وبالرغم من اختلاف تحديد حجم رأس المال وكذلك حجم العمالة ، إلا أن الاختلاف أيضا يدخل في طبيعة النشاط فالمنشآت الصغيرة والمتوسطة في مجال الصناعة قد لا تكون كذلك في مجال الزراعة ، وحتى المنشآت الصغيرة والمتوسطة في المجال الواحد تختلف من قطاع لآخر، فالمنشأة الصغيرة التي تعمل في مجال صناعة الأحذية تختلف عن المنشأة الصغيرة والمتوسطة التي تعمل في مجال صناعة السيارات لذلك يتم تعريف المنشأة الصغيرة والمتوسطة بصورة أكثر مرونة بأنها (المشروع الذي يمارس نشاطا اقتصاديا ويكون مملوكا ملكية فردية ويستخدم رؤوس أموال صغيرة نسبيا ويوظف عدد محدود من الأيدي العاملة ويستخدم موارد محلية ).<sup>(١)</sup>

### خصائص ومميزات المشروعات الصغيرة والمتوسطة وأهميتها:

- ١- ازدياد فرص العمل التي توفرها المشروعات الجديدة والمتوسطة بالمقارنة بالمشروعات الكبيرة : حيث تشير جميع الدراسات بالدول المتقدمة إلى الدور الكبير الذي تلعبه المشروعات الصغيرة في التوظيف ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية ، توفر الشركات التي يعمل بها أقل من مائة موظف حوالي ٨٠% من فرص العمل الجديدة في شركات القطاع الخدمي ، وفي المملكة المتحدة تمثل المشروعات الصغيرة (أقل من ٢٠ عامل ) ٢٦% من إجمالي أعداد المشتغلين ، وفي اليابان توظف المشروعات الصغيرة والمتوسطة (أقل من ٥٠٠ عامل ) ٧٤% من جملة العمالة الصناعية .
- ٢- سهولة الانتشار والتأسيس : تتميز المشروعات الصغيرة والمتوسطة بصغر حجم رأسمالها وسهولة إنشائها إلى جانب قصر الوقت اللازم لإعداد دراسات تأسيسها بما فيها دراسة الجدوى ، كما أنها تتميز بسهولة تنفيذ المباني وتركيب خطوط الإنتاج من

١ ياسر سالم المري ، ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية -دراسة تحليلية مقارنة :اطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية - الرياض ٢٠١٣م ص ص ٤١-٤٣.

مكائن ومعدات وانخفاض إجراءات تكوينها وانخفاض المصروفات الإدارية وسهولة تصميم هياكلها التنظيمية .

٣- سهولة الإدارة : تمتاز المشروعات الصغيرة والمتوسطة بسهولة الإدارة والقيادة والتوجيه ، والوضوح في تحديد الأهداف وتوجيه جهود العاملين نحو أفضل السبل لتحقيقها ، وبساطة الأسس والسياسات التي تحكم عمل المشروعات وسهولة إقناع العاملين والعلماء بها . كما أن مالك المشروع في الغالب هو مديره إذ يتولى العمليات الإدارية والفنية والمالية ، إلا أن هذا يؤدي أحيانا إلى خلل في الهيكل الإداري .<sup>(١)</sup>

٤- المرونة العالية والتكيف مع المتغيرات : أن هذه المشروعات لديها القدرة على التأقلم بشكل أكبر من المشروعات الكبيرة حيث أنها تستطيع أن تتكيف مع المتغيرات البيئية الخارجية والمرونة في مجال الإنتاج من حيث الكم والنوع وبرامج التسويق مما يجعلها أسرع استجابة لحاجات السوق .

٥- انخفاض مستوى التكنولوجيا المستخدمة : تمتاز المشروعات الصغيرة والمتوسطة بأنها تستخدم نمط تكنولوجيا بسيط جدا مقارنة مع المشروعات الكبيرة ، ويعتبر هذا النمط أكثر ملائمة لطبيعة ظروف الدول النامية ، فالتقانات المستخدمة في هذه المشروعات مكثفة للعمل نسبيا وبسيطة وتكلفتها بالنقد الأجنبي منخفضة جدا مقارنة بالتقانات المتطورة المكثفة رأس المال . بالإضافة إلى هذا فإن الخامات المرتبطة بهذه التقانات غالبا ما تكون متوفرة محليا والمهارات العمالية المطلوبة بها بسيطة .

٦- الاعتماد على السوق المحلي : غالبا ما تكون المشروعات الصغيرة والمتوسطة على اتصال وثيق مع المجتمع المحلي ، حيث تأخذ هذه المشروعات من المجتمع المحلي موقعا لعملياتها الإنتاجية ، إذ أن المالك والعاملين ينتمون لنفس هذا المجتمع وهذا بدوره يؤدي إلى إكساب المشروع خبرة كبيرة في معرفة سلوك وأذواق المستهلكين ، وسبل إشباع حاجاتهم وحجم الطلب الحالي والمستقبلي على منتجاتهم .

٧- استغلال الطاقة الإنتاجية : تنسم المشروعات الصغيرة والمتوسطة باستغلال الطاقة الإنتاجية لإمكانية السيطرة والتحكم في عناصر الإنتاج وتوفير مستلزماته وعدم تعقيد

١ هيا جميل بشارات ، دور المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، أربد - الأردن ٢٠٠١م ص ١٨-٢١ .

العملية الإنتاجية وبالتالي رفع الكفاية الإنتاجية وتحقيق أقصى ربح ممكن ، وهذا يصاحبه بالطبع سرعة دوران رأس المال العامل وقصر دورة الإنتاج.

٨- انخفاض تكلفة العمالة : تستخدم المشروعات الصغيرة والمتوسطة تقنية إنتاج أقل تعقيدا وأقل رأسمالية ، وبالتالي تمتلك القدرة على استيعاب العمالة لا سيما وأن انخفاض تعقيد التقنية فيها يجعل التدريب على استخدامها أكثر يسرا.

٩- المشروعات الصغيرة والمتوسطة مكمل وداعم للمشروعات الكبيرة : يمكن المشروع الصغير والمتوسط أن يحقق بعض المزايا الناجمة عن فصل الوظائف أو مراحل الإنتاج ذات الوفورات الكبيرة من خلال التخصص في بعض منها ، والعمل على نطاق اقتصادي مناسب ، ففي صناعة الأحذية مثلا يتعذر على المنتج الكبير إنتاج كافة أنواع الأحذية بكميات اقتصادية مع اختلاف الألوان والأشكال والتصميمات والأحجام ، لذا فإن المشروع الصغير كثيرا ما يلجأ لإنتاج نوعيات محددة من الأحذية ، ويعتمد المشروع الصغير كذلك على المشروعات الكبيرة العاملة في نفس المجال لاستيفاء احتياجاتها من الخامات الأساسية ، ويشمل هذا الأمر حالة الصناعات الكيماوية والبتروولية والمعدنية ، كما تأخذ العلاقة صور تكاملية أخرى ، أبرزها التعاقد من الباطن مع المشروعات الصغيرة على تصنيع بعض المكونات لحساب المشروعات الكبيرة مثلما هو شائع في الصناعات الهندسية وصناعة المنتجات المعدنية والصناعات الالكترونية .

١٠- اختلاف أنماط الملكية : يغلب على المشروعات الصغيرة والمتوسطة نمط الملكية الفردية أو العائلية أو شركات الأشخاص وهو النمط الذي يناسب المدخرات الصغيرة التي يتواجد لدي أصحابها قدرات ومهارات تنظيمية وإدارة متميزة .

١١- الإبداع : يعد الأفراد ووحدات الأعمال الصغيرة المصدر الأساسي للأفكار الجديدة والابتكارات ، حيث تتميز منشآت الأعمال الصغيرة بأنها أكثر إبداعا من المنشآت الكبيرة المملوكة من قبل الدولة ، بسبب أن الأفراد لديهم دافع أكبر في إيجاد الأفكار الجديدة التي تؤدي إلى تحقيق ربحية عالية<sup>(١)</sup>.

١ ماجدة العطية -إدارة المشروعات الصغيرة، ط٣، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ٢٠٠٩م  
ص٣٣.٢٦



أولاً : البيانات الشخصية لأفراد العينة :

| البيان         | الفئات       | العدد | النسبة المئوية |
|----------------|--------------|-------|----------------|
| المؤهل العلمي  | بكالوريوس    | ٣٨    | ٧٦%            |
|                | دبلوم عالي   | ٣     | ٦%             |
|                | ماجستير      | ٧     | ١٤%            |
|                | دكتورة       | ٢     | ٤%             |
| التخصص العلمي  | إدارة اعمال  | ٨     | ١٦%            |
|                | محاسبة       | ٢٠    | ٤٠%            |
|                | اقتصاد       | ١٥    | ٣٠%            |
|                | إحصاء        | ٣     | ٦%             |
|                | بنوك ومصارف  | ٤     | ٨%             |
| المسمى الوظيفي | صراف         | ٢٦    | ٥٢%            |
|                | محاسب        | ٨     | ١٦%            |
|                | مراجع        | ٢     | ٤%             |
|                | موظف استثمار | ١٣    | ٢٦%            |
|                | مدير إدارة   | ١     | ٢%             |

المصدر : الباحثون ٢٠٢١ م .

| العبارة                                                                      | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة كاي | مستوي الدلالة المعنوية | النتيجة    |
|------------------------------------------------------------------------------|---------------|-------------------|----------|------------------------|------------|
| التمويل الأصغر يساهم في إنشاء المشروعات الصغيرة والمتوسطة الجديدة            | ٤.٢٦٠٠        | ٠.٩٢١٦٢           | ٢٤.٤٠٠   | ٠.٠٠٠٠                 | موافق بشدة |
| التمويل الأصغر يساهم في تطور وازدهار المشروعات الصغيرة والمتوسطة القائمة     | ٤.٢٠٠٠        | ١.٠٨٧٩٧           | ٤٣.٠٠٠   | ٠.٠٠٠٠                 | موافق بشدة |
| المشروعات الصغيرة والمتوسطة تساهم في زيادة ودائع البنك بالتوفير والتحويلات . | ٤.٠٦٠٠        | ٠.٩٧٧٥٠           | ١٤.٤٨٠   | ٠.٠٠٠٢                 | موافق      |
| المشروعات الصغيرة والمتوسطة تساهم في توفير فرص العمالة وتقليل البطالة .      | ٤.٤٢٠٠        | ٠.٩٠٥٥٤           | ٧٥.١٠٠   | ٠.٠٠٠٠                 | موافق بشدة |

## دور التمويل الأصغر في زيادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة

|               |        |        |         |        |                                                                                            |
|---------------|--------|--------|---------|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٢٩.٤٠٠ | ١.٣٤٣٩٢ | ٣.٩٠٠٠ | التمويل الأصغر يوفر لأصحاب المشروعات الصغيرة فرصة لإثبات ذاتهم .                           |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٤٨.٠٠٠ | ٠.٩٩٠٥٧ | ٤.٢٨٠٠ | يتم إتاحة التمويل للمشروعات في جميع مراحل دورة حياتها .                                    |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٣٦.٢٠٠ | ١.١٥٧٧٦ | ٤.٠٨٠٠ | لا يتم تمويل المشروعات ذات المستوي العالي من المخاطرة                                      |
| محايد         | ٠.٣٠٠٠ | ٣٩.١٢٠ | ٠.٧٣٤٢٩ | ٣.٧٠٠٠ | دراسة جدوى المشروعات هي ما يحدد منح أو عدم منح التمويل                                     |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٥٨.٤٨٠ | ٠.٦٩٩٨٥ | ٤.٦٠٠٠ | الإبداع والابتكار في وسائل الإنتاج لا يشجع على منح التمويل الأصغر                          |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٢٤.٤٠٠ | ٠.٩٢١٦٢ | ٤.٢٦٠٠ | الاعتماد علي الزيارات الميدانية يوفر معلومات عن المشروعات .                                |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٤٣.٠٠٠ | ١.٠٨٧٩٧ | ٤.٢٠٠٠ | المشروعات الريادية تتميز بالتنافسية العالية وبالتالي زيادة الربحية .                       |
| موافق<br>بشدة | ٠.٠٠٠٠ | ٣١.٦٠٠ | ٠.٩٧٤١٦ | ٤.١٠٠٠ | المشروعات الريادية تحتاج لتمويل ضخم                                                        |
| موافق         | ٠.٢٠٠٠ | ٢٩.٤٠٠ | ١.٣٤٣٩٢ | ٣.٩٠٠٠ | المشروعات الريادية تستخدم الموارد المتاحة بفعالية وكفاءة عالية                             |
| موافق         | ٠.٠٠٠١ | ٣١.٦٠٠ | ٠.٩٧٤١٦ | ٤.١٠٠٠ | المشروعات الريادية تتكيف مع البيئة الاقتصادية بفعالية ومرونة عالية تتيج لها تحمل المخاطر . |

المصدر: الباحثون ٢٠٢١ م .

## الخاتمة :

يمثل التمويل الأصغر دعامة أساسية للمشروعات الصغيرة التي تحتاج لرأسمال لدعم أنشطتها اليومية من إنتاج وتسويق والعنصر البشري الذي يعمل بها حسب العدد وحسب حجم المشروع، والتمويل بشكل عام إذا كان صغيراً أم متوسط أم كبير بمثابة الدم في جسم الإنسان بمعنى أنه عنصر حيوي لا بد من لتسيير أنشطة المنظمة التي تبدأ صغيرة ثم تصبح رائد في المجال إذا وجدت الإدارة المثلى، حيث تتميز المشروعات الصغيرة عن غيرها من المشروعات الأخرى بسهولة الانتشار والتأسيس حيث تتميز المشروعات الصغيرة والمتوسطة بصغر حجم رأسمالها وسهولة إنشائها إلى جانب قصر الوقت اللازم لإعداد دراسات تأسيسها بما فيها دراسة الجدوى.

## النتائج :

- ١- التمويل الأصغر يساهم في إنشاء المشروعات الصغيرة والمتوسطة الجديدة ويساهم في نمو وازدهار المشروعات القائمة مما يحق رياديتها في السوق .
- ٢- التمويل الأصغر يساهم في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وذلك عبر تبني المشاريع الرائدة التي تقدم منتجات للمجتمع وتوفر في تشغيل العمالة مما يؤدي إلى تقليل البطالة وزيادة القوى العاملة .
- ٣- التمويل الأصغر يوفر للأشخاص الفاعلين أصحاب المبادرات الرائدة فرص للابتكار والتميز على المستوى الاقتصادي والاجتماعي .
- ٤- أن إستخدامات التمويل الأصغر في المشروعات الصغيرة والمتوسطة يمتاز بالمرونة العالية ما يتيح لها تحمل المخاطر الاقتصادية.
- ٥- يتم منح التمويل الأصغر في البنك بناء على دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات والزيارة الميدانية .

## التوصيات :

- ١- التركيز على تدريب الأشخاص طالبي التمويل الأصغر قبل منح التمويل .
- ٢- علاج أوجه القصور الناتج من بيانات دراسة الجدوى الاقتصادية وجعلها المعيار الأول في منح التمويل الأصغر والتركيز على الزيارة الميدانية .

- ٣- منح التمويل للمشروعات الريادية في السنين الأولى من التأسيس بشكل متواصل للتغلب علي العقبات وضمان التوسع والنمو في وقت وجيز (فترات سداد الأقساط) .
- ٤- تسهيل إجراءات منح التمويل الأصغر وزيادة الجرعات التدريبية في مجال التمويل الأصغر للموظفين .
- ٥- نشر الوعي بأهمية ريادة الأعمال وتشجيع العمل الحر وتبني ذلك على مستوى الدولة .

## المصادر والمراجع

١. أحمد بن عبدالرحمن الشميمري ووفاء بنت ناصر المبيريك، مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
٢. احمد بن عبدالرحمن الشميمري ووفاء بنت ناصر المبيريك، ريادة الأعمال ط٢، المملكة العربية السعودية .الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠١١م ص ٢٥.
٣. عبدالوهاب عمر عبدالله ، التمويل الأصغر في محاربة الفقر، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة النيلين ٢٠٠٩م ص ٢٠.
٤. رؤية تطوير وتنمية قطاع التمويل الأصغر في السودان ،إعداد يونكونزا للاستشارات المحدودة ، ترجمة محمد خيرى فقيري ٢٠٠٦م / ص ٢١.
٥. عبدالمطلب بن عوف ، تقييم دور البنوك في محاربة الفقر عبر الية التمويل الأصغر ، مجلة حوض النيل ،العدد ٢٠١٤، ١٦م ص ٣٧.
٦. منشورات بنك السودان المركزي ، وحدة التمويل الأصغر ، الضوابط التنظيمية والرقابية لمؤسسات التمويل الأصغر ٢٠١١م ، ص ١٧.
٧. Ssdbank.info/23/6/5/2021
٨. Cbos.gov.sd 23/7/5/2021
٩. زينب عبدالواحد محمد أحمد، دور التمويل الأصغر في محاربة الفقر في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين ٢٠١٢م ص ١١.
١٠. يعرب محمود الجبوري، دور المصارف الاسلامية في التمويل الاسلامي، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ٢٠١٤م ص ٩.
١١. اسماعيل محمد احمد شبو و عمر السر حسن ، معوقات التمويل الاصغر -دراسة نظرية؛ سلسلة ندوات التنوير ، مركز التنوير المعرفي ، ٢٠١٤م ص ١٣٢.
١٢. صالح جبريل حامد ، التمويل الأصغر في السودان ، ط١، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ٢٠١٠م ص ٤٩.
١٣. حنان علي سليمان إدريس ، التمويل الأصغر في السودان ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ٢٠١٥م ص ١٨.
١٤. حنان علي سليمان مرجع سبق ذكره ص ١٦.

١٥. ياسر سالم المري ، ريادة الأعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية ، أطروحة دكتوراه في العلوم الأمنية ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، كلية الدراسات العليا ٢٠١٣م . ص ١٧
١٦. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب طه ، بيروت - دار صادر ، ٢٠٠٥م ص ٢٥٩.
١٧. [www.almaany.com/ar/dict/ar-ar](http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar)
١٨. عبد الحميد مصطفى أبو ناعم ، ريادة الأعمال ٢، كلية التجارة - جامعة القاهرة، ٢٠٢٠م. ص ١٦.
١٩. رزاز المطر-عبير الهاجري وآخرون ريادة الأعمال -جامعة الدمام ،كلية الدراسات التطبيقية وخدمة المجتمع ، ٢٠١٤-٢٠١٥م المستوى السادس ص ١ .
٢٠. مجدي عوض مبارك ، الريادة في الاعمال (المفاهيم والنماذج والمداخل العملية) ط١ ،عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن ، ٢٠٠٩م. ص ١٨
٢١. أحمد بن عبدالرحمن الشميمري ووفاء بنت ناصر المبيريك، مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
٢٢. جمعة صالح النجار وعبدالستار محمد العلي ، الريادة وإدارة الاعمال الصغيرة ، ط٢ ، عمان -الأردن :- دار الحامد ٢٠٠٩م . ص ٣٠.
٢٣. عاطف وليم أندراوس ، دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات، ط١، دار الفكر الجامعي الاسكندرية ٢٠٠٧م ص ٨
٢٤. ياسر سالم المري ، ريادة الاعمال الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة في المملكة العربية السعودية -دراسة تحليلية مقارنة :اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية -الرياض ٢٠١٣م ص ص ٤١-٤٣.
٢٥. هيا جميل بشارت ، دور المصارف والمؤسسات المالية الاسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، أربد - الاردن ٢٠٠١م ص ١٨-٢١.
٢٦. ماجدة العطية -إدارة المشروعات الصغيرة ، ط٣، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ٢٠٠٩م ص ٢٦. ٣٣



## التفاعل السياسي بين إثيوبيا والثالث فوق الإقليمي (إسرائيل، إيران، وتركيا)

أ. دينا السيد عشري

باحثة دكتوراه – كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

### ملخص:

يتناول هذا البحث العلاقات الإثيوبية بالثالث فوق الإقليمي إسرائيل إيران وتركيا، على المستوي الثلاثي والتفاعل بين الجانبين، من خلال مبحثين رئيسيين المبحث الأول، يتناول العلاقات السياسية الإثيوبية بالثالث فوق الإقليمي، والثاني يتناول قضية الأمن القومي الإثيوبي ودور وموقف كل من إسرائيل وإيران وتركيا في هذه القضية التي تؤثر بشكل كبير على العلاقات بين إثيوبيا وباقي دول حوض النيل خاصة دول المصب مصر والسودان.

الكلمات المفتاحية: إثيوبيا، إسرائيل، تركيا، الثالث فوق الإقليمي

### Abstract:

This research deals with the Ethiopian relations with the supra-regional trinity, Israel, Iran and Turkey, at the tripartite level and the interaction between the two sides, through two main themes. Which greatly affects the relations between Ethiopia and the rest of the Nile Basin countries, especially the downstream countries Egypt and Sudan.

key words: Ethiopia, Israel, Turkey, the supranational trinity

## المبحث الأول: العلاقات السياسية الإثيوبية مع الثالث فوق إقليمي بعد انتهاء الحرب الباردة

شهدت العلاقات السياسية الإثيوبية مع الثالث فوق الإقليمي إسرائيل ، وإيران وتركيا، بعد انتهاء الحرب الباردة مزيد من التفاعلات التي لاقت صداها لدى الطرفين كما حاول الجانبان إبراز أهم نقاط التعاون وهذا ما نلاحظه خلال ثلاث مطالب رئيسية تناولت العلاقات الإثيوبية الإسرائيلية والتي كان أبرزها قضية يهود الفلاشا، والمطلب الثاني الذي تناول التفاعل الإيراني الإثيوبي أيضا على المستوى الدبلوماسي، وكذلك العلاقات الإثيوبية التركية على المستوى الدبلوماسي والزيارات المتبادلة، بالإضافة إلى دور كل من الثالث في قضية مياه النيل وهذا ما نتطرق له خلال هذا البحث.

### المطلب الأول: العلاقات الإثيوبية - الإسرائيلية

- لعبت السفارة الإسرائيلية في كينيا دورا محوريا في تأسيس العلاقات الإسرائيلية - الإثيوبية التي تميز بتشعب أطرها وتعدد موضوعاتها، الذي يعكس تنوع المصالح المتبادلة بين الطرفين والذي جاء بفعل ارث تاريخي، ولعل أهم ما يميز إثيوبيا وجعلها محط اهتمام صناع القرار الإسرائيلي عدت عوامل منها<sup>(١)</sup>:
- الادعاءات الإسرائيلية التي تقول أن العلاقة مع إثيوبيا ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد.
- الوضع الاستراتيجي الذي يميز إثيوبيا من غنى مواردها الطبيعية ولاسيما المائية منها.
- ما تمتاز به إثيوبيا من غنى بالموارد المعدنية التي تخدم الصناعات الإسرائيلية، سهولة التغلغل في إثيوبيا نظرا للتنوع العرقي والديني والثقافي .

١- جاسم يونس محمد، السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه افريقيا بعد انتهاء الحرب الباردة ،دراسة حالة إثيوبيا ، مجلة العلوم السياسية (بغداد: جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، العدد(٣٥) ٢٠٠٧م) ص ١٥٠.



ناهيك عن، الرغبة الإسرائيلية في السيطرة والحصول على مياه نهر النيل. وقد كانت بداية العلاقات الاسرائيلية مع الامبراطور الاثيوبي "هيلاسيلاسي" الذي كان يتباهى بعلاقته بالتاريخ اليهودي، ويعتبر نفسه من احفاد النبي سليمان من زوجته بلقيس ملكة سبا وقد استغلت إسرائيل تلك الخرافة المتمثلة في الأصل العرقي المشترك بين الشعبين، ووطدت دعائمها في اثيوبيا.

لقد بدأت الرابطة الاسرائيلية - الاثيوبية في أوائل الخمسينيات بتعاون بعد قرار إثيوبيا في عام ١٩٥٣ توقيع معاهدات عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية وهي حليف غير رسمي لكتليهما<sup>(١)</sup>.

وجاءت نقطة التحول الأساسية في هذه العلاقة بعد قيام اسرائيل في عام ١٩٥٦ باحتلال سيناء فأصبحت إسرائيل بعدئذ قادرة على الملاحة من ايلات عبر مضيق تيران. فيما قدمت اثيوبيا موانئها بعد احتلالها لأريتريا كمحطات توقف لسفن والرحلات الجوية الإسرائيلية لطريقها إلى كينيا وجنوب أفريقيا وجنوب شرق اسيا.

لم تكن لإثيوبيا سفارة في اسرائيل ولم تعترف قانونيا بإسرائيل إلا في العام ١٩٦١م، بعدما اقامت اسرائيل سفاراتها في اديس ابابا وظلت تعمل حتى عام ١٩٧٣. كما كانت إسرائيل تعد إثيوبيا أهم بلد يتصل بأمنها في البحر الاحمر، لذلك ظلت تزودها بمختلف اشكال المساعدات العسكرية من أسلحة ومساعدات فنية مع بناء مدارس عسكرية وغيرها. في ٦ فبراير ١٩٧٨ كشف موشي دايان وزير خارجية اسرائيل السابق عن أن اسرائيل كانت تزود اثيوبيا بالأسلحة في حربها ضد الصومال واريتريا، وصرح دايان تبريره لذلك قائلا "ان اثيوبيا كانت الدولة غير العربية الوحيدة الواقعة على البحر الأحمر الاستراتيجي"<sup>(٢)</sup>. ومن الناحية الاستراتيجية كانت كل من إثيوبيا واسرائيل، كدولتين تواجهان السياسات الاستراتيجية العربية في البحر الاحمر بحيرة عربية الامر الذي خلق نوعا من التوحد بين مصالحهما السياسية الخارجية.

وطوال تلك السنوات ضل الاسرائيليون متمسكين بسياستين:

1 MICHAEL,B .BISHKU ,ISRAEL AND ETHIOPA :FROMSPECILTO APRAGMATIC RELATIONSHIP,JOURNALOF MODERN AFRICANSTUDISS,1971,P., 40

٢- عبد الله عبد المحسن السلطان ،البحر الاحمر والصراع العربي -الاسرائيلي تنافس بين الاستراتيجيتين، (لبنان :بيروت، ٢٠١٣)، ص.٢٢٨.

- أولهما: إن العلاقات التي تجمعهما تعود الى عشرات القرون بالتحديد إلى عصر ملكة سبأ التي جاءت النبي سليمان (عليه السلام) في القدس وبعد اتحادهما معا ولدت له مينيلك الذي يرجع الامبراطور هيلاسيلاسي نسبه ونسب اجداده اليه .
- الثانية: الذي لعب عليه الإسرائيليون وبخاصة خلال حكم هيلاسيلاسي، هو أن أثيوبيا جزيرة مسيحية وسط بحر إسلامي تعارضه إسرائيل وأن كلا البلدين مهددان.
- واستخدمت إسرائيل العامل الديني في اثيوبيا، وكذلك في اوغندا لكي تحول الدول الأفريقية غير المسلمة ضد الاقطار العربية. هكذا استخدمت إسرائيل هذه المشاعر كلها لكي تعزز موقعها في اثيوبيا وبالتالي في البحر الأحمر ضد العرب والمسلمين.
- وقد شهدت العلاقات بين الجانبين نقلة نوعية لتبلغ اقصى درجات التعاون في مجالات عدة، على الرغم من أن ثمة فتور بعض الشيء على تلك العلاقات في عهد منجستو هيلامريام Mnjstohal Miriama.

بحثت إسرائيل عن الشرعية السياسية وكسر حاجز العزلة المفروضة عليها من دول العالم الثالث بصفة عامة، ومن الدول الإفريقية بصفة خاصة من خلال كسب الرأي العام الإفريقي والحصول على تأييده، سواء أأخذ هذا التأييد سلوكا دوليا على المستوى الفردي أو على المستوى العالمي والإقليمي والقاري، لذلك سيتم تناول العلاقات الإسرائيلية مع دول القرن الإفريقي على المستوى السياسي على النحو التالي:

عادت إلى الظهور قضية هجرة اليهود الإثيوبيين "الفلاشا" إلى إسرائيل حيث صدرت العديد من التقارير عن استمرار تهجير يهود "الفلاشا" إلى إسرائيل وذلك بتهجير عدد من الأسر يتراوح بين ٦ و ٨ أسر من وقت لآخر، بعيدا عن رقابة وسائل الإعلام الإثيوبية المستقلة التي تتهم إسرائيل باستغلال الظروف الاقتصادية والبيئية الصعبة التي يعيشها الإثيوبيون للحصول على يد عاملة رخيصة وجنود تدافع بهم في مواجهاتها المستمرة مع العرب.

وقد بدأت ترتيبات استخدام يهود الفلاشا وفق شعار (إن كل أفراد الجالية اليهودية في إثيوبيا يعيشون في ضائقة تستوجب العمل على إعادتهم إلى أرض الميعاد)<sup>(١)</sup>.

١ - حسن عبد ربه المصري، إسرائيل ديمقراطية الإرهاب والعنصرية، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩)، ص ٧٣.

ومن ناحيتها أكدت الحكومة الإثيوبية أن الدستور يكفل لأي مواطن إثيوبي حرية الحركة والتنقل بصرف النظر عن انتمائه الاثني، إلا إنها نفت أي علاقة لها بإسرائيل في قضية تهجير الفلاشا كما أكدت أنها لا تسمح بالهجرات الجماعية إلى أي جهة كانت. ويمكن رصد دورين أساسيين لقوتين إقليميتين لعبتا دوراً مهماً في إثارة المشاكل للعرب، وضرب فكرة تعريب البحر الأحمر وتحويل مضايقه وممراته العربية الواقعة في نطاق المياه الإقليمية إلى ممرات ومضايق دولية بحكم الأمر الواقع وفرض الأوضاع بالقوة، والقوتان المقصودتان هما إسرائيل شمالاً، وأثيوبيا جنوباً، وقد اعتبرت كل منهما أن لها حقاً واقعياً واستراتيجياً في البحر الأحمر بكل مياهه وممراته ومضايقه واعتبرت كذلك أن أي تهديد لهذه الممرات أو المضايق هو تهديد مباشر لمصالحها القومية، يصل إلى درجة إعلان الحرب<sup>(١)</sup>.

وليس من قبيل المصادفة بعد ذلك وقد تراكمت الظروف والتقت المصالح والأهداف فتعاون الدولتان -أثيوبيا وإسرائيل- تعاوناً لصيقاً في تحقيق هذه المصالح المشتركة وأن تتبادلاً توزيع العمل والنشاط ابتداءً من تبادل المعلومات إلى التعاون، الاقتصادي والعسكري والتنسيق السياسي المباشر، وعلى صعيد تدعيم العلاقات الإسرائيلية الإثيوبية، زار الرئيس الإثيوبي ميليس زيناوي في أول يوليو ٢٠٠٤ للمرة الأولى تل أبيب، حيث احتفت به المؤسسات الإسرائيلية، والتقاءه رئيس الوزراء والرئيس الإسرائيلي ووزير الخارجية، ورئيس حزب العمال، وعدد كبير من صناع القرار في إسرائيل، وقد أعد زيناوي برنامجاً حافلاً للزيارة، كان على رأسه خبراء بالتقنية الإسرائيلية الحديثة في مجال الزراعة والري حيث زار كلية الزراعة ومعهد فولكاني، للوقوف على الانجازات الإسرائيلية في الزراعة، نظراً لاعتماد الاقتصاد الإثيوبي على الزراعة بصفة رئيسية.

من ناحية أخرى تعد إثيوبيا غنية بالمواد الطبيعية خاصة المائية، إذ يجري على أراضيها العديد من الأنهار لعل أهمها: أباسي، تكازا، باراد، أمودو، أواشو، واتشيلي، بجانب بحيرة تانا العظمى، وهي في مجموعها تمثل مخزوناً مائياً لنهر النيل، أما من الناحية الاستراتيجية لإثيوبيا فهي تعتبر دولة المقر للاتحاد الإفريقي، وتؤثر على دولة الصومال، وإريتريا. في ٢٠٠٤، أثار وزير الخارجية الإسرائيلي سليفان شالوم أننا زيارته لإثيوبيا قضية هجرة يهود الفلاشا لإسرائيل إذ تفقد أوضاعهم في إقليم غوندار، وقد طالبوا بالهجرة

١- المرجع نفسه.

لإسرائيل، وطرح قضيتهم في إطار محادثاته مع الرئيس الإثيوبي جوماوود جورج و رئيس الوزراء ميليس زيناوي ووزير الخارجية سيومميسفين لاستئناف هجرتهم لإسرائيل، وقد سبق زيارة وزير الخارجية، زيارة وزير الداخلية الإسرائيلي في يناير ٢٠٠١ للتحقيق في ادعاءات ستة وعشرين ألف من يهود الفلاشا الإثيوبيين بشأن ما يسمى (هويتهم اليهودية السوداء)<sup>(١)</sup> ونظرتهم إلى إسرائيل باعتبارها جزءاً من التراب الإفريقي، إذ كانت تقطنها في الأصل شعوب إفريقية داكنة البشرة حسب ما يزعمون، اعتمدت إسرائيل أساليب وسياسات وتوجهات عديدة من أجل ضمان إنجاح عملية تحركها في إثيوبيا، وقد أصدرت وزارة الخارجية الإسرائيلية تقريراً مهماً في أبريل ٢٠٠٤ حول علاقاتها مع الدول الإفريقية ووصفتها بالعلاقات التي تمتاز بالحيوية والديناميكية ومنها إثيوبيا، حيث تحرص إسرائيل على تواجدها الميداني في إثيوبيا ولقاء المسؤولين فيها للتباحث وتبادل الآراء حول سبل تطوير التعاون بين الطرفين ولم يكن الأمر مقتصرًا على إسرائيل بل كانت إثيوبيا بحكوماتها المتعاقبة تبادر للاتصال بإسرائيل، ويقول وزير الخارجية بالدولة الإثيوبية الذي زار إسرائيل في ١٩٩٧ أن العلاقة مع إسرائيل هي عادية وتوجد في إثيوبيا ٩٤ سفارة والإسرائيلية هي إحداها، وإن ثوابت السياسة الخارجية تقوم على بناء علاقات طبيعية مع كل الدول والتعاون معها بما يخدم المصلحة العليا لإثيوبيا<sup>(٢)</sup>،

قد جعلت إسرائيل عام ٢٠٠٤ عاما متميزا من خلال استخدام أسلوب الزيارات الدبلوماسية وإرسال المبعوثين من كبار المتخصصين في وزارة الخارجية إلى إثيوبيا. كما أن وجود إسرائيل في إثيوبيا يأتي في سياق تخطيط للمستقبل، فضلا عن إمكان إحراز كثير من النجاحات السياسية في القارة الأفريقية، ولا يخف عن الملاحظ تطلعات إسرائيل نحو الدول المحيطة بإثيوبيا خاصة الصومال ذلك البلد الذي يعيش في فوضى عارمة منذ سقوط حكومة سياد بري عام ١٩٩١، حيث تبحث إسرائيل عن دور استراتيجي لها يمر عبر إثيوبيا والصومال والتوجه نحو العمق الصومالي خصوصا الأقاليم الشمالية المحكومة بواسطة

١ - محمد وليد خالد، التغلغل الإسرائيلي في القارة السمراء، إثيوبيا دراسة حالة، تقرير مركز الجزيرة. للدراسات، ص ١١.

٢ ميلود وضاحي، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول إفريقيا دراسة حالة القرن الإفريقي ١٩٩٠ - ٢٠١٣، رسالة ماجستير غير منشورة (الجزائر: جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٥) ص ص ١٢٣ - ١٢٥.

سلطة موالية لإثيوبيا وغير مهتمة بالبعد العربي كما تبحث هي بدورها عن تقارب مع إسرائيل. ومن خلال ما تقدم؛ يمكن القول بأن العلاقة الإسرائيلية مع إثيوبيا تخدم أهداف التوسع الإسرائيلي في القارة الإفريقية عامة وذلك على حساب العرب وأمنهم القومي والحيوي<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: التفاعل السياسي الإثيوبي الإيراني.

بعد نجاح الثورة الإيرانية ضد نظام الشاه وقيام النظام الجديد لم يكن لدى هذا النظام خطة واضحة أو استراتيجية محدّدة لشبكة علاقاته الدولية والإقليمية في ضوء الواقع الجديد، إلا أن النخبة الجديدة كان لديها بعض التصورات الذهنية، التي تتمحور حول جملة مفاهيم حملها الخطاب السياسي لهذه النخبة، وقد أثّرت هذه التصورات والمفاهيم في السلوك السياسي للنظام الإيراني، وفي بناء شبكة علاقاته الإقليمية والدولية<sup>(٢)</sup>.

من المفاهيم التي تناولها الخطاب السياسي ما بعد الثورة مفهوم الدولة المركز؛ أي أن إيران هي مركز الأمة الإسلامية، وقد نظّر لهذه الفكرة محمد جواد لاريجاني في كتابه "مقولات في الاستراتيجية الوطنية" وعُرفت هذه الفكرة إيرانيًا بنظرية أم القرى، وهناك طروحات تستند إلى جذور تاريخية قديمة تتحدث عن إحياء النفوذ الإيراني في النطاقات الجغرافية التي خضعت لنفوذ الممالك الفارسية القديمة منذ عهد الأخمينيين، أو ما يسمّونه "إيران الكبرى" أو "حوزة إيران الحضارية"، ويمتد هذا النطاق الجغرافي إلى أطراف الصين شرقًا، وإلى الجزيرة العربية غربًا، ومن المحيط الهندي جنوبًا إلى البحر المتوسط شمالًا<sup>(٣)</sup>.

ووفق الاستراتيجية الوطنية الإيرانية العشرينية (٢٠٠٥ - ٢٠٢٥) فإن المنطقة العربية بدءًا من دول الخليج العربية تمثل نقطة الاهتمام الأولى لدى صانع السياسة

١ محمود أبو العينين (محرر)، إسرائيل في إفريقيا، التقرير الاستراتيجي الإفريقي ٢٠٠١، (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، كلية الدراسات الإفريقية العليا، ٢٠٠١). ص. ٣٥٩.  
٢ وليد عبد الحي، إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، (مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، الجزائر، ٢٠٠٩)، ط١، ص. ١٦٧.

٣ عمر عبد الستار، عبد الناصر المهداوي، زيد عبد الوهاب، تداعيات انتفاضة إيران على المنطقة، مركز العراق الجديد، ٢٠١٨/٢/٣، أنظر في ذلك الرابط الآتي:

<https://www.newiraqcenter.com/archives/3222>

الخارجية الإيرانية، تليها مناطق آسيا الوسطى والقوقاز<sup>(١)</sup>، وهذا يساعدنا في فهم الاندفاع الإيراني الكبير نحو التدخل في هذه المناطق.

كما أسهمت الظروف السياسية التي سادت المنطقة العربية منذ قيام الثورة الإيرانية وحتى الوقت الحاضر في فتح الطريق أمام التدخلات الإيرانية، فبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، بعد نجاح الثورة الإيرانية وقفت أغلب الدول العربية إلى جانب العراق، فعمدت إيران إلى توظيف أبناء الطائفة الشيعية في البلاد العربية والأفريقية لزعة أمن هذه البلاد واستقرارها، وروجت لهذه السياسة تحت عناوين متعددة، أبرزها تصدير الثورة إلى الدول المجاورة، ونصرة المظلومين في إشارة إلى الأقليات الشيعية في عدد من الدول العربية، والأفريقية، إلى جانب توظيف فكرة دعم المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، والتي تمكنت إيران من خلالها من كسب تأييد شعبي عربي كبير في مرحلة ما قبل الربيع العربي، خصوصاً في ظل تجاهل الدول العربية للحركات المقاومة وتهميشها<sup>(٢)</sup>.

كما ساعدت الظروف الإقليمية والدولية إيران على المضي في مشروعها التوسعي، فقد شهدت نهاية الألفية الثانية ومطلع الألفية الجديدة أي عقب انتهاء الحرب الباردة، سلسلة من الأحداث والتحويلات أسهمت في إخراج الطموحات الإيرانية إلى حيز التنفيذ، ومن أبرزها<sup>(٣)</sup>:

١. اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، وتفكك الدولة اللبنانية، وتصاعد حدة الاستقطاب الطائفي فيها، وتحول الساحة اللبنانية إلى ميدان حرب بالوكالة بين عدد من الأطراف الإقليمية والدولية، وهو ما شجع إيران على إنشاء مليشيات موالية لها من الطائفة الشيعية، التي جُمِعت لاحقاً باسم (حزب الله) اللبناني، والأحباش في إثيوبيا.

١- المرجع السابق نفسه.

٢ بكر البدور، قراءة في تطورات أزمة العلاقات السعودية الإيرانية، مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، العدد (٧٥)، ربيع ٢٠١٦، ص ١١٧.

٣ علي حسين باكير، النفوذ الإيراني في العراق: طبيعته ودوره وأهدافه. الراصد ٢/٨/٢٠٠٨، تاريخ الدخول ٢٠١٩/٢/١٢.

[http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected\\_article\\_no=4632](http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4632)

٢. سقوط الاتحاد السوفييتي، وانهيار الكتلة الشرقية المرتبطة به، وما تمخض عنه من قيام دول جديدة تحتاج إلى بناء علاقات جيدة مع إيران، ولاسيما تلك التي تشترك معها بروابط ثقافية وتاريخية.<sup>(١)</sup>
٣. احتلال العراق، وسقوط نظامه السياسي، وهذا حول العراق إلى نقطة رخوة، وفتح المجال أمام إيران للتخلص من القوة المعادلة لها، التي وقفت في وجه نفوذها وحاربتها ثماني سنوات، إذ نفذت إيران إلى العراق عبر المكون الشيعي.<sup>(٢)</sup>
٤. تخلي الحكومات العربية عن الحركات الفلسطينية المقاومة، وتجاهلها وحصر التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية، مع وجود جهات فاعلة خارجة، كحركة المقاومة الإسلامية حماس، وحركة الجهاد الإسلامي، وهذا فتح الباب على مصراعيه أمام إيران للتواصل معها، وتوظيف فكرة دعم هذه الحركات في مد نفوذها الإقليمي.
٥. صعود حزب العدالة والتنمية التركي إلى سدة الحكم، وما ترتب عليه من توجه السياسة الخارجية التركية نحو الجوار العربي والإسلامي، وصعود إيران بوصفها قوة إقليمية منافسة.<sup>(٣)</sup>
٦. تفكك الحالة العربية، وغياب نظام أمني عربي معادل، وسقوط منظومة العمل العربي المشترك، واشتعال الأزمات الداخلية بين الدول العربية.
٧. اندلاع ثورات الربيع العربي، وحدوث حالة من الفوضى مصاحبه لها في بعض البلدان، وتحولها إلى صراعات مسلحة.
٨. اندلاع ثورات الربيع العربي وتحولها إلى صراعات مسلحة داخل بعضها، كما في الحالة السورية، واستغلال إيران لعلاقتها بالنظام السوري؛ لإدخال المليشيات

١ وليد عبد الحي، إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، مصدر سبق ذكره، ص. ٢٦٣.

2 Itamar Rabinovich, **How Iran's regional ambitions have developed since 1979**, brookings, Thursday, January 24, 2019, date of intry :31/2/2019 .  
<https://brook.gs/2R9UQ31>

٣ وليد عبد الحي، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٤/١٦، تاريخ الدخول ٢٠١٩/٢/١٢

<http://studies.aljazeera.net/ar/files/iranandstrenghtfactors/2013/04/201343112429798680.htm>

الشيوعية الموالية لها إلى الأراضي السورية، وانغماسها في الصراع المسلح بصورة مباشرة.<sup>(١)</sup>

٩. توقيع الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن إضافة إلى ألمانيا، وهذا وفر لإيران مزيداً من الأموال لتمويل أنشطتها خارج الحدود.<sup>(٢)</sup>

كما نجد أن الاهتمام الإيراني في منطقة شرق إفريقيا يتجاوز المصالح الاقتصادية والتجارية المتبادلة، ليعكس توجهها إيرانياً نحو بناء قاعدة شراكات إقليمية ودولية، تشمل مناطق في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وفي هذا الإطار، دعت إيران إلى منتدى "الحوار الإيراني-الإفريقي" الذي عُقد في طهران في الفترة ١٥-١٧ سبتمبر ٢٠١٠، بمشاركة ممثلين لأكثر من ٤٠ دولة إفريقية. ودعا أحمد نجاد رئيس الوزراء الإيراني، في المنتدى إلى نظام عالمي جديد، وأكد أن إيران وأفريقيا يسلكان طريقاً واحداً، ولديهما قواسم مشتركة، مؤكداً أن خبرات إيران وقدراتها في المجالات العلمية والتقنية، والاقتصادية، والصناعية والزراعية، والثقافية، والصحة، والعلاج، من شأنها أن تعزز العلاقات بين إيران وأفريقيا. كما وصف وزير الخارجية الإيراني آنذاك منوشهر متكي، القمة بأنها خطوة مهمة لاستكشاف طرق جديدة لتعزيز العلاقات مع الدول الأفريقية واصفاً إيران بأنها "شريك استراتيجي" لأفريقيا.<sup>(٣)</sup>

وترمي إيران من خلال سعيها لتوطيد العلاقات مع الدول الإفريقية إلى الحصول على الدعم الدبلوماسي في المحافل الدولية والإقليمية، والاستفادة من الكثرة العددية لدول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية في دعم أجندة إيران في المؤسسات الدولية، خاصة الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومختلف المنظمات الدولية. وتستقطب طهران بشكل خاص الدول التي تكون في حالة توتر مع الغرب، مثل السودان في عهد البشير، وأريتريا قبل رفع العقوبات الدولية عنه، إذ يشجع ذلك تبادل المصالح بين تلك الدول وإيران في تحدي القوى الغربية.

١ بكر البدور، المكانة الإقليمية لتركيا حتى عام ٢٠٢٠: دراسة مستقبلية (مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة، بيروت، ٢٠١٦)، ص. ٢٢٨.

٢ جواد الحمد، تحليل الاتفاق النووي الإيراني وانعكاساته، تقدير موقف، دراسات شرق أوسطية، (الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط العدد (٧٣)، خريف ٢٠١٥م)، ص. ١٣١.

٣- المرجع نفسه.



ويمكن أن نشير إلى الدعم السوداني الذي حظي به البرنامج النووي الإيراني. فقد أعلن الرئيس السوداني السابق عمر البشير أن استكمال إيران تخصيص اليورانيوم يعد نصراً للعالم الإسلامي، ودعم حق إيران في امتلاك برنامج نووي سلمي، واعترف مستشار وزير الدفاع الإيراني أمير موسوي بأن التعاون العسكري بين إيران والسودان مستمر منذ عقود، ومتواجد على مستويات مختلفة بما في ذلك التدريب والتبادلات العسكرية. وأشار موسوي إلى أن إيران أرسلت من قبل سفناً حربية إلى السودان في نهاية أكتوبر ٢٠١١، بعد أن اتهمت الخرطوم إسرائيل بشنّ غارة جوية ضد مصنع اليرموك للذخائر في العاصمة السودانية. كما وصف الرئيس الإريتري طموحات إيران النووية أنها "مصدر الفرح والسعادة لنا". وتعد إيران من الدول القليلة التي لديها تسهيلات عسكرية وبحرية واستخبارية خاصة في ميناء عصب ومصوع، وقامت بنصب عشرات بطاريات الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى والصواريخ المضادة للطائرات والسفن في ميناء عصب. وكشفت وسائل إعلام إسرائيلية عن وجود قاعدة عسكرية إيرانية بحرية بالقرب من ميناء عصب الأريتيري، وهي تقارير توحى بأن أريتريا تحولت إلى بوابة بالنسبة لإيران تصل إلى اليمن والحوثيين.

تتجسد طبيعة وشكل الحضور الإيراني في دول شرق إفريقيا من خلال البعثات الدبلوماسية المنتشرة في معظم هذه الدول، وملحقاتها الثقافية، والمراكز الدينية والدعوية والإغاثية التي تتبع إما تلك السفارات أو الحكومة الإيرانية مباشرة، وتنهض كلها بدور التغلغل في المنطقة. ويتخذ الحضور الدبلوماسي الإيراني في دول المنطقة أشكالاً عدة<sup>(١)</sup>:

### أ. التمثيل الدبلوماسي:

يعدّ التمثيل الدبلوماسي الرسمي في دول شرق إفريقيا البوابة الرئيسة لإيران لتمير أنشطتها السياسية والثقافية والدينية. وتمتلك إيران سفارات وبعثات دبلوماسية في ٩ دول من أصل ١٨ دولة في شرق إفريقيا. وهي: إثيوبيا، أوغندا، تنزانيا، زيمبابوي، مدغشقر، كينيا، جزر القمر، جمهورية الكونغو الديمقراطية، وغانا. وقد أغلقت إيران سفاراتها في الصومال والسودان في عام ٢٠١٦.

وتوجد ملحقيات ثقافية تابعة للسفارات الإيرانية، وتلعب تلك الملحقيات دوراً كبيراً في دعم التغلغل الإيراني في شرق إفريقيا عن طريق استغلال المال في نشر التشيع، وذلك

1 Mauri, Arnaldo. *Monetary developments and decolonization in Ethiopia*, Acta Universitatis Danubius (Economica), VI, n. 1/2010, pp. 5–16

بدعم الجمعيات، والأنشطة الثقافية، والفنية، والمشاركات في معارض الكتاب، ومختلف الفعاليات الهادفة للتعريف بالثقافة الإيرانية، والتأثير على الفئات الفقيرة والمهمشة. ويمثل "المركز الثقافي الإيراني" أهم آليات هذا المسار للقوة الناعمة الإيرانية.

ولم تكتف إيران بالتمثيل الدبلوماسي الرسمي، بل سعت أيضاً إلى مد الجسور مع المنظمات الإقليمية في المنطقة؛ حيث عينت إيران محسن موحيدي سفيرها في تنزانيا في عام ٢٠١١، ممثلاً لها لمجموعة شرق أفريقيا (EAC)، وهي منظمة تضم ستة دول من شرق إفريقيا هي: بروندي وكينيا وأوغندا وروندا وتنزانيا وجنوب السودان. وقد أعرب ريتشارد سبيزا أمين عام مجموعة دول شرق إفريقيا عن رغبة وتطلع دول المجموعة إلى العمل مع إيران لدفع أوجه التعاون بينهما.

### **ب. الزيارات الدبلوماسية:**

تمثل الزيارات الدبلوماسية المتبادلة بين المسؤولين الإيرانيين ونظرائهم من دول شرق إفريقيا عاملاً أساسياً يؤكد مدى الانفتاح الإيراني على منطقة شرق إفريقيا. وقد بدأ هذا الانفتاح في عهد الرئيس هاشمي رفسنجاني؛ إذ كانت زيارته عام ١٩٩٦ حدثاً محورياً بالنسبة للمنطقة، وكانت إيران تتحرك آنذاك وفقاً لفلسفة "سياسة البناء" التي أطلقها رفسنجاني. وقام رفسنجاني بزيارة أوغندا وعقد خلالها عدة اتفاقيات للتعاون في مجال التجارة والاقتصاد والاستثمارات المشتركة في مجالات الزراعة، والكهرباء، والمياه، والمعادن، والنفط، والبريد، والاتصالات والنقل، والتعليم. وقام خليفته محمد خاتمي ومحمود أحمدي بزيارة أوغندا، وهو ما يدل على أهمية أوغندا في الاستراتيجية الإيرانية، لامتلاك نفوذ قوي في شرق إفريقيا. وفي المقابل، قام الرئيس الأوغندي يوري موسيفيني بزيارة إيران أربع مرات في السنوات العشرين الماضية، كانت آخرها في أغسطس ٢٠١٢، أثناء عقد مؤتمر حركة عدم الانحياز في طهران.

وخلال عهد الرئيس الإيراني الأسبق محمود أحمدي نجاد، أجرى رئيس الوزراء الكيني رايلا أودينجا زيارة إلى طهران في مارس ٢٠١١، وقابل أحمدي نجاد، وقال إن إيران وكينيا لديهما مجالات واسعة للتعاون، وأنهما حريصتان على تعزيز التعاون بينهما، خاصة في ضوء التطورات العالمية الجارية.

قام النائب الأول للرئيس الإيراني محمد رضا رحيمي في مايو ٢٠١٢، بجولة إفريقية استمرت خمسة أيام، شملت كينيا وتنزانيا وإقليم زنجبار. وأسفرت هذه الزيارة عن

توقيع إيران وكينيا ثلاث مذكرات تفاهم، بهدف تنمية العلاقات الثنائية والتعاون المشترك بين البلدين، وتعزيزها لمجال الجمارك وقطاع الكهرباء، ونقل المياه والحد من الازدواج الضريبي.

في السودان كان الوضع مختلفاً بعض الشيء، فنتيجة العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على كل من إيران والسودان، اتسمت علاقاتهما بالتقارب، فشهدت العاصمة السودانية استقبال رؤساء الجمهورية الإيرانية بدءاً من رفسجاني وخاتمي، وصولاً إلى أحمد نجاد. كما قام وزير الدفاع السوداني بزيارة إيران في ٢٠٠٧، وصرح بأن إيران كانت من المزودين الرئيسيين للسودان بالسلح لمواجهة حركات التمرد.

وفي إريتريا، مثلت زيارة الرئيس الإرتيري أسيسي أفورقي إلى طهران في مايو ٢٠٠٩، معالم جديدة في العلاقات بين الدولتين، وصرح الرئيس الإيراني وقت ذاك، أحمد نجاد، أن بلاده تريد تعزيز التعاون في مجال الاقتصاد والطاقة والزراعة والصناعة والاستثمار. وقام الرئيس الإيراني السابق محمود أحمد نجاد بزيارة إلى العديد من دول شرق إفريقيا، منها جزر القمر وجيبوتي وكينيا في فبراير عام ٢٠٠٩، وخلال تلك الزيارة أكد أحمد نجاد رغبة إيران في مساعدة الدول الإفريقية على تقوية استقلالها، وتكوين جبهة متحدة ضد النفوذ الغربي.

ومن خلال الزيارات المتكررة لمسؤولين إيرانيين كبار، تسعى طهران إلى إيجاد موطئ قدم ثابت لها في إثيوبيا، يساندها في ذلك التعاون الاقتصادي الذي وصل حجمه إلى ٣٥ مليون دولار عام ٢٠٠٧، بعد أن كان ١٩ مليون دولار عام ٢٠٠٤. ويعد حضور مساعد وزير الخارجية الإيراني السابق حسين أمير عبد الله يان للقمّة الإفريقية المنعقدة في أديس بابا عام ٢٠١٥، أبرز مظاهر الاهتمام الإيراني الملحوظ بإثيوبيا؛ حيث نتج عنها اتفاقيات شملت التعاون الاقتصادي بين الجانبين، ولا زالت إيران تدعو إلى زيادة استثمار مواطنيها في إثيوبيا لتحقيق مزيد من التعاون بين البلدين<sup>(١)</sup>.

١ الحضور الإيراني في شرق أفريقيا: الأهداف والأدوات والآفاق، (مركز الإمارات للسياسات، ٠١ فبراير ٢٠٢٠)

<https://epc.ae/ar/topic/iranian-presence-in-east-africa-goals-tools-and-prospects>

## المطلب الثالث: المراقاة السياسية التركية الإثيوبية

انتهجت تركيا سياسة الانفتاح على القارة السمراء بعد انتهاء الحرب الباردة وبالتحديد بعد استلام حزب العدالة والتنمية الحكم في ٢٠٠٢، وسعت إلى تعزيز نفوذها، والتوسع هناك انطلاقاً من تقديم الهبات والمساعدات الإنسانية، والمشاريع الاقتصادية والاستثمارات التجارية، ظاهرياً؛ وتحقيق أهداف استراتيجية عدة من بينها التحكم في خطوط الملاحة البحرية في البحر الأحمر وخليج عدن باطنياً.

ويعود الاهتمام التركي بإفريقيا إلى نهاية التسعينيات؛ حيث أرادت إعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية، والبحث عن دور إقليمي فعال في القارة السمراء، ففي عام ١٩٩٨م أصدرت تركيا وثيقة عن توجهها الجديد تجاه إفريقيا، أطلقت عليها اسم «السياسة الإفريقية»، وتسعى هذه السياسة إلى تدعيم الروابط الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية التركية الإفريقية فضلاً عن التعاون الأمني والعسكري المشترك.

فيما أعلنت تركيا أن عام ٢٠٠٥ هو عام الانفتاح مع إفريقيا مع أول زيارة في تاريخ الجمهورية قام بها أردوغان إلى كل من إثيوبيا وجنوب أفريقيا، وتولت تركيا في أبريل موقع المراقب في الاتحاد الإفريقي وموقع الشريك الاستراتيجي المهم سنة ٢٠٠٨. كما استضافت اسطنبول أهم قمة في تاريخ العلاقات التركية- الإفريقية تحت مسمى "التضامن والشراكة من أجل مستقبلنا"، ترجمت مكتسباتها لاحقاً بحصول تركيا على دعم كامل من كافة الدول الإفريقية خلال انتخابات أكتوبر ٢٠٠٨ لمقعد العضو غير الدائم في مجلس الأمن كما ساهمت المؤسسة التركية للتعاون والتنمية من خلال مكاتبها في ثلاث دول إفريقية، هي: إثيوبيا والسودان والسنغال إسهاماً مباشراً في العديد من مشروعات التنمية داخل ١٩ دولة إفريقية، وقدمت مساعدات - إنسانية عاجلة للعديد من الدول الإفريقية فض لا عن برنامجها الخاص بالتنمية الزراعية في إفريقيا ٢٠٠٨ - ٢٠١٠ الهادف إلى تطوير الزراعة في ٦١ دولة إفريقية هي: بوركينا فاسو، جيبوتي، إثيوبيا، غينيا بيساو، مالي، السنغال، جزر القمر، مدغشقر، تنزانيا، كينيا، رواندا، أوغندا. كما بذلت تركيا جهوداً

وإسهامات مباشرة في الأزمات الإنسانية التي شهدتها بعض دول القارة الإفريقية وذلك من خلال المؤسسات الدولية<sup>(١)</sup>.

ولقد أوجدت تركيا لنفسها مكاناً في أفريقيا كمزاحم للقوى الدولية، ومنافس أيضاً للقوى الإقليمية كمصر ودول الخليج وإيران وإسرائيل اللتان لهما مصالح قوية وتتصارعان في إفريقيا، ولكل منهما مشروعه واستراتيجيته الخاصة في القارة السمراء. وقد أعلنت تركيا عن شراكة استراتيجية مع القارة الإفريقية، خلال قمة الاتحاد الإفريقي المنعقدة عام ٢٠٠٨، وتم اعتماد وثيقة الشراكة التركية الإفريقية الاستراتيجية عام ٢٠١٠. ومع حلول عام ٢٠١٣، تم اعتماد سياسات الشراكة الإفريقية بدلاً من سياسات الانفتاح التركي لإفريقيا، وفي إطار "خطة التنفيذ المشتركة للفترة بين عامي ٢٠١٥ و ٢٠١٩"، وضعت تركيا خارطة طريق للمشاريع التي تعتزم تنفيذها في القارة السمراء<sup>(٢)</sup>.

#### ١. العلاقات الدبلوماسية:

شارك الرئيس التركي في ديسمبر ٢٠١٧ في قمة الاتحاد الإفريقي - الأوروبي التي انعقدت في العاصمة الإسبانية مدريد، وبذلك أصبحت تركيا عنصراً مهماً في العلاقات الإفريقية الأوروبية.

وتوظف تركيا وجودها الدبلوماسي في القارة الإفريقية لدعم تغلغلها الناعم؛ بوصفها شريكاً للخير في القارة كما تُسمى نفسها، ولقد شهدت السنوات الثماني الماضية نشاطاً تركياً مكثفاً في مجال افتتاح السفارات والبعثات الدبلوماسية في الحواضر الإفريقية. ووفقاً لوزارة الخارجية التركية؛ فقد بلغ عدد السفارات التركية في إفريقيا ٤٠ سفارة، إضافة إلى ٤ قنصليات عامة، حيث تم افتتاح ٢٧ سفارة جديدة بعد ٢٠٠٩م فقط، منها ١٩ سفارة في دول جنوب الساحل والصحراء، بينما كان عدد سفارات أنقرة في إفريقيا حتى عام ٢٠٠٩م نحو ١٢ سفارة فقط، وحتى عام ٢٠٠٢م لم يكن لتركيا إلا سبع سفارات فقط في كل إفريقيا، في المقابل، وصل عدد سفارات البلدان الإفريقية في أنقرة إلى ٤٠ سفارة عام ٢٠١٩م،

١- بوحنية قوي، إفريقيا في الاستراتيجية التركية الجديدة، مركز الجزيرة للدراسات، تمت الزيارة بتاريخ:

٢٠١٦/١١/١٠

٢- المرجع السابق.

وفي ٢٠٢٠ وصلت إلى ٤٢ سفارة<sup>(١)</sup>، وهذا يعكس مدى الأولوية التي تفردتها تركيا لإفريقيا، وأهميتها النوعية في الاستراتيجية التركية الجديدة. بالإضافة الى الدعم السياسي المقدم لبعض حكومات الدول الإفريقية في مواقفها، مثل إعلان أنقرة دعمها لمشروع بناء سد النهضة على نهر النيل، وجاء تشجيع تركيا إثيوبيا على المضي قدما في مشروع السد رغم اعتراض القاهرة على بعض الأمور الفنية المتعلقة بإجراءات ملء الخزان والتي تهدد الأمن المائي لمصر.

## ٢. زيارات رئاسية بين أنقرة ورؤساء الدول الافريقية:

على صعيد الزيارات رفيعة المستوى المتبادلة بين الطرفين، أجرى أردوغان، زيارات إلى القارة السمراء بلغت ٣٢ زيارة إلى ٢٤ دولة إفريقية منذ ان كان رئيساً للوزراء، شملت الزيارة التاريخية التي قام بها إلى جمهورية الجزائر في فبراير ٢٠١٨، وزار أيضاً كلاً من موريتانيا والسنغال ومالي، فيما استقبل في أنقرة رئيسي غامبيا وبنين. كما حضر مراسم تنصيب أردوغان رئيساً للبلاد من الزعماء الأفارقة، رؤساء كل من الصومال وجيبوتي وإثيوبيا، إلى جانب تشاد وغينيا الاستوائية، وغانا، وغينيا بيساو، وغينيا كوناكري، وموريتانيا وزامبيا.

وإلى جانب السفارات والبعثات الدبلوماسية، تلعب مؤسسات تركية دوراً بارزاً في تنمية الوجود التركي في إفريقيا، وأبرزها وكالة الأناضول، والوكالة التركية للتعاون والتنسيق "تيكا" الأداة التنفيذية للسياسات الخارجية التركية الأقوى، وإدارة الكوارث والطوارئ "أفاد"، ومعهد يونس إمرة، ووقف معارف، والخطوط الجوية التركية، والتي تُسير رحلات منتظمة إلى ٥٣ وجهة في ٣٥ بلداً إفريقياً<sup>(٢)</sup>.

وتشمل الأدوات السياسية التركية في إثيوبيا، في النقاط التالية:

١ محسن حسن، المساعدات والمنح في القرن الإفريقي والقارة السمراء بين أهداف التنمية وتطلعات المانحين، مصدر سبق ذكره، ص. ٢٢.

٢ آلاء برانية و هالة فودة، العلاقات التركية الإفريقية.. أهداف وتحركات أنقرة في القارة السمراء(المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ٧ نوفمبر ٢٠١٩)، أنظر في ذلك الرابط التالي:

<https://marsad.ecsstudies.com/12830>

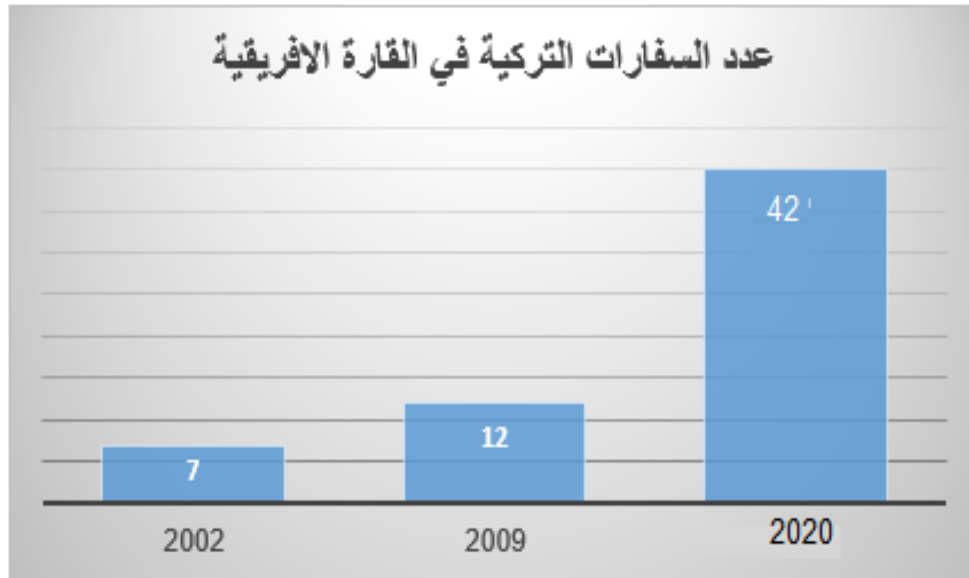
## أ. ديننا السيد عشري

تتمتع الدولتان بعلاقات سياسية جيدة منذ عقود، وشكّل ترسيخ المشروع التركي في الصومال، حافزاً لتوسيعها والانتقال بها خطوة إضافية من خلال افتتاح أردوغان جملة من الاتفاقيات مع إثيوبيا في زيارته لها في يناير ٢٠١٥، ضمن جولته الإفريقية.

تلتها عدة زيارات لوزراء ومسؤولين أترك، أبرزها كان زيارة وزير الاقتصاد التركي إلى إثيوبيا في ديسمبر ٢٠١٦، برفقة وفد يتكون من ١٠٠ من رجال الأعمال الأتراك، والتي عززت العلاقات باتفاقيات اقتصادية أوسع، وخصوصاً أنها أتت لاحقة بشكل مباشر لزيارات سعودية وقطرية إلى إثيوبيا.

شكل رقم (٠١):

عدد السفارات التركية في أفريقيا ٢٠٢٠



المصدر : من إعداد الباحثة

فيما تعزّز هذا الاتجاه مع زيارة الرئيس الإثيوبي إلى تركيا في فبراير ٢٠١٧، أكد فيها أنه: “يعتبر تركيا وطناً له، حيث كان سفيراً لبلاده فيها لمدة ٨ سنوات”. وأعلن تأييده لأردوغان في مواجهة محاولة الانقلاب، ودعم الحكومة التركية في مواجهة الإرهاب، وتأكيد قطع علاقة حكومته بمدارس تنظيم غولن، وإلحاقها بوقف المعارف التركي، ودعا تركيا لإنشاء مناطق صناعية في إثيوبيا، ووصفها بأنها “شريكننا المستقبلي”. وربما يشير ذلك إلى ارتباط تركيا بالرئيس الإثيوبي بشكل مسبق (علاقات ومنافع خاصة)، ودور محتمل لها

في دعمه للوصول إلى سدة الحكم، ودعمه في مواجهة الاحتجاجات الأثنية التي تندلع بين فترة وأخرى في بلاده.

ومن الملاحظ، إن تركيا ترغب في عدم الغياب عن المنطقة في ظل تزايد النفوذ الإيراني الذي يسجل حضورا عسكريا في مواجهة السواحل الصومالية، حيث تقوم البحرية الإيرانية بدور في مكافحة القرصنة، وهذا يتطلب وجود حضور دور مواز للدور الإيراني ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان لدى تركيا دور في هذا المجال، مما يعني أن التحرك التركي لا يخلو من وجود تأثير لقوى دولية كبرى تقف من خلفه وتحفزه لكي يكون دولة لها تأثير معنوي على الفرقاء لصوماليين، وتحظى بقبول لدى أغلب المكونات الصومالية<sup>(١)</sup>.

---

١ المرجع السابق، ص. ٢٣٠.



## المبحث الثاني: الثالث فوق إقليمي وقضايا الأمن القومي الإثيوبي: المياه نموذجاً

يتناول هذا المبحث قضايا الأمن القومي الإثيوبي وبالتحديد قضية مياه النيل وهي أحد أهم القضايا التي حاولت كل من إسرائيل وإيران وتركيا، أن تستخدمها كازريعة للتدخل في الشأن الأفريقي خاصة دول حوض النيل وبالتحديد مصر، وسوف نتناول هذا المبحث من خلال ثلاث مطالب رئيسية، الأول الموقف الإسرائيلي، والثاني يتناول الموقف الإيراني، والثالث يتناول الموقف التركي.

### المطلب الأول: الموقف الإسرائيلي:

إن إسرائيل المحاصرة بمحيطها العربي تحتاج إلى ثلاث قصبات هوائية غير عربية للتنفس، وهي تركيا وإيران والحبشة أي (إثيوبيا حالياً)، هذه الكلمات هو ما قالها بن غوريون في أوساط الخمسينات وكانت إثيوبيا تحت حكم الإمبراطور هيلاسيلاسي، فيما كانت إيران تحت حكم الشاه. وفي تركيا، كان الثنائي مندرس-بايار، وكانوا جميعاً حلفاء لأميركا و"إسرائيل" وأعداء للعرب.

وكما هو الحال في إثيوبيا، فقد أثبتت وثائق السفارة الأميركية في طهران أن المخابرات الأميركية اقترحت (كما هو الحال في إثيوبيا) إثيوبيا هي ثاني أغنى دولة أفريقية مائياً بعد دولة الكونغو الديمقراطية، وتعد منبعاً للمياه لجميع دول الجوار، ففيها ١٢ نهراً، و٢٢ بحيرة، ومخزون كبير من المياه الجوفية المتجددة، يزيد كميتها معاً على ١٥٠ مليار متر مكعب سنوياً. وقد بنت حتى الآن حوالي ١٥ سداً على الأنهار المشتركة بينها وبين الدول المجاورة لها، وهي السودان ومصر وجنوب السودان وأريتريا وجيبوتي والصومال وكينيا.

وإضافة إلى هذه السدود، تستمر إثيوبيا في بناء سدود أخرى، أهمها سد النهضة على النيل الأزرق، وهو يستهدف مصر والسودان وسد غيلغل غيبي الرابع والخامس على نهر أومو، وكلاهما له آثاره السلبية في كينيا. معظم هذه السدود تم إنشاؤها بقرارات إثيوبية منفردة، من دون التشاور مع دول المصب المجاورة، ما يتعارض مع الأعراف

والقوانين الدولية لإدارة الأنهار الدولية المشتركة وقواعد القانون الدولي، وهو ما يلحق أضراراً بالغة بدول المصب، وفي جميع المجالات. وقد بدأت إثيوبيا باستغلال مياه أنهارها في ستينيات القرن الماضي، بعد أن أوضحت دراسة أميركية أن الطاقة الكهربائية التي يمكن استغلالها من مياه الأنهار فيها تزيد على ٤٥,٠٠٠ ميغاواط (السد العالي المصري حوالى ٢,٠٠٠ ميغاواط). جاء هذا الاستغلال بعد الدراسة التي قام بها رجل المخابرات الأميركية، إريك جونستون، بناءً على موافقة من الحكومة الأميركية في أغسطس ١٩٥٧ بعد انهيار مبدأ أيزنهاور في سوريا، وبعدها بعام قيام الوحدة مع مصر، وبالتالي الاتفاق المصري - السوفياتي على بناء السد العالي. وأعد مكتب الاستصلاح الأميركي US Bureau Of Reclamation في العام ١٩٥٨ دراسة شاملة حول واقع المياه في إثيوبيا، تم بموجبه تحديد ٢٦ موقعا لإنشاء السدود، أهمها ٤ سدود على النيل الأزرق الرئيسي، بسعة تخزينية تصل إلى ٨١ مليار م<sup>٣</sup>، وهو ما يعادل جملة الإيراد السنوي للنيل الأزرق بمرة ونصف المرة تقريبا، ولا يختلف الوضع في تركيا عنه في إثيوبيا<sup>(١)</sup>.

### أولاً: دور إسرائيل في أزمة سد النهضة:

بطريقة غير مباشرة أصبحت إسرائيل تلعب دوراً في صراع المياه بين دول حوض النيل مستفيدة من نفوذها في إثيوبيا ومنطقة حوض النيل عموماً عبر إثارة الخلافات بين دول الحوض والتشكيك في الحصة المقررة لكل دولة مستغلة الاختلاف الديني والعرقي والأيدولوجي بين دول المنبع والمصب<sup>(٢)</sup> وبالنسبة لمصر، فإن محور العلاقات المصرية الإثيوبية - في الوقت الراهن - هو مياه النيل بجانب الأبعاد السياسية والاقتصادية والإقليمية. وفيما يتصل بمياه النيل يري الكثير من الخبراء أن إسرائيل تقف وراء إشعال

١ حسني محلي، إثيوبيا وتركيا.. المياه بين المصالح والسياسة والدين الميادين نت ، ١ سبتمبر ٢٠٢٠، أنظر في ذلك الرابط الآتي:

<https://www.almayadeen.net/analysis/1420009/%D8%A5%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7---%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86>

٢ نائل عيسي جودة، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الأفريقي وأثرها علي الأمن القومي العربي (١٩٩١-٢٠١١)، رسالة ماجستير (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، ٢٠١٥م)، ص ١٤٠.

الموقف بين دول حوض النيل، لإدراكها بأهمية المياه وأن وجودها بالقرب من دول حوض النيل سيضمن لها أمنها المائي وأن يكون لها نصيب من مياه النيل، حيث أنها المتعهد بإنشاء السدود وخزانات المياه عبر شركاتها وخبرائها. فهي تريد إيصال المياه لصحراء النقب من خلال تأثيرها على إثيوبيا منبع النيل الأزرق وعلي دول المنبع الأخرى.

ويري الخبراء والمحللين الاستراتيجيين أن ما حدث في مصر من أحداث في عام ٢٠١١ وما تبعها أعطت الفرصة لإثيوبيا في بناء السد وأن حصة مصر بالكامل من مياه النيل سوف تصبح موجودة في الدولة الإثيوبية حيث أنه تم التعاون بين إثيوبيا وإسرائيل في بناء سد النهضة الإثيوبي وأكثر من ذلك أن الطرف المكلف بالكهرباء بالسد هي "إسرائيل"<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من وجود علاقات رسمية موقعة بين مصر وإسرائيل ولكن ليس لإسرائيل سبيل للحصول على مياه النيل من مصر إلا من خلال الضغط عليها من منابع النيل والتي تقف على رأسها إثيوبيا.<sup>(٢)</sup>، ويؤكد الخبير الإسرائيلي "أرنون شوفير" الذي عمل لسنوات في الموساد الإسرائيلي، أنه لخشية إسرائيل من أي رد فعل مصري تقوم إسرائيل بتنفيذ مخططاتها في إثيوبيا بشكل حذر حتى لا تثير غضب القاهرة خاصة وإن هناك العديد من التقارير التي تتهم إسرائيل بتشجيع بناء عدد من السدود على النيل الأزرق في إثيوبيا. ويمكننا القول إجمالاً إن حالة "العجز المائي الإسرائيلي" ليست نتاج متغير واحد فقط وهو محدودية الموارد المائية المتجددة سنوياً في إسرائيل وإنما هي محصلة تفاعل جملة من المتغيرات كالزيادة السكانية الطبيعية، والتدفق المستمر للمهاجرين اليهود والتوسع الزراعي، وتزايد معدلات التنمية الصناعية والتلوث البيئي وتفاعل تلك العوامل مع بعضها البعض.

### ثانياً- أهمية سد النهضة عند كلا من إسرائيل وإثيوبيا:

تطمح إسرائيل في أن تكون لها بصورة غير مباشرة اليد الأولى في التأثير على حصة مياه النيل الواردة لمصر وبدرجة أقل السودان؛ وذلك كورقة ضغط على مصر للتسليم

١ نجوي رجب، "سد النهضة أزمة وجود لمصر وإسرائيل في الكواليس"،

٢٠١٥، أبريل ٢٠١٦، <http://www.eda2a.com>.

٢ جوزيف رامز أمين، "أبعاد العلاقة المائية بين مصر وإثيوبيا"، المؤتمر الدولي: حول آفاق التعاون والتكامل بين دول حوض النيل، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ٢٠١٠، ص. ٤٤٤.

في النهاية بما تطلبه إسرائيل، وللخبراء الصهاينة لغة في مخاطبة السلطات الإثيوبية تتلخص في ادعاء يقول إن حصص المياه التي تقرر لبلدان حوض النيل ليست عادلة لأنها تقرر في وقت سابق على استقلالها، وأن إسرائيل كفيلة أن تقدم لهذه الدول التقنية التي تملكها من ترويض مجرى النيل وتوجيهه وفقاً لمصالحها.

وبناء على هذا خصصت إسرائيل مساعدات لإثيوبيا لإقامة السدود وغيرها من المنشآت التي تمكنها من السيطرة والتحكم في مياه النهر، ورغم أن كل العواصم المعنية بالأزمة بدءاً من أديس أبابا مروراً بالقاهرة تدرك أغراض إسرائيل من هذا الدعم إلا أنها تغض الطرف وتكتفي بتحديد المشكلة مع الطرف الآخر.

والاحتمال الأرجح هو تورط إسرائيل بالمشاركة في مساعدة إثيوبيا في إنشاء السدود على النيل الأزرق، ويبدو أن الدور الإسرائيلي قد بدأ ينشط في السنوات العشر الماضية إذ بدأت سلسلة نشطة من الاتصالات مع دول منابع النيل خصوصاً إثيوبيا، وتمثل عمق العلاقات بزيارة رئيس وزراء إثيوبيا "زينأوي" لتل أبيب في أوائل يونيو ٢٠٠٤، كما لعبت إسرائيل دور الداعم والمحرّض لأوغندا لتعلن رفضها اتفاقية مياه النيل القديمة المبرمة عام ١٩٢٩ بين الحكومة البريطانية -بصفتها الاستعمارية- نيابة عن عدد من دول حوض النيل (أوغندا وتنزانيا وكينيا) والحكومة المصرية وكان هذا الاتفاق يتضمن إقرار دول الحوض بحصة مصر المكتسبة من مياه النيل، وأن لمصر الحق في الاعتراض (الفيتو) في حالة إنشاء هذه الدول أي سدود على النيل.

ومما يؤكد على التورط الصهيوني في الأزمة المائية الأخيرة بين مصر والسودان من جانب وباقي دول حوض النيل من جانب آخر هو تأكيدات مصادر إعلامية إسرائيلية على أن الفترة القادمة ستشهد حرباً شعواء بسبب المياه، حيث زعمت صحيفة "يديعوت أحرونوت" في تقرير لها إن حرب المياه في المنطقة ستندلع في العقد المقبل، مشيرة إلى الأزمة الأخيرة التي فجرها توقيع دول منبع نهر النيل لاتفاقية جديدة لتقسيم مياه النيل التي استتنت مصر والسودان.

وأضافت الصحيفة الإسرائيلية إن التحدي الذي أبدته دول حوض النيل ضد الاحتكار المصري لمنابع النهر أغضب القاهرة وجعلها في حالة غليان، موضحة أن تلك الدول رفضت أي حل وسط وقامت بنشر التهديدات قائلة إن حرب المياه ستنشب خلال العقد المقبل<sup>(١)</sup>. ومع أن هناك مطالبات منذ استقلال دول حوض النيل بإعادة النظر في هذه الاتفاقيات القديمة بدعوى أن الحكومات القومية لم تبرمها ولكن أبرمها الاحتلال نيابة عنها، وأن هناك حاجة لدى بعض هذه الدول خصوصاً كينيا وتنزانيا لموارد مائية متزايدة؛ فقد لوحظ أن هذه النبرة المتزايدة للمطالبة بتغيير حصص مياه النيل تعاضمت في وقت واحد مع تزايد التقارب الصهيوني من هذه الدول وتنامي العلاقات الإفريقية مع الصهيونية. وعلى هذا عادت المناوشات بين دول حوض النيل للظهور خاصة بين مصر وتنزانيا، وانضمت إلى هذا المبدأ أوغندا وكينيا، وطلبت الدول الثلاث من مصر التفاوض معها حول الموضوع ثم وقعت تنزانيا مع رواندا وبوروندي اتفاقية نهر كاجيرا عام ١٩٧٧ التي تتضمن بدورها عدم الاعتراف باتفاقات ١٩٢٩، بل وطلبت حكومة السودان بعد إعلان الاستقلال أيضاً من مصر إعادة التفاوض حول اتفاقية ١٩٢٩، كذلك أعلنت إثيوبيا رفضها لاتفاقية ١٩٢٩ واتفاقية ١٩٥٩.

وكان الصراع على مياه النيل مدفوناً في التاريخ فمنذ حكم الإمبراطور "منجستو" في إثيوبيا ثم النظام الماركسي "منجستو"، وحتى النظام الحالي كان حلم السد يراوض الأنظمة الحاكمة لدول المنبع، وكان أول تحرك فعلي لها عندما سعت إثيوبيا عام ١٩٨١ لاستصلاح ٢٢٧ ألف فدان في حوض النيل الأزرق بدعوى "عدم وجود اتفاقيات بينها وبين الدول النيلية الأخرى"، كما قامت بالفعل عام ١٩٨٤ بتنفيذ مشروع سد "فيشا" -أحد روافد النيل الأزرق- بتمويل من بنك التنمية الإفريقي وهو مشروع يؤثر على حصة مصر من مياه النيل بحوالي ٠.٥ مليار متر مكعب، وتدرس ٣ مشروعات أخرى يفترض أنها سوف تؤثر على مصر بمقدار ٧ مليارات متر مكعب سنوياً.

أيضاً أعلنت كينيا رفضها وتنديدها منذ استقلالها بهذه الاتفاقيات القديمة لمياه النيل لأسباب جغرافية واقتصادية مثل رغبتها في تنفيذ مشروع استصلاح زراعي، وبناء عدد من

١ سامح عباس، العلاقات بين إسرائيل ودول حوض النيل، 6 يونيو ٢٠١٠، <http://islammemo.cc/Tkare.html>, مايو ٢٠١٦.

السودود لحجز المياه في داخل حدودها، وكانت جبهة السودان هي الأهم لأسباب عدة في مقدمتها أنها تمثل ظهيراً وعمقاً استراتيجياً لمصر التي هي أكبر دولة عربية، وطبقاً للعقيدة العسكرية الإسرائيلية فإنها تمثل العدو الأول والأخطر لها في المنطقة ولذلك فإن التركيز عليها كان قوياً للغاية.

وبالفعل بدأت تلوح في الأفق مناوشات بين دول حوض النيل (١٠ دول) للظهور مرة أخرى، ولكن تلك المرة كانت بصمة التدخل الصهيوني واضحة بزعم أن الاتفاقيات المائية المبرمة في عهد الاستعمار (اتفاق ١٩٢٩ بين مصر وبريطانيا لتنظيم الاستفادة مصر من بحيرة فكتوريا) التي تعطي الحق لمصر أن توافق أو لا توافق على أي مشروع يقترحه أي طرف من أطراف دول حوض النيل للاستفادة من المياه لم تعد ملزمة لدول منابع النيل، ولم تكن إثيوبيا بحاجة لهذا التدخل الصهيوني فهي رفضت اتفاقية ١٩٢٩ واتفاقية ١٩٥٩ في جميع عهودها السياسية منذ حكم الإمبراطور ثم النظام الماركسي وحتى النظام الحالي، بل وسعت عام ١٩٨١ لاستصلاح ٢٢٧ ألف فدان في حوض النيل الأزرق.

وقد حظيت إثيوبيا باهتمام خاص من إسرائيل، لأنها تمتاز بميزات سياسية وجغرافية وعسكرية وأمنية فريدة في نوعها إضافة إلى كونها تعتبر نفسها قلعة في محيط إسلامي لا زال يموج بالصراعات والأزمات، ولا يزال يواجه أنماطاً عديدة من العنف والأزمات المتعددة مما يجعلها المفتاح للتغلغل في إفريقيا واخللة الأمن المصري.

كما تعد العلاقات التجارية بين إسرائيل ودول الحوض أحد أهم المؤشرات على تنامي المصالح الاقتصادية الإسرائيلية في المنطقة، حيث تظهر الأرقام تضاعف الصادرات الإسرائيلية إلى إثيوبيا منها أكثر من ٣٠ مرة خلال السنوات القليلة الماضية، وتشهد العلاقات الإسرائيلية تطوراً متزايداً خاصة في إثيوبيا والكونغو الديمقراطية، والتي شهدت في السنوات الأخيرة انتعاشاً في إقامة الغرف التجارية المشتركة والمنح في مجالات الصحة والتعليم والتدريب هذا وخصصت الحكومة الإسرائيلية أحد المراكز المتخصصة بوزارة الخارجية لتقتصر مهامه على تعميم وتطبيق التعاون الإسرائيلي الإفريقي.

وعليه فقد وقعت حكومة إسرائيل اتفاقيتين، إحداها مع جنوب السودان وإثيوبيا تتعلق بتوزيع الكهرباء التي سيتم إنتاجها من سد النهضة وقد بدأت بإنشاء خط لنقل الكهرباء إلى كينيا وخط آخر إلى جنوب السودان موضحاً أن عقود توزيع الكهرباء تظهر أن إسرائيل جزء أساسي من عمليات وسياسات التشغيل بسد النهضة وتهدف إسرائيل من خلال

تغلغلها في إفريقيا إلى استكمال خطة الطوق الإفريقي (جنوب السودان، كينيا، إريتريا، إثيوبيا) عبر آليات عدة منها شراء العدد الأكبر من السندات في سد النهضة والتعامل مع مصر من خلال الطوق الإفريقي، وإيجاد آليه للتعاون مع الصين التي تملك الكثير من الشركات والمصالح وإغراق مصر في المشكلة وابتزازها في المواقف السياسية<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: إيران ودورها في أزمة السد

ترتبط إثيوبيا منذ فترة طويلة بعلاقات قوية مع النظام الإيراني، فعلى الرغم من عدم وجود نسبة كبيرة من المسلمين داخل إثيوبيا وكون المسلمين فيها من أهل السنة إلا أن إيران تحاول جاهدة تعزيز العلاقات مع إثيوبيا بشتى الطرق. ومن خلال الزيارات المتكررة لمسؤولين إيرانيين كبار، تسعى طهران إلى إيجاد موطئ قدم ثابت لها في إثيوبيا، يساندها في ذلك التعاون الاقتصادي الذي وصل حجمه إلى ٣٥ مليون دولار عام ٢٠٠٧ بعد أن كان ١٩ مليون دولار عام ٢٠٠٤. ومنذ تولي حسن روحاني رئاسة إيران عام ٢٠١٣، سعت طهران إلى تقوية العلاقات السياسية مع إثيوبيا وتكرار زيارات كبار المسؤولين الإيرانيين إلى أديس أبابا والتي نتج عنها عقد العديد من اتفاقيات التعاون الاقتصادي بين الجانبين. وكان حضور مساعد وزير الخارجية الإيراني السابق "حسين أمير عبد الله يان" للقمّة الأفريقية المنعقدة في أديس أبابا عام ٢٠١٥ أبرز تلك المحطات الاقتصادية والسياسية، حيث نتج عنها مزيد من التعاون الاقتصادي بين الجانبين، ولا زالت إيران تدعو إلى زيادة استثمار مواطنيها في إثيوبيا لتحقيق مزيد من التعاون بين البلدين.

ويأتي أخطر ما يمكن الحديث عنه من الدور الإيراني في إثيوبيا والذي يمثل تهديداً مباشراً لمصر، هو حديث تقارير عن محاولة إيران المشاركة في بعض المشروعات المائية والزراعية والكهربائية التي تريد إثيوبيا القيام بها والتي تؤثر بشكل مباشر على مياه النيل، وليس من حق أديس أبابا القيام بها لإضرارها بباقي دول حوض النيل. وحول ذلك، التقى مسؤول إيراني كبير منذ حوالي عامين في العاصمة أديس أبابا بمساعدة وزير الخارجية الإثيوبي آنذاك وتم توقيع اتفاقات تعاون اقتصادي وصناعي وتطوير التجارة بين البلدين.

١ البعد الثالث، "أطماع خلف السد"، جريدة البديل، ٢٩ يوليو ٢٠١٥ <http://elbadil.com>، مايو ٢٠١٦.

إن ما يمثل خطراً على المصالح المصرية هو رغبة إيران في مقايضة الدور المصري الداعم للدول الشقيقة في الخليج العربي من خلالها محاولة دعم إثيوبيا في بناء سدود بشكل غير قانوني من الممكن أن يؤثر على حقوق الدول الأخرى في المياه كمصر والسودان. والجدير بالذكر هنا أن المصالح الإسرائيلية تلتقي مع المصالح الإيرانية في هذا الصدد. فإسرائيل تحاول بشكل كبير زيادة استثماراتها في عدد من دول القارة الأفريقية وخاصة دول حوض النيل، حيث تقدم الدعم المالي لقيام استثمارات خاصة بها في إثيوبيا. والأهم من ذلك هو أن الدور الإيراني في إفريقيا لا يلقى اعتراضاً من الدول الغربية. فعلى سبيل المثال، تمثل مناطق النفوذ الفرنسي التقليدية في دول شمال غربي إفريقيا مرتعاً للنفوذ الإيراني المتنامي في هذه الدور وذلك أمر لا يخفى على باريس<sup>(١)</sup>.

تقدم إيران نفسها للعالم العربي باعتبارها دولة إسلامية تشارك الأمة همومها، وتتعاون معها لمجابهة كل التحديات والمؤامرات التي يحكيها الأعداء. لكن السياسات الإيرانية خلال العقود الثلاثة الماضية كشفت عن استمرارية في الغايات الاستراتيجية التي كان ينتهجها الشاه محمد رضا بهلوي، وأن التحول لم يتجاوز الآليات والجهة المستفيدة وهي جماعة الملالي بدلاً من عائلة الشاه، والتي أصبحت توظف القوة الناعمة مما مكنها من تحقيق الكثير مما كان يصبو إليه الشاه على يد الملالي. ربما اشتهر بوب مارلي عالميا بسبب حبه للماريجوانا ودفاعه عنها، إلا أن هذا ليس الجانب الوحيد لمطرب جامايكا الأشهر، فالجانب السياسي له لا يقل أهمية، حيث تعتبره إثيوبيا سلاحها السري من أجل إنشاء سد النهضة.

## المطلب الثالث: تركيا وإثيوبيا ومياه النيل

تمثل تركيا الدولة القوية الصاعدة. فقد انتقلت تركيا من طور التأثير المحلي والانكفاء على الداخل إلى طور اللاعب الإقليمي صاحب القرار المؤثر في الكثير من القضايا والأزمات العالمية والدولية، والتي جعلت من الشرق الإفريقي إحدى مناطق نفوذها وأدرجته

١ السيد عوض عثمان، النفوذ الإيراني الناعم في القارة الإفريقية، سلسلة دوليات (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، ٢٠١٠، ص ٣٥ - ٤١



في مخططاتها الاستراتيجية التي سارت عليها السياسة الخارجية التركية في العقد الأخير. فكانت الزيارات الدبلوماسية رفيعة المستوى مستمرة إلى دول القرن الإفريقي كجيبوتي والصومال وإثيوبيا، والتي نتج عنها توقيع العديد من اتفاقيات التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي، ومن ثم كان لها الدور البارز في التأثير على سير إثيوبيا في تعنتها ضد القاهرة.<sup>١</sup> فتلعب تركيا دورا لدعم إثيوبيا في ملف سد النهضة، استخدم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، قواه الناعمة وسلاح المساعدات الإنسانية لاختراق إثيوبيا، حتى يجعل لنفسه موضع قدم في المنطقة وأن يكون له مقلب قط لمناكفة مصر وتكون أداة ضغط على القاهرة.

لعب أردوغان في مخطط غزوه الناعم لإثيوبيا على وتر العلاقات التاريخية بين الدولة العثمانية وبلاد الحبشة، واتصالات السلطان عبدالحميد الثاني مع الإمبراطور الإثيوبي منليك منذ عام ١٨٩٦، وجرى افتتاح أول قنصلية تركية في مدينة هرر عام ١٩١٢، وأعقبها افتتاح السفارة في العام ١٩٢٦ بعد ٣ سنوات من إعلان قيام الجمهورية، وقد حرص أردوغان على تطوير العديد من المناطق الإثيوبية المرتبطة بالتاريخ الإسلامي مثل منطقة نجاش وإعادة ترميم مسجد النجاشي التاريخي في إقليم تجراي شمالي إثيوبيا، ومشروع ترميم القنصلية العثمانية في مدينة هرر شرقاً، إلا أنه حافظ على ظهور أقل نسبيا في الدولة المسيحية ذات الأغلبية الأرثوذكسية، مما يعكس برجماتية إذ تجاهل ملايين المسلمين، من جماعة أرومو، ودعم السلطة (أقلية أمهرة)، مما دفع المسلمين لمهاجمة الاستثمارات التركية في إثيوبيا، ولاسيما بعد افتتاح مراكز ثقافية لتعليم اللغة التركية في العديد من المدن الإثيوبية، وتأسيس المدارس الدينية لنشر أفكار الحزب الحاكم بين الإثيوبيين. كما تمكنت تركيا عبر منظمة التعاون والتنسيق التركية تيكا من التدخل في الشؤون الإثيوبية منذ افتتاح مكتبها في أديس أبابا عام ٢٠٠٥، وركزت أنشطتها على الترويج للتعليم التركي باعتباره أكثر أدوات الاختراق الثقافي فاعلية من خلال المنح والبعثات التعليمية إلى الجامعات التركية. كما تعمل تيكا على تقديم المساعدات الطبية للمستشفيات في إثيوبيا ولاسيما مستشفيات الأطفال لخلق جيل يدين بالولاء لتركيا. تحرص

١ عمر الدغيم، الخيارات المصرية تجاه سد النهضة وماهية الموقف التركي، ترك برس، نشر بتاريخ ٢٨

يوليو ٢٠٢٠، أنظر في ذلك الرابط الآتي:

<https://www.turkpress.co/node/73197>

نيكا على افتتاح المشروعات التي تخاطب الأطفال إذ أنشأت مؤخرا حديقة ألعاب في إحدى مدارس العاصمة الإثيوبية أديس أبابا، وجمدت بعض مرافقها، بزعم تشجيع التلاميذ على الذهاب إلى المدرسة وتحقيق نتائج جيدة.

ولا يخفى على أحد الدور المخابراتي الذي تلعبه وكالة الأناضول حيث تعد كلمة السر في التحركات التركية في العاصمة الإثيوبية، عندما جرى تأسيس مكتبها لتغطية شرق أفريقيا في أديس أبابا العام ٢٠١٤، عبر الصحفي الإثري الإسلامي محمد طه توكل، بإيعاز من الاستخبارات القطرية التي عاش فيها لخمس سنوات، وكان على علاقة بشرطتها حتى غادر إلى إثيوبيا. تشير التسريبات إلى أن الاستخبارات التركية تتخذ من مقر وكالة الأناضول مكتبا لعقد لقاءاتها ونشاطاتها، حيث تم رصد زيارات متكررة لمسؤولين أترك إلى مقر الوكالة، من بينهم الدبلوماسي التركي أحمد يلدر.

أردوغان وضع خطة ذات محاور متعددة لنيل أطماعه، فهو يرى أن السيطرة على إثيوبيا تضمن لها دورا محوريا في المنطقة، حيث تتحكم في منابع النيل الأزرق الذي يشكل ما بين ٨٠٪ و ٨٥٪ من إجمالي مياه نهر النيل، ما يجعل جميع دول حوض النيل البالغة ١١ دولة مرهونة بموقف أديس أبابا من بناء السدود المائية وهو ما ظهر جليا في أزمة سد النهضة. وبحسب موقع المعارضة القطرية قطريليكس، يعد الدور التركي القطري المشبوه السبب الرئيسي في تعثر مفاوضات سد النهضة في الولايات المتحدة الأمريكية ورفضها للتوقيع، إذ إن وفدا أمنيا قطريا - تركيا سافر إلى أديس أبابا وحمل رسالة مفادها أن الموافقة على المفاوضات المصرية الإثيوبية في الولايات المتحدة ستكون لها خسائر كبيرة لن يستطيع النظام الإثيوبي تحملها. أخبرهم الوفد أن سحب الودائع القطرية والتركية التي تبلغ ٦ مليارات دولار سيعطل بناء السد من الأساس، ويؤخر خطة التنمية الإثيوبية في ظل أزمات عالمية متلاحقة. وأكد الوفد للسلطات الإثيوبية أنهم لن يجدوا في دول العالم من يقبل بضخ مليارات الدولارات وخاصة بعد نجاح المفاوضات المصري في إثبات تعنت إثيوبيا في مفاوضات سد النهضة.

يشار إلى أن تركيا ضمن قائمة الدول الممولة لسد النهضة من خلال مشروع استثماري زراعي ضخم، لزراعة مليون ومائتي ألف فدان في منطقة السد، ومع انطلاق

المفاوضات برعاية أمريكية سارع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان للتحرك في هذا الملف بهدف تفجير به بالتعنت<sup>(١)</sup>.

### خاتمة:

يتضح مما سبق أن كل من إسرائيل وإيران وتركيا بالتعاون مع إثيوبيا يلعبوا دوراً في خدمة مصالحهم الاقتصادية بالأساس، ناهيك عن كل منهم لديه حلم السيطرة والهيمنة خاصة على المنطقة العربية والقارة الأفريقية، كما أن قضية مياه النيل أهم وأبرز الملفات التي تحقق أهداف الثالوث فوق الإقليمي، في إثارة الخلافات بل والوصول لحد الصراع المسلح بين دول حوض النيل وبالتحديد إثيوبيا ومصر والسودان، ففي ناهية المطاف نجد أن بذل الجهد الموجه من قبل الثالوث في تحقيق حلم الهيمنة.

---

1 Valdes Vivo, Raul, *Ethiopia's Revolution*. New York, NY: International Publishers, 2019, p., 68.

قائمة المراجع:

- ١ - السيد عوض عثمان، النفوذ الإيراني الناعم في القارة الإفريقية، سلسلة دوليات (القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، ٢٠١٠).
- ٢ - عبد الله عبد المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي - الإسرائيلي تنافس بين الاستراتيجيتين، (لبنان: بيروت، ٢٠١٣).
- ٣ - حسن عبد ربه المصري، إسرائيل ديمقراطية الإرهاب والعنصرية، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩).
- ٤ - ميلود وضاحي، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول إفريقيا دراسة حالة القرن الإفريقي ١٩٩٠ - ٢٠١٣، رسالة ماجستير غير منشورة (الجزائر: جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٥).
- ٥ - محمود أبو العينين (محرر)، إسرائيل في إفريقيا، التقرير الاستراتيجي الإفريقي ٢٠٠١، (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، كلية الدراسات الإفريقية العليا، ٢٠٠١).
- ٦ - جاسم يونس محمد، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا بعد انتهاء الحرب الباردة، دراسة حالة أثيوبيا، مجلة العلوم السياسية (بغداد: جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد ٣٥/٢٠٠٧م).
- ٧ - بكر البدور، المكانة الإقليمية لتركيا حتى عام ٢٠٢٠: دراسة مستقبلية (مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة، بيروت، ٢٠١٦).
- ٨ - بكر البدور، قراءة في تطورات أزمة العلاقات السعودية الإيرانية، مجلة دراسات شرق أوسطية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، العدد (٧٥)، ربيع ٢٠١٦.
- ٩ - جوزيف رامز أمين، "أبعاد العلاقة المائنة بين مصر وأثيوبيا"، المؤتمر الدولي حول آفاق التعاون والتكامل بين دول حوض النيل، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠١٠.
- ١٠ - نائل عيسى جودة، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الإفريقي وأثرها على الأمن القومي العربي (١٩٩١-٢٠١١)، رسالة ماجستير (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، ٢٠١٥).
- ١١ - وليد عبد الحي، إيران: مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، (مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، الجزائر، ٢٠٠٩).

- ١٢- محمد وليد خالد، التغلغل الإسرائيلي في القارة السمراء، إثيوبيا دراسة حالة، تقرير مركز الجزيرة. للدراسات، ص ١١.
- ١٣- جواد الحمد، تحليل الاتفاق النووي الإيراني وانعكاساته، تقدير موقف، دراسات شرق أوسطية، (الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط العدد (٧٣)، خريف ٢٠١٥م)،
- ١٤ - الحضور الإيراني في شرق أفريقيا: الأهداف والأدوات والآفاق، (مركز الإمارات للسياسات، ٠١ فبراير ٢٠٢٠)
- <https://epc.ae/ar/topic/iranian-presence-in-east-africa-goals-tools-and-prospects>
- ١٥- بوحنية قوي، إفريقيا في الاستراتيجية التركية الجديدة، مركز الجزيرة للدراسات، تمت الزيارة بتاريخ: ٢٠١٦/١١/١٠
- ١٦- حسني محلي، إثيوبيا وتركيا.. المياه بين المصالح والسياسة والدين الميادين نت ، ١ سبتمبر ٢٠٢٠، أنظر في ذلك الرابط الآتي:
- <https://www.almayadeen.net/analysis/1420009/%D8%A5%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7---%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86>
- ١٧- سامح عباس، العلاقات بين إسرائيل ودول حوض النيل، ٦ يونيو ٢٠١٠، <http://islammemo.cc/Tkare.html>، مايو ٢٠١٦.
- البعد الثالث، "أطماع خلف السد"، جريدة البديل، ٢٩ يوليو ٢٠١٥، <http://elbadil.com>، مايو ٢٠١٦.
- ١٨- علي حسين باكير، النفوذ الإيراني في العراق: طبيعته ودوره وأهدافه. الراصد ٢٠٠٨/٨/٢، تاريخ الدخول ٢٠١٩/٢/١٢.
- [[http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected\\_article\\_no=4632](http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4632)]
- ١٩- عمر الدغيم، الخيارات المصرية تجاه سد النهضة وماهية الموقف التركي، ترك برس، نشر بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠٢٠، أنظر في ذلك الرابط الآتي:
- <https://www.turkpress.co/node/73197>
- ٢٠- عمر عبد الستار، عبد الناصر المهداوي، زيد عبد الوهاب، تداعيات انتفاضة إيران على المنطقة، مركز العراق الجديد، ٢٠١٨/٢/٣، أنظر في ذلك الرابط الآتي:
- <https://www.newiraqcenter.com/archives/3222>

٢١- نجوي رجب، "سد النهضة أزمة وجود لمصر وإسرائيل في الكواليس"،

٢٠١٥، <http://www.eda2a.com>، أبريل ٢٠١٦.

٢٢- وليد عبد الحي، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٤/١٦،

تاريخ الدخول ٢٠١٩/٢/١٢

<http://studies.aljazeera.net/ar/files/iranandstrengthfactors/2013/04/201343112429798680.htm>

٢٣- آلاء برانية و هالة فودة، العلاقات التركية الإفريقية.. أهداف وتحركات أنقرة في القارة

السمراء(المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ٧ نوفمبر ٢٠١٩)، أنظر في ذلك

الرابط التالي: <https://marsad.ecsstudies.com/12830>

1- MICHAEL,B .BISHKU ,ISRAEL AND ETHIOPA :FROMSPECILTO APRAGMATIC RELATIONSHIP,JOURNALOF MODERN AFRICANSTUDIIS,1971،

2- Itamar Rabinovich, How Iran's regional ambitions have developed since 1979, brookings, Thursday, January 24, 2019, date of intry-:31/2/2019. <https://brook.gs/2R9UQ31>

3- Mauri, Arnaldo. Monetary developments and decolonization in Ethiopia, Acta Universitatis Danubius (Economica, VI, n. 1/2010- .

Valdes Vivo, Raul, Ethiopia's Revolution. New York, NY: International Publishers, 2019



## النظام السياسي في أوغندا منذ الاستقلال

د. محمد فؤاد رشوان  
باحث في الشؤون الأفريقية

### ملخص:

تميزت فترة ما بعد الاستقلال في أوغندا بسنوات طويلة من الوحشية والدموية والحكم الاستبدادي، حيث أصبحت أوغندا واحدة من أكثر دول العالم من حيث معدلات الجريمة والقتل، فقد كان صعود عيدي أمين إلى السلطة نتيجة الأخطاء الكارثية التي ارتكبتها سلفة ميلتون أوبوتي، الذي قام بتشكيل أول حكومة عقب الاستقلال والذي عمل خلال تلك الفترة على إضعاف المعارضة وإلغاء أول دستور ديمقراطي تم وضعه عام ١٩٦٢ ليحل محله دستور ١٩٦٦ والذي قام بحظر عمل الأحزاب المعارضة وإلغاء الممالك والاتجاه إلى نظام الحزب الواحد.

وهي ذات الأخطاء التي وقع فيها عيدي أمين من حيث الإجراءات القمعية ولكنها بصورة أكثر دموية ووحشية، فقد شهدت فترة حكمه تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بعد طرد أكثر من ٧٠٠٠٠ شخص من الأسويين ومصادرة ممتلكاتهم وأراضيهم وهو ما أضعف الاقتصاد الأوغندي بشكل كبير، كما شهدت مقتل أكثر من نصف مليون شخص بما في ذلك رموز المعارضة والسياسيين الأوغنديين والقضاة ورئيس المحكمة العليا، حتى تم إنهاء حكمه بتدخل القوات التنزانية في أوغندا وإنهاء حكمه في إبريل عام ١٩٧٩.

و نتيجة لتلك الأحداث دخلت أوغندا في فترة ضبابية من الحروب الأهلية والصراع على السلطة بين الجماعات الاثنية الموجودة بها ، حتى وصول يوري موسيفيني إلى السلطة في ١٩٨٦ وحتى الآن والذي بدأ فترة حكمه بذات الإجراءات من حظر المعارضة والانشطة الحزبية بل وأدخل نظام جديد عُرف بديمقراطية الحركات كبديل سياسي عن الأحزاب حتى تمكن من مقاليد الحكم في البلاد فتم الاستفتاء على عودة التعددية الحزبية مرة أخرى إلى أوغندا .

## Abstract

The post-independence period in Uganda was marked by long years of brutality, bloody and tyranny, as Uganda became one of the most countries in the world in terms of crime and murder rates. Idi Amin's rise to power was a result of the disastrous mistakes committed by Milton Obote's predecessor, who formed the first government. After independence, which during that period worked to weaken the opposition and cancel the first democratic constitution that was drawn up in 1962 to replace the 1966 constitution, which banned the work of opposition parties, abolished kingdoms and moved towards a one-party system .

These are the same mistakes that Idi Amin made in terms of repressive measures But in a more bloody and brutal way, it witnessed a period of wisdom deteriorating economic and social conditions after the expulsion of more than 70,000 Asians and the confiscation of their property and lands, which greatly weakened the Ugandan economy, and witnessed the killing of more than half a million people, including opposition figures, Ugandan politicians, judges, and the President The Supreme Court, until the termination of the ruling of the intervention of Tanzanian forces in Uganda and the end of the ruling in April 1979 .

As a result of those events, Uganda entered a hazy period of civil wars and struggle for power between the ethnic groups in it, until Yoweri Museveni came to power in 1986 and until now, who began a period of wisdom with the same measures of banning opposition and partisan activities and even introducing a new system known as democracy The movements as a political alternative to the parties until they gained the reins of power in the country, so the referendum was held on the return of multi-partyism again to Uganda.



## المطلب الأول: بيئة النظام السياسي الأوغندي

### أولاً : البيئة الداخلية للنظام السياسي فى أوغندا

تبلغ مساحة أوغندا ٢٤١٥٥٠.٧ كم مربع تشكل المسطحات المائية والاراضى الرطبة ٢٠٠٥٢٣.٢ كم مربع ، وتبلغ نسبة الأراضى الصالحة للزراعة بها وفقا لآخر دراسة مسحية تمت فى عام ٢٠١٠ قرابة ٣٨ % من إجمالى مساحة الارض تقدر بمساحة ٩١٥١٥١.٨٠ كم مربع، بينما تغطى المياه ١٥ % من مساحة الأراضى الأوغندية، حيث تتقاسم بحيرة فيكتوريا مع كينيا وتنزانيا وبحيرة ألبرت مع الكونغو الديمقراطية ، وتعد أحد البلدان الحبيسة التى تقع على خط الإستواء ويقدر عدد سكانها بحوالى ٤٥٧٤١٠٠٧ مليون نسمة يعيش حوالى ٢٦ % منهم فى المناطق الحضرية<sup>(١)</sup>، وتعد أوغندا واحدة من اكثر دول القارة الأفريقية من حيث معدلات النمو السكاني ومن المتوقع أن يصل عدد سكانها الى ٦٠٠٠٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٣٠.<sup>(٢)</sup>

#### ١. الجماعات الاثنية فى أوغندا

يتوزع سكان أوغندا البالغ على أكثر من ٥٦ جماعة أثنية منها ٩ جماعات كبيرة تشكل أكثر من ٧١ % من إجمالى السكان ويزيد عدد كل منهم عن مليون نسمة ومن أبرز تلك الجماعات الباجندا Baganda وتشكل ١٨ % من إجمالى السكان تليها البانيانكول Banyakole وتشكل ١٠ % من اجمالى سكان أوغندا ثم باقى الجماعات الكبيرة مثل باسوجا Basoga، باكيجا Bakiga، إيتسو Iteso، لانجى Langi ، أشولى Acholi ، باجيسو Bagisu واللوجبارا Lugbara .

ثم تأتى الجماعات التى يتراوح سكانها بين نصف مليون الى مليون نسمة ويشكلون ١٠.٤ % من إجمالى السكان وهم ( بانيورو ، باكونزو ، باتورو ، ألور ) ، فيما يوجد ثمان جماعات أقل من نصف مليون نسمة ومن أشهرهم ( بافومبيرا ، باجويرى ،

1 <https://www.worldometers.info/world-population/population-by-country/>

2 Laura Parkes, The Politics of 'Water Scarcity' in the Nile Basin: the Case of Egypt, in *Journal of Politics & International Studies* (Leeds , University of leeds ,Vol. 9, Summer 2013) P 438

جوبادهولي،... إلخ) ، هذا بجانب عدد ١٩ جماعة أثنية يقل عدد سكانها عن ٢٥٠٠٠ نسمة منها ( سو، بانيارا، باتوكو، تشوبي، بابوكيسو... إلخ). <sup>(١)</sup>

## ٢. القرارات الاقتصادية والعسكرية لأوغندا

خلال الفترة بين ١٩٩٠ الى ٢٠١٠ حقق الاقتصاد الأوغندي نمواً مرتفعاً في متوسط دخل الفرد مما سمح بتقليل حدة الفقر، وذلك نتيجة للإعفاءات الكبيرة التي حصل عليها الاقتصاد الأوغندي من الدول المانحة بما يقارب ٥.٥ مليار دولار خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

وفي عام ٢٠٠٧ اعتمدت الحكومة اطار خطة التنمية الشاملة طويلة المدى للتنمية في اوغندا خلال الفترة من ٢٠١٠ وحتى ٢٠٤٠ التي تتطلع اوغندا من خلالها لتحويل المجتمع الاوغندي من مجتمع بدائي الى دولة حديثة مزدهرة في غضون الثلاثين عاماً القادمة فتسعى الى الوصول بمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي من ٥٠٦ دولار سنوياً في ٢٠١٠ الى ٩٥٠٠ دولار بحلول ٢٠٤٠ ، ولتحقيق تلك الخطة طويلة الاجل تم تقسيمها الى ثلاث خطط عشرية وست خطط خمسية بدأت المرحلة الاولى فيها في يوليو ٢٠١٠ وانتهت في يونيو ٢٠١٥.

ويعد قطاع الزراعة هو الداعم الرئيسي للاقتصاد الاوغندي حيث يعمل به أكثر من ٦٥.٦% من القوى العاملة الاوغندية ويسهم بنسبة ٢١% من الناتج المحلي الاجمالي وقد استحوذ القطاع الزراعي على نسبة ٤٧% من اجمالي الصادرات الاوغندية في عام ٢٠٠٧، ويعتمد قطاع الزراعة على صغار المزارعين وخاصة في محصولي البن والموز فضلاً عن كونها منتج رئيسي للشاي والقطن والتبغ. <sup>(٢)</sup>

وقد حقق الاقتصاد الأوغندي طفرة اقتصادية كبيرة حيث نجح في تحقيق معدل نمو بلغ ٦.٣% في العام المالي ٢٠١٨ / ٢٠١٩ ويرجع لك المعدل نتيجة لزيادة الاستثمار في مشروعات البنية التحتية العامة والمشروعات المتعلقة بالأكشافات النفطية، إلا أن الاقتصاد الأوغندي شهد تباطؤاً في النمو بسبب التأثير الشديد لأزمة جائحة كورونا Covid-19 وغزو الجراد والفيضانات ومن المتوقع وفقاً لتقديرات البنك الدولي أن يتراوح الناتج المحلي

1 UGANDA BUREAU OF STATISTICS, 2002 UGANDA POPULATION AND HOUSING CENSUS Analytical Report POPULATION COMPOSITION, October 2006, P.P., 23-24

2 Republic of Ugand, Uganda vision 2040 , PP.45-47

الإجمالي لأوغندا في ٢٠٢٠ بين ٠.٤% و ١.٧% مقارنة بـ ٥.٦% في عام ٢٠١٩ وذلك نتيجة تقلص الصادرات والسياحة والتحويلات والاستثمار الأجنبي المباشر نتيجة لاضطراب حركة التجارة الدولية والقيود المفروضة على حركة الأفراد حول العالم.<sup>(١)</sup> أما عن القدرات العسكرية الأوغندية فقد شهد الإنفاق العسكري الأوغندي ارتفاعاً طفيفاً خلال الفترة بين ٢٠١٤ إلى ٢٠١٨ بحث زاد من ١.١٧% إلى ١.٤٣% من الناتج المحلي الإجمالي لتحتل بذلك أوغندا المرتبة ٨١ عالمياً، وتبلغ ميزانية القوات المسلحة قرابة المليار دولار سنوياً ويبلغ عدد أفراد القوات المسلحة الأوغندية ٥٥٠٠٠ شخص منهم ١٠٠٠٠ مقاتل ضمن قوات الاحتياط، ويمتلك الجيش الأوغندي عدد ٤٨ مقاتلة حربية متنوعة، ١٠٨١ مدرعة عربية و ٨ قطع بحرية متنوعة.<sup>(٢)</sup>

### ٣. الزعامة السياسية وتداول السلطة في أوغندا

شهدت أوغندا تاريخاً دستورياً مضطرباً من خلال الدساتير المتعاقبة بها حيث حصلت على أربعة دساتير منذ الاستقلال وحتى آخر دستور تم وضعه في ١٩٩٥، وقد فرضت جميعها العديد من القيود على النشاط الحزبي وتداول السلطة بشكل سلمي وهو ما يمكن تتبعه عبر مراحل الحكم المختلفة منذ الاستقلال وهي كالتالي :

المرحلة الأولى : ميلتون أوبوتي ( خلال الفترة من أكتوبر ١٩٦٢ - يناير ١٩٧١ )

المرحلة الثانية: عيدي أمين ( خلال الفترة من يناير ١٩٧١ - أبريل ١٩٧٩ )

المرحلة الثالث : يوري موسيفيني ( خلال الفترة من ١٩٨٦ - الان )

المرحلة الأولى : حكم ميلتون أوبوتي ( اكتوبر ١٩٦٢ - يناير ١٩٧١ )

حصلت أوغندا على استقلالها في ٩ مارس ١٩٦٢ وقد كان الاستقلال عن الاحتلال البريطاني مختلفاً عن باقي دول أفريقيا فقد تم الاستقلال بعد إتفاق بينها وبين القوى الاستعمارية حيث تم وضع أول دستور للبلاد عبر الإتفاق مع بريطانيا والذي قسم السلطات بين المركز والأقاليم وتم إعطاء مملكة البوجندا المزيد من الصلاحيات على حساب باقي الممالك الثلاث الأخرى ( أنكولي، تورو، بونيور ) وبناء على المساومة التي تمت بين ميلتون أوبوتي ( زعيم مؤتمر الشعب الأوغندي ) وبين الكاباكا ( ملك بوجندا وزعيم حركة

1 <https://www.worldbank.org/en/country/uganda/overview>

2 [https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.asp?country\\_id=uganda](https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.asp?country_id=uganda)

الكاباكا وحده ) وتم تكوين التحالف البروتستانتي لإبعاد الحزب الديمقراطي ( الكاثوليكي) على ان يتم تقاسم السلطة بينهما فأصبح كاباكا البوجندا موتيسا أول رئيس منتخب لأوغندا في ٩ أكتوبر ١٩٦٣ وجاء ميلتون أوبوتي كرئيس للوزراء.<sup>(١)</sup>

إلا أن الخلاف سرعان ما دب بين طرفي التحالف عندما بدأ أعضاء الحزب الديمقراطي وحركة كاباكا وحدة في الانضمام إلى مؤتمر الشعب الأوغندي بشكل مكن المؤتمر من الحصول على الأغلبية البرلمانية في الجمعية الوطنية لأول مرة عام ١٩٦٣، واتجهت حركة كاباكا إلى تكوين تحالفات مع العديد من الجماعات الأخرى لتكوين معارضة قوية ضد أوبوتي وحزبه والمنافسة في الانتخابات الفرعية في باسوجو، وحاولت الجماعة عبر التحالف مع النخب الجنوبية الموالية لإنجيريا السيطرة على المؤتمر الشعبي الأوغندي .

بيد أن أوبوتي قد نجح في تقوية مركزه عبر إستمالة الجيش له من خلال منح الترفيات للموالين له ووضعهم في قيادة الجيش وقد مكنه ذلك من إعلان فض التحالف مع حركة كاباكا وحده في عام ١٩٦٤، وكذلك إعلان إخضاع المناطق الضائعة إلى الحكومة المركزية بدلاً من حكومة البوجندا في سبتمبر من نفس العام ومنذ ذلك الوقت بدأ تصاعد الصراع بين الطرفين ، وعلى أثر اتهامات بالفساد في حصول وزراء في حكومة أوبوتي على ذهب وعاج مهرب من زائير ومحاولة تشكيل لجنة لتقصي الحقائق، إلا أن أوبوتي قد نجح في عرقلة تشكيل تلك اللجنة وتم اعتقال خمسة من المطالبين بذلك على رأسهم أبنجيريا وتم تعيين عيدي أمين قائد للجيش وتم تعطيل العمل بالدستور وأعلن نفسه رئيساً للدولة في مارس ١٩٦٦ ، وتم حظر كل الحكام التقليديين بما فيهم موتيسا الثاني ومنعه من شغل أي منصب عام وتقرر أن تقوم البوجندا بانتخاب ممثليها في الجمعية الوطنية مباشرة.<sup>(٢)</sup>

وعقب إلغاء دستور الاستقلال ووضع دستور ١٩٦٦ والذي تم فيه حظر عمل الأحزاب السياسية وإلغاء الممالك والاتجاه إلى نظام الحزب الواحد، وقد سعى أوبوتي إلى

1 Benson Tusasirwe, Political Succession in Uganda: Threats and Opportunities, in Chris Maina Peter and Fritz Kopsieker (eds), **Political Succession in East Africa - In Search for a Limited Leadership**, (Nairobi, Friedrich Ebert Stiftung, may 2006) .P.P., 85-86

٢. د. ابراهيم احمد نصر الدين ، دراسات في النظم السياسية الأفريقية ( القاهرة، دار اكتشاف ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ) ، ص.ص ١٧٥ - ١٧٧

تبرير أحتكار الحياة السياسية لصالح مؤتمر الشعب الأوغندي الذى يتزعمة الى مقتضيات الوحدة الوطنية والعمل من أجل القضاء على الفقر والمرض والجهل بدلاً من تعدد الجماعات والممالك والتجمعات المختلفة والتى من شأنها أن تعمل على تمزيق الوحدة الوطنية للشعب الأوغندي ومن ثم فقد قام بحظر أى نشاط سياسى أو جماهيرى منظم سواء المنظمات الجماهيرية والنقابات والتعاونيات واتحادات الطلاب والمنظمات النسائية والشبابية وحتى نوادى كرة القدم أصبحت جميعها تحت سيطرة الدولة ، وهو ما جعل قائد الجيش عيى أمين يقوم بالانقلاب على الرئيس ميلتون أوبوتى نتيجة لتدهور الحياة السياسية والاقتصادي فى البلاد والجنوح بالبلاد الى الديكتاتورية .<sup>(١)</sup>

المرحلة الثانية: فترة حكم عيى أمين (يناير ١٩٧١ - أبريل ١٩٧٩)

قام عيى أمين قائد الجيش الأوغندي نتيجة لقيام الرئيس أوبوتى بمنع التعددية الأحزاب والتحول إلى نظام الحزب الواحد وأعلان حظر أنشطة الأحزاب والتجمعات ووضعها تحت تصرف الدولة، وعقب الانقلاب قام عيى أمين بحملات من العنف ضد ضباط اللانجى والاشولى وتم أبعادهم عن الجيش بإعتبارهم من القوات الموالية لأوبوتى وقد أسفرت تلك الحملات عن مقتل عدد كبير من ضباط الجيش، إلا أنها قد لاقت تأييداً شعبياً وخاصة من جانب جماعة الباجندا وذلك نتيجة سخطهم على سياسات أوبوتى ، ثم قام بالإفراج عن المعتقلين وإعادة رفات الكاباكا موتيسا الثانى ودفنها فى أوغندا وسط مراسم رسمية وشعبية كبيرة ، وهو ما جعل الباجندا يحلمون بعودة الملكية مرة أخرى، إلا أن عيى أمين سرعان ما انقلب على باقى الجماعات الأثنية الأخرى الموجودة ولم تقتصر على الاشولى واللانجى ، وبذلك يكون عيى أمين قد نجح فى إنهاء كافة أشكال المعارضة لنظامه ، وسرعان ما قام بإنشاء منظمات أمنيه جديدة تقوم على اساس اثنى ودينى تابعة له بشكل مباشر والتى قامت بقتل الاف من الأوغنديين تقدر وفقاً للتقارير الدولية بأكثر من نصف مليون شخص.<sup>(٢)</sup>

1 Sabiti Makara, The Challenge of Building Strong Political Parties for Democratic Governance in Uganda: Does multiparty politics have a future?, in **Les Cahiers D' Afrique Del'est** , (Nairobi, IFRA - Institut Français de Recherche en Afrique , No., 41, 2009) P.P ., 55-56

2 Juma Okuku Anthony , **Ethnicity, State Power and The Democratization Process in Uganda**, ( Braamfontien , Institute for Global Dialogue, IGD Occasional Paper NO., 33, May 2002)P.P., 17-18

وفى غضون ثلاث شهور بعد تولية السلطة علق عيدي أمين جميع الأنشطة السياسية بالدولة وسخر الجيش للإعتقال والعقاب وقام بإنشاء محكمة عسكرية لمحاكمة المعارضين السياسيين، وقام باستخدام الأثنية مرة أخرى ولكن بشكل أقوى فعقب تمكنه من السيطرة على حكم البلاد قام بالإعتماد بشكل أكبر على جماعة النوبا المسلمة فى الحكومة والجيش وبالأخص زاد اعتماده على جماعة الكاكوا التى ينتمى إليها ونظراً للضعف العددي لهذه الجماعة قام بالاعتماد على المرتزقة بشكل أكبر من بقايا فلول الاليايا فى جنوب السودان ومن الزائريين على نحو جعل قيادة الجيش بصفة عامة فى يد الغرباء وهو ما أدى الى زيادة روح العداء مع كافة الجماعات الأثنية الأخرى.<sup>(١)</sup>

وقد أنتهت فترة حكم عيدي أمين فى عام ١٩٧٩ عقب تردى الأحوال السياسية والاقتصادية نتيجة لطرد الأسويين من أوغندا متغافلا دورهم الاقتصادي الهام، وإنتهى نظام عيدي أمين نتيجة لتحالف جماعات المنفى والتي شكلت ما يعرف جبهة التحرير الوطنى لأوغندا وبمساعدة القوات التنزانية التى استطاعت السيطرة على كامبالا وإنسحاب قوات عيدي أمين إلى شمال البلاد و جنوب السودان ونصب يوسا لولى رئيساً للدولة، وبصفة عامة فقد أعقبت الإطاحة بنظم عيدي أمين وقوع حرب أهلية بين الجماعات المختلفة أثنيا وسياسية من أجل السيطرة على السلطة ، حتى تم تولية ميلتون أوبوتى مرة ثانية خلال الفترة من ١٩٨٠ - ١٩٨٥ وخلال تلك الفترة التى سمح فيها بالتنافس بين الأحزاب إلا أن عمليات القمع والتنكيل زادت بشكل كبير ولم تكن الأحوال بأفضل من فترة حكم عيدي أمين.<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لتلك الأحداث تم التشكيك فى نتائج الانتخابات التى جرت فى عام ١٩٨٠ والتي تعد أول انتخابات من نوعها منذ الاستقلال وقد تنافس فيها الحزب الديمقراطي وحزب المؤتمر الاوغندى أحدهما بروتستانتى والآخر كاثوليكي ويمثل الأول جماعة الباجاندا والجماعات المعارضة الجنوبية بينما يمثل الثانى اوبوتى، حيث سبق العملية الانتخابية العديد من عمليات مdahمة وحرق لمنازل المعارضة وإرغام الروانديين المؤيدين لموسيفينى على الخروج من البلاد، وكذلك أتمت عملية حصر الاصوات بالتلاعب والتزوير أثناء الانتخابات حيث فاز موسيفينى بصوت واحد فقط وحزب المؤتمر بأثنين وسبعين صوتاً .

١ د. ابراهيم احمد نصر الدين ، دراسات فى النظم السياسية، م. س. د.، ص ١٨٦

2http://www.janda.org/ICPP/ICPP2000/Countries/9-CentralEastAfrica/98-Uganda/98-Uganda63-00.htm

وفى خلال عدة شهور بدأ أوبوتى يواجه جيش مقاومة وطنى يعمل من داخل أوغندا ويتكون من ثلاث جماعات مسلحة تحاربة للإطاحة بحكمة ، وقد نجح جيش المقاومة فى السيطرة على أجزاء عديدة من الدولة وتأسيس حكومة مؤقتة عام ١٩٨٥ وانقسمت أوغندا الى إقليمين يحكم كل منهما حكومة منفصلة. (١)

المرحلة الثالثة : فترة حكم يورى موسيفينى منذ ١٩٨٦

سيطرت حركة المقاومة الوطنية بقيادة يورى موسيفينى فى يناير ١٩٨٦ على مقاليد الحكم فى أوغندا وقد أنشأ ما يعرف باسم ديمقراطية الحركة والتي لا تعترف بوجود الأحزاب السياسية حيث يرى أن التعددية الحزبية من شأنها أن تزيد من الفرقة الوطنية داخل أوغندا وأن المرحلة تتطلب تكاتف كافة القوى الوطنية داخل المجتمع من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية وبناء المجتمع. (٢)

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٨٨ تم إنشاء المجلس الوطنى للمقاومة NRC والذى أنشأ اللجنة الدستورية الأوغندية وأعطاهم مسؤولية وضع دستور جديد للبلاد ، وتم تمديد فترة عمل اللجنة حتى عام ١٩٩٢ والتي ذكرت فى تقريرها النهائى أن الشعب الأوغندى يفضل انتخاب لجنة تأسيسية من قبل الشعب مباشرة من أجل إعداد الدستور ، وتم إجراء انتخاب اللجنة التأسيسية فى عام ١٩٩٤ وخلال تلك الفترة تم تعطيل عمل الأحزاب وإلغاء التعددية الحزبية. (٣)

فقد كان يرى موسيفينى أن التعددية الحزبية هى نموذج غربى لا يصلح للتطبيق فى القارة الأفريقية وأن التعددية الحزبية يشترط لوجودها حدوث تنمية اقتصادية ورخاء اقتصادى وإلا ستتحول ألى وبال على الشعب من خلال إثارة النزاعات بين الجماعات فى

١ هالة جمال ثابت ، ظاهرة التحول الديمقراطى فى أوغندا : ١٩٨٦ - ١٩٩٦ دراسة تحليلية فى الاسباب والنتائج، رسالة ماجستير (جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية ، ١٩٩٩) ص.ص ٦٨ - ٧٠

2 Giovanni M. Carbone, Political Parties in A" No Party Democracy 'Hegemony and Opposition Under 'Movement Democracy' in Uganda, in **Party Politics** , (London, SAGE Publications, Vol., 9 , No., 4, 2003) PP.485-486

3 <http://www.constitutionnet.org/ar/country/constitutional-history-uganda>

المجتمع الأوغندي ، وكذلك يرى موسيفيني أن جوهر الديمقراطية واحد سواء في وجود الأحزاب أو عدم وجودها وهو حكم الشعب .<sup>(١)</sup>

وتم إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في عام ١٩٩٦ و ٢٠٠١ على أساس ديمقراطية الحركة أو ما يعرف بالديمقراطية غير الحزبية حيث تم حظر الأنشطة الحزبية وفقاً لنص الدستور في عام ١٩٩٥، وأصبحت مؤتمراتها تخضع لشروط صارمة جداً وتم حظر التجمعات العامة، إلا أنه نتيجة للضغوط التي تعرض لها النظام من قبل المعارضة الداخلية بالإضافة الى الضغوط الخارجية فقد تم إجراء استفتاءين شعبيين حول النظام السياسي الأول فضل عدم وجود الأحزاب في عام ٢٠٠٠ وتم إبطالة بعد فترة طويلة بحكم المحكمة نتيجة لأوجة القصور التي شابت الإجراءات التي تمت خلال الاستفتاء، بينما في الاستفتاء الثاني في عام ٢٠٠٥ وافق على عودة التعددية الحزبية مقابل الغاء القيد على تحديد مدة حكم الرئيس بفترتين رئاسيتين<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: البيئة الخارجية للنظام السياسي في أوغندا

في معرض الحديث عن البيئة الخارجية للنظام السياسي الأوغندي سيتم التطرق إلى علاقة أوغندا بكل من الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل إلى جانب تناول علاقة أوغندا بدول الجوار مثل الصومال وجنوب السودان والكونغو الديمقراطية.

#### ١. علاقة أوغندا بالقوى الدولية

##### أ. علاقة أوغندا بالولايات المتحدة الأمريكية

شهدت العلاقات الامريكية الأوغندية العديد من مراحل التقارب والتباعد بين البلدين فعقب استقلال أوغندا عام ١٩٦٢ أقامت الولايات المتحدة الامريكية علاقات دبلوماسية مع اوغندا إلا أنه خلال الحرب الباردة شهدت العلاقات تراجعاً كبيراً وخاصة خلال فترة حكم عيدي أمين وبناء على ذلك تراجعت المساعدات الامريكية الى أوغندا بشكل كبير وظلت العلاقات على حالها حتى سقوط نظام عيدي أمين، وفي منتصف عام ١٩٧٩ قامت الولايات المتحدة الامريكية بفتح سفارتها في كمبالا على الرغم من الضغوط التي مارستها الولايات

١ هالة جمال ثابت ، ظاهرة التحول الديمقراطي...م. س . ذ .، ص ١٤٤

2 Sabiti Makara, The Challenge and Prospect of Multiparty Democracy in Uganda, in Yusuf Kiranda and Mathias Kamp (eds), **The State of Multiparty Democracy in Uganda**, (Kampala, Konrad-Adenauer-Stiftung, Uganda Programme , 2010) P.P, 30-31



المتحدة الامريكية والمنظمات الدولية على حالة حقوق الانسان فى أوغندا وعقب تولى موسيفينى مقاليد الحكم فى البلاد ومع زيادة التقارب بين البلدين رأت الولايات المتحدة أن أوغندا تمثل حليفاً استراتيجياً فى المنطقة بجانب كل من أثيوبيا وكينيا قدمت المزيد من المساعدات لنظام موسيفينى الحاكم فى أوغندا حتى وصلت فى العام المالى ٢٠١١ حوالى ٦٠٠ مليون دولار الى اوغندا من أجل مكافحة الايدز ثم فى نفس العام قدمت ٢٨٥ مليون دولار تقريباً .

وخلال الفترة من ٢٠٠٩ و ٢٠١٢ قدمت الولايات المتحدة أكثر من ٥٦ مليون دولار امريكى لدعم القوات العاملة فى مكافحة متمردي جيش الرب ، كما أعلنت الولايات المتحدة الامريكية فى أكتوبر ٢٠١١ دعمها للجيش الأوغندى فى مواجهه متمردي جيش الرب عبر ارسالها ١٠٠ جندي من القوات الخاصة لتعقب زعيم الحركة جوزيف كوني ومحاولة اعتقاله أو القضاء عليه إلا ان الاهتمام الاكبر كان منصباً على تقديم الإغاثة ودعم الاتحاد الأفريقي فى مواجهه متمردي جيش الرب .<sup>(١)</sup>

وتعد الزيارة التي قام بها نائب وزير الدفاع الأمريكى إلى أوغندا فى عام ٢٠١٣ فى اطار جولة موسعة شملت كل من اسرائيل وأوغندا وأثيوبيا للتأكيد على الشراكة الأمنية بين أوغندا والولايات المتحدة الامريكية والتي التقى خلالها نائب وزير الدفاع عدداً من كبار المسؤولين فى أوغندا حيث أشاد بجهود قوات الدفاع الشعبى الأوغندى لما تقدمه من دعم للشعب الصومالى لمكافحة حركة شباب المجاهدين معتبراً أن أوغندا تعد شريكاً رئيسياً فى مجال الأمن والاستقرار فى المنطقة، كاشفاً لحجم وطبيعة الدور الذى باتت تلعبه أوغندا فى منطقة شرق افريقيا ومنابع النيل باعتبارها شريكاً رئيسياً فاعلاً وداعماً للسياسة الخارجية الامريكية فى المنطقة، وهو ما يجعلها تشكل الضلع الثالث فى مثلث حلفاء الولايات المتحدة الاستراتيجية فى المنطقة بعد كل من اثيوبيا وكينيا.<sup>(٢)</sup>

#### ب. علاقة أوغندا باسرائيل

دأبت إسرائيل على توظيف الروابط الايديولوجية التي تجمعها بأوغندا - مثلها فى ذلك مثل العديد من الدول الأفريقية- لتوطيد علاقاتها مع الدول الأفريقية ولتعزيز تواجدتها فى القارة، وتتضح هذه الروابط فى حالة العزلة المفروضة على أوغندا وهو ما يجعلها شبيهة

1Ibid., P. 12

2http://www.globalsecurity.org/military/world/uganda/forrel-us.htm

بإسرائيل التي تصدر للعالم الخارجي خطاب الدولة المحبة للسلام المحاطة بالعديد من الدول العربية والإسلامية المعادية لها، ومن ثم فقد لعبت السياسة الخارجية الإسرائيلية على وتر الروابط الإيديولوجية لبناء علاقات راسخة مع أوغندا باعتبارها تشكل بعداً حيويًا واستراتيجيًا هامًا لها لقربها من جنوب السودان يمكن من خلالها تقديم الدعم اللوجستي والمادي للحركة الشعبية لتحرير السودان ودعم انفصال الجنوب السوداني، وفضلاً عن إمكانية استثمار العلاقات الإسرائيلية-الأوغندية في التأثير على مصر مائياً باستخدام مياه النيل كورقة للضغط على كل من مصر وشمال السودان.

وعلى الرغم مما سبق فقد اتسمت العلاقات الإسرائيلية - الأوغندية بمراحل من التقلب وفقاً لنظام الحكم القائم بها حيث شهدت فترة حكم عيدي أمين تحولاً كبيراً في السياسة الخارجية الأوغندية تجاه إسرائيل التي بادرت عقب الانقلاب العسكري الذي قام به عيدي أمين بتقديم الدعم العسكري والاقتصادي لمساعدته باعتباره ليشكل حلقة الوصل بين إسرائيل وبين منطقة جنوب السودان ويشكل حاجزاً بين الدول العربية وجنوب السودان، ومن ثم فقد شرعت إسرائيل في دعمه عسكرياً بتقديم دبابات وطائرات حربية حتى لا يشكل بناء الجيش الأوغندي عبئاً على الاقتصاد فضلاً عن قيام إسرائيل ببناء مطار في شمال أوغندا وهو ما أثار حفيظة الدول العربية وخاصة مصر<sup>(١)</sup>.

وقد سعى عيدي أمين من جانبه إلى استثمار العلاقات مع الجانب الإسرائيلي بغرض تعظيم منفعه داخلياً وخارجياً، فطالب إسرائيل بدعمه دولياً بالاعتراف بالانقلاب العسكري الذي قام به ومع تعدد رفض إسرائيل للعديد من طلبات عيدي أمين تحول الموقف تماماً وحاول أمين الحصول على الدعم العربي في منتصف السبعينيات بدعم القضية الفلسطينية ومساندة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وبلغت ذروة توتر العلاقات الأوغندية-الإسرائيلية في عام ١٩٧٦ على إثر قيام حركة التحرير الفلسطينية باختطاف الطائرة الإسرائيلية والتي كانت تقل ٢٤٨ راكب على متنها متجهه من تل أبيب الى فرنسا والنزول بها في مطار عنيتبي.

1Arye Oded, Israeli- Ugandan Relations in the time of Idi Amin, in Jewish Political Studies Review, ( Jerusalem, ( Jerusalem Center for Public Affairs, October 2006) at:

<http://jcpa.org/article/israeli-ugandan-relations-in-the-time-of-idi-amin/>

ومع تولي الرئيس يوري موسيفيني للسلطة في أوغندا شهدت العلاقات بين البلدين تطوراً كبيراً على كافة المسارات فقد شاركت إسرائيل في العديد من المشروعات الانمائية في مبالى بشرق أوغندا فضلاً عن قيام العديد من رجال الأعمال الإسرائيليين بالعديد من المشروعات الاستثمارية وخاصة في المجالات الصناعية والسياحية، كذلك فقد شهد مجال البنية التحتية تحركاً كبيراً من جانب رجال الأعمال الإسرائيليين وقد اشتمل التعاون الثنائي الآن مع أوغندا تقدماً كبيراً في مجالات التكنولوجيا الزراعية وتربية الحيوانات وإدارة المياه والصحة والامن الداخلي.<sup>(١)</sup>

وقد تم إعادة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في يوليو ١٩٩٤ بعد انقطاع دام ٢٠ عاماً وعقب قطع العلاقات بعد حادث اختطاف الطائرة الإسرائيلية، وقد عرضت إسرائيل على أوغندا إسقاط ديونها التي تقدر بـ ٢٠٠ مليون دولار، وفي إطار التعاون العسكري فقد توصلت كلتا الدولتين إلى توقيع اتفاق عسكري آخر في أواخر ١٩٩٦ اتفاق تقوم إسرائيل بموجبة بتجهيز وتسليح القوات أوغندية خاصة القوات الجوية وقامت إسرائيل بإرسال ٢٥٠ مستشاراً منهم ١٥٠ مستشاراً في مجال سلاح الطيران، وقدمت إسرائيل لأوغندا كذلك عدد ٦ طائرات تدريب خفيفة واسلحة خفيفة وتم تطوير العديد من الطائرات التابعة للجيش أوغندي في المصانع الإسرائيلية.<sup>(٢)</sup>

ثم تطورت العلاقات بين البلدين لتؤكد الدور الفاعل لأوغندا كحليف استراتيجي في كافة المجالات حيث أنه تم الاتفاق بين الحكومة الإسرائيلية والأوغندية في عام ٢٠١٣ على إعادة المهاجرين السودانيين والاريترين غير الشرعيين الى أوغندا كمرحلة أولى لخطة تنتهي باعادتهم إلى أوطانهم الأصلية وفي المقابل وافقت إسرائيل على تزويد أوغندا بقذائف المدفعية والهاون والعديد من المقاتلات، وبذلك تكون أوغندا قد ساعدت إسرائيل في ابعاد المهاجرين غير الشرعيين والذي يشكلون عبئاً كبيراً على الاقتصاد الإسرائيلي مما يشكل تهديداً للامن الداخلي وفي المقابل استخدم الجيش أوغندي الاسلحة الإسرائيلية لتدعيم قدراته العسكرية في مقابل السودان من جهة ومواجهه قوات جيش الرب من ناحية أخرى

1Thembisa Fakude, **Forty Years after Entebbe: A New Era of Israeli Relations with Uganda and Kenya**, (Doha, Al Jazeera Center for Studies, may 2016) PP.3-4

٢ ايمن السيد عبد الوهاب، مياه النيل في السياسة المصرية، ثلاثية التنمية والسياسة والميراث التراخي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦)، ص ٩٥.

ولتعزيز جهود التدخل في الصومال لمحاربة حركة شباب المجاهدين من ناحية ثالثة وذبذبت تكون اوغندا قد اخذت دور حائط الصد الاول ضد التحرك العربى والاسلام السياسى فى منطقة شرق أفريقيا.<sup>(١)</sup>

### ثالثا: علاقة أوغندا بدول الجوار

تسعى أوغندا للعب دور اقليمى مهيم فى منطقة شرق افريقيا<sup>٢</sup> حتى باتت الحليف الاستراتيجى الاول لكل من الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل فى المنطقة بدرجة أكبر من القوى الحليفة الأساسية فى المنطقة والمتمثلة فى كل من أثيوبيا وكينيا، وقد عمل موسيفينى منذ تولية الحكم فى أوغندا على اظهار نفسه باعتباره الداعم الرئيسى للاندماج الاقليمى وعمل على احياء مجموعة شرق افريقيا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد سعى للحصول على دعم الولايات المتحدة وتخفيف الضغوط الكبيرة على نظامه وتثبيت ذلك الدور الفاعل فى منطقة شرق افريقيا ومنابع النيل وهو مازهر جليا فى مفاوضات الاتفاقية الاطارية للتعاون فى حوض النيل.

وفى سبيل تحقيق ذلك قامت اوغندا بالتدخل فى أغلب النزاعات الموجودة فى دول الجوار فمن ناحية قامت بالتدخل فى الصومال عبر قوات حفظ السلام المنتشرة عبر بعثة الاتحاد الافريقى حيث تساهم أوغندا بحوالى ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ من قوات حفظ السلام وترى اوغندا انه لكى يتم هزيمة حركة الشباب المجاهدين يمكنها زيادة تلك الاعداد لتصل الى ٢٠٠٠٠ جندي، وبذلك فهى من ناحية تحاول المحافظة على المكاسب من وراء علاقاتها الطيبة بالولايات المتحدة ولعب دور فاعل بدل الحلفاء التقليديين فى منطقة شرق افريقيا ومن ناحية أخرى تستفيد اوغندا من الاموال التى تعود اليها فى مقابل تواجد قواتها فى الصومال فتحصل مقابل على كل جندي مقابل ٧٥٠ دولار شهرياً وهو ما يعد دعماً مالياً يقدر بحوالى ٣٦ مليون دولار سنوياً بالاضافة للمساعدات العسكرية الامريكية التى تصل

1Herman Butime, Shifts in Israel-Africa Relations , in **Strategic Assessment** (Tel aviv, The Institute for National Security Studies Vol. 17 , No. 3 ,Oct., 2014) PP., 84- 85.

٢ تقع منطقة شرق افريقيا كدائرة أولى للسياسة الخارجية الاوغندية وخاصة منطقة حوض النيل والتى ولا تقتصر على المفهوم العسكرى فحسب بل تمتد لتشمل الامن الاقتصادى والامن المائى لها خاصة مع تزايد السكان فى أوغندا للمزيد عن السياسة الخارجية الاوغندية أنظر :

<http://www.mofa.go.ug/data/smenu/70/Uganda's-Foreign-Policy,-Regional-and-International-Missions.html>

الى ٢٠٠ مليون دولار سنويا ومن ناحية ثالثة مواجهة تقدم الاسلام السياسى وهو ما يتفق مع موقفها من قضية انفصال جنوب السودان.<sup>(١)</sup>

ومن ناحية أخرى فقد أرتبطت أوغندا مع جنوب السودان بعلاقات وثيقة تاريخياً وتحديداً منذ قيام أوغندا بتقديم الدعم العسكرى والسياسى للحركة الشعبية لتحرير السودان أثناء الحرب الأهلية التي انتهت باستقلال جنوب السودان بغرض إضعاف قوى الاسلام السياسى فى السودان من ناحية ومواجهه نفوذ السودان المتنامى فى منطقة شرق افريقيا وسياساتها الخاصة بالامن المائى فى حوض النيل، إلا أن حالة عدم الاستقرار المتجددة فى جنوب السودان قد خلقت مخاوف أمنية جديدة لأوغندا. فقد كانت كمبالا تزعم لعدة سنوات أن لديها مصالح أمنية حقيقية فى جنوب السودان، وقد كان هذا صحيحاً إلى حد ما؛ لأن المجموعة المتمردة الأوغندية (جيش الرب الأوغندي) كانت لديها قواعد فى جنوب السودان تشن منها هجمات على شمال أوغندا. وقد تم الدفع بالجماعة المسلحة الآن إلى عمق جمهورية إفريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديمقراطية، لكن من الممكن أن يشكل عدم الاستقرار الحالى فى جنوب السودان وإرسال أوغندا لقوات لمساعدة الرئيس سلفاكير فضلاً عن تزايد الهوة الشعبية بين الرئيس يوري موسيفني وقائد المعارضة رياك مشار، الأمر الذى قد يكون مدعاة لعودة جيش الرب الأوغندي من جديد بدعم من المعارضة فى جنوب السودان.<sup>(٢)</sup>

وفى ذات السياق، تعد أوغندا إحدى دول الجوار التي دعمت قوات التمرد الكونغولية بغرض تأجيج النزاعات الإثنية فى الكونغو الديمقراطية وخاصة فى منطقة الشمال الشرقى وذلك منذ وصول لوران كابيلا الى الحكم والذي لعب دوراً فاعلاً فى إيواء القائمين على الإبادة الجماعية فى رواندا ضد جماعة التوتسي ودمجهم فى جيشة ومع مقاتليه وكذلك ساعدت أوغندا على تهريب الثروات المنهوبة من الكونغو عبر أراضيها وهو الامر الذى

1Joel D. Barkan , **Uganda assessing risks to stability**, (Washington ,DC, Center For Strategic and international studies ) P. 18

٢رشيد عبدى ، اوغندا ..السعى نحو الهيمنة الاقليمية ومحدوديات سياسة التدخل فى موقع الجزيرة بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٣ فى:

<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/04/201443104353190174.html>

أدى الى الاستياء من تصرف النظام الاوغندي وواجه انتقادات شديدة على المستوى الدولي.<sup>(١)</sup>

## المطلب الثاني : الإطار المؤسسي للنظام السياسي في أوغندا

### أولاً : سلطات الحكم في أوغندا

#### ١. السلطة التشريعية

تتمثل السلطة التشريعية في أوغندا في البرلمان الذي يتم انتخابه كل خمس سنوات تبدأ منذ انعقاد اول جلسة له بعد الانتخابات العامة وفي حالة الحرب والطوارئ والتي تمنع إجراء الانتخابات العامة يتم تمديد مدة البرلمان لمدة ستة أشهر فقط في كل مرة بموافقة ثلثي أعضاء البرلمان ، وقد حدد الفصل السادس من الدستور الأوغندي مهام البرلمان والتي تتكون من سلطة سن القوانين في أى مسألة تتعلق بالسلام والنظام والبيئة والحكم الرشيد في أوغندا ولا يجوز لأى جهة أو شخص غير البرلمان ان تكون له سلطة وضع احكام لها قوة القانون إلا بموجب قانون خاص من البرلمان ، كذلك يعمل البرلمان على حماية الدستور ويعزز الحكم الديمقراطي في أوغندا .<sup>(٢)</sup>

ويقوم البرلمان بممارسة مهمة في سن التشريعات والقوانين من خلال مشاريع القوانين التي يقرها البرلمان ويوافق عليها رئيس الجمهورية والذي يتعين عليه الرد على القانون المحال اليه في غضون ثلاثين يوماً من تاريخ تقديم مشروع القانون إليه سواء بالموافقة أو إعادة مشروع القانون لاجراء تعديلات عليه أو قيام الرئيس بالأخطار كتابة برفض مشروع القانون.

وفي حالة إعادة القانون مرتين من قبل الرئيس لإجراء تعديلات عليه يجوز للبرلمان تمرير القانون دون موافقة الرئيس عليه بموافقة ثلثي أعضاء البرلمان ويصبح مشروع القانون قانونياً دون موافقة الرئيس عليه.<sup>(٣)</sup>

١ حرب الكونغو الاهلية الدولية في :

<http://alasr.me/articles/view/4394>

2 The Constitution of Uganda, Article 77 – 80

3 Ibid., Article 91

## ٢. السلطة التنفيذية

حدد الدستور الأوغندي السلطة التنفيذية برئيس الجمهورية ونائب الرئيس ومجلس الوزراء وقد حدد الدستور مهام واختصاصات كل منهم بشكل دقيق وكيفية انتخاب الرئيس وإجراءات ومدة رئاسته.

حيث يكون على قمة السلطة التنفيذية رئيس الجمهورية والذي يتم انتخابه من قبل المواطنين عن طريق الاقتراع السري المباشر ولا يقل عمرة عن ٣٥ عاماً ولا يزيد عمرة عن ٧٥ عاماً وقت إجراء الانتخابات ولا يجوز لأي شخص التقدم لانتخابات الرئاسة إلا إذا قدم لمفوضية الانتخابات وثيقة مدعومة من مائة ناخب على الأقل من ثلثي مقاطعات في أوغندا، ولا يكون يفوز المرشح بالانتخابات إلا في حالة حصوله على أكثر من ٥٠% من الأصوات الصحيحة في الانتخابات إلا تجري إعادة خلال ثلاثون يوماً بعد إعلان النتائج.<sup>(١)</sup>

كذلك فقد نص الدستور على ضرورة وجود نائب للرئيس يتم اختياره من قبل رئيس الجمهورية بعد موافقة البرلمان عليه، وحل محل الرئيس عند الضرورة كذلك يقوم بتنفيذ المهام المكلف بها من قبل رئيس الجمهورية وفي حالة خلو منصب نائب الرئيس يتعين على الرئيس اختيار نائب آخر في غضون أربعة عشر يوماً بعد موافقة البرلمان.<sup>(٢)</sup>

أما عن مجلس الوزراء فيتكون من رئي الجمهورية ونائب الرئيس ومعا عدد ٢١ وزيراً حتى يتسنى للرئيس إدارة البلاد بكفاءة عالية وتكون مهام مجلس الوزراء تحديد وصياغة وتنفيذ سياسة الحكومة ، ويتم تعيين واختيار الوزراء من قبل رئيس الجمهورية وبموافقة البرلمان من بين أعضاء البرلمان أو الأشخاص المؤهلين لانتخابهم أعضاء في البرلمان ولا يجوز أن يتجاوز عدد الوزراء ٢١ وزيراً إلا بموافقة البرلمان.<sup>(٣)</sup>

## ٣. السلطة القضائية

نص الدستور الأوغندي على أهمية وضرورة استقلال القضاء بحيث تكون المحاكم مستقلة ولا تخضع لرقابة أو توجيه أي شخص أو سلطة، كذلك عدم جواز تدخل أي سلطة في عمل المحاكم أو القضاة خلال ممارسة عملهم، كذلك لا يجوز محاكمة القضاة أو مسائلتهم أمام أي جهة ويتمتعوا بالحصانة القانونية الكاملة.

1 Ibid., Article 98- 107

2 Ibid., Article 108

3 Ibid., Article 111- 114

ويتكون النظام القضائي الاوغندي من المحكمة العليا ثم محاكم الاستئناف والمحاكم الابتدائية المرتبط عملها بقضايا الزواج والطلاق والميراث والوصاية .<sup>(١)</sup>

## المطلب الثالث: الديناميات السياسية للنظام السياسي الأوغندي

### أولاً: خريطة الأحزاب السياسية في أوغندا

تعد نشأة الأحزاب السياسية حديثة العهد نسبياً في أوغندا إذ ترجع نشأة معظم الأحزاب السياسية في العقد الذي سبق الاستقلال في عام ١٩٦٢ ، وقد قامت أغلب تلك الأحزاب على أساس النزعة الدينية والاثنية والتوجهات الإقليمية بعيداً عن فكرة البعد الوطني، وهو ما أعلى الولاءات دون الوطنية على الولاء الوطني، وقد سجلت اللجنة العليا للانتخابات وفقاً لآخر انتخابات تم أجرائها في عام ٢٠١٦ وجود عدد ٢٩ حزباً سياسياً من أبرزها<sup>(٢)</sup>:

#### أ. المؤتمر الوطني الأوغندي Uganda National Congress

يعتبر أول حزب سياسي تأسس في أوغندا عام ١٩٥٢، حيث قام بتأسيسه مجموعة من الباجندا البروتستانت بزعامة فينر بروكوي والدكتور موازي ، وقد سعى الحزب لتكوين حركة سياسية واسعة الانتشار للمطالبة بالحكم الذاتي لجميع الجماعات الأثنية وتوحيد الشعب الأوغندي وتطوير النظام السياسي من التعيين إلى الانتخابات، وقد اكتسب الحزب قاعدته الشعبية داخل جماعة الباجندا .<sup>(٣)</sup>

#### ب. الحزب الديمقراطي Democratic Party

تأسس الحزب الديمقراطي عام ١٩٥٤ بزعامة جوزيف كازولو ويتكون من ملاك الأراضي الكاثوليك من الباجندا ولعل السبب الحقيقي وراء إنشاء الحزب هو الشعور الدائم

1 Ibid., Article 115- 117

٢ للمزيد عن الأحزاب المسجلة في أوغندا انظر موقع اللجنة الانتخابات الاوغندية

<http://www.ec.or.ug/?q=political-parties&page=2>

٣ أحمد الزروق أحمد الرشيد، مشكلة الاندماج الوطني في أوغندا ، رسالة دكتوراة ، (جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، ٢٠٠٦) ص ١٢٩



لدى الباجندا الكاثوليك بالظلم وعدم المساواة مع بنى جنسهم من البروتستانت المدعومين من الإدارة الاستعمارية وتتمثل مطالب الحزب فى الأساس فى المساواة والعدالة فى توزيع المناصب الرسمية بين الكاثوليك والبروتستانت. (١)

#### ت. الحزب التقدمى Progressive Party

تأسس الحزب فى عام ١٩٥٥ بواسطة عدد من المدرسين وأرباب العمل والمزارعين الميسورين من الباجندا البروتستانت الذين لم يجدوا مكاناً مناسباً لهم فى التسلسل الهرمى الحكومى بزعامة موليبيرا، وقد حصرت عضويته على المثقفين مما أفقده القاعدة الشعبية اللازمة للمنافسة السياسية، وكذلك لم يقدم الحزب حلاً للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها أوغندا. (٢)

#### ث. حزب مؤتمر الشعب الاوغندى Uganda People's Congress

منذ نشأة الحزب عام ١٩٦٠ على يد ميلتون أوبوتى وقد عمل على الدفاع على مصالح الزعماء التقليديين وكبار موظفى الدولة وعرف عن هذا الحزب مناهضته الدائمة للباجندا بصفة عامة رغم التحالف الذى تم بينه وبين حركة الكاباكا عقب الاستقلال مباشرة وتشكيل تحالف للفوز بأول انتخابات عقب الاستقلال، وقد تم إيقاف نشاط الحزب فى عام ١٩٨٠ إلا أنه عاد مرة أخرى للعمل ولإزال أوبوتى هو زعيم الحزب الوحيد حتى الآن. (٣)

#### ج. حركة المقاومة الوطنية National Resistance Movement

فى يناير ١٩٨٦ وعقب استيلاء يوري موسيفينى على السلطة بقيادته للحركة الوطنية للمقاومة فقد تم إنشاء نوع جديد من الديمقراطية عُرِفَت بديمقراطية الحركة أو الديمقراطية بدون أحزاب وقد أتاحت المشاركة السياسية عن طريق ما يعرف بسياسة الجدارة الفردية غير القائمة على التنافس الحزبى داخل الدولة وهى مرحلة جديدة مرت بها

١ حامد محمد المسلمى، دور الدين فى تكوين الاحزاب السياسية فى أوغندا، فى مجلة الشئون الافريقية، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، المجلد الرابع، العدد السادس عشر، أكتوبر ٢٠١٦) ص ٣٠-٣١

٢ أحمد الزروق امحمد الرشيد، مشكلة الاندماج الوطنى فى أوغندا .... م. س. ذ. ص ١٣٠

3 <http://www.janda.org/ICPP/ICPP2000/Countries/9-CentralEastAfrica/98-Uganda/98-Uganda63-00.htm>

أوغندا خلال الفترة من ١٩٨٦ وحتى ٢٠٠٦ وحتى إعادة التعددية الحزبية جنباً لجنب مع وجود حركة المقاومة الوطنية.<sup>(١)</sup>

### ثانياً: العملية الانتخابية في أوغندا

شهدت أوغندا العديد من العمليات الانتخابية منذ الاستقلال منها انتخابات عام ١٩٨٠، ١٩٩٦، ٢٠٠١، ٢٠٠٦، ٢٠١١، ٢٠١٦ إلا أن تلك الانتخابات يمكن تقسيمها إلى فترتين رئيسيتين الأولى منذ الاستقلال وحتى ٢٠٠٦، حيث لم تعرف البلاد فيها مفهوم التعددية الحزبية والتي تم حظر أى نشاط حزبي خلالها وتم تجميد الأنشطة الحزبية والنقابية، حتى دستور ١٩٩٥ والذي تم فيه حظر النشاط الحزبي صراحة وقد نص في المادة ١٦٩ منه على حظر الأنشطة الحزبية خلال السنوات الخمس حتى يتم إجراء استفتاء شعبي ليقرر العودة للتعددية الحزبية من عدمه وهو ما تم في استفتاء عام ٢٠٠٥.

وقد أسفرت جميع الانتخابات التي تمت منذ عام ٢٠٠٦ وحتى ٢٠١٦ فوز الرئيس يوري موسيفيني بالرئاسة طيلة الثلاثون عاماً الماضية فمُنذ ١٩٨٦ وحتى انتخابات ٢٠١٦، وقد شهدت أوغندا واحدة من أشد الانتخابات الرئاسية التي تمت في ١٤ يناير ٢٠٢١ منذ الاستقلال والتي شهدت التنافس بين عشرة مرشحين أبرزهم الرئيس الحالي لأوغندا يوري موسيفيني Yoweri Museveni (٧٦ عام) والذي يحكم أوغندا منذ أكثر من ٣٥ عاماً، ومطرب الراب والمشرع الشهير روبرت كياجولاني Robert Kyagulanyi والمعروف باسم بوبي واين (٣٤ عام)، وقد شهدت تلك الانتخابات تصويتاً تنافسياً بشكل غير متوقع عل الرغم من محاولات الحكومة الشرسة للتضييق على المعارضة وهو ما أثارت حفيظة المهتمين بالشأن الأوغندي.

وقد فاز يوري موسيفيني بالانتخابات بما يقرب من ٥٩ % من أصوات الناخبين، فيما حصد بوبي واين ٣٥ % من أصوات الناخبين بحسب مفوضية الانتخابات.<sup>(٢)</sup>

1 Giovanni M. Carbone, No Party Democracy? Political organization Under Movement Democracy in Uganda 1994-2000, Phd, ( London , London School of Economics and Political Science, 2001),P. 11

2 Uganda Elections 2021 Results: Bobi Wine vs Yoweri Museveni - Election Commission declare Ugandan President, Museveni winner of presidential vote at :

<https://www.bbc.com/pidgin/world-55656720>

وقد شهدت تلك الانتخابات من حملات ممنهجة للتضييق على المعارضة فمنذ بدأ الحملات الانتخابية للمرشحين في نوفمبر ٢٠٢٠ قامت قوات الامن بقمع واعتقال اعضاء امعارضة والصحفيين بمن فيهم المرشحين الرئيسيين بارتيك أموريات وروبرت كياجولاني (بوبي واين) الامر الذي أدى الى مقتل ٥٤ شخص على الأل جراء ذلك العنف . كذلك وقبل يومين من بدأ عملية الاقتراع في ١٤ يناير ٢٠٢١ قامت السلطات الاوغندية بقطع وسائل التواصل الاجتماعي في كافة أرجاء البلاد وكذلك منعت الوصول الى الانترنت في جميع الانحاء البلاد ولمدة خمسة أيام . وفي ١٦ يناير ٢٠٢١ أعلنت اللجنة العليا للانتخابات فوز الرئيس يوري موسيفيني ٧٦ عاماً بولايته السادسة كرئيس لأوغندا وفي اليوم التالي حاصرتالشرطة الاوغندية منزل المرشح بوبي واين ومنعوه من التواصل مع أى شخص خارج بيته كذلك منعت من الوصول الى مقر حزبه في كامبلا بزعم مواجهة اي خطط لمظاهرات عنيفة وأعمال شغب جماعية .<sup>(١)</sup>

---

1 <https://www.hrw.org/news/2021/01/21/uganda-elections-marred-violence#>

## وختاماً:

عانت أوغندا منذ الاستقلال وحتى الآن على الرغم من وجود أربعة دساتير تم وضعها في حقبة زمنية مختلفة إلا أن جميعها جاءت لتكبل حرية عملية تداول السلطة من خلال فرض نظام الحزب الواحد ومنع التعدد الحزبي بالبلاد وحظر أنشطة الأحزاب والتجمعات، وقد شهدت أوغندا توالي أنظمة حاكمة تتسم جميعها بالاستبدادية والدموية سواء في فترات حكم أوبوتي ثم تلاها مرحلة عيدي امين والتي تعد أكثر فترات البلاد دموية وإراقة لدماء أوغنديين وتدهوراً في الأحوال الاقتصادية والمعيشية .

وإجمالاً يمكن وصف مرحلة ما بعد الاستقلال في أوغندا بأنها افتقرت إلى الأساليب الديمقراطية كذلك افتقرت للبيئة السياسية والثقافية اللازمة لنجاح التعدد الحزبي بها، فكل نظام من الأنظمة الحاكمة بعد الاستقلال جاء ليبرر عملية القمع وتكبيد الحريات بضرورة العمل على الوحدة الوطنية والعمل من أجل مكافحة الفقر والمرض والجهل ، وقد عمل كل منهم إلى تمكين جماعته الأثنية وإغداق المناصب السياسية عليهم والعمل على تهميش دور باقي الجماعات الأخرى مما أثار الخلافات الأثنية .

حتى وجود الأحزاب السياسية المتنافسة في أوغندا فإنها لم تنشأ من أجل إعلاء المصلحة الوطنية وإنما جاءت من أجل الدفاع عن المصالح الدينية والأثنية لجماعات بعينها ولا تمثل كافة أطياف الشعب أوغندي ، وهو ما يعني عدم تحقق مبدأ تداول السلطة وفقاً لشروطه التي تعني ضرورة وجود التعددية الحزبية ، وإجراء انتخابات نزيهة مع وجود معارضة قوية تستطيع تكوين بديل قوى للسلطة الحالية وتستطيع تطبيق برنامجها حال وصولها إلى الحكم وهي الأمور التي أفقدتها أوغندا في مرحلة ما بعد الاستقلال وحتى الآن .

## قائمة المراجع

### مراجع باللغة العربية

#### أولاً : كتب

١. د.ايمن السيد عبد الوهاب، مياه النيل فى السياسة المصرية، ثلاثية التنمية والسياسة والميراث الترايخى( القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦)
٢. د. ابراهيم احمد نصر الدين ، دراسات فى النظم السياسية الأفريقية ( القاهرة، دار اكتشاف ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠)

#### ثانيا : مقالات

١. حامد محمد المسلمى، دور الدين فى تكوين الاحزاب السياسية فى أوغندا، فى مجلة الشؤون الافريقية،( القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، المجلد الرابع ، العدد السادس عشر، أكتوبر ٢٠١٦)
- ثالثاً : رسائل علمية وبحوث غير منشورة

١. أحمد الزروق أمحمد الرشيد، مشكلة الاندماج الوطنى فى أوغندا ، رسالة دكتوراه، (جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، قسم السياسة والاقتصاد، ٢٠٠٦)
٢. هالة جمال ثابت ، ظاهرة التحول الديمقراطى فى أوغندا : ١٩٨٦ - ١٩٩٦ دراسة تحليلية فى الاسباب والنتائج، رسالة ماجستير (جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية ، ١٩٩٩)

#### رابعاً : مصادر الانترنت

١. رشيد عبدى ، اوغندا ..السعى نحو الهيمنة الاقليمية ومحدوديات سياسة التدخل فى موقع الجزيرة بتاريخ ٣ ابريل ٢٠١٣ فى:

<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/04/201443104353190174.html>

٢. حرب الكونغو الاهلية الدولية فى :

<http://alasr.me/articles/view/4394>

مراجع باللغة الانجليزية

1. Chris Maina Peter and Fritz Kopsieker (eds), **Political Succession in East Africa - In Search for a Limited Leadership**, (Nairobi, Friedrich Ebert Stiftung, may 2006)
2. D.Barkan Joel, **Uganda assessing risks to stability**, (Washington ,DC, Center For Strategic and international studies)
3. Kiranda Yusuf and Kamp Mathias (eds), **The State of Multiparty Democracy in Uganda**, (Kampala, Konrad-Adenauer-Stiftung, Uganda Programme , 2010).
4. Parkes Laura, The Politics of 'Water Scarcity' in the Nile Basin: the Case of Egypt, in **Journal of Politics & International Studies** (Leeds , University of leeds ,Vol. 9, Summer 2013).
5. Butime Herman, Shifts in Israel-Africa Relations , in **Strategic Assessment**(Tel aviv, The Institute for National Security Studies Vol. 17 , No. 3 ,Oct., 2014).
6. Fakude Thembisa,, **Forty Years after Entebbe: A New Era of Israeli Relations with Uganda and Kenya**, (Doha, Al Jazeera Center for Studies, may 2016)
7. M.Carbone Giovanni, Political Parties in A" No Party Democracy 'Hegemony and Opposition Under 'Movement Democracy' in Uganda, in **Party Politics** , (London, SAGE Publications, Vol., 9 , No., 4, 2003).
8. Makara Sabiti, The Challenge of Building Strong Political Parties for Democratic Governance in Uganda: Does multiparty politics have a future?, in **Les Cahiers D' Afrique Del'est** , (Nairobi, IFRA - Institut Français de Recherche en Afrique , No., 41, 2009).
9. Okuku Juma Anthony , **Ethnicity, State Power and The Democratization Process in Uganda**, ( Braamfontien , Institute for Global Dialogue, IGD Occasional Paper NO., 33, May 2002).
10. Uganda Bureau of Statistics , 2002 Uganda Population and Housing Census **Analytical Report Population Composition**, October 2006.
11. Giovanni M. Carbone, **No Party Democracy? Political organization Under Movement Democracy in Uganda 1994-2000**, Phd, ( London , London School of Economics and Political Science, 2001)
12. <https://www.worldometers.info/world-population/population-by-country/>
13. <https://www.worldbank.org/en/country/uganda/overview>
14. [https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.asp?country\\_id=uganda](https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.asp?country_id=uganda)
15. <http://www.janda.org/ICPP/ICPP2000/Countries/9CentralEastAfrica/98-Uganda/98-Uganda63-00.htm>
16. <http://www.constitutionnet.org/ar/country/constitutional-history-uganda>

17. <http://www.globalsecurity.org/military/world/uganda/forrel-us.htm>
18. Arye Oded, Israeli- Ugandan Relations in the time of Idi Amin, in Jewish Political Studies Review, ( Jerusalem, ( Jerusalem Center for Public Affairs, October 2006) at: <http://jcpa.org/article/israeli-ugandan-relations-in-the-time-of-idi-amin/>
19. <http://www.mofa.go.ug/data/smenu/70/Uganda's-Foreign-Policy,Regional-and-International-Missions.html>
20. <http://www.ec.or.ug/?q=political-parties&page=2>
21. <http://www.janda.org/ICPP/ICPP2000/Countries/9CentralEastAfrica/98-Uganda/98-Uganda63-00.htm>
22. Uganda Elections 2021 Results: Bobi Wine vs Yoweri Museveni - Election Commission declare Ugandan President, Museveni winner of presidential vote at : <https://www.bbc.com/pidgin/world-55656720>
23. <https://www.hrw.org/news/2021/01/21/uganda-elections-marred-violence#>



## سياسة اللامركزية وتأثيرها على التنمية دراسة حالة رواندا منذ عام ٢٠٠١م

هدير أحمد شلبي  
باحث في الشؤون الإفريقية

### ملخص:

باتت اللامركزية بمثابة قيمة حاکمة في النظم السياسية المعاصرة، كما أن لها عدد من الوظائف للرفع من كفاءة أداء النظم السياسية ذاتها، فهي من ناحية تعمل على تخفيف العبء عن الحكومة المركزية، وكذلك توسيع صلاحيات المجالس المحلية مع الأخذ في الاعتبار للتباين بين الأقاليم والمناطق، وبعبارة أخرى كلما تحسن أداء المحليات وزادت فاعليتها كلما كانت أداة دعم للدولة وذلك لأن رضا المواطنين عن أداء الدولة هو مدخل شرعية النظام السياسي ككل.

واللامركزية في جوهرها تسعى لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الإفريقية المحلية، خاصة تلك المجتمعات التي مر مواطنوها بأزمات سياسية نتج عنها أزمات اجتماعية واقتصادية خطيرة مثل معاناة المجتمع الرواندي من آثار جسيمة مادية ومعنوية بعد الإبادة الجماعية، وإحداث التغيير كان لابد من وضع سياسة لها استراتيجيات واقعية تنظم علاقتهم وتنميتهم وتهيء طاقتهم وقواتهم للعمل الجماعي الموجه لإحداث التغيير في حياتهم سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي، ورغم أن الجدل الفكري حول طبيعة العلاقة بين اللامركزية والتنمية وأي منهما يسبق الآخر لم يحسم حتى الآن، إلا أن العلاقة بينهما تحدد حسب المنافع المختلفة المتوقعة من الأداء اللامركزي للكثير من مهام الحكومة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي.



## Abstect

Decentralization has become a ruling value in contemporary political systems, and it has a number of functions to raise the efficiency of the performance of political systems themselves. On the one hand, it works to reduce the burden on the central government, as well as expand the powers of local councils, taking into account the disparity between regions and regions, in the words Other, the better the performance of localities and their increased effectiveness, the more they are a support tool for the state, because citizens' satisfaction with the state's performance is the gateway to the legitimacy of the political system as a whole.

And decentralization in its essence seeks to solve the political, economic and social problems that afflict the local African societies, especially those societies whose citizens have gone through political crises that have resulted in serious social and economic crises such as the suffering of the Rwandan society from the severe material and moral effects after the genocide. Establishing a policy that has realistic strategies that regulate their relationship and their development and prepare their energy and forces for collective action directed at bringing about change in their lives, whether on the economic or social level, and although the intellectual debate about the nature of the relationship between decentralization and development and which one precedes the other has not yet been settled, the relationship between them is determined according to The various benefits expected from the decentralized performance of many government functions on the economic and social level.

## أولاً : المفاهيم المرتبطة بالدراسة ١ - مفهوم اللامركزية

لغويًا: اللامركزية هي عملية تحويل السلطة إلى الأقاليم والولايات، وجعلها تتمتع باستقلالية في تسيير شئونها الخاصة، وهي عكس المركزية. بينما اصطلاحياً: فتتكون من مصطلحين، المصطلح الأول هو تفكيك السلطة، وتعني قيام الإدارة المركزية بتفويض السلطة إلى إدارة بعيدة جغرافياً للقيام بمهام معينة، والمصطلح الثاني يتعلق بالتحويل وهو منح السلطة الدستورية بعض صلاحياتها للقيام بوظائف معينة<sup>(١)</sup>.

ورغم كثرة التعريفات الخاصة باللامركزية لكن هناك شبه اتفاق على كونها بمثابة ترتيب سياسي ينطوي على نقل سلطات محددة ومهام من الحكومة العليا إلى وحدات حكومية أدنى، وظهرت اللامركزية في إفريقيا منذ ستينيات القرن الماضي باعتبارها أداة تساعد دول القارة على إدارة شئونها بعد الاستقلال، ومع منتصف السبعينيات وبداية الثمانينيات، بدأت المؤسسات المانحة الدولية في تشجيع الدول حديثة الاستقلال لانتهاج اللامركزية لأهداف تنموية، ومع بداية عقد التسعينيات باتت المؤسسات المانحة تمارس الضغط على الدول النامية من خلال برامج التثبيت الهيكلي المشروطة للقيام بإصلاحات من شأنها دعم اللامركزية<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - مفهوم التنمية

على الرغم من كون معنى التنمية يأتي من النمو، والنمو هو الزيادة في الشيء، إلا أن البعض يقصر عملية التنمية على مجال معين كالمجال الاقتصادي، بينما البعض الآخر يرى أنها عملية شاملة لمختلف المجالات، وبذلك يكون تحديد المفهوم شامل لتلك الرؤية المتكاملة للعملية التنموية، وتزامناً مع الاهتمام بالإنسان بوصفه محور الأساس في التنمية ظهر مفهوم "تنمية المجتمع" وعرفته الأمم المتحدة بكونه العمليات التي يمكن من خلالها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات والمساهمة في تقدم المجتمع بالقدر المطلوب والاندماج فيه. ولأن الهدف هو الإنسان في حد

1 Chanchal, Kumar Sharma, "Decentralization Dilemma: Measuring the Degree and Evaluating the Outcomes", **The Indian Journal of Political Science** (Meerut: Indian Political Science Association, Vol. VII, No. 1, Jan-Mar., 2006) P. 53

2 John M. Cohen & Stephen B. Peterson: **Administrative Decentralization: Anew Frame Work for Improved Governance, Accountability, and Performance**, at: (<http://www.cid.harvard.edu/hiid.pdf>), pp. 1-7. (Accessed at 18/6/2019).

ذاته فيشمل البعد الإنساني للتنمية عناصر أساسية منها العدالة الاجتماعية وتظهر في عدالة حصول الأفراد على نفس الفرص، وأيضًا الاستدامة وضمان حصول الأفراد على تنمية مستمرة، كما وتشمل التمكين من خلال توفير وسائل ثقافية وتعليمية ليتمكن الأفراد من المشاركة في اتخاذ القرار والتحكم في الموارد التي تعينهم ليتمكنوا من رفع مستوى إنتاجيتهم<sup>(١)</sup>.

### ٣- تنمية المجتمع المحلي

المجتمع المحلي هو عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة جغرافية معينة، ويتفاعلون فيها مع بعضهم البعض أكثر من تفاعلهم مع الأفراد والجماعات الأخرى. كما أنه يجمعهم شعور الانتماء لمجتمعهم مما يخلق لديهم اهتمامات مشتركة بواجبات ومسؤوليات معينة<sup>(٢)</sup>. بينما التنمية المحلية هي عملية تهدف لتغيير المجتمعات المحدودة كالمجتمعات الإقليمية أو المحلية بحشد جهود أفراد المجتمع وطاقته مع جهود المؤسسات الحكومية المركزية، وتحقيق مبدأ التوازي مع الجهود التنموية المركزية للدولة والتي تقوم بالأساس على المبادرات الذاتية والمشاركة لأفراد المجتمع المحلي، لتشجيع القيادات المحلية من جانبها ودعم المنظمات المحلية وتشجيع التضامن بين أفراد المجتمع المحلي من أجل تغيير نوعية الحياة التي يعيشونها بتوفير الخدمات من تعليم وصحة وسكن وعمل مناسب وتكافؤ وتأمين اجتماعي<sup>(٣)</sup>.

ولأن قضايا الأمم المتحدة تخرج من رحم واحدة، فلا عجب أن تستند التنمية على تنفيذ قضايا تتطلب سياسات جديدة مثل اللامركزية، وهنالك علاقة وطيدة بين تطبيق اللامركزية بأبعادها وعملية تحقيق التنمية، فالتنمية أصبحت في ضوء تطورات القرن الحادي والعشرين لا تتم على المستوى الكلي للدولة، وإنما على المستوى المحلي الجزئي وكمثال وبالتطبيق على الحالة الرواندية نجد أنه بعد أن بدأت الحكومة الرواندية في إدخال

١ الأمم المتحدة، إعلان الحق في التنمية، متاح على الرابط التالي

[https://www.un.org/en/events/righttodevelopment/pdf/rtd\\_booklet\\_ar.pdf](https://www.un.org/en/events/righttodevelopment/pdf/rtd_booklet_ar.pdf)

٢ عثمان محمد غنيم، ماجدة أبو زنت، التنمية المستدامة : فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها،

(عمان: دار صفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٧)، ص ٣٠٤.

٣ ماهر فرحان، "تخطيط وتنمية المجتمعات المحلية في دول العالم الثالث: التنمية الماليزية نموذجًا"، مجلة

العلوم الاجتماعية، العدد ١٨ يونيو ٢٠١٤، ص ١١٥.

برنامج اللامركزية على مراحل في جميع أنحاء البلاد من خلال برنامج يهدف إلى مكافحة استغلال المواطنين وتهميشهم - المحرك الرئيسي للإبادة الجماعية في عام ١٩٩٤ - من خلال المشاركة على نطاق واسع في تخطيط التنمية المحلية، ونجد أن رواندا نجحت في إحراز تقدماً منذ بدء عملية اللامركزية في عام ٢٠٠١، كما أن الحكومة المحلية باتت تتمتع بمجموعة غير مسبقة من الكفاءات والموارد.

### ثانياً: الهيكل التنظيمي للامركزية في رواندا منذ عام ٢٠٠١

رواندا جمهورية ديمقراطية لها نطاقان حكوميان أحدهما مركزي والآخر محلي، والحكم المحلي منصوص عليه في الفصل الأول المادة ١٦٧ من الدستور حسب تعديل عام ٢٠٠٥، كما و أصدرت رواندا قانوناً في ديسمبر ٢٠٠٥ يحدد الوحدات الإدارية لجمهورية رواندا، و من قبل ذلك في أغسطس من نفس العام وفرت الأساس القانوني لسياسة الإصلاح الإداري المحلي، وتتكون رواندا من ستة كيانات إدارية: الحكومة المركزية، المقاطعة (Intara)، المناطق (Akarere)، القطاع (Umurenge)، الخلية (Akagari)، والقرية (Umudugudu). كما يعتبر أكبر كيان إداري هو المقاطعة في حين أن القرية تعتبر أصغر وأقل وحدة، وهناك أربع مقاطعات سميت بمواقعها الجغرافية وهم: الشمال والجنوب والغرب والشرق بالإضافة لمدينة كيغالي<sup>(١)</sup>.

وتسترشد الوحدة الإدارية بمبدأ التبعية، حيث تكون الحكومة الوطنية مسؤولة عن صياغة السياسة، وتعبئة الموارد، وبناء القدرات، وكذلك مراقبة وتقييم السياسات، بينما المقاطعة و مدينة كيغالي مسئولتان عن تنسيق وتخطيط تنمية المناطق بما يتماشى مع السياسات والبرامج الوطنية، والإشراف على تنفيذ السياسة الوطنية في المقاطعات الخاضعة لولايتها، وتنسيق قضايا الحوكمة، وكذلك رصد وتقييم التطور. كما يتم تكليف المقاطعة بتسهيل عملية التنمية الاقتصادية المحلية وتخطيط وتنسيق تقديم الخدمات، في حين أن القطاع هو مركز التنسيق لتقديم الخدمات المحلية كما أنه مكلف أيضاً بتنسيق التنمية المجتمعية التشاركية وجمع البيانات الإحصائية. بينما الخلية مسؤولة عن تقييم وتحديد

1 Governance and Decentralization Sector, **Strategic Plan 2014-2017**, (Kigali, July, 2013), p.12:20.

أولويات واحتياجات التنمية المحلية وتعبئة العمل المجتمعي، وفي الوقت نفسه فإنها مسؤولة عن بناء التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع<sup>(١)</sup>.

### مجالس الحكومة المحلية:

تشرف وزارة الحكم المحلي على السلطات المحلية، والحكومة المحلية في رواندا لديها أربعة مستويات، حيث تم تقسيم رواندا الى ثلاثون مقاطعة والتي تشكل السلطات المحلية الأولية، وكذلك القطاعات والخلايا والقرى<sup>(٢)</sup> وهي كالاتي:

(١) مجلس المقاطعة: وهو بمثابة هيئة صنع القرار والهيئة التشريعية على مستوى المقاطعة، كما أنه السلطة التي يمكن للشعب من خلالها ممارسة صلاحيات اتخاذ القرار والتخطيط من خلال ممثليهم لتحديد تطور المنطقة من أجل الشفافية والشمولية، ويجب أن يكون رئيس مجلس المنطقة شخصاً مختلفاً عن رئيس البلدية، كما يتم تحديد كل مجلس من خلال عدد القطاعات داخل حدوده، وكل قطاع يقدم ممثلاً للمجلس وبالإضافة لذلك هناك أربعة مقاعد مخصصة لتمثيل المجموعات المهمشة، وثلاثة مقاعد للمجلس الوطني للشباب وواحد لمنسق المقاطعات للمجلس الوطني للمرأة. وتقوم اللجنة التنفيذية بإدارة المقاطعة بشؤونها اليومية للمنطقة، فهي بمثابة نقطة الاتصال بين المقيمين في المنطقة وأعضاء مجلسهم المنتخبين بشأن مسائل تقديم الخدمات<sup>(٣)</sup>.

(٢) مجلس القطاع: وهو جهاز يبت في عملية اتخاذ القرار السياسي، ويتم انتخابه من قبل جميع سكان القطاع الذين تزيد أعمارهم عن ثمان عشرة سنة، ويتم تحديد عدد أعضاء المجلس من خلال عدد الخلايا داخل حدوده، وتشمل مهام المجلس في الموافقة على الخطط القطاعية وبرامج العمل وضمان تنفيذها. وهناك أيضاً لجنة تنفيذية قطاعية تتألف من اثني عشر عضواً من المجلس، وهي مسؤولة عن الإدارة اليومية وتنفيذ قرارات

1 Country Profile, The Local Government System In Rwanda, Country Profile 2017–2018. P.2.

[http://www.clgf.org.uk/default/assets/File/Country\\_profiles/Rwanda.pdf](http://www.clgf.org.uk/default/assets/File/Country_profiles/Rwanda.pdf)

2 Republic of Rwanda, Administrative Structure, available at <https://www.gov.rw/government/administrative-structure>

3 79. Ralga & Clgf, **Local Democracy And Local Governance: Benchmarking Rwanda Against The Aberdeen Principles**, (Kigali: Ministry of Local Government, April, 2013)

وخطط المجلس، ويتم توفير الدعم الفني للمجلس من قبل لجنتين فرعيتين، هما اللجنة السياسية والإدارية للقطاع، ولجنة تنمية المجتمع المحلي<sup>(١)</sup>.

(٣) الخلايا: ويتم انتخاب المجالس الخلوية لمدة خمس سنوات لتحديد القضايا ومناقشتها وتحديد أولوياتها واتخاذ القرارات بالنيابة عن جمهور الناخبين، وتتألف اللجنة التنفيذية للخلية من السكرتير التنفيذي وسكرتير مسؤول عن تنسيق التطورات الاجتماعية، والموظفون المسؤولون عن الإدارة وتنمية المجتمع، بما في ذلك الإدارة اليومية للخلية وتنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس الخلية. وتعمل الخلية التنفيذية من خلال لجناتها الفنية وتسمى بـ"لجنة تنمية مجتمع الخلايا" لتحديد الاحتياجات وتحديد الأولويات ووضع خطط التنمية وتعبئة الموارد الإنمائية<sup>(٢)</sup>.

(٤) القرى: وتعتبر القرية أدنى كيان إداري في رواندا، وتتكون من لجان منتخبة لمدة خمس سنوات لتحديد القضايا ومناقشتها وتحديد أولوياتها واتخاذ القرارات نيابة عن جمهور الناخبين، ويتم انتخاب أعضاء سلطة القرية من قبل جميع السكان البالغين في القرية. وتتألف سلطة القرية من لجنة تضم خمسة أعضاء وهم رئيس القرية وعضو التنمية والشؤون الاجتماعية وعضو في الأمن وعضو لشؤون الشباب وعضو لشؤون المرأة. كما أن موظفي السلطة القروية مسؤولون عن الإدارة وتنمية المجتمع، بما في ذلك الإدارة اليومية للقرية وتنفيذ القرارات التي يتخذها مجلس القرية نيابة عن جميع المقيمين<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً : مراحل تطبيق اللامركزية في رواندا منذ عام ٢٠٠١

تعتبر اللامركزية هي أداة للتمكين السياسي للشعب، ومنصة لتحقيق الديمقراطية المستدامة، كما تعد بمثابة ترتيب هيكلي لتعبئة مبادرات وموارد التنمية الاقتصادية، بالإضافة

1 Idem.

2 The Republic Of Rwanda , Law N°87/2013 OF 11/09/2013 Determining The Organisation And Functioning Of Decentralized Administrative Entities <http://extwprlegs1.fao.org/docs/pdf/RWA131819.pdf>

3 The Republic Of Rwanda , Law N°87/2013 OF 11/09/2013 Determining The Organisation And Functioning Of Decentralized Administrative Entities, p.15. <http://extwprlegs1.fao.org/docs/pdf/RWA131819.pdf>

إلى أنها وسيلة للمصالحة والرفاه الاجتماعي والاقتصادي، ولهذا جاءت خطة تطبيق سياسة اللامركزية في رواندا مبنية على ثلاث مراحل متتالية بدأت منذ عام ٢٠٠١.

### المرحلة الأولى (٢٠٠٥-٢٠٠١)

هدفت المرحلة الأولى إلى إضفاء الطابع المؤسسي على الإدارة اللامركزية عن طريق صياغة السياسات والأطر القانونية، ووضع الهياكل الإدارية، والنظم، والآليات الضرورية، ووضع الجهود الفعالة لبناء القدرات المؤسسية والبشرية والتي تستهدف القادة المنتخبين والقادة الفنيين، مع توعية المواطنين بشأن الجوانب القانونية والإدارية للحكومة اللامركزية. وتمت صياغة أطر السياسات والتشريعات ذات الصلة، وتم إنشاء صندوق تنمية رأس المال (CDF) وإجراء انتخابات ديمقراطية للمنتخبين المحليين خلال هذه المرحلة<sup>(١)</sup>.

### المرحلة الثانية (٢٠١٠-٢٠٠٦)

بينما هدفت المرحلة الثانية إلى إضفاء الطابع المؤسسي على الإدارة المحلية اللامركزية من خلال الوفاء بوعودها للمواطنين، وذلك من خلال التركيز على تعزيز تقديم الخدمات العامة. و تغلبت على معظم الثغرات والدروس المستفادة من تنفيذ المرحلة الأولى باعتبارها الأساس البناء لتعزيز خطة تنفيذ السياسات والاستراتيجية في المرحلة الثانية<sup>(٢)</sup>. وكان الناتج الرئيسي لهذه المرحلة هو تطوير إطار قانوني مناسب وتم ذلك من خلال:

١. التسهيلات لزيادة مشاركة المواطنين في صنع القرار، وتخطيط وتنفيذ برامجهم ومشاريعهم التنموية.
٢. تسهيلات لزيادة تخصيص الموارد للهيئات والوحدات المحلية والهياكل الشعبية لمعالجة الفقر، وزيادة القدرات الإنتاجية للمجتمعات المحلية، وتعزيز سهولة توصيل الخدمات الصحية، والتعليم، والمعلومات، وقبل كل شيء التعامل مع الجوع وانعدام الأمن الغذائي.

1 Ministry of Local Government, **Decentralization Implementation Plan (Dip) 2011-2015**, Kigali, January 2011. P.7.

2 Republic of Rwanda, **3years Capacity Building Strategy from local Governments 2011-2015**, (ministry of local Government, Kigali, December, 2010).

٣. إعطاء روابط أكبر للإصلاحات السياسية والاجتماعية والقضائية والإدارية والاقتصادية، والتي تسمح بتنسيق أفضل لتدخلات أصحاب المصلحة في أنشطة اللامركزية لإيجاد التآزر الإنمائي، والمساعدة على زيادة القدرات لإدارة عملية الإصلاح<sup>(١)</sup>.

وأهم ما يميز تلك المرحلة هو صياغة رؤية ٢٠٢٠، فمنذ عام ٢٠٠٠ وقد حرص الدستور الرواندي بالاهتمام بالجانب التكنولوجي والمعلوماتي ورقمية الاقتصاد وكان ذلك من خلال مشروع إصلاح أطلق عليه "رؤية ٢٠٢٠"، حيث تسعى رؤية ٢٠٢٠ لتحويل رواندا لدولة متوسطة الدخل بحلول عام ٢٠٢٠ مما يتطلب رفع الدخل السنوي للفرد من ٢٩٠ دولار عام ٢٠٠٠ لـ ٩٠٠ دولار عام ٢٠٢٠، وخفض نسبة الفقر من ٦٤٪ في عام ٢٠٠٠ إلى ٣٠٪ سنة ٢٠٢٠، ورغم محدودية الموارد الطبيعية والبشرية لرواندا إلا أنه تعتبر القضايا المتعلقة بتحقيق الاستقرار الاقتصادي بل وتقليل الحد من الاعتماد على المساعدات الخارجية وتنمية الصادرات قضايا أساسية في الرؤية<sup>(٢)</sup>.

#### المرحلة الثالثة (٢٠١١:٢٠١٨)

هدفت تلك المرحلة إلى تعزيز آليات صنع القرار في الإدارة العامة، فركزت على اللامركزية في نطاق واسع لتعزيز التنمية المحلية وتعزيز قدرة وحدات التفويض المحلية للحكم المحلي - المقاطعة والقطاع والخلية والقرية-، على تنفيذ الإطار الاستراتيجي لرواندا اللامركزية (RDSF) Rwanda Decentralization Strategic Framework.

وتم تطوير الـ (RDSF) في عام ٢٠٠٧ كنتاج من المرحلة الثانية وتم تحديد ثمانية نقاط للاستراتيجية وهم الملكية الوطنية للامركزية والشراكات الفاعلة من خلال موازنة وتنسيق تنفيذ سياسة اللامركزية، مع مشاركة المواطنين في الحوكمة وعمليات صنع القرار، والشفافية والمساءلة، والكفاءة والفاعلية في تقديم الخدمات، واللامركزية المالية، وذلك بالتوافق مع الروابط المستدامة بين اللامركزية والحد من الفقر، وأخيراً وضع

1 Ministry of Local Government, **Decentralization Implementation Plan (Dip) 2011-2015**, Kigali, January 2011., p.9.

2 Republic of Rwanda, **Rwanda Vision 2020**, 2012. P, 9. [http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/Vision\\_2020\\_.pdf](http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/Vision_2020_.pdf)



نظام لرصد وتقييم وإدارة المعلومات من خلال تحقيق الأولويات الاستراتيجية الموضوعية تحت كل نقطة وتستخدم الـ RDSF الأغراض الرئيسة الأربعة التالية:

١. تحديد أهداف ورؤية وأولويات حكومة رواندا لتنفيذ سياسة اللامركزية في رواندا.

٢. إنجازات اللامركزية الرئيسة منذ بدء العملية، وكذلك التحديات الحالية والقضايا المتعلقة.

٣. توفير المجالات الاستراتيجية التي سيرتكز فيها رد الفعل فيما بعد على الجهود الإلكترونية من أجل الدمج الناجح لسياسة اللامركزية.

٤. وصف ترتيبات الإدارة النوعية التي سيتم وضعها من أجل التنفيذ الدقيق للسياسة وخطط تنفيذ اللامركزية<sup>(١)</sup>.

### رابعاً : ممارسات اللامركزية في رواندا منذ عام ٢٠٠١م أ- على المستوى الاقتصادي

#### ١. استراتيجية رواندا الاقتصادية للحد من الفقر

اتبعت رواندا استراتيجية للحد من الفقر منذ ٢٠١٣ إلى ٢٠١٨ وحققت تقدماً جيداً على مدار العقدين الماضيين بالرغم من حجم التحديات الهائلة التي واجهتها في أعقاب حدوث إبادة جماعية دمرت النسيج الاجتماعي والاقتصادي للبلد بأكمله. وقد استفاد الروانديون من النمو الاقتصادي السريع، وخفض معدلات الفقر وحققوا مزيداً من المساواة، وتمثل ذلك من خلال زيادة فرص الوصول إلى الخدمات، بما في ذلك الصحة والتعليم. ولم يكن هذا ممكناً إلا من خلال تحقيق صيغة اجتماعية توافقية حول أهمية الالتفات للتنمية في رواندا وأهمية ربط أي مؤشر إيجابي داخلي بالبيئة الخارجية لتحقيق أعلى مؤشرات تضمن خلق فرص جيدة للمساعدة في تطوير شكل ونمط الاقتصاد الرواندي. فتبنت الحكومة الرواندية رؤية إنمائية نحو ٢٠٢٠ يمكن تحقيقها من خلال تحركات على المستوى الإقليمي، وذلك من خلال تفعيل آليات غابت عن المجتمع الرواندي، وتلك الآليات وضعت حجر أساس لما أسماه الاستراتيجية الاقتصادية للحد من الفقر (EDPRS2) من خلال خلق

1 Decentralization Implementation Plan (DIP) 2011-2015, op.cit., p.7.

مجتمع قادر على مواجهة التحديات الداخلية في إطار علاج بعض العراقيل التي في تخطيها يعد مؤشراً للقدرة على تنافسية عالمية واعية<sup>(١)</sup>.

ووضعت رواندا نمط التحديات التي تواجهها في ثلاثة محاور رئيسية:

١- منصة لتطوير المجتمعات المشاركة من أجل وضع حلول اجتماعية و محلية.

٢- تطوير المهارات واستغلال الكفاءات وتحفيز الشباب نحو الإنتاجية.

٣- ربط المؤشرات الداخلية الحقيقية بمؤشرات المنظمات العالمية.

كما أن أهم ما أشارت إليه استراتيجية التنمية الاقتصادية والحد من الفقر كان قومية المبادرات المحلية، بالإضافة للتعاون والاتصال المباشر مع الشعب من خلال قنوات محلية ومن خلال تحفيزهم عن طريق الحلول الفعلية والملموسة في كل من برامج الصحة، التعليم، وتكثيف المحاصيل الزراعية. هذا وبالإضافة إلى استخدام حلول تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لصياغة مناخ استثماري يركز على الحلول التكنولوجية وتطويرها مثل التسجيل الإلكتروني للشركات والمؤسسات، والاستعلام الإلكتروني للضرائب ودفعها.<sup>(٢)</sup>

## ٢. نظرية التركيز الجغرافي في استراتيجية التحول الاقتصادي

تستهدف هذه النظرية المناطق الجغرافية ذات الأولوية للاستثمار وسياسات ترويج الصادرات، ويمكن تقسيم نظرية التركيز الجغرافي لاستراتيجية رواندا للحد من الفقر والتحول الاقتصادي إلى ثلاث فئات و هي:

### (أ) على المستوى المحلي

إعادة تشكيل الجغرافيا الاقتصادية للحضر واقتصاديات التنمية في رواندا، وقد تم اختيار أقطاب جغرافية للاستثمار على أساس تقييم شامل للإمكانيات الاقتصادية للمدن الرئيسة المختارة<sup>(٣)</sup>.

### (ب) على المستوى الإقليمي

ترتكز استراتيجية التحول الاقتصادي على توسيع نطاقها خارج إقليم الدولة من خلال الانطلاق نحو منطقة شرق إفريقيا التي ستعد واحدة من أسرع المناطق نمواً في العالم

1 The Republic of Rwanda & EDPRS2, **Economic Development and Poverty Reduction Strategy II 2013-2018**, (Kigali: May 2013). P.١.  
[http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/EDPRS\\_2.pdf](http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/EDPRS_2.pdf)

2 Ibid., p. 4.

3 Ibid., p. 20.

على مدار السنوات القادمة، لذلك إن (EDPRS 2) تعطي الأولوية للتكامل الإقليمي الأعمق داخل منظمة شرق إفريقيا (EAC)، وتركز الاستثمارات على زيادة التواصل الاقتصادي في رواندا مع جمهورية الكونغو الديمقراطية<sup>(١)</sup>.

#### (ج) على المستوى العالمي

أصدرت الحكومة الرواندية قراراً استراتيجياً بموجب استراتيجية التحول الاقتصادي و (EDPRS 2) خاص بتعميق الاستثمار والتصدير لتعزيز العلاقات مع منطقة الشرق الأوسط وجنوب آسيا، مع الاستمرار في الاستثمار في العلاقات المتنامية مع المراكز المالية الحالية. وهذا التركيز الجغرافي سيساعد على التنوع وتجميع وجهة صادرات رواندا بين الاستثمار الأجنبي المباشر وتوسعه<sup>(٢)</sup>.

#### ب- على المستوى الاجتماعي

في رواندا تم تسخير رأس المال الاجتماعي وتطويره ليصبح فلسفة سميت بـ "Ubudehe" أي فلسفة العمل الجماعي المحلي والتي تعمل على مستوى القرية، وبالتالي فهي تضمن المشاركة النشطة للمجتمع بدايةً من مرحلة تحديد التحديات والحلول الممكنة، وصولاً لتحديد الأولويات لتشريع في تنفيذها. وفي معظم الحالات يكون التنفيذ مكملاً لبرنامج التنمية المحلية كثيف العمالة، والذي يخلق العمل للمواطنين المحليين عبر مجموعة من المشاريع، وبالتالي فإن حكومة رواندا هي عامل تمكين يوفر بيئة للحقوق والالتزامات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمشاركة المواطنين<sup>(٣)</sup>. ويتم ذلك من خلال العمل الجماعي المحلي الذي يسعى إلى تعزيز العملية الديمقراطية والحكم بدءاً من تطلعات الناس وقدراتهم وتقاليدهم، ومن بين المشاريع التي نفذت مايلي:

#### ١. برنامج دعم الفقراء:

وهو بمثابة نظام رواندي للتعاون داخل المجتمع على أساس الأعمال الجماعية والفردية، و تم إطلاقه وتنفيذه من قبل السكان أنفسهم على مستوى الكيان الإداري

1 Idem.

2 The Republic of Rwanda & EDPRS2, **Economic Development and Poverty Reduction Strategy II 2013-2018**, (Kigali: May 2013).p.35.  
[http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/EDPRS\\_2.pdf](http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDPR/EDPRS_2.pdf)

3 Republic of Rwanda & Ministry of Local Government, "Local Democracy and Local Governance: Benchmarking Rwanda against the Aberdeen Principles", **RALGA & CLGF**, Kigali, April 2013. p. 53.

اللامركزي الأقرب لهم، والذي كان قبل نهاية عام ٢٠٠٦ الخلية ثم أصبح بعد ذلك القرية، وفي هذا النظام يختار السكان الذين يعيشون في نفس القرية أفقر شخص فيهم ليستفيد من مبلغ صغير من المال يقوموا بتجميعه ليمول مشروع يتم اختياره ليكون بمثابة مصدر دخل له، وفي حقيقة الأمر هذا النظام نجح في انتشار عدد كبير من الناس من هاوية الفقر والوصول بهم لوضع اقتصادي أفضل<sup>(١)</sup>.

#### ٢. برنامج بقرة واحدة لكل أسرة فقيرة:

هو برنامج هدفه أن يكون هناك بقرة واحدة لكل أسرة فقيرة، بهدف تسريع عملية الحد من الفقر بين الأسر الفقيرة والضعيفة، وبدأ هذا البرنامج بدعم من حكومة رواندا وشركاء التنمية والأفراد ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص، وفيه يتم تجميع قائمة بالمحتاجين من قبل الجمعية العامة للقرية، ويتمتع البرنامج بالعديد من الفوائد مثل سرعة وتيرة عملية الحد من الفقر، وتعزيز الوئام الاجتماعي، ودعم ثقافة المشاركة في مكافحة الفقر، باختصار يساهم هذا البرنامج بشكل كبير في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلد<sup>(٢)</sup>.

#### ٣. برنامج المأوى اللائق:

الغرض من هذا البرنامج هو تزويد الفقراء بمأوى لائق عن طريق بناء سكن أفضل لهم، وبدأ البرنامج بالبحث عن الأشخاص الذين لا مأوى لهم أو هؤلاء الذين يعيشون في مأوى فقير خاصة المأوى المغطى بالقش، وتعتبر بداية البرنامج متزامنة مع بداية السياسة الوطنية لدعم الفقراء، حيث قامت سلطات الحكومات المحلية بتعبئة وتنظيم المجتمعات المحلية لدعم الفقراء الذين يعيشون في ظروف سكنية سيئة وتستكمل الحكومة المركزية جهود الحكومة المحلية من خلال توفير جزء من ميزانيتها للبرنامج<sup>(٣)</sup>.

#### ٤. العمل المجتمعي (الأومينغاندا):

هي ممارسة ترجع للتقاليد الرواندية القديمة، حيث كان أفراد المجتمع يدعون أسرهم والأصدقاء والجيران لمساعدتهم على إكمال مهمة صعبة في أنشطة من ذلك الحين. على سبيل المثال، الزراعة لأولئك الذين كانوا غير قادرين على القيام بذلك بسبب الإعاقة الجسدية أو الشيخوخة، وبناء المنازل للفقراء وتوفير وسائل النقل إلى المرافق الطبية

1 Idem.

2 Ibid., p. 54.

3 Idem.

لأولئك الذين كانوا في حاجة لمساعدة<sup>(١)</sup>.

ومفهوم الأومينغاندا ينشأ من كلمة كينيارواندا التي تعني الغابة المستخدمة في بناء بيت تقليدي، ويمكن ترجمتها على أنها "تأتي معاً في هدف مشترك لتحقيق نتيجة". و أعادت حكومة رواندا إقامة أومينغاندا كواحدة من الحلول لتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتشجيع استخدام ثقافة إدارة الموارد في تخفيف آثار الموارد النادرة على النحو المستهدف في رؤية 2020.

وبموجب القانون يشارك فيها الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨-٦٥ سنة وتكون بشكل إلزامي، وما دون أو أكثر من ذلك تكون اختيارية، كما أنه من الممكن أن يشارك فيها أي شخص آخر غير رواندي الجنسية<sup>(٢)</sup>.

وكمبادرة من السكان الأصليين كانت الأومينغاندا وما زالت تعتبر أمراً حاسماً بالنسبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وهي تمثل فكرة المساعدات المتبادلة، والمسؤولية الاجتماعية المتبادلة، والالتزام الاجتماعي، والمساعدة الذاتية، والاستراتيجيات التقليدية للتنمية، كما أنها تساهم في حماية البيئة من خلال مكافحة قطع الأشجار كما تشجع من زراعتها، وأيضاً تطوير وبناء وصيانة البنية التحتية المختلفة مثل الطرق ومنازل الأشخاص الضعفاء والمكاتب العامة والمراكز الصحية والمدارس<sup>(٣)</sup>.

كما أنها تساهم في الوحدة والمصالحة من خلال التحكيم في الصراعات بين المواطنين، كما عززت الأومينغاندا أيضاً من التماسك بين الأفراد من ذوي الخلفيات المختلفة، هذا وبالإضافة إلى أنها توفر للمجتمع فرصة للتعبير عن احتياجاتهم والتعبير عن آرائهم حول مختلف القضايا، فيما يلي أمثلة على ذلك:

• تطوير البنية التحتية: فقد ساهمت في تقديم الدعم لتنفيذ العديد من المشروعات، كتوصيل امدادات المياه، وبناء فصول دراسية جديدة، وبناء النصب التذكارية الخاصة بذكرى

1 Penine Uwimbabazi, "Analysis of Umuganda: The Policy and Practice of Community Work in Rwanda", (South Africa: College of Humanities at the University of KwaZulu-Natal, Pietermaritzburg, September.2012) P.2.

2 Ibid., p.3.

٣ بيرت أرنتشر، " قصة المدينة التي أصبحت "الأكثر جاذبية وأماناً في إفريقيا بعد حرب أهلية مروعة"، بي بي سي، يناير ٢٠٢٠. متاح على الرابط التالي: <https://www.bbc.com/arabic/vert-fut-51024379>

الإبادة الجماعية، وصيانة الطرق ومكافحة تآكل التربة وغرس الأشجار وإصلاح المكاتب الإدارية وغيرها<sup>(١)</sup>.

- أسبوع الجيش: ساهمت الأومينغاندا في إقامة علاقة جيدة بين الجيش والمواطنين، فكانت واحدة من الابتكارات التي أدخلت في ممارسات الأومينغاندا هي مشاركة وزارة الدفاع في العمل المجتمعي، وسمي بـ "أسبوع الجيش" وتم فيه علاج عيون ما يقرب من ٢٢٦٦ شخص، وأسنان حوالي ١٣ ألف شخص، وبناء ١٠٩٨ منزل لمن ليس لهم مأوى<sup>(٢)</sup>.
- حماية البيئة: إلى حد كبير ترتبط معظم ممارسات الأومينغاندا بحماية البيئة، فالناس يشاركون في تنظيف الشوارع، وقطع وتقليم وزرع الأشجار على جانبي الطرق، وحماية ضفاف النهر، ويعلن دائماً الرئيس الرواندي "بول كاغامبي" أن الأومينغاندا هي فكرة للحفاظ على نظافة البلد، مما يجعل هناك مجتمعات متحضرة قادرة على مواكبة التنمية، كما أنها تساهم في تعزيز عملية الانسجام بين السكان مرة أخرى، مع تقديم فرصة لإعادة التكاتف والتضامن الاجتماعي بين الروانديين مرة ثانية<sup>(٣)</sup>.

---

1 Rwanda Governance Board, "Umuganda", accessed on 09 May 2019, <http://www.rgb.rw/index.php?id=37>

2 MINADEP, **Army week report**, 2011. P.5. accessed on 10 May 2019., [http://www.rgb.rw/fileadmin/Key\\_documents/HGS/UMUGANDA\\_2017.pdf](http://www.rgb.rw/fileadmin/Key_documents/HGS/UMUGANDA_2017.pdf)

3 RGB, "Assessment of the impact of Home Grown Initiatives", 2014. p.78. [http://www.rgb.rw/fileadmin/Key\\_documents/Impact\\_of\\_Home\\_Grown\\_Initiative\\_2014.pdf](http://www.rgb.rw/fileadmin/Key_documents/Impact_of_Home_Grown_Initiative_2014.pdf)

## خاتمة

بناءً على ماسبق يتضح أن نجاح اللامركزية في التنمية يحتاج لبعض العناصر منها وجود مصالح محلية ذاتية تتمتع بالشخصية المعنوية، وأيضاً تنظيم مجالس محلية إدارية مستقلة تنتخب من بين النخب المسجلين في المنطقة ومن قبل هؤلاء النخب، بحيث لا تخضع أجهزة السلطة المحلية لرقابة مشددة من قبل السلطة المركزية، حتى تضفي شيء من الاستقلال الذاتي غير المطلق، ولهذا نجد أن رواندا قد خططت خطوات جيدة في ذلك فهي نجحت في الإقتراب من إرادة المواطنين، وكانت مستجيبة بشكل مقبول لمتطلبات السكان المحليين، مما خلق فرص أكبر للمشاركة المجتمعية والمحلية للأفراد، خاصة مع زيادة الاهتمام بدور المرأة وإشراكها في عمليات اتخاذ القرار وتحقيق التنمية، وبناءً عليه، من الممكن تقسيم أثر اللامركزية على التنمية في رواندا كالاتي:

### أولاً: آثار معنوية:

استهدفت إحداث تغيرات مقصودة شملت سلوكهم وتنمية معرفتهم لضمان الضبط الاجتماعي بإيجاد مناخ ملائم لعجلة التنمية مما عزز من معرفة المواطنين لواجباتهم ودورهم في عملية التنمية، مع تحفيز التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع الواحد بتحريك وحشد طاقات المواطنين تجاه تنمية مجتمعهم.

### ثانياً: آثار مادية:

استهدفت الجانب المادي لضمان سبل عيش كريمة للمواطنين، وظهرت في زيادة الدخل للأفراد من خلال رفع إنتاجيتهم، والاهتمام بالبنية التحتية بما فيها من خدمات صحية وتعليمية وترفيهية، وكذلك رفع كل من المستوى العلمي والعقلي لأفراد المجتمع من خلال جعل أفراد المجتمع معتمدين على أنفسهم وقدراتهم المحلية للتعزيز من فكرة أن أهداف التنمية المحلية هي بمثابة العائد لهذه العملية.

هذا بالإضافة إلا أنه اتضح أن اللامركزية هي الإطار الملائم لتنفيذ خطط التنمية وخاصة الريفية، فنجاح التنمية يعتمد بالأساس على نجاح وملائمة الأسلوب الإداري المتبع في إدارة خطة التنمية أثناء تنفيذها، كما أن استراتيجية التنمية المحلية كي تستطيع تحقيق هدفها في المشاركة الشعبية لابد وأن تمتلك السلطات المحلية للكفاءة والسلطة حتى تمكن من القيام بدورها على أكمل وجه.

كما أنه في ظل اللامركزية يتحقق مبدأ تعزيز الحرية بمفهومها الإنساني والسياسي

ويصبح المواطنون لهم القدرة على الاختيار، وتطوع برامج التنمية إزاء حاجات المواطنين، فتنجح خطة الدولة في تحقيق التوازن المحلي وتقليل الفوارق بين المواطنين.

والجدير بالذكر هنا أن اللامركزية في رواندا لاتعني استقلال الكيانات المحلية عن الإدارة المركزية، ولكن تعني تكامل الأدوار والمسؤوليات حيث تكون اللامركزية أحد عوامل التنمية في رواندا، ولكنها ليست العامل الوحيد، فهناك الكثير من محددات التنمية في الخطة التنموية التي اتبعتها رواندا منها تثقيف الشباب والاهتمام بالتعليم، الاهتمام بمبدأ العدالة والانصاف، الاهتمام بالمجال الطبي والصحي مع التركيز على الموارد المحلية في الدولة كالزراعة والصناعة والسعى لاكتشاف مزيد من الثروات، والاهتمام بمجال السياحة والاستثمار، هذا بالإضافة إلى المساعدات الدولية والتكامل الإقليمي.

كما أن مفهوم اللامركزية يدور في مجمله حول تخويل مسؤولية التنمية للهيئات المحلية وذلك من خلال دراسة المجتمع الرواندي باعتباره حجر الأساس في نجاح تطبيق سياسة اللامركزية. واتضح أنه حجر الأساس لتحقيق تنمية مستدامة وعادلة يكمن في مشاركة المواطنين، إلا أن المشاركة التي لا تترجم إلى تأثير حقيقي على عملية صنع القرار هي مشاركة سلبية، كما أن اللامركزية والمشاركة المحلية هي آليات فعالة للتخفيف من وطأة الفقر وتضمن عموم الفائدة على جميع أقاليم الدولة على قدم من المساواة، ولذلك فإن اللامركزية كفلسفة لإدارة الدولة تكفل فاعلية المشاركة، حيث تسمح بإضفاء الصفة المحلية على القضايا المحلية ومشكلاتها وتضمن حلول لها.

وعلى الرغم من التحديات البارزة في التجربة الرواندية، إلا أنها حققت تقدماً هائلاً في مجال التنمية التي تركز على المواطن، فرواندا استطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تحقق انجازات متعددة رغم التحديات السياسية والاقتصادية التي واجهتها، وبفضل الحكم الرشيد والإرادة الشعبية نجحت في أن تكون نموذجاً يحتذى به، كما أن المجالس المحلية في رواندا ساهمت بدعم كبيراً لبناء القدرات والبنية التحتية ومكافحة الفقر وتحقيق التماسك المجتمعي، مما أثمر بتقدم إنمائي كبير في جميع أنحاء الدولة. كما أن بعض المبادرات المحلية في رواندا أثبتت أنها بمثابة ديمقراطية حقيقية على مستوى القرية، فهي مكنت المواطنين من المشاركة والتنظيم والتفاعل مع بعضهم البعض، كما أن المشاركة دفعت بمزيد من المداولات والنقاشات لتحريك البلد رويداً رويداً وبعيداً عن ثقافة الطاعة وذلك للوصول للشكل النهائي للمواطنة.



وأخيراً فإن اللامركزية عملية إصلاح طويلة الأجل تشمل تغيرات سياسية وإدارية واقتصادية، وتتوقف قدرتها على مكافحة الفقر في صياغة وتفعيل نظم تقلل من فساد وسيطرة المستويات المحلية، مع تطوير الجهود لخدمة متطلبات الروانديين، كما أن التأثير الإيجابي للامركزية على التنمية ببعديها الاقتصادي والاجتماعي يتوقف على كيفية صياغة السياسة نفسها واستيفائها لمتطلبات الشعب ومواكبتها لاحتياجاته، مع تحقيق آلية المساءلة لضمان كفاءة التنفيذ والتطبيق، مع الإعداد الجيد للكوادر وبناء القدرات لضمان كفاءة تنفيذ المسؤوليات المخولة مع وضع معايير وطنية لتقديم الخدمات بشكل متوازي مع احتياجات التقسيمات الإدارية للوحدات المحلية للدولة.

## قائمة المراجع أولاً: المراجع العربية:

### أ. الكتب

١. عثمان محمد غنيم، ماجدة أبو زنت، التنمية المستدامة: فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، (عمان: دار صفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٧).

### ب. انترنت

٢. الأمم المتحدة، إعلان الحق في التنمية، متاح على الرابط التالي [https://www.un.org/en/events/righttodevelopment/pdf/rtd\\_booklet\\_ar.pdf](https://www.un.org/en/events/righttodevelopment/pdf/rtd_booklet_ar.pdf)
٣. بيرت أرتشر، " قصة المدينة التي أصبحت "الأكثر جاذبية وأمنًا في إفريقيا بعد حرب أهلية مروعة"، بي بي سي، يناير ٢٠٢٠. متاح على الرابط التالي: <https://www.bbc.com/arabic/vert-fut-51024379>
٤. ماهر فرحان، تخطيط وتنمية المجتمعات المحلية في دول العالم الثالث: التنمية الماليزية نموذجًا، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١٨ يونيو ٢٠١٤. [https://democraticac.de/?page\\_id=49274](https://democraticac.de/?page_id=49274)

## ثانيًا: المراجع الأجنبية:

### A. Documents

1. The Republic Of Rwanda, Law N°87/2013 OF 11/09/2013 Determining The Organization And Functioning Of Decentralized Administrative Entities. <http://extwprlegs1.fao.org/docs/pdf/RWA131819.pdf>

### B. Books

2. Uwimbabazi, Penine, Analysis of Umuganda: The Policy and Practice of Community Work in Rwanda, (South Africa: College of Humanities at the University of KwaZulu-Natal, Pietermaritzburg, and September.2012).

### C. Reports

3. Ralga & Clgf, Local Democracy And Local Governance: Benchmarking Rwanda Against The Aberdeen Principles, (Kigali: Ministry of Local Government, April, 2013)
4. Ministry of Local Government, Decentralization Implementation Plan (Dip) 2011-2015, Kigali, January 2011.
5. Republic of Rwanda, 3years Capacity Building Strategy from local Govenments 2011-2015, (ministry of local Government, Kigali, December, 2010).
6. Ministry of Local Government, Decentralization Implementation Plan (Dip) 2011-2015, Kigali, January 2011.
- Governance and Decentralization Sector, Strategic Plan 2014-2017, (Kigali, July, 2013).
7. The Republic of Rwanda & EDPRS2, Economic Development and Poverty Reduction Strategy II 2013-2018, (Kigali: May 2013).  
[http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDP\\_R/EDPRS\\_2.pdf](http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDP_R/EDPRS_2.pdf)
8. Republic of Rwanda & Ministry of Local Government, "Local Democracy and Local Governance: Benchmarking Rwanda against the Aberdeen Principles", RALGA & CLGF, Kigali, April 2013.

### C. Articles

9. Chanchal, Kumar Sharma, "Decentralization Dilemma: Measuring the Degree and Evaluating the Outcomes", The Indian Journal of Political Science (Meerut: Indian Political Science Association, Vol. VII, No. 1, Jan-Mar., 2006).

### D. Internet Sources

10. Rwanda Governance Board, "Umuganda", accessed on 09 May 2019, <http://www.rgb.rw/index.php?id=37>
11. Republic of Rwanda, Rwanda Vission 2020, 2012.  
[http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDP\\_R/Vision\\_2020\\_.pdf](http://www.minecofin.gov.rw/fileadmin/templates/documents/NDP_R/Vision_2020_.pdf)
12. MINADEF, Army week report, 2011. P.5 .accessed on 10 May 2019.,  
[http://www.rgb.rw/fileadmin/Key\\_documents/HGS/UMUGANDA\\_2017.pdf](http://www.rgb.rw/fileadmin/Key_documents/HGS/UMUGANDA_2017.pdf)

13. RGB, “Assessment of the impact of Home Grown Initiatives”, 2014.  
[http://www.rgb.rw/fileadmin/Key\\_documents/Impact\\_of\\_Home\\_Grown\\_Initiative\\_2014.pdf](http://www.rgb.rw/fileadmin/Key_documents/Impact_of_Home_Grown_Initiative_2014.pdf)
14. Country Profile, The Local Government System In Rwanda, Country Profile 2017–2018.  
[http://www.clgf.org.uk/default/assets/File/Country\\_profiles/Rwanda.pdf](http://www.clgf.org.uk/default/assets/File/Country_profiles/Rwanda.pdf)
15. Republic of Rwanda, Administrative Structure, available at <https://www.gov.rw/government/administrative-structure>



## تعليم اللاجئين الواقع والمأمول التعليم المجتمعي للاجئين نموذجاً

تهاني قاسم

اخصائي نفسي

مصطفى دردق

باحث دكتورة جامعة القاهرة

### ملخص:

ان ملايين الاطفال فى سن الدراسة الاساسية من اللاجئين يحرمون من التعليم لاشهر او سنوات مما يؤثر ذلك الانقطاع على الاطفال واسرهم ومجتمعاتهم على المدى القريب والبعيد، تتطرق هذه الورقة الى واقع تعليم اللاجئين من حيث بنية المدارس المجتمعية كنموذج للتعليم المجتمعي للاجئين فى مصر، وتكمن اهمية هذه الورقة لاهمية التعليم نفسه بالنسبة لهؤلاء الاطفال الذى انقطع بهم السبيل واللجوء الى دول وثقافات تختلف عن مواطنهم الاصلية وقد يكون التعليم السبيل الوحيد لاجراجهم من ظلام عدم تمتعهم بالقدر الكافى بالتعليم. وتهدف الورقة الى رصد وتحليل وواقع التعليم طلاب اللاجئين من حين لآخر او بصورة دائمة، وتنطلق الورقة للاجابة على هذا السؤال ما مدى نجاح فاعلية التعليم المجتمعي على الاطفال اللاجئين وما مدى نجاح التجربة لمعالجة ازمة تعليم اللاجئين؟ وتتناول هذه الورقة تعليم اطفال اللاجئين بين الواقع والمأمول حيث تتناول الورقة خمس نقاط اساسية وهي: اولاً اللاجئين المفهوم الواقع والحماية، وثانياً واقع تعليم اللاجئين فى مصر وثالثاً المجتمع المدني الاستجابات والسياقات، ورابعاً نماذج المراكز التعليمية للاجئين فى القاهرة، وخامساً تحديات واقع تعليم اللاجئين.

### Abstract

Refugee children at school age suffer from basic education for months or years, and this disconnection may affect children, their families and their societies in the short and long term. This paper deals with the reality of refugee education in terms of the environment of community schools as a model for community education for refugees in Egypt, and the importance of this paper lies in the importance of education. The same is for children who have been cut off from their path and resort to countries and cultures that differ from their original places, and education may be the only way to get them out of the darkness of not having enough education, and the paper aims to monitor and analyze the reality of education for refugee students from time to time or permanently. To answer this question, what is the success of the effectiveness of community education on refugee children, and how successful is the experience to address the refugee education crisis? This paper deals with the education of refugee children between reality and expectations, as it deals with refugees, the concept and protection, the reality of refugee education in Egypt, responses and contexts provided by civil society, a number of models of refugee education centers in Cairo, and the most important challenges facing the reality of refugee education. It turns out that the educational challenges for African students, especially those who do not have the right to enter Egyptian schools for free, have a language barrier, which forced parents to register their children in community educational centers affiliated with NGOs supporting refugees. These centers suffer from a lack of financial and educational capabilities, as most schools are rented apartments, and thus suffer from large densities of students, and the lack of trained teachers, but a few, in addition to the absence of sports or artistic activities for students.

## أولاً: اللاجئين المفهوم الواقع والحماية المقصود باللاجئ Refugee

عرفت الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين عام ١٩٥١، والمعدلة طبقاً لبروتوكول عام ١٩٦٧، اللاجئ باعتباره "شخص يوجد خارج بلد جنسيته بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب العرق أو الدين أو الجنسية أو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة أو إلى رأى سياسي معين، ولا يستطيع بسبب ذلك الخوف أن يستظل بحماية ذلك البلد". أما تعريف "اللاجئ" كما جاء في اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية وفقاً للمادة الحادية عشر بأنه<sup>(١)</sup>: كل شخص يجد نفسه خارج البلد الذي يحمل جنسيته، نتيجة لوجود خوف له ما يبرره لديه من تعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية، ولا يستطيع أو لا يرغب من جراء ذلك الخوف في الاستفادة من حماية ذلك البلد، كذلك كل شخص يجد نفسه مضطراً بسبب عدوان، أو احتلال خارجي، أو سيطرة أجنبية، أو بسبب أحداث تهدد بشكل خطير الأمن العام في جزء من بلد منشئه الأصلي، أو من البلد الذي يحمل جنسيته، أو في أراضي أي منهما بالكامل، إلى أن يترك محل إقامته المعتادة لبحث عن ملجأ له في مكان آخر خارج بلد منشئه الأصلي أو البلد الذي يحمل جنسيته، ويلاحظ، أن مفهوم اللاجئ اتسع نطاقه بحيث لم يعد مقصوراً على أولئك الذين قد يكونون ضحايا حرب واضطهاد سياسي أو عنصري أو ديني، وإنما أضيفت إليهم طوائف أخرى كنتيجة للكوارث الطبيعية والتغيرات المناخية في بعض مناطق العالم.

### أسباب اللجوء في المواثيق الدولية:

وردت في اتفاقية الأمم المتحدة بخصوص اللاجئين عام ١٩٥١ وبروتوكول الأمم المتحدة بشأن الملجأ الإقليمي عام ١٩٦٧ الأسباب الداعية لقبول اللاجئ، وهي على النحو التالي<sup>(٢)</sup>:

- (١) المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين: مجموعة من المواثيق الدولية والإقليمية الخاصة باللاجئين ، (القاهرة: المكتب الإقليمي للقاهرة، مايو ٢٠٠٧) ، ص ٤٨.
- (٢) صلاح الدين طلب فرج، "حقوق اللاجئين في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي"، (مجلة الجامعة الإسلامية، الإسلامية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩)، ص ١٦٩

- الخوف: ويقصد بالخوف ما كان ناتجاً عن التعرض للتعذيب والاضطهاد، وهو حالة نفسية تستدعي من اللاجئين الهروب إلى مكان يشعر فيه بالأمان.
- الاضطهاد: وهو ما كان ناتجاً عن التعرض والتهديد للحياة والحرية، وانتهاك حقوق الإنسان التي نصت عليها الإعلانات والمواثيق الدولية.
- التمييز: وهو يطلق على الاختلافات في المعاملة، والحقوق والفرص، مما يولد شعوراً بعدم الأمان.
- العرق: ويطلق على الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة تشكل أقلية ضمن مجموعة من السكان.
- الدين: وهو المعتقد الذي يعتنقه الإنسان، والحرية الدينية مكفولة وفق الإعلانات والوثائق الدولية.
- الانتماء: يكون الانتماء سبب من أسباب اللجوء؛ إذا انعدمت الثقة في ولاء تلك الفئة أو تلك للنظام السياسي الحاكم، مما يعرضها للملاحقة والاضطهاد.
- الرأي السياسي: وهو ناتج عن اعتناق آراء سياسية مخالفة لما يعتقده النظام السياسي الحاكم، مما يؤدي إلى الخوف من الاضطهاد، إلا أن ذلك الخوف لا بد أن يكون له ما يبرره من انتهاكات فعلية كالسجن أو التضييق<sup>(١)</sup>.

#### المقصود بالمهاجر Immigrant

تعرف منظمة الهجرة الدولية، المهاجر بأنه أي شخص يتنقل أو سبق وأن تنقل عبر الحدود الدولية أو ضمن حدود الدولة ذاتها، بعيداً عن مكان إقامته/ها المعتاد، وبغض النظر عن الوضع القانوني للشخص؛ ما إذا كان التنقل طوعاً أو قسراً؛ الأسباب التي أدت إلى التنقل؛ أو مدة الإقامة، وتعنى المنظمة الدولية للهجرة بالمهاجرين والمسائل المتعلقة بالهجرة والمهاجرين الذين يحتاجون إلى خدمات الهجرة الدولية، وذلك بالاتفاق مع الدول المعنية<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق نفسة.

(٢) من هو اللاجئ، موقع منظمة الهجرة الدولية، تاريخ التصفح ١٣ سبتمبر ٢٠١٩.

<https://egypt.iom.int/ar/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1%D8%9F>



### مفهوم طالب اللجوء او ملتمس اللجوء: Asylum seeker

كثيراً ما يتم الخلط بين مفهوم اللاجئ Refugee وملتسم اللجوء Asylum seeker ويقصد بملتسم اللجوء "الشخص الذي لم يتلق بعد قرار حول طلبه بالحصول على وضع لاجئ او اى شخص ينتظر الرد على طلب اللجوء. وملتسم اللجوء هو شخص يقول أنه لاجئ غير أن ادعائه أو طلبه لا يكون قد تم تقييمه أو البت فيه بشكل نهائي. ويمكن تعريف ملتسم اللجوء بأنه "اي شخص لم يتخذ قرار نهائي فى طلبه او التماسه للحصول على اللجوء من جانب بلد اللجوء المتوقع"<sup>(١)</sup>.

### مسئولية الحماية Protection Responsibility

من المعلوم أن الدولة هي المسؤولة عن حماية مواطنيها والحفاظ على حقوقهم السياسية وسلامتهم البدنية، سواء داخل إقليمها أو خارجه من خلال بعث دولته دبلوماسيا لحل ومعالجة مشاكله، لكن تجدر الإشارة إلى أن اللاجئ لا يتمتع بمثل هذه الحماية لأن دولته الأصلية عاجزة عن حمايته أو غير مستعدة لذلك، الأمر الذي يدفعه إلى الفرار حفاظا على حياته وأمنه، وفي هذا السياق تنتقل مسؤولية حماية هذا الشخص لتكون على عاتق المجتمع الدولي وبالتحديد الدولة المضيفة له تحت اسم الحماية الدولية لحقوق الإنسان التي تبدأ عند انعدام الحماية الوطنية أو انهيارها<sup>(٢)</sup>. وأن اهتمام الجماعة الدولية بأزمة اللاجئين، يتعلق بالحماية، وأشارت المادة (١٤) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى الحق في اللجوء لدى دولة أخرى غير دولة الجنسية أو دولة إقامتهم المعتادة، حيث نصت على أن: "لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى والتمتع به خلاصا من الاضطهاد"<sup>(٣)</sup>. وأن

(1) - Kate Jastram & Marilyn Achiron, Refugee Protection: A Guide to international Refugee Law, (Geneva: UNHCR, & New York: Inter-Parliamentary union, 2001), p 125.

(٢) ايمن اديب سهله: البديل الداخلي للحماية الدولية في ظل اتفاقية جنيف لسنة ١٩٥١ الخاصة بالمركز القانوني للاجئ، فى رابعة رضوان: حقوق والتزامات الدول المضيفة للاجئين، مجلة القانون الدستورى والعلوم الادارية، برلين، المانيا: العدد الاول اكتوبر ٢٠١٨، ص ٢٦٣.

(٣) د. أحمد الرشيدى: الحق في طلب اللجوء كأحد تطبيقات حقوق الإنسان، ص ٧٧ - ٧٩. د.

هـالة أحمد الرشيدى: مبدأ مسؤولية الحماية كنهج جديد لتعامل المنظمات الدولية مع الأزمات الإنسانية: أزمة اللاجئين نموجاً، مقدم الى مؤتمر: أزمات الهجرة واللجوء وتحديات الدولة القومية في العالم العربي وأوروبا، (القاهرة: مركز البحوث السياسية وحوار الثقافات ٢٤ - ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦)

أسباب ومبررات اللجوء إلى دولة أخرى هربا من دولة الجنسية أو دولة الإقامة المعتادة لم تعد مقتصرة على الاضطهاد والقهر فقط، بل أصبح طلب اللجوء فرارا من الحروب والصراعات المسلحة، وأيضا، هربا من الكوارث الطبيعية والبيئية المختلفة والمجاعات والفقر في مختلف أنحاء العالم.

وبناء عليه، الحماية القانونية الدولية المقررة للاجئين في دول الملجأ عليها بالتزامين الأول: السماح للاجئ بدخول الإقليم وتوفير المأوى المؤقت له، والسماح له بالبقاء في إقليم الدولة مع الاعتراف له بمركز قانوني، والالتزام الآخر: عدم الإعادة قسرا إلى دولة الاضطهاد، وعدم الإبعاد أو التسليم، وعليه يتجسد مضمون الحماية للاجئين عملا بمبدأ "عدم الإعادة القسرية" وهو المبدأ الذي عبرت عنه المادة ٣٣ من اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١ في صورة الاعتراف للاجئ بالحق في عدم الإعادة قسرا أو طرده إلى مكان يمكن أن يهدد حياته أو حريته، حيث تنص على<sup>(١)</sup>: "يحظر على أي دولة طرف في هذه الاتفاقية طرد أو رد لاجئ بأي شكل كان إلى حدود إقليم تتعرض فيه حياته أو حريته للخطر بسبب جنسيته أو ديانتة أو جنسه أو عضويته في طائفة اجتماعية معينة أو اعتناقه لرأي سياسي معين".

### الحماية الدولية للاجئين

نتيجة للماسى التي يعانيتها اللاجئين، ومن فى حكمهم جراء مغادرة اوطانهم، على غير رغبة منهم، تمثلت حدود مسئولية المجتمع الدولي ازاءهم فى توفير الملجأ الامن، وكفالة حمايتهم، وتوفير مقومات العيش الكريم لهم ولذويهم، ويقصد بالملجأ تلك الحماية القانونية ذات الطابع المؤقت التى تمنحها الدولة فى اطار وفائها بالتزاماتها الوطنية والدولية لحماية حقوق الانسان، فى مواجهة اعمال دولة اخرى لأحد الاجانب الذين تتوافر فيهم شروط خاصة، والذي جاء يطلبها فى اقليمها، او فى مكان اخر يتعلق ببعض اجهزتها الموجودة فى الخارج<sup>(٢)</sup>.

حقوق اللاجئين: فوفقا لقواعد القانون الدولي ذات الصلة يترتب على قبول الدولة توفير الحماية للاجئ عدد من الالتزامات القانونية لمصلحته، حيث يشير جوهر هذه الحماية الى

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) د.هالة احمد الرشيدى، الاطار القانونى للجوء.. والالتزامات الدولية تجاه اللاجئين، (القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٧ يناير ٢٠١٧) ص ٧٩.

ثلاث التزامات ذات طبيعة ايجابية هي<sup>(١)</sup>:

- السماح للشخص المعني اي طالب اللجوء بالدخول الى اقليم دولة الملجاء.
- توفير المأوى المؤقت لطالب الملجأ، والسماح له بالبقاء في اقليم الدولة ، مع الاعتراف له بمركز قانوني قريب -قدر الامكان- من مركز مواطني هذه الدولة.
- التزام سلطات دولة الملجأ بتوفير قدر مناسب من الحماية لهؤلاء اللاجئين في دولة اللجوء، واتخاذ الترتيبات التي تضمن سلامتهم وامنهم، وفقا لما هو مستقر عرفا واتفاقا في قواعد القانون الدولي للاجئين، وعلى النحو الذي اكدته قرار الجمعية العامة رقم ١٥٢/٦٩، الصادر في ديسمبر ٢٠١٤.
- عدم الابعاد او الاعادة: وقد اجمعت الاتفاقيات الدولية والاقليمية ذات الصلة على ان الحماية القانونية الدولية، الموقته بطبيعتها المقررة للاجئين في دولة الملجأ، انما تضم ايضا طائفة من الالتزامات التي يمكن وصفها بانها ذات طابع سلبي، والتي ياتي في مقدمتها: الالتزام بعدم الاعادة قسرا الى دولة الاضهاد، والالتزام بعدم الابعاد او التسليم، وقد عبرت عن ضرورة الالتزام بعدم الاعادة القسرية للاجئين المادة ٣٣ من اتفاقية عام ١٩٥١.
- التزام دول الملجاء بتوفير الحماية الواجبة ازاء اية مخاطر او اعمال عدائية، قد يتعرض لها اللاجئ من جانب سلطات دولته، والتي قد تهدد حياته كاعمال الخطف، او القتل، او التهديد، باى صورة كانت.
- وبالمثل، تلتزم دولة الملجأ قدر الامكان بعدم المبادرة الى انتهاء حالة اللجوء من تلقاء ذاتها، وبارادتها المنفردة في اى لحظة، وما لم توجد الاسباب الموضوعية التي تسوغ لها ذلك. كما انه يتعين على هذه الدولة ان تحترم رغبة اللاجئ في انتهاء حالة اللجوء هذه والعودة الى بلدة الاصلى، او الى بلد اخر يرى انه سيوفر له ظروف افضل للحياة.
- اخيرا وليس اخرا، تلتزم بالاعتراف للاجئين بمركز قانوني لا يختلف كثيرا عن المركز الذي تعترف به لمواطنيها وقد استقر الراى في الفقه على انه اذا وجدت الدولة ان ثمة ما يدعوها الى التميز بشكل عام بين المواطنين واللاجئين، فان ذلك ينبغي ان يكون في ضيق الحدود.

(١) المرجع السابق

### التشريعات وواقع التعليم في مصر

وقعت مصر على اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١، وهذه الاتفاقية تعد وثيقة قانونية رئيسية في تحديد الالتزامات الخاصة بحقوق اللاجئين وخاصة من ناحية التعليم. وتنص المادة ٢٢ من الاتفاقية وعنوانها التعليم العام على أن: "تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين نفس المعاملة الممنوحة للمواطنين فيما يتعلق بالمدارس الابتدائية". وبناء على ذلك، ينبغي لجميع اللاجئين أن يحصلوا على نفس معاملة المواطنين فيما يتعلق بالمدارس الابتدائية. وتهدف الاتفاقية إلى جعل التعليم الابتدائي إلزاميا ومتاحا على نطاق واسع، إذا يحق للاجئين قانونيا الحصول على التعليم الاساسي المجاني، ويمكنهم الالتحاق بالمدارس الحكومية<sup>(١)</sup>.

وفي نفس السياق انضمت مصر للاتفاقية بالقرار الجمهوري رقم ٣٣١ لسنة ١٩٨١ بتاريخ ١٩٨٠/٠٦/٢٨ وقد صدقت مصر على الاتفاقية بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٨١ وقد تحفظت مصر على:

- المادة (١٢) فقرة (١) والمعنونة الاحوال الشخصية: والتي تنص على "تخضع احوال اللاجئين الشخصية لقانون بلد موطنه، او لقانون بلد اقامته اذا لم يكن له موطن".
- المادة (٢٢): والتي تنص على "تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين نفس المعاملة الخاصة بالمواطنين بالنسبة للتعليم الاساسي".
- المادة (٢٤): والتي تنص على "تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين المقيمين على ارضها بصورة مشروعة نفس المعاملة الممنوحة للمواطنين (ساعات العمل - الاجازات - التدريب والتاهيل - الضمان الاجتماعي - التعويضات).

وبطبيعة الحال، فافتقاد اللاجئين المقيم في مصر لهذه المميزات يجعل حياتة صعبة الى حد كبير، بل ان هناك تقريراً صادر عن الامم المتحدة في فبراير ٢٠١٩ ذهب الى ان اكثر من ٨٠% من اللاجئين بمصر يعيشون في اوضاع انسانية بائسة، وقال فيليبو غراندي، مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين: "أشعر بقلق عميق إزاء حقيقة أن ثمانية من أصل ١٠ لاجئين في مصر يعيشون في أوضاع إنسانية بائسة، ولا يمكنهم تلبية حتى أبسط احتياجاتهم، ويعتبر الحصول على لقمة العيش تحدياً يومياً لهم، يحتاج هؤلاء اللاجئين إلى مساعدة إنسانية كافية وفي الوقت المناسب، ولكن مع ذلك فنحن عاجزون الآن عن تزويدهم

(١) نوران سليم، اللاجئين الافارقة في مواجهة تحديات التعليم في مصر، تاريخ التصفح ٤ سبتمبر ٢٠١٩ على

موقع <http://www.auccaravan.com/?p=6616>

بالاحتياجات الضرورية أو المحافظة على برامجنا الأساسية لحماية اللاجئين في هذا البلد<sup>(١)</sup>. وأشارت المفوضية إلى أنه وخلال العامين الماضيين، ازداد عدد اللاجئين وطالبي اللجوء المسجلين في مصر بنسبة ٢٤% وفي الوقت نفسه، فإن برامج اللاجئين الحالية في مصر والهادفة لمساعدة وحماية ربع مليون لاجئ، أكثر من نصفهم من السوريين إضافة إلى آخرين من السودان وإثيوبيا وإريتريا وجنوب السودان واليمن، لا تحصل سوى على ٤% من التمويل المطلوب لها.

وبشكل عام مصر ليس لديها إجراءات وترتيبات خاصة بها لضمان حق اللجوء وبدلاً من ذلك وفي ضوء الاتفاق الموقع بين مصر والمفوضية تتم تسوية أوضاعهم القانونية حيث تنظر المفوضية في أمر هؤلاء الأفراد لتحديد من هم طالبو اللجوء الذين يمكنهم تلقي الحماية والمساعدة من الأمم المتحدة كلاجئين فعلياً<sup>(٢)</sup>. وصدقت مصر على الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب عام ١٩٨٤ الذي إجازة مجلس الرؤساء الأفارقة في نيروبي بكينيا عام ١٩٨١. ونصت المادة ١٢ من الميثاق على حق كل شخص في اللجوء في حالة الاضطهاد وعدم جواز طرد الأجنبي الذي دخل بصفة قانونية إلى أراضي دولة ما طرفاً في الميثاق إلا بقرار مطابق للقانون بالإضافة إلى تجريم الطرد الجماعي للأجانب<sup>(٣)</sup>.

على الصعيد الإقليمي، صدقت مصر على اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية ١٩٦٩، بموجب قرار رئيس الجمهورية رقم (٣٣٢ لسنة ١٩٨٠)، حيث كان التعريف الخاص باللاجئين أوسع، كما صدقت على "الاتفاقية العربية بشأن اللاجئين"، الصادرة عن جامعة الدول العربية عام ١٩٩٤.

### حماية الاطفال اللاجئين:

تحدد اتفاقية عام ١٩٥١ الخاصة باللاجئين المعايير التي تنطبق على الاطفال، اذ اعتبرت أي طفل لديه خوف ما يبرره من التعرض للاضطهاد من جراء الاسباب التي

(١) اخبار الامم المتحدة، ٨٠% من اللاجئين في مصر يعيشون في اوضاع انسانية بائسة، تاريخ التصفح

٤ سبتمبر ٢٠١٩ على موقع <https://news.un.org/ar/story/2019/02/1028002>

(٢) عادل عامر، اسباب تحفظ مصر على اتفاقية حماية اللاجئين، تاريخ التصفح ١٥ سبتمبر ٢٠١٩، على

موقع مصرس <https://www.masress.com/almesryoon/1183000>

(٣) نفس المرجع السابق

أوردتها الاتفاقية يعتبر (لاجئاً) ، حيث نصت على عدم جواز ارغام أي طفل يتمتع بمركز اللجوء على العودة الى بلد المنشأ، كما تطرقت الاتفاقية الى عدم جواز التمييز بين الاطفال والراشدين في مجال الرعاية الاجتماعية والحقوق القانونية، كما اقرت الاتفاقية احكام خاصة بتعليم الاطفال اللاجئين.

ومن المعاهدة التي تحدد المعايير التي تتعلق بالأطفال اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ ، وان كانت اتفاقية حقوق الطفل ليست معاهدة خاصة باللاجئين، الا ان الاطفال اللاجئين مشمولين بأحكامها، لان جميع الحقوق المنصوص عليها في هذه الاتفاقية تمنح لجميع الاشخاص الذين لا تتجاوز اعمارهم ١٨ عاماً، ودون أي نوع من انواع التمييز. وتعتبر اتفاقية حقوق الطفل مهمة لجميع الاطفال من ضمنهم اللاجئين لأنها تحدد معايير شاملة فهي تغطي تقريباً كل ناحية من نواحي حياة الطفل.

اكتسبت اتفاقية حقوق الطفل اهمية خاصة بالنسبة للأطفال اللاجئين بسبب المصادقة شبه العالمية عليها، كما تطبق مفوضية الامم المتحدة لشؤون اللاجئين اتفاقية حقوق الطفل على اعمالها عن طريق استخدامها هذه الحقوق كمبادئ توجيهية، وتنص سياسة المفوضية بشأن الاطفال اللاجئين على ان اتفاقية حقوق الطفل باعتبارها اتفاقية صادرة عن الامم المتحدة وتحظى بإجماع عالمي عليها، فانها تشكل اطاراً مرجعياً لعمل المفوضية، كون من مبادي اتفاقية حقوق الطفل ايلاء مصالح الاطفال الفضلي الاعتبار الاول، ومفردة الطفل الواردة في اتفاقية حقوق الطفل تشكل (الطفل اللاجئ). ومن اجل رفاهية الاطفال اللاجئين، تحت المفوضية جميع الدول والوكالات الدولية والمنظمات غير الحكومية على احترام المعايير التي حددتها اتفاقية حقوق الطفل. ومن اجل ذلك تبنت مؤتمرات القمة العالمية الخاصة بالأطفال بعض الاهداف ادرجت الاطفال اللاجئين بموجبها ضمن فئة الاطفال الموجودين في ظروف صعبة للغاية، وعليه يمكن ايجاز اليات حماية الاطفال اللاجئين بما يلي<sup>(١)</sup>:

- اعطاء الاجراءات الخاصة بالأطفال اللاجئين الاعتبار الاول لمصالح الطفل الفضلي.
- حق الطفل الذي يقع ضحية أي شكل من اشكال الاساءة او الاهمال في التأهيل

(١) عادل عامر، اسباب تحفظ مصر على اتفاقية حماية اللاجئين، ، تاريخ التصفح ١٥ سبتمبر ٢٠١٩، على

موقع مصرس <https://www.masress.com/almesryoon/1183000>

- البدني والنفسي واعادة الاندماج الاجتماعي.
- يجب على الدول ان تتخذ الاجراءات الرامية الى خفض وفيات الرضع والاطفال، وان تعمل على تطوير الرعاية الصحية الاولى للأطفال، مع اتخاذ الاجراءات الخاصة بتعليمهم.
- وجوب توفير الامن والحرية الشخصية للطفل اللاجئ والوقاية من حالات الاعاقة وعلاجها.

للطفل الذي يسعى للحصول على مركز اللاجئ الحق في تلقي الحماية والمساعدة الانسانية. وبذلك نجد ان الاطفال بحاجة لرعاية وحماية بشكل افضل من الراشدين خصوصا اذا عرفنا ان النسبة الاكبر من اللاجئين على صعيد العالم اجمع هم من الاطفال والنساء وهم الاكثر تعرضا لانتهاك حقوقهم .

### ثالثا: المجتمع المدني والاسنجابات والسياقات

يواجه اللاجئين في مصر تحديات متنوعة لاعادة بناء حياتهم ومجتمعاتهم، بينما تكون الجهات الحكومية مسئولة عن توفير الامن، تاخذ منظمات المجتمع المدني NGOs مسؤولية الحصول على مساعدات طارئة، وتوفير وتقديم الخدمات، وبالرغم من انهما يعملان معا فان طبيعة تنسيقهما والمستويات المختلفة لمسئولياتها تختلف من سياق لآخر<sup>(١)</sup>. وهنا من الافضل بان يكون هناك توافق بين الحكومة ومنظمات المجتمع المدني في تقديم الخدمات، وبالرغم من وجود العديد من التحديات التي تقلل من فاعلية دور منظمات المجتمع المدني ازاء قضايا اللاجئين. وتوجد خريطة متنوعة من منظمات المجتمع المدني المحلية والدولية والمبادرات الشخصية المهمة بشئون اللاجئين في مصر، حيث تعتمد الامم المتحدة ووكالاتها على شركاء من المجتمع المدني لتقديم المساعدات والخدمات للاجئين.

وفي نفس السياق تبذل مؤسسات المجتمع المدني المختلفة جهودا واسعة في تقديم المساعدات للاجئين في مصر، ويقدر عدد الأشخاص الذين تعنى بهم المفوضية في عام ٢٠١٩ بنحو ٢٨٠ ألف شخص، وهم عبارة عن لاجئين وطالبي لجوء من سوريا والعراق وإريتريا وإثيوبيا وجنوب السودان والسودان واليمن واخرى. ويعيش اللاجئون وطالبو

(١) مروة صبحي منتصر، استجابة منظمات المجتمع المدني لازمة اللجوء السوري، (القاهرة: مجلة السياسة الدولية، عدد ٢٠٧ يناير ٢٠١٧) ص ٩٤-٩٧.

اللجوء في مناطق حضرية إلى جانب المجتمعات المحلية<sup>(١)</sup>.

وتمنح الحكومة المصرية اللاجئين وطالبي اللجوء من جميع الجنسيات سبل الوصول إلى الرعاية الصحية الأولية والثانوية على قدم المساواة مع المواطنين المصريين. علاوة على ذلك، يمنح اللاجئون وطالبو اللجوء السوريون والسودانيون واليمنيون حق الوصول الكامل إلى فرص التعليم الرسمي<sup>(٢)</sup>. وتستمر المفوضية في العمل مع الحكومة المصرية لقيادة تنفيذ خطة الاستجابة الإقليمية للاجئين وتمكين المجتمعات المستضيفة لهم للآزمة السورية، والخطة المصرية للاستجابة للاجئين وطالبي اللجوء من إفريقيا جنوب الصحراء والعراق واليمن، بتنسيق وثيق مع الأمم المتحدة والشركاء من المنظمات غير الحكومية<sup>(٣)</sup>.

أذ تعتمد الأمم المتحدة ووكالاتها على شركاء من المجتمع المدني لتقديم المساعدات للاجئين، مثل كاريتاس مصر، وتقديم خدمة علاج الأمراض الحادة والأمراض المزمنة للبالغين والأطفال فوق سن الخامسة. وهيئة الإغاثة الكاثوليكية CRS تقدم المفوضية المنح التعليمية من خلال هيئة الإغاثة الكاثوليكية التي تساعد على تمويل الفرص التعليمية في مصر في المدارس الحكومية الخاصة والمجتمعية في مصر. وسانت اندروز لخدمة اللاجئين تقدم العديد من البرامج التعليمية، بما في ذلك دورات لتعليم اللغة الإنجليزية والعربية للكبار، كما تقدم دورات لتعليم اللغة الإنجليزية للمنهج السوداني لجميع الأعمار، ودورات تكنولوجيا المعلومات، ودعم المجتمعات المحلية في تقديم الخدمات التعليمية، كما يوجد نوع آخر، وهو منظمات المجتمع المدني المحلية التي لها باع في شئون اللاجئين مثل المؤسسة المصرية لحقوق اللاجئين<sup>(٤)</sup>.

ولا يستطيع اللاجئ في مصر أن يعتمد على الدعم المقدم من الشركاء التنفيذيين لمفوضية اللاجئين بالقاهرة، فنقص الموارد، والازمة الاقتصادية التي تمر بها مصر منذ فترة ليست قصيرة والبروقراطية، تحول دون توفير الحد الأدنى للخدمات الأساسية للاجئين

(١) موقع مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، تاريخ التصفح ١٦ سبتمبر ٢٠١٩ انظر:

<https://www.unhcr.org/ar/5ae5be924.html>

(٢) موقع مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، <https://www.unhcr.org/ar/5ae5be924.html>

(٣) المرجع السابق نفسه

(٤) مروة صبحي منتصر، مرجع سابق، ص ٩٤-٩٧.



وطالبي اللجوء. ويعاني اللاجئون من تعذر الحصول على المساعدات الملائمة ويوميا يواجهون اللجوء واسرته احدى المشكلات فى اى من الاحتياجات الضرورية او المشكلات مثل الاجراءات القانونية او الصحة او العمل او التعليم<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من تحفظ الحكومة المصرية على المادة (٢٢) الفقرة (أ) من اتفاقية ١٩٥١ الخاصة باللاجئين والخاصة بالحصول على التعليم الاساسي للاجئين، فان وزير التعليم الاسبق الدكتور احمد فتحي سرور قد اصدر القرار الوزاري رقم (٢٤) لسنة ١٩٩٢ والذي يضمن حق الاطفال اللاجئين فى الحصول على التعليم الاساسي فى المدارس الحكومية، ولكن على صعيد اخر، فان هذا القرار يستفيد منه السودانيون والليبيون فقط، وتوصلت الجهود فى عام ٢٠٠٠ من اجل تعميم تنفيذ القرار ولكن لم يطبق بشكل شامل لان ناهيك عن الازمات التى يعاني منها المصريون انفسهم فيما يتعلق بكفالة الحق فى التعليم بالطبع الاولوية للاطفال المصريين فى مدارس مكتظة بالطلاب تحول دون اماكن ادخال الاطفال اللاجئين للمدارس فالفصول كاملة العدد.

وفى سياق متصل تقوم هيئة الاغاثة الكاثوليكية بالمشاركة مع مفوضية الامم المتحدة بمنح كل طفل لاجئ مبلغا من المال (حوالي الف جنية مصري) كل عام من اجل المصروفات الدراسية. ويذكر ان توقف مقابلات اللاجئين السودانيين منذ عام ٢٠٠٤ لدى مفوضية اللاجئين قد اثر بالسالب لفترة طويلة على التلاميذ الذين كانت المدارس تتطلب منهم خطابا من المفوضية لاثبات تسجيل الوالدين لديها كلاجئين مما ادى لضياع سنة او اكثر من عمر الاطفال فى المدرسة وادى ذلك لاحتجاج من اللاجئين السودانيين، الى ان حلت هذه المشكلة مؤخراً بمنح خطابات من المفوضية لمن هم فى انتظار تحديد حالة اللجوء. وتقوم بعض الجمعيات المحلية السودانية والكنائس بالتدريس للاطفال وفق المنهج المصرية ولكن شهاداتهم غير معتمدة من وزارة التربية والتعليم المصرية الا اذا كان التلميذ مقيدين بالمدارس قسم منازل<sup>(٢)</sup>.

(١) اشرف ميلاد، واقع اللاجئين فى مصر، (القاهرة: كراسات رؤى مصرية، العدد ٥٦ سبتمبر ٢٠١٩) ص ١٨-١٤.

(٢) المرجع السابق نفسة

## رابعاً: نماذج المراكز التعليمية للاجئين بالقاهرة

تستند هذه الورقة الى بعض المقابلات الشخصية التي رصدت اوضاع المراكز التعليمية للاجئين فى القاهرة ، وعن التحديات التى تواجهها المراكز التعليمية الخاصة باللاجئين وطالبي اللجوء من خلال نماذج لهذه المراكز بمناطق مختلفة والى تقرير جريدة المصري اليوم يناير ٢٠١٩:

مركز (دار المعرفة) التعليمى، الذى أسسه عدد من المقيمين السودانيين عام ٢٠١٠ بمنطقة عين شمس التى يسكن فيها الكثير من أبناء الجنسيات الأفريقية سواء المقيمون أو طالبي اللجوء، وذلك بهدف تقديم خدمات تعليمية لأبناء هذه الجنسيات مجاناً أو بأسعار منخفضة، حيث يتم تدريس المنهج السودانى للطلاب باللغات العربية والإنجليزية، وهى اللغات الرسمية فى التعليم داخل المركز. وأوضح احد مؤسسى المركز التعليمى، أن المركز لديه طلاب من جميع مراحل التعليم سواء التعليم ما قبل المدرسى أو التعليم المدرسى حتى المستوى الثامن، وتم افتتاحه على مساحة أربعة أدار، ومسجل به أكثر من ٥٠٠ طالب معظمهم من السودان وجنوب السودان، وأكد أن المركز التعليمى يحصل على دعم غير مباشر عبر هيئة الإغاثة الكاثوليكية من خلال منحة يتم إعطاؤها للطلاب لدفع المصاريف المدرسية وهى منحة ضئيلة يتم دفعها على قسطين، فمتوسط المصاريف بالمراكز التعليمية ١٥٠٠ جنيه طوال العام، وهناك طلاب لا يدفعون مصاريف المدرسة رغم استلامهم المنح التعليمية وذلك بسبب الوضع الاقتصادى لهذه الأسر وهذه أوضاع استثنائية. وأوضح ايضا تحدى فى نقص الدعم المقدم للأدوات والكتب الدراسية، اذ يطلب من الطلاب إعادة الكتب للمدرسة بعد نهاية العام الدراسى، ويقع على عاتق أولياء الأمور طباعة الكتب بأنفسهم فى حالة عدم توفر كتاب مدرسى<sup>(١)</sup>.

مركز (مستقبلنا) التعليمى بمدينة السادس من أكتوبر، انشئ ٢٠١٣م لتقديم خدمات تعليمية ونفسية للأطفال السوريين، ومساعدة الطبقات محدودة الدخل. المركز جمعية أهلية وفق مديرة والذى قال: المركز يدرس المنهج المصرى حتى يمكن للطلاب أداء الامتحانات داخل المدرسة الحكومية المسجل بها، اغلب طلاب المركز مسجلون بالمدارس المصرية

(١) آيات الحبال، «المصري اليوم» ترصد أوضاع المراكز التعليمية للاجئين بالقاهرة: خدمات تعليمية ونفسية

لأطفال اللاجئين وطالبي اللجوء، موقع المصري اليوم، تاريخ النصف ١٨ سبتمبر ٢٠١٩.

<https://www.almasryalyoum.com/news/details/1357761>

الحكومية وبعض المدارس تسمح بذلك بالاتفاق مع إدارة المدرسة بشكل استثنائي، وتهتم بترسيخ الهوية السورية لربط الأطفال بجذورهم ولو من خلال الصور. صدر قرار بمعاملة الطالب السوري معاملة الطالب المصري عام ٢٠١٣، وبعد مرور الوقت ظهرت عدة تحديات أمام الطلاب، وجعلت هناك ضرورة لوجود مراكز تعليمية سورية، بجانب تواجد الطلاب في المدارس المصرية. مثل ارتفاع كثافة الفصول، وعدم جاهزية المدارس لاستقبال الطلاب السوريين، وعدم وجود مدرسين مجهزين للتعامل مع اللاجئين، مع انتشار ظاهرة التنمر تجاه الطلاب اللاجئين، واختلاف اللهجات، كل ذلك جعل المراكز التعليمية هي البديل أمام الطلاب لتلقى خدمات تعليمية<sup>(١)</sup>.

في نفس السياق ليس من حق الطالب الإثيوبي اللجوء الالتحاق بالمدارس المصرية الرسمية، ولكن يمكنه الالتحاق بعد تسديد مصاريف باهظة، وبالتالي المدارس المجتمعية بالنسبة لهم حل لضمان تلقى التعليم، مدرسة (أوفا المجتمعية) أسسها طالبو لجوء وللاجئين من أبناء الجنسية الإثيوبية لعدم قدرة الأطفال على دخول المدارس المصرية وأيضاً عدم قدرتهم على الالتحاق بمراكز تعليمية مجتمعية سودانية لعدم معرفة الأطفال وذويهم بالعربية أو الإنجليزية، وتعتمد في تقديم الخدمات التعليمية على مدرسين متطوعين من أبناء الجالية وتعاني أيضاً من نقص التمويل الذي أدى بها إلى الغلق أكثر من مرة وتغير مكانها لمحاولة تقليل النفقات، وقال مدير مدرسة أوفافا ضعف الإمكانيات وعدم وجود موارد مالية للمدرسة أدى إلى دعم من أفراد جالية الأورومو الإثيوبيا، بالإضافة إلى دعم بالمعدات من قبل بعض الجهات المانحة<sup>(٢)</sup>.

مدارس المهاجرين النموذجية (مركز التميز التعليمي) تم تأسيسها عام ٢٠١١ لتقديم خدمات تعليمية للأطفال المهاجرين واللاجئين خارج التعليم الرسمي بارض اللواء حيث يهدف المركز الى اعدادهم وتاهيلهم للاندماج في التعليم الرسمي، ويعمل المركز تحت مظلة المجلس المصري متعدد الثقافات ويتخذ المركز مناهج تكميلية تتناسب مع اوضاع الاطفال وثقافتهم، ويستقبل المركز جميع الجنسيات. وفر سياق اخر وفق تقرير اعدة برنامج القافلة بلقاء عدد من العاملين والمختصين

(١) المرجع السابق نفسة.

(٢) نفس المرجع

بشان اللاجئين وكانت الشهادات، أن التعليم يشكل تحدياً إضافياً للاجئين الأفارقة في مصر، ونتيجة لنظام التعليم الحكومي الرسمي في مصر الذي يتعذر على معظم اللاجئين الوصول إليه، فإن الأطفال الأفارقة لا يزالون يتلقون التعليم في مراكز التعلم الإثنية. وهذه التجربة تفصل اللاجئين عن المصريين، فهي تساعد حقا الأطفال الأفارقة على الاحتفاظ بالهوية الثقافية وايضاً خطر عزلهم عن المجتمع المضيف. ونتيجة إلى ذلك، يواجه الأطفال اللاجئين صعوبات وعقبات عند التعامل مع المجتمع المصري أو محاولة الاندماج، وقد يواجه البعض التمييز القاسي عند التعرض لأشخاص جدد غير مأوفين<sup>(١)</sup>.

وفي نفس السياق تقوم مراكز التعلم الإثنية بتوظيف المعلمين الذين يتقاسمون نفس الجنسيات مثل الطلاب أو الذين يدركون التقاليد والظروف الثقافية التي أجبرت الطلاب على مغادرة منازلهم. وايضا يوفر بيئة آمنة للاجئين وقد مر جميع الأطفال بحوادث مماثلة، حيث نجا معظم الأطفال من الحرب الأهلية وما يتصل بها من مشاكل في مختلف أنحاء أفريقيا. حيث توفر مراكز التعلم بيئة مريحة ونظام دعم قوي يساعدهم على التخفيف من وضعهم الجديد وفي نفس الوقت يمكن أن يتصلوا به مباشرة، ومن ايجابيات مراكز التعليم يحصل الأطفال على فرصة للتعبير عن احتياجاتهم النفسية والعاطفية والتي تشكل جانبا مهما لهم<sup>(٢)</sup>.

### خامساً: تحديث واقع تعليم اللاجئين

تم اجراء مقابلا بواسطة اخصائية نفسية بعمل مجموعات ناقشية مع بعض الطالبات والطلبة من جنسيات مختلفة بعدد من المدارس المجتمعية لمعرفة التحديات التي تواجه الطلبة اللاجئين في المدارس ومعرفة الاسباب التي ادت الى عدم التحاقهم بالتعليم الرسمي. وكانت النتيجة التي خلصت من مجموعات النقاش هي كالتالي:

اولا المنهج في المدارس الحكومية اكثر تعقيد من المناهج المتبعة داخل المدارس المجتمعية لانها قريبة من ثقافتهم المختلفة للأطفال اللاجئين. وثانياً طريقة الشرح داخل الفصول التعليمية اجمع الطلاب داخل مجموعات النقاش ان الاساتذة والمعلمين في المدارس المجتمعية اكثر قدرة على شرح وتوصيل المادة التعليمية للتلاميذ. ثالثاً الدروس الخصوصية

(١) نوران سليم: اللاجئين الأفارقة في مواجهة تحديات التعليم في مصر، موقع كرافان، تاريخ التصفح

٩ سبتمبر ٢٠١٩. <http://www.auccaravan.com/?p=6616>

(٢) المرجع السابق <http://www.auccaravan.com/?p=6616>

تنهك كل الطلبة اللاجئين ماديا داخل المدارس الحكومية مما يستدعي تحويلهم الى المدارس المجتمعية لعدم الحاجة الى دروس خصوصية. واخيراً يري الطلبة داخل مجموعات النقاش اندماجهم داخل المدارس المجتمعية مع بعضهم من الجنسيات المختلفة اسهل بكثير من الاندماج داخل مجموعات الطلبة بالمدارس الحكومية.

وفق المقابلات التى جرت تبين هذه التحديات او المشاكل التى تواجه الطلاب اللاجئين فى المدارس الحكومية<sup>(١)</sup>: ارتفاع كثافة الفصول، ونقص فى الإمكانيات التعليمية داخل المدرسة، بالإضافة إلى مشكلات لدى المعلم فى إدارة الفصول ذات الكثافات المرتفعة، ومشكلات متعلقة بالمتابعة الإدارية والتدريبية للمعلمين، فضلاً عن حاجة المدارس للصيانة، ولمست محاولات وزارة التربية والتعليم العمل على حل هذه المشكلات خلال المراحل التعليمية المختلفة. والتنمر، واختلاف اللهجات واللغات، التمييز، عدم إدراك المعلمين وإدارة المدرسة للظروف التى مر بها الطالب اللاجئين.

التحديات التعليمية الخاصة بالطلاب الأفارقة وخاصة ممن ليس لهم الحق فى دخول المدارس المصرية مجاناً، فلديها عائق اللغة مما اضطر الأهل لتسجيل أبنائهم بالمراكز التعليمية المجتمعية التابعة للجمعيات الأهلية الداعمة للاجئين. المراكز التعليمية الخاصة بالأفارقة تعاني من نقص الإمكانيات المادية والتعليمية، فأغلب المدارس هى شقق مستأجرة، وبالتالي تعاني من كثافات كبيرة من الطلاب، وعدم وجود مدرسين مدربين إلا القليل منها، بالإضافة إلى عدم وجود أنشطة رياضية أو فنية للطلاب<sup>(٢)</sup>. واخيراً يمكن بان نلخص مؤشرات تعليم اللاجئين فيما يتعلق بالحق فى التعليم فى النقاط التالية:

- تحفظ مصر على المادة (٢٢): والتى تنص على ما ياتي "تمنح الدول المتعاقدة اللاجئين نفس المعاملة الخاصة بالمواطنين بالنسبة للتعليم الاساسي".
- ارتفاع كثافة الفصول، وعدم جاهزية المدارس الرسمية لاستقبال الطلاب اللاجئين.
- عدم وجود مدرسين مجهزين للتعامل مع اللاجئين.
- ظاهرة التنمر تجاه الطلاب اللاجئين، واختلاف اللهجات.

(١) آيات الحبال، مرجع سبق ذكره.

(٢) المرجع السابق نفسة، <https://www.almasryalyoum.com/news/details/1357761>

- الدروس الخصوصية تنهك كل الطلبة اللاجئين ماديا داخل المدارس الحكومية مما يستدعي تحويلهم الى المدارس المجتمعية لعدم الحاجة الى دروس خصوصية.
- واخيراً الاندماج داخل المدارس المجتمعية اسهل بكثير من الاندماج داخل مجموعات الطلبة بمدارس التعليم الرسمي .

## وخناما:

يمكن القول فى ظل الازمة الاقتصادية التى تعاني منها مصر يوصى: بان تقوم الحكومة المصرية بالتطبيق الفعال لاتفاقية ١٩٥١ والتى بالرغم من وجود تحفظات عليها من قبل الحكومة المصرية، فانها لا تزال صالحة لجعل حياة اللاجئين افضل. ويمكن للحكومة المصرية ان تشجع المنظمات غير الحكومية على منح بعض الخدمات الاجتماعية للاجئين بشكل افضل مما هو عليه بسبب تلك القيود التى تصاحب ملف اللاجئين، والعمل على اصدار قانون وطني للاجئين او لجنة للتعامل مع موضوع اللاجئين بشكل اقرب من التعامل الحالى من خلال ادارة اللاجئين بوزارة الخارجية. وعلى المفوضية أن تتواصل مع وزارة التربية والتعليم لضمان الاندماج الناجح لجميع اللاجئين فى المدارس التعليم الرسمي وضمان خدمات تعليمية بجودة افضل. وعلى المفوضية ايضا التواصل بصورة اكثر ايجابية وفعالية مع منظمات المجتمع المدني وبالاخص المدارس المجتمعية ودعمها ماديا وفنيا لتاهيل المدرسين وتحسين البنية التعليمية.

قائمة المراجع

١. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين: مجموعة من المواثيق الدولية والإقليمية الخاصة باللاجئين ، (القاهرة: المكتب الإقليمي القاهرة، مايو ٢٠٠٧) ، ص ٤٨.
٢. صلاح الدين طلب فرج، "حقوق اللاجئين في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي"، (مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٩)، ص ١٦٩
٣. المرجع السابق نفسة.
٤. من هو اللاجئ، موقع منظمة الهجرة الدولية، تاريخ التصفح ١٣ سبتمبر ٢٠١٩، على الرابط <https://egypt.iom.int/ar/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1%D8%9F>
٥. Kate Jastram & Marilyn Achiron, Refugee Protection: A Guide to international Refugee Law, (Geneva: UNHCR, & New York: Inter-Parliamentary union, 2001), p 125
٦. ايمن اديب سهله: البديل الداخلي للحماية الدولية في ظل اتفاقية جنيف لسنة ١٩٥١ الخاصة بالمركز القانوني للاجئ، في رابعة رضوان: حقوق والتزامات الدول المضيفة للاجئين، مجلة القانون الدستوري والعلوم الادارية، برلين، المانيا: العدد الاول اكتوبر ٢٠١٨، ص ٢٦٣.
٧. د. أحمد الرشيدى: الحق في طلب اللجوء كأحد تطبيقات حقوق الإنسان، ص ٧٧ - ٧٩. د. هالة أحمد الرشيدى: مبدأ مسؤولية الحماية كنهج جديد لتعامل المنظمات الدولية مع الأزمات الإنسانية: أزمة اللاجئين نموذجاً، مقدم الى مؤتمر: أزمات الهجرة واللجوء وتحديات الدولة القومية في العالم العربي وأوروبا، (القاهرة: مركز البحوث السياسية وحوار الثقافات ٢٤ - ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦)
٨. نفس المرجع السابق.
٩. د. هالة احمد الرشيدى، الاطار القانونى للجوء.. والالتزامات الدولية تجاه اللاجئين، (القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٧ يناير ٢٠١٧) ص ٧٩.
١٠. المرجع السابق.



١١. نوران سليم، اللاجئين الافارقة فى مواجهة تحديات التعليم فى مصر، تاريخ التصفح ١٤ سبتمبر ٢٠١٩ على موقع <http://www.auccaravan.com/?p=6616>
١٢. اخبار الامم المتحدة، ٨٠% من اللاجئين فى مصر يعيشون فى اوضاع انسانية بائسة، تاريخ التصفح ١٤ سبتمبر ٢٠١٩ على موقع <https://news.un.org/ar/story/2019/02/1028002>
١٣. عادل عامر، اسباب تحفظ مصر على اتفاقية حماية اللاجئين، تاريخ التصفح ١٥ سبتمبر ٢٠١٩، على موقع <https://www.masress.com/almesryoon/1183000>
١٤. نفس المرجع السابق.
١٥. عادل عامر، اسباب تحفظ مصر على اتفاقية حماية اللاجئين، تاريخ التصفح ١٥ سبتمبر ٢٠١٩، على موقع <https://www.masress.com/almesryoon/1183000>
١٦. مروة صبحى منتصر، استجابة منظمات المجتمع المدنى لازمة للجوء السورى، (القاهرة: مجلة السياسة الدولية، عدد ٢٠٧ يناير ٢٠١٧) ص ٩٤-٩٧.
١٧. موقع مفوضية الامم المتحدة لشئون اللاجئين، تاريخ التصفح ١٦ سبتمبر ٢٠١٩ انظر: <https://www.unhcr.org/ar/5ae5be924.html>
١٨. موقع مفوضية الامم المتحدة لشئون اللاجئين، <https://www.unhcr.org/ar/5ae5be924.html>
١٩. المرجع السابق نفسة
٢٠. مروة صبحى منتصر، مرجع سابق، ص ٩٤-٩٧.
٢١. اشرف ميلاد، واقع اللاجئين فى مصر، (القاهرة: كراسات رؤى مصرية، العدد ٥٦ سبتمبر ٢٠١٩) ص ١٤-١٨.
٢٢. المرجع السابق نفسة
٢٣. ايات الحبال، «المصري اليوم» ترصد أوضاع المراكز التعليمية للاجئين بالقاهرة: خدمات تعليمية ونفسية لأطفال اللاجئين وطالبي اللجوء، موقع المصري اليوم، تاريخ التصفح ١٨ سبتمبر ٢٠١٩ <https://www.almasryalyoum.com/news/details/1357761>
٢٤. المرجع السابق نفسة.
٢٥. نفس المرجع

٢٦. نوران سليم: اللاجئين الأفارقة في مواجهة تحديات التعليم في مصر، موقع كرافان،

تاريخ التصفح ٩ سبتمبر ٢٠١٩. <http://www.auccaravan.com/?p=6616>

٢٧. المرجع السابق <http://www.auccaravan.com/?p=6616>

٢٨. آيات الحبال، مرجع سبق ذكره.

٢٩. المرجع السابق نفسة،

<https://www.almasryalyoum.com/news/details/1357761>



## الحروب البيولوجية وإعادة ترتيب توازنات القوى في شرق آسيا

Biological wars and the realignment of power balances in East Asia

سهام حدادة

حورية قصعة

طالبتى دكتوراه/ كلية الحقوق والعلوم السياسية "جامعة قلمة" مخبر الدراسات القانونية البيئية جامعة قلمة

### ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على كرونولوجيا الحروب البيولوجية كأحد أبرز مظاهر حروب الجيل الخامس التي أصبحت تشكل تهديد فعلي للأمن الإنساني، الإقليمي والدولي، نظرا لما ينتج عنها من تداعيات على التوازنات الدولية والتموقع الاستراتيجي خاصة في منطقة شرق آسيا التي لطالما شكلت أحد أهم محاور السياسة الدولية، فبالإضافة إلى كونها تضم المثلث الاستراتيجي (الصين، اليابان، كوريا)، فهي تشكل نقطة جوهرية في الإستراتيجيات الدولية وهو ما يدفعنا للتساؤل عن مدى التداعيات التي من شأنه أن يحدثها توظيف هذا النوع من الحروب على التوازنات الدولية في منطقة شرق آسيا، وهو ما سيبقى مرهون بمدى تضارب مصالح المثلث الاستراتيجي والذي من شأنه أن يعزز التواجد الأمريكي في المنطقة؛ أم سيكون توظيف هذا النوع من الحروب تعزيز لمقولة آسيا للأسويين خاصة في ظل بروز مظاهر التكتل الإقليمي لدول المنطقة. الكلمات المفتاحية: حروب الجيل الخامس، الحروب البيولوجية، ميزان القوى، شرق آسيا.

## The Abstract

This paper aims to highlight the chronology of biological warfare as one of the most prominent manifestations of the 5G wars, which have become a real threat to human security, regional and international, due to the implications for international balances and strategic positioning, especially in East Asia, which has long been one of the most important aspects of international policy, in addition to the strategic triangle (China, Japan, Russia), which is a fundamental point in international strategies, which leads us to question the extent to which the implications that its employment would have. This kind of war on international balances in east Asia, which will continue to depend on the extent of the conflict of interests of the strategic triangle that would enhance the U.S. presence in the region, or would the use of this type of war reinforce asia's saying "Asia for the Asians", especially in light of the emergence of the regional bloc of the countries of the region.

**Keywords:** Fifth Generation Wars, Biological Wars, Balance of Power, East Asia.

## مقدمة

في عالم دائم التغيير وشديد التعقيد ميزه تنامي التطور التكنولوجي، والذي نتج عنه تغيير المفاهيم السائدة عن الحرب والصراع والردع، حيث أصبحت الحرب غير واضحة المعالم، بل عبارة عن خليط هجين من الحروب النظامية وغير النظامية يصعب تحديد فيها نقطة الالتقاء بين الحرب والسلام، أين تستخدم فيها كل الوسائل والأدوات المتاحة على اختلاف أنواعها، بحيث ينتج عنها تحقيق الأهداف المرجوة بأقل الخسائر.

وأبرز أنواع هذه الحروب أو ما يعرف بحروب الجيل الخامس *the fifth Generation Wars*، والتي تمتلك قدرة كبيرة على كسر إرادة الدول أو التحكم فيها أو تهديدها أو ابتزازها سياسيا أو اقتصاديا، جزئيا أو كليا، مما قد ينتج عنه إعادة ترتيب توازنات القوى، تبرز الحروب البيولوجية كمصدر قلق وتهديد فعلي في ظل تزايد عدم اليقين المرتبط بالجماعات الإرهابية والدول المارقة نتيجة السرية المحيطة ببرامج الحروب البيولوجية، وسهولة الحصول على التكنولوجيا الحيوية والعوامل المنتجة للسلاح البيولوجي كالعامل المسبب للجمرة الخبيثة والعامل المسبب لتولاريميا والعامل المسبب للطاعون، إضافة إلى صعوبة تأكيد مزاعم الهجوم البيولوجي، ونقص البيانات الميكروبيولوجية والوبائية، أو فقدان السيطرة على برامج الدفاع الطبي البيولوجي خاصة مع وجود أمثلة تاريخية عديدة عن الكوارث العسكرية الناتجة عن الإخفاق في تكييف السياسة والإستراتيجية والعقيدة لتعويض تأثيرات التطورات في تكنولوجيا الأسلحة وما تفرزه من تداعيات على توازنات القوى، خاصة في منطقة شرق آسيا باعتبارها أحد أهم محاور السياسة الدولية والتي شهدت توظيف هذا النوع من الحروب في إطار الصراعات بين الفواعل المحلية، الإقليمية والدولية، بشكل نتج عنه إعادة رسم خريطة مصالح النفوذ والتموقع الاستراتيجي المنطقة لهاته القوى.

وبناء على ذلك تم طرح الإشكالية التالية:

ما مدى تداعيات الحروب البيولوجية على إعادة ترتيب توازنات القوى في شرق آسيا؟

ولتقديم إجابة مؤقتة للإشكالية تم صياغة الفرضيات التالية:

- كلما زاد تضارب مصالح دول المثلث الاستراتيجي كلما زاد احتمال توظيف الحروب البيولوجية آلية لتغيير التوازنات الدولية في المنطقة.

- ستشكل الحروب البيولوجية تهديد حقيقي للتواجد الأمريكي في منطقة شرق آسيا، خاصة في ظل بروز بوادر لتكتل دول المثلث الاستراتيجي مثل منظمة شنغهاي وسياسة مناطق الازدهار المشترك.

وبناء على ذلك سيتم معالجة الدراسة وفقا للمحاور التالية:

### المحور الأول: الحروب البيولوجية وكرونولوجيا نوظيف الأسلحة الميكروبيولوجية

التحول في طبيعة الأمن ومصادر التهديد أفرز تعددية في أجيال الحروب؛ والتي مها اختلفت من حيث أهدافها واستراتيجياتها وآلياتها وتداعياتها إلا أنها تشترك في نقطة محورية تتمثل في تهديدها للأمن والاستقرار، وتشكل الحروب البيولوجية أكثر هذه الحروب تهديدا للأمن بكل أبعاده ومستوياته، وسنحاول من خلال هذا المحور التعرض إلى الجانب المفهومي لهذه الحرب والمسار التاريخي لتوظيف العوامل البيولوجية في الحروب.

#### أولاً: مفهوم الحرب البيولوجية Biological Warfare

الحرب البيولوجية، الحرب البكتيرية، الحرب الجرثومية، الحرب الميكروبيولوجية، ...كلها تسميات لمفهوم واحد فهي الحرب التي تستخدم فيها الكائنات الحية الدقيقة التي تسبب أمراضا معدية تؤدي في غالب الأحيان إلى العجز أو الموت البطيء، والبكتريولوجية هي نوع من الأسلحة المتطورة والفتاكة في الفترة المعاصرة نظرا لقدرتها على الانتشار السريع والإصابة وتأقلمها في مختلف الظروف والعوامل المختلفة<sup>(١)</sup>.

كما تعرف على أنها التوظيف المتعمد للميكروبات والكائنات الحية والسموم بصفة عامة من الميكروبات من أصل حيواني أو نباتي لإنتاج المرض و/ أو الموت للبشر، الثرة الحيوانية و المحاصيل، ويرجع الاهتمام بهذا النوع من الحروب لانخفاض تكاليفها وسهولة الوصول إلى مجموعة واسعة من العوامل البيولوجية المنتجة للأمراض وعدم الكشف عنها بواسطة أنظمة الأمن الروتينية وسهولة نقلها من موقع لآخر<sup>(٢)</sup>.

١ شافو رضوان، "الحرب البكتريولوجية... الإستعمار الناعم لإفريقيا: قراءة في الخلفيات والتداعيات"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع. ٢٠، (سبتمبر ٢٠١٥)، ص. ٧٧

2 Edgar Dasilva, "Biological warfare, bioterrorism, biodefence and the biological and toxin weapons convention", *Journal of Biotechnology*, vol.2, no.3, (1999, December 15), p.٩٩

ومن التعريفات الشائعة للحرب البيولوجية هو استخدام السموم البيولوجية أو العوامل المعدية مثل البكتيريا، الفيروسات والفطريات التي تهدف إلى قتل أو إعاقة البشر أو الحيوانات أو النباتات كعمل من أعمال الحرب.

وعليه وبناء على التعريفات السابقة نستنتج أن الحروب البيولوجية هي ذلك النوع من الحروب التي توظف فيه الأسلحة غير التقليدية المتمثلة في الكائنات الحية والمجهريّة والعوامل المعدية ( البكتيريا، الفيروسات، الفطريات...)، والتي تعد أخطر وأكثر فعالية من الأسلحة الكيميائية وأشد فتكا منها، حيث تتركز قدرة التأثير لديها على التكاثر السريع جدا.

### ثانياً: توظيفات الأسلحة والعوامل البيولوجية (المكروبيولوجية)

يرتكز السلاح البيولوجي على الإنتاج المتعدد لكائنات حية متناهية الدقة تسبب الأمراض والأوبئة الفتاكة سواء كانت فيروسات أو جراثيم أو بكتيريا أو مواد سامة ناتجة عن العمليات الحيوية لهذه الكائنات والتي تتسبب في إحداث أمراض للإنسان والحيوان والنبات، تؤدي إلى الهلاك أو الفناء على نطاق واسع لأفراد أو مجتمعات...ويمكن أن يتسع مداها ليشمل بلد بأكمله حسب نوع السلاح البيولوجي، خاصة إذا تم توظيف تكنولوجيا الهندسة الوراثية والبيولوجيا الجزيئية والتكنولوجيا الحيوية حيث تكون قدرة الإصابة ونطاقها التأثيري والتدميري كبير جداً<sup>(١)</sup>.

ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت الأمراض المعدية والأسلحة البيولوجية معترف بها لتأثيرها الكبير على الجيوش و/أو الناس، حيث كان المحاربين في الحضارات القديمة كالإغريقية والرومانية والفارسية يلوثون مياه الشرب للأعداء بالجثث المتحللة للحيوانات والبشر والتي تحتوي على ميكروبات من النوع الخطير<sup>(٢)</sup>، كما وقد قدم المؤرخ اليوناني هيرودوت مثالا عن استخدام هذا النوع من الأسلحة في الحروب من خلال حديثه عن قيام الرماة السكيثيين من بدو أوروبا الشرقية- بغمس سهامهم في مزيج من الجثث

١ أيمن النحراوي، "مدخل إلى الحرب البيولوجية"، ٢٢ مارس ٢٠٢٠، تاريخ الاسترداد ٠٢ جانفي ٢٠٢١،

جريدة الشروق، متاح على الرابط: <https://2u.pw/OYhEz>

٢ مصطفى عاشور، الميكروبات والحرب البيولوجية، الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠٥، ص. ٠٦.

المتحللة والدم البشري وبعض الإضافات الأخرى قبل استخدامها<sup>(١)</sup>، مما نتج عنها إصابة جنود العدو بالكراز والغرغرينا والتي تسببها بكتيريا الكلوستريديوم.

وفي الستينات ظهرت تقارير تشير إلى أن إضافة إنزيم التربسين Trypsin الذي تزرع فيه البكتيريا المسببة للبوتيلوزم *Clostridium botulinum* تزيد من فاعلية وكفاءة السم المميت الذي تنتجه هذه البكتيريا بمقدار أربع مائة مرة، ومنذ عام ١٩٩٢ ظهرت العديد من الأوبئة التي اجتاحت العالم، فشهدت مدينة ميلوكي الأمريكية وباء ناتج عن تلوث المياه بطفيل "كريبوسبورديوم" الذي سبب نزلات معوية لأكثر من ٤٠٠ ألف حالة، إضافة إلى "الطاعون" الذي ظهر في الهند و "الإيبولا" الذي ظهر في الزائير وسبب الحمى النزفية في وسط إفريقيا، وكذلك أنفلونزا الطيور في هونغ كونغ عام ١٩٩٧، وفيرس "هندرا" في أستراليا وفيرس "تياها" في ماليزيا وسنغافورة<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتحسين فعالية اتفاقية الأسلحة البيولوجية، إلا أن الحقيقة هي أن عدد الدول والمنظمات المعروف أو المشتبه في امتلاكها أسلحة بيولوجية قد تضاعف منذ دخول الاتفاقية حيز التنفيذ في عام ١٩٧٥ حيث يشتهر في قيام ١٧ دولة إما بتضمين أو تطوير عوامل بيولوجية في برامج أسلحتهم<sup>(٣)</sup>.

وجاء تصريح "كورنسيل" أستاذة الميكروبيولوجي في جامعة نيوجيرسي الأمريكية ليوضح توجه العديد من الدول نحو توظيف هذا النوع من الأسلحة:

"إن كل ما يحتاجه الفرد لصناعة السلاح البيولوجي هو سلالات البكتيريا التي يمكن الحصول عليها من مركز تجميع العينات ATCC، فمثلا بكتيريا الأنثراكس العضوية التي تسبب مرض الجمرية الخبيثة يمكن أن يحصل عليها أي معمل، وتضيف أن أي وسط يحتوي على الأحماض الأمينية الأساسية يمكن أن يشكل وسطا مناسباً لنمو هذه البكتيريا"<sup>(٤)</sup>.

1 Vincent Barras & Gilbert Greub, "History of biological warfare and bioterrorism", *Clinical Microbiology and Infectio*, vol.20, no.06, ( June 2014), p. 498

٢ عبد الهادي مصباح، الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخبرات والإرهاب، ( القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٠)، ص. ٢٧

3 Benu Dhawan & other, "Bioterrorism: A threat for which we are ill prepared", *Medicine and Society The National Medical Journal of India*, vol. 14, no.4, (2001), p. 226

٤ عبد الهادي مصباح، المرجع السابق، ص ص. ٢٨، ٢٩



وهنا يتضح أن أخطر ما يميز الأسلحة البيولوجية هو انخفاض تكلفة إنتاجها مقارنة بالأسلحة التقليدية أو النووية التي تتطلب تكاليف وتجهيزات تكنولوجية عالية، فالأسلحة البيولوجية يتطلب إنتاجها فقط حد أدنى من المعرفة العلمية ومعمل للمايكرو-بيولوجي، وبعض التجهيزات اللازمة للإنتاج، كذلك يمكن إنتاج كميات ضخمة من العنصر البيولوجي اعتباراً أن خلية واحدة من ميكروب ما قادرة على التكاثر بدرجة رهيبية مما يمكن من تكوين مخزون هائل، لكن الخطورة تتصاعد بمجرد البدء في تصنيعها حيث تتطلب درجة عالية من التأمين خلال وبعد التصنيع والتخزين<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ذلك يتضح لنا أن السلاح البيولوجي هو سلاح ثلاثي الخواص:

- خاصية الجود بأقل تكلفة فهو سلاح استراتيجي منخفض التكلفة.
- خاصية مكافأة القوة ومعادلة التأثير فالحروب البيولوجية تتوفر على درجة عالية من الفعالية والتأثير حتى في مواجهة القوى التي تمتلك قدرات قتالية عالية.
- خاصية التأثير الشامل وشل القدرات بحيث يمكن لأي فرد أو جماعة أو دولة بواسطة السلاح البيولوجي أن تتمكن من تحييد الدول والتأثير على مقوماتها وشل قدراتها الاقتصادية والسياسية.

ومن أهم الأسلحة المستخدمة في الحروب البيولوجية: سم البوتولينوم - يمكن لصاروخ SCUD محمل بسم ابوتولينوم أن يؤثر على مساحة تبلغ ٣٧٠٠ كلم<sup>2</sup>، والجمرة الخبيثة (Anthrax)، فيروس إيبولا، الكوليرا، الجدري المائي، الطاعون، الملاريا، حمى الضنك، السرطانات بأنواعها، التفوييد، السل، الكورونا، الحميات بأنواعها، والساسرس SARS... إلخ<sup>(٢)</sup>، ويمكن أن تقذف هذه الأسلحة بواسطة صواريخ موجهة آلياً، أو بطائرات بدون طيارين، كما يمكن أن تحماها حيوانات مصابة بها تلقى بالمظلات ( فتران، جردان، أرانب ...) أو توضع في الأرياف بواسطة عملاء يمتلكون مناعة ضد هذه الجراثيم<sup>(٣)</sup>.

١ أيمن النحراوي، مرجع سابق.

٢ المحبشي زيد، "الحروب البيولوجية أسلحة خفية وجرائم منسية"، ١١ أبريل ٢٠٢٠، تاريخ الاسترداد ٢٩ ديسمبر ٢٠٢١، شبكة الأنباء المعلوماتية، متاح على الرابط: <https://2u.pw/dk6aP>

٣ فيكتور فرنز، الحرب العالمية الثالثة: الخوف الكبير، تر. هيثم الكيلاني، ( لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٨)، ص. ٢٠.

وإضافة إلى كل ما سبق، فبالرغم من بعض الأحداث النادرة الموثقة جيدا غالبا ما يكون من الصعب جدا على المؤرخين وعلماء الأحياء الدقيقة التفريق بين الأوبئة الطبيعية والهجمات البيولوجية المزعومة، وذلك بسبب:

- ✓ القليل من المعلومات المتاحة قبل ظهور علم الأحياء الدقيقة الحديث؛
- ✓ قد يتم التلاعب بالحقيقة لأسباب سياسية، خاصة فيما يتعلق بموضوع ساخن مثل هجوم بيولوجي؛
- ✓ قد يكون مرور الوقت قد شوه أيضا حقيقة الماضي.

### المحور الثاني: محددات النفاعلات الدولية في منطقة شرق آسيا

تعتبر منطقة شرق آسيا منطقة ذات أهمية محورية للنظام العالمي بسبب ديناميكيتها الاقتصادية، وثقلها المتزايد، وتحدي الصين للولايات المتحدة باعتبارها القوة المهيمنة الإقليمية والعالمية الحالية، وغيرها من بؤر الصراع الساخنة مثل شبه الجزيرة الكورية، وهذا يتطلب تحليلا أكاديميا يقدر كلاهما التفاصيل الدقيقة المتأصلة في هذه المنطقة، ويمكن أن يربطها بالسياق النظامي الأوسع، خاصة مع الخصائص الصعبة الموجودة في العلاقات الدولية في شرق آسيا، ولاسيما إمكانية تعايش المستويات المتزايدة من الترابط الاقتصادي مع التوترات الأمنية المتزايدة، الواقع المعقد للسياسات الإقليمية والعالمية لشرق آسيا، وعليه من خلال هذا المحور سنحاول رصد محددات التفاعلات الدولية في المنطقة.

#### أولا: الصراع كمحدد للفاعلات الدولية في منطقة شرق آسيا

تحتل منطقة شرق آسيا أهمية بالغة ضمن استراتيجيات القوى الكبرى، ارتبطت تحديدا بضمها لدول محورية في القارة الآسيوية (كالصين التي تمتلك إمكانيات للمنافسة على الزعامة العالمية)، مما جعلها مجالا لتفاعلات السياسة الدولية بشقيها صراع/ تعاون، وتتجلى مظاهر الصراع في منطقة من خلال:

#### ١ - الديناميكيات الجيوستراتيجية في منطقة شرق آسيا

إن التنافس الجغرافي الاستراتيجي الصيني الياباني في أوائل القرن الحادي والعشرين هو حصة تطورين: التغييرات المنهجية التي تحدث في شرق آسيا، والفرصة المحدودة للتعاون الأمني المستمر والمؤسسي بين القوى الكبرى في المنطقة، وبفضل نفوذها

السياسي والاقتصادي، تعمل مصالح الصين وقدراتها المتزايدة على تآكل مكانة القوتين الرئيسيتين في المنطقة (الولايات المتحدة واليابان)، حيث تؤكد كل المؤشرات أن الصين تعمل على استبدال الولايات المتحدة كقوة مهيمنة في شرق آسيا بتحويل نفسها بشكل تدريجي وخلق من قوة الوضع الراهن المترددة إلى قوة تعديليه، وهو ما برز مع التحديث العسكري التدريجي والبراغماتي للصين ونجاحها الاقتصادي الذي أدى إلى إضعاف (إلى حد ما) النفوذ الأمريكي (والأهم) الياباني في شرق آسيا، وعلى المدى الطويل قد تحل الصين محل الولايات المتحدة كضامن رئيسي للأمن الإقليمي، الولايات المتحدة واليابان بدورهما عازمتان على إحباط الطموح الصيني لضمان القيادة الأمريكية في شرق آسيا والحفاظ على العلاقات الأمنية الاستراتيجية بين الولايات المتحدة واليابان باعتبارها الركيزة الأساسية لهذا الوضع المهيمن.

في منتصف التسعينيات أعلن الأكاديمي الأمريكي البروفيسور آرون فريديبيرج Aaron Friedberg في مقال له عام ١٩٩٤ بعنوان "حان وقت التنافس: آفاق السلام في آسيا متعددة الأقطاب"، أن آسيا تبدو أكثر احتمالا أن تكون ميدانا لصراع القوى العظمى والتنافس مع نهاية الحرب الباردة في أوروبا، ولاحظ Friedberg أن الخلاف الإقليمي متفش في المنطقة بمشاركة قوى كبرى وصغرى، وأشار إلى عدم وجود ترتيبات واضحة وتعاونية في المجال السياسي والعسكري بسبب التنوع الثقافي والاقتصادي والسياسي في المنطقة، وبناء على ذلك حذر من أن الحروب والأشكال الأخرى من التنافس الجغرافي الاستراتيجي ممكنة في منطقة متنوعة وسريعة التغير، وملينة بالعداءات والشكوك مثل آسيا في القرن الحادي والعشرين، هذه الرؤية المتشائمة لآسيا مفادها أن جميع الدول في شرق آسيا هي دول ويستفالية / إقليمية إلى حد كبير، وهي حبيسة منطق الفوضى الدولية، وبالتالي فإن هذه الدول ستقاتل على الأرض ليس من أجل العائدات التي تتوقع تحقيقها، ولكن لأنها تعتقد أن لها قيمة رمزية أو استراتيجية<sup>(١)</sup>.

تشكل الصين واليابان أقوى دول ويستفاليا في شرق آسيا، وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعينيات برز التنافس الصيني والياباني على دور المهيمن الإقليمي، ليظهر الخلاف إثر حادثة جزر سينكاكو غير المأهولة في بحر الصين الشرقي في

1Aaron L. Friedberg, "Ripe for Rivalry: Prospects for Peace in a Multipolar Asia", International Security, Vol. 18, No. 3 (Winter 1994), pp. 21-25

سبتمبر ٢٠١٠، والذي نتج عنه تعليق الصين للتبادلات عالية المستوى مع طوكيو، وجميع العلاقات بين وحدات الحكومة الصينية الإقليمية والمركزية ونظيراتها اليابانية، والمفاوضات الثنائية بشأن زيادة عدد الرحلات التجارية بين البلدين، وطالبت بكين باعتذار وتعويض من طوكيو عن احتجاز القبطان الصيني، وهو ما رفضه رئيس الوزراء الياباني Naoto Kan بشدة.

خلفت الحادثة قلق اليابان بشأن التوجهات التوسعية في بحر الصين الجنوبي، وبرز مخاوف طوكيو من زيادة الإنفاق العسكري الصيني واستكشاف مصادر جديدة للطاقة في بحر الصين الشرقي وتأمينها، نتيجة لذلك قررت الحكومة اليابانية ربط "دعم الدولة المضيفة" للقواعد الأمريكية عام ٢٠١٠ والذي يبلغ ٣.٣ مليار دولار أمريكي، علاوة على ذلك أعطت الأولوية للتدابير التالية:

- ✓ تخفيف القيود طويلة الأمد المفروضة على صادرات الأسلحة ؛
- ✓ التعاون مع الولايات المتحدة في تطوير أنظمة أسلحة عالية التقنية؛
- ✓ وإحياء صناعة الدفاع اليابانية<sup>(١)</sup>.

وقد تفاقم هذا الوضع بسبب وجود هيكل أممي إقليمي في شرق آسيا يتم الحفاظ عليه من خلال توازن دقيق بين القوى الكبرى الثلاث - الولايات المتحدة واليابان والصين.

**٢- التواجد الأمريكي في شرق آسيا ومعارضة التكامل الإقليمي لدول المنطقة**

ترتبط الولايات المتحدة بعلاقات عميقة وقوية مع العديد من الدول الآسيوية، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت القوة العسكرية الأولى في المنطقة، وعلى الرغم من الاستقرار الجيوسياسي الذي أفرزه نمو الاقتصادات الآسيوية، وتطور العلاقات بين دول المنطقة مع بروز مظاهر التوجه نحو الإقليمية، إلا أن الاعتماد المتبادل عبر المحيط الهادئ بين الولايات المتحدة وآسيا لا يزال يشكل محورا رئيسيا من محاور التفاعلات الدولية في المنطقة.

لطالما كان التواجد الأمريكي في آسيا مدعوم بعلاقات الولايات المتحدة الثنائية مع الشركاء الرئيسيين في آسيا، بما في ذلك اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين وتايلاند وسنغافورة، وفي ظل هذه العلاقات، تعاملت الدول بشكل مباشر مع الولايات المتحدة وفقا

1 Renato Cruz De Castro, "China and Japan in maritime Southeast Asia: extending their geo-strategic rivalry by competing for friends", Philippine Political Science Journal, vol.34, no.2, (2013), p155.

لنموذج "المحور والتحدث"، في عام ٢٠١٠ عاودت الثنائية الظهور في الوجود الأمني الأمريكي في شبه الجزيرة الكورية وبحر الصين الجنوبي، وفي غضون ذلك برزت البنية الإقليمية الآسيوية وساهمت في تعدد مرن للأمن والعلاقات في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، مع مقترحات إقليمية وصينية، ليتم طرح تساؤلات كثيرة بخصوص مسألة ما إذا كان يمكن وينبغي استكمال نظام المحاور الثنائية بمزيد من المشاركة والتعاون متعدد الأطراف، بحيث تكون هذه المشاركة أكثر ملائمة للمشاكل المعقدة التي تواجه المنطقة الآن، بما في ذلك التهديدات الأمنية<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك، فقد أدى إرث الحرب الباردة من التحالف الأمني الثنائي للولايات المتحدة إلى تقييد ممارسة سياسة أمريكية متسقة بشأن التعاون داخل شرق آسيا، حيث حاولت واشنطن إحباط التكامل بين الدول الآسيوية الذي بدا أنه يستبعد الولايات المتحدة خوفا من فقدان توازن قوتها كدولة تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي كبير في المنطقة.

أدى رد الفعل القوي للولايات المتحدة على الحركة تجاه الإقليمية في شرق آسيا إلى قيام العديد من قادة الحكومات الآسيوية بالتخلي عن التكامل الإقليمي الذي تفوقه الدولة خلال التسعينيات، فاقترح رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد رؤية مفهوم المجموعة الاقتصادية لشرق آسيا (EAEG) التي دعت إلى تشكيل تجمع تجاري - يتألف من دول الآسيان واليابان والصين وكوريا وهونغ كونغ، إلا أن إدارة بوش عارضت بشدة هذا الاقتراح على أساس أنه كان يروج لفكرة الكتلة التجارية التقييدية التي لا تتوافق مع الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات)، فغيرت ماليزيا اسم الاقتراح إلى التجمع الاقتصادي لشرق آسيا (EAEC) بعد التشاور مع أعضاء الآسيان الآخرين في أكتوبر ١٩٩١ وأوضحت طبيعة المجموعة على أنها شكل فضفاض من المنتدى الإقليمي حول القضايا الاقتصادية الإقليمية؛ وليس كيانا مؤسسيا أو كتلة تجارية، ورغم الجهود المبذولة لتجنب أي سوء تفسير للاقتراح بقيت المعارضة الأمريكية، في حين أيدت باللجنة الاقتصادية الأوروبية، وهو ما أظهر سياسة الكيل بمكيالين من خلال منطق العمل

1 Han Sung-Joo & others, "U.S.-East Asia Relations: A Strategy for Multilateral Engagement A New Beginning and Beyond the APEC Summit", Asia Society Task Force Report, (November 2011), p. 10

## الحروب البيولوجية وإعادة ترتيب توازنات القوى في شرق آسيا

الدبلوماسي الأمريكي، وبدلاً من مجتمع شرق آسيا تدفع إدارة أوباما نحو الشراكة عبر المحيط الهادئ (TPP)، وهي صفقة تجارية بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية وآسيا، وشدد أوباما على أنه "إذا لم نحدد القواعد، فتحدد الصين القواعد في المنطقة ... سنغلق

| السنة           | ٢٠٠٨       | ٢٠١٦       | ٢٠١٧        | ٢٠١٨        | 2019        | 2020       |
|-----------------|------------|------------|-------------|-------------|-------------|------------|
| الصادرات        | 359,151.2  | 452,093.3  | 486,024.8   | 509,595.9   | 492,778.6   | 406,350.9  |
| الواردات        | 825,325.3  | 984,311.2  | 1,057,266.9 | 1,130,276.6 | 1,061,286.9 | 934,654.1  |
| الميزان التجاري | -466,174.0 | -532,217.9 | -571,242.1  | -620,680.7  | -568,498.3  | -528,303.2 |

أوباما مما يعني خسارة الوظائف الأمريكية<sup>(١)</sup>.

ويبرز الجدول التالي أهمية المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، حيث يظهر

الجدول رقم ١٠: تجارة السلع الأمريكية مع الآسيان (مليون دولار)

القيمة الكبيرة للمبادلات التجارية بين الولايات المتحدة ودول جنوب شرق آسيا

المصدر: من إعداد الباحثان بناءً على إحصائيات منقولة من:

Foreign Trade: trade in goods with Asia, United State Census Bureau, november 2020, accessed 03/01/2021, from: <https://2u.pw/gXu1M>

### ٣- التنوع

كان التنوع بين دول شرق آسيا وعدم تجانسها في التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمثابة حواجز هائلة أمام الجهود الإقليمية الجماعية التي تقودها دول المنطقة، فمن الناحية الاجتماعية تختلف الدول عن بعضها البعض على نطاق واسع من خلال تقاليدها الصينية والشنوية والإسلامية والبوذية والإسلامية والكونفوشيوسية والمسيحية، حيث يظل مواطنو شرق آسيا متنوعين للغاية في الهويات المعيارية، بما في ذلك التعريفات الذاتية الدينية والعرقية واللغوية والثقافية، أما من الناحية الاقتصادية تختلف البلدان اختلافاً كبيراً

1 Ebenzer N. Tadeo, "Regional Cooperation in East Asia: its needs and challenges", a thesis of Master, (Baltimore: The Johns Hopkins university, may 2015), pp. 49-52

من حيث دخل الفرد والهياكل الصناعية والمالية والقدرات المؤسسية والبشرية والانفتاح التجاري وأنماطه ونطاق ومدى التبادل وضوابط رأس المال .

شكلت الفجوة بين البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المرتفعة الدخل عائقا أمام النزعة الإقليمية لشرق آسيا بما تضمنته من أهداف وألويات سياسية اقتصادية مختلفة، ذلك أن الفجوات التنموية بين شركاء نافتا والاتحاد الأوروبي أصغر بكثير من تلك الموجودة في شرق آسيا، حيث كان نصيب الفرد من الدخل في الولايات المتحدة عند إنشاء نافتا ستة أضعاف مثيله في المكسيك، وبالمثل كان دخل الفرد في لوكسمبورغ أكبر بـ ١٦ مرة من دخل الفرد في تركيا عندما دخلت تركيا في اتحاد جمركي مع الاتحاد الأوروبي في بداية عام ١٩٩٦، أما في شرق آسيا وعلى النقيض من ذلك كان دخل الفرد في اليابان (حوالي ٤٠ ألف دولار) أكبر ٥٠ مرة من نظيره في كمبوديا (حوالي ٧٨٢ دولارا أمريكيا) في عام ٢٠٠٩<sup>(١)</sup>، وعلاوة على الاختلافات التنموية الاقتصادية؛ تختلف دول شرق آسيا عن بعضها البعض في معايير أخرى للقدرات الوطنية.

من الناحية السياسية، الاختلافات المؤسسية شكلت عائقا على اقتصادات شرق آسيا من أجل فرض الأطر المؤسسية، فقد أدى المزيج من الديمقراطيات والديكتاتوريات والدول ذات التوجه الشيوعية إلى تحقيق اتفاق ضئيل للغاية حول المبادئ الأساسية للبنية المؤسسية الإقليمية في شرق آسيا.

### ثانيا: التعاون كمحدد للنفاعات الدولية في منطقة شرق آسيا

نتيجة الفوضى التي خلفتها الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة والحروب في كوريا وفيتنام، بدأت فكرة التعاون الإقليمي في شرق آسيا ومنطقة آسيا والمحيط الهادئ تتشكل في النصف الثاني من الستينيات، وكان الهدف منها تعميق التعاون الاقتصادي الإقليمي وتقارب مصالح جميع الأطراف، وذلك من خلال:

#### ١ - مظاهر البنية الإقليمية الجديدة

تبرز مظاهر تبني النزعة الإقليمية في منطقة شرق آسيا في العديد من التكتلات

أهمها:

1 Ebenzer N. Tadeo, Ipid, pp. 35-37

### أ. آسيان + ٣

شكلت الأزمة المالية في شرق آسيا دافعا لتعميق التعاون المالي والتجاري، وبناء إطار للتعاون الاقتصادي الجوهري في منطقة شرق آسيا، وهو ما تجسد من خلال طرح فكرة آسيان + ٣، حيث تكمن الأهمية الحقيقية لـ "آسيان + ٣" في إدراج الصين واليابان في نفس المنتدى للحوار السياسي رفيع المستوى، حيث تم استدعاء الصين بمبادرة من كوريا، بموافقة اليابان غير المتوقعة.

وتسعى آسيان + ٣ إلى توفير إطار عمل لإظهار نفوذ وقيادة شرق آسيا في الشؤون الإقليمية والدولية، حيث كان التركيز الأولي ينصب بشكل كبير على التعاون المالي الإقليمي، وفي يناير ٢٠٠٢ في سنغافورة اقترح رئيس الوزراء كوزومي Koizumi إنشاء مجتمع شرق آسيوي يشمل التعاون خارج نطاق التجارة والمسائل المالية (بما في ذلك أستراليا ونيوزيلندا) لتعزيز التكامل الإقليمي<sup>(١)</sup>، ويمتد جدول أعمال ASEAN + 3 بالفعل إلى ما هو أبعد من مسألة التعاون المالي، بل السعي إلى تطوير مجموعة اقتصادية لشرق آسيا، وعلى الرغم من أن التعاون الاقتصادي بين دول الآسيان قد بدأ في إطار ضيق و محدود، لنشاطات متعلقة بالغذاء والطاقة والنقل وأجهزة الاتصال والزراعة والسياحة فحقق التعاون بينهم احتياطي غذائي آسيوي، إلا أن البداية الحقيقية لآليات التعاون الاقتصادي جاءت في الوقت الذي عقدت في قمة "بالي" بإندونيسيا عام ١٩٧٦ و تم تشكيل ثلاث لجان رئيسية هي<sup>(٢)</sup>:

✓ معاهدة التجارة التفضيلية (الدولة الأولى بالرعاية) P.T.AS.

✓ المشروعات الصناعية (للآسيان) A.I.P.S.

✓ المنطقة الصناعية المغلقة

### ب. منتدى APEC

أسس منتدى APEC في عام ١٩٨٩ لتسهيل النمو الاقتصادي والتعاون والتجارة والاستثمار في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وقد انضمت دول آسيوية (من بينها دول شرق

1Peter Drysdale, **Regional Cooperation in East Asia and FTA Strategies**, Pacific economic papers, no. 344, (Canberra: Australia-Japan Research Centre, & Government, 2005), p.11

٢ علي عواد الشرعة، "الآسيان وتجربة التعاون الإقليمي: دراسة في مقومات التجربة وتحدياتها وإمكانات الاستفادة منها"، مجلة إنسانيات، ع.٠٨، (١٩٩٩)، ص. ٧٢



آسيا كاليبان وكوريا) وأمريكية لاتينية أخرى على طول حافة المحيط الهادئ إلى المنظمة منذ إنشائها، كما تم توسيع أجندة أبيك لتشمل قضايا الأمن البشري.

بين عامي ١٩٩٣ و١٩٩٧، شهد منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ طفرة في النشاط، بقيادة الولايات المتحدة إلى حد كبير، كانت النتيجة الرئيسية إعلان بوجور ١٩٩٤، الذي اتفقت فيه الدول الأعضاء على استكمال تحقيق هدفها المتمثل في التجارة الحرة والمفتوحة والاستثمار في منطقة آسيا والمحيط الهادئ في موعد لا يتجاوز عام ٢٠٢٠. . . مع الاقتصادات الصناعية تحقيق الهدف في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٠ والاقتصادات النامية في موعد أقصاه ٢٠٢٠، بينما كان هناك إجماع على الهدف النهائي والمبادئ التوجيهية العامة لخفض تدريجي في الحواجز الاقتصادية، لا يفرض الإعلان أي وصفة محددة على البلدان الأعضاء<sup>(١)</sup>.

#### ج. المنتدى الاقتصادي لشمال شرق آسيا (NEAEP)

هو منظمة إقليمية غير حكومية تم إنشاؤها في عام ١٩٩١ لرعاية وتسهيل البحث والتواصل والحوار المتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في شمال شرق آسيا، كما يلتزم المنتدى بتعزيز التفاهم والعلاقات بين شعوب شمال شرق آسيا وأمريكا الشمالية وأوروبا، وكان الهدف الرئيسي من إنشاء هذا المنتدى هو أن تجري NEAEP أنشطة البحث والمؤتمرات التي تهدف إلى التعاون الاقتصادي الوظيفي مثل الطاقة عبر الحدود، والنقل، وتطوير البنية التحتية اللوجيستية، وتعبئة رأس المال والتنمية المؤسسية.

يعقد المنتدى مؤتمرات وورش عمل وندوات سنوية لتخطيط وتسهيل وتنسيق وتنفيذ الحلول الدولية متعددة التخصصات لمشاكل السياسات المشتركة، كونه المنظمة الإقليمية غير الحكومية الوحيدة التي تشارك فيها جميع دول شمال شرق آسيا والولايات المتحدة بشكل ثابت ونشط.

عام ٢٠١٤ كانت هناك جهود مبذولة من طرف NEAEP بالتعاون مع المعهد الكوري للسياسة الاقتصادية الدولية (KIEP) لتحقيق تعاون اقتصادي ومالي أوثق في شمال شرق آسيا، كما ساهمت NEAEP في برمجة أنشطة عديدة هدفها تمويل التكامل الاقتصادي الإقليمي، حيث تم تنظيم مؤتمرات واجتماعات قدم فيها الخبراء وجهات نظرهم

1Han Sung-Joo & others, Ipid, p.21

وأفكارهم ومقترحاتهم واستراتيجياتهم ذات الصلة بقضايا عديدة أهمها إنشاء مؤسسة إقليمية للتعاون المالي تجسدت في بنك شمال شرق آسيا للتعاون والتنمية (NEABCD).

### د. قمة شرق آسيا

قمة شرق آسيا هي منتدى للحوار حول القضايا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية الواسعة ذات الاهتمام المشترك، بهدف تعزيز السلام والاستقرار والازدهار الاقتصادي في شرق آسيا؛ افتتحت في ٢٠٠٥، ويوسع EAS التعريف الجغرافي لشرق آسيا في جميع الاتجاهات مع إدراج أستراليا ونيوزيلندا والهند، بالإضافة إلى انضمام الولايات المتحدة وروسيا عام ٢٠١٠، وقبل قرار الولايات المتحدة بالانضمام، كان هناك قلق من أن تعمل قمة شرق آسيا على تقليص نفوذ الولايات المتحدة في آسيا واستبدال منظمة التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ كمنتدى رئيسي متعدد الأطراف حول التحرر الاقتصادي والتكامل، وعموما كان الهدف الرئيسي لمشاركة الولايات المتحدة في قمة شرق آسيا، وكذلك منتدى الآسيان الإقليمي، هو إظهار التزام الولايات المتحدة المستمر بالعمل مع الصين، بحيث يمكن للبلدين أن يجتمعا ويجدوا أرضية مشتركة لضمان استقرار وأمن المنطقة.

### ١. الدور الصيني في النظام الإقليمي لشرق آسيا

حققت الصين قوة ونفوذا إقليميا نظير قيامها بدور استباقي في إنعاش اقتصادات شرق آسيا المتعثرة خلال الأزمة المالية الآسيوية عام ١٩٩٧، ازدهرت التجارة الإقليمية بسبب السوق الصيني الضخم للمكونات الصناعية والمواد الخام والمواد الغذائية والصادرات الاستهلاكية الأخرى، وبالاكتفاء على قوة اقتصادها (حيث تجاوز الناتج المحلي الإجمالي للصين أداء "المعجزات" الاقتصادية الأخرى في شرق آسيا بحوالي ١٠٪ سنوياً على مدار الخمسة عشر عاما الماضية) استطاعت جذب الدول الأعضاء في الآسيان إلى فلكها السياسي المتنامي<sup>(١)</sup>، حيث بدأت القدرات السياسية والاقتصادية والإستراتيجية للصين في شرق آسيا تتقارب مع تضاؤل القوة الاقتصادية لليابان، وأدى التكامل الاقتصادي غير المسبوق بين هونج كونج والصين وتايوان إلى بروز احتمالات لوجود منطقة اقتصادية صينية كبرى، وبالتالي الهيمنة الاقتصادية الصينية على شرق آسيا.

1 Keidel Albert, "Why China Won't Slow Down", *Foreign Policy*, no.154, (May/June 2006), p. 68

كما تغير نهج الصين المنخفض المستوى لتقويض النفوذ الأمريكي في شرق آسيا في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بحلول عام ٢٠١٠ كانت الصين قد طورت قوة بحرية هائلة استطاعت منع البحرية الأمريكية من الوصول إلى بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي أو ما يسمى بـ "سلسلة الجزر الأولى" التي تمتد من اليابان إلى أوكيناوا وتايوان وصولاً إلى الفلبين.

## المحور الثالث: ندائيات الحروب البيولوجية على التوازنات الدولية في منطقة شرق آسيا.

أدت الأزمات والصراعات خلال العقد الأخير إلى بروز توجهات جديدة في السياسة العالمية بزيادة مؤشرات تكاثف الجهود بين الدول، وتبني ظاهرة الاعتماد المتبادل والتي يصفها دايفد هارفي بالعولمة ويعرفها بضغط الزمان والمكان، خاصة في ظل التحول في طبيعة الصراع وفواعله وانتقاله إلى داخل الدول وتغير العدو إلى عدو غير مرئي، وهو ما يمثل الشق المعولم للحروب أو ما يعرف بالحرب عن بعد، التي تشكل الحروب البيولوجية أشدها تهديدا للأمن بكل أبعاده ومستوياته، مما يفرز رهانات وتداعيات على شكل التفاعلات الدولية خاصة في منطقة شرق آسيا التي كانت مصدر لأحدث أنواع الحروب البيولوجية للقرن الحالي الممثل في جائحة كوفيد ١٩ حسب تصنيف العديد من علماء البيولوجيا في مقدمتهم فرانسيس بويل (خبير القانون الدولي وخبير في الأسلحة البيولوجية ومكافحة الإرهاب ورئيس لجنة صياغة قانون مكافحة الأسلحة البيولوجية المعتمد دوليا).

### أولاً: مظاهر نوظف العامل البيولوجي في منطقة شرق آسيا

بدأ هذا النمط من الحروب بالبروز في المنطقة بعد عام ١٩٣٢ إثر احتلال اليابان لمقاطعات شمال شرق الصين، حيث طرح Shiro Ishii (جراح بالجيش الياباني) فكرة إمكانية استخدام الأسلحة البيولوجية كسلاح غير مكلف يمكن أن يتسبب في خسائر فادحة وذلك راجع لخبرته الكبيرة في الأوبئة، فقام ببناء منشأة متطورة لتربية الجراثيم والحشرات، وسجنا للتجارب البشرية، ومراكز للاختبار، وترسانة لصنع القنابل الجرثومية، ومطارا للطائرات المخصصة لهذا النوع من الحروب، ومحرقة جثث للتخلص النهائي من ضحاياها، ليتم تنفيذ أولى العمليات الحربية باستخدام العوامل البيولوجية في أكتوبر ١٩٤٠ حين أغارت طائرة يابانية على قرية (شوسين) الواقعة في مقاطعة (شيانج) جنوبي شنغهاي الصينية، وألقت خلال هذه الغارة كميات من حبوب القمح والأرز الموبوءة ببراغيث نافلة

للميكروب العضوي المسبب لمرض الطاعون الدملي، فانتشر هذا المرض في معظم أنحاء القرية<sup>(١)</sup>.

وتشير تقارير رسمية صينية إلى أن عدد المدن التي تعرضت لهجمات الأسلحة البيولوجية اليابانية بلغ ١١ مدينة، في حين أن عدد ضحايا الطاعون المصطنع وحده بلغ ٧٠٠ قتيل تقريبا خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٤٠ - ١٩٤٤<sup>(٢)</sup>، كما أثبتت الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية أن اليابان قد أحرزت تقدما كبيرا في مجال البحث حول عوامل الحرب البيولوجية مثل التسمم الغذائي والجمرة الخبيثة، وبين عامي ١٩٣٨ و ١٩٤٥ تم إجراء تجارب ضد أسرى الحرب بما في ذلك الأسرى من الجيش الأمريكي في معسكر the Mukden في شمال شرق الصين، وتم بناء أول مرفق رئيسي للأسلحة البيولوجية في Beiyinhe على بعد حوالي ٧٠ كم خارج Harbin، والمعروف محليا باسم "Zhong Ma Prison Camp"، كما تم إجراء اختبار في الهواء الطلق على السجناء في الوحدة المسماة "وحدة تنقية المياه ٧٣١" في Pingfan بالقرب من Harbin في إقليم منشوريا، وبحلول عام ١٩٤٥ قام البرنامج الياباني بتخزين ٤٠٠ كيلوغرام من الجمرة الخبيثة، واستمرت الدراسات والأبحاث هناك حتى عام ١٩٤٥ عندما تم تدمير مجمع الوحدة ٧٣١ بحرقه، إلا أن اليابان توصلت لتطوير ما يسمى القنبلة البكتيرية عام ١٩٤٩. في ديسمبر ١٩٤٩ تم تقديم ١٢ عضوا سابقا في القوات المسلحة اليابانية للمحاكمة العسكرية في خاباروفسك سيبيريا بتهمة إعداد واستخدام السلاح البكتيريولوجي في الحرب العالمية الأولى، ورغم ذلك استمر توظيف العامل البيولوجي في اليابان، ففي عام ١٩٧٤ تم نشر بعض التوكسينات الفطرية في جنوب شرق آسيا فيما يسمى بالسحابة الصفراء، كما قامت الجماعة اليابانية أوم شينريكيو بنشر سم البوتولينوم على عدة أهداف سياسية وذلك سنة ١٩٩٠.

كما تم رصد العديد من مظاهر توظيف الحروب البيولوجية من طرف القوى الإقليمية والدولية في منطقة شرق آسيا خاصة من طرف الولايات المتحدة:

١ محمد منصور، الحروب البيولوجية .. ما بين بكين و واشنطن، ٢٠٢٠/٠٤/٠٧، تاريخ الاطلاع

٢٠٢١/٠١/١٠، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، متاح على الرابط:

<https://2u.pw/yg86A>

2 John Powell, "Japan's Germ Warfare: The U.S. Cover-up of a War Crime", **Bulletin of Concerned Asian Scholars**, vol.12, no.4, (1980), p. 03

✓ عام ١٩٥٢ اتهم فريق من الخبراء الدوليين الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام أسلحة بيولوجية في حربها على كوريا الشمالية، حيث استخدم سلاح الجو الأمريكي العوامل البيولوجية في قصف الأراضي الكورية الشمالية والصينية، بقتابل محملة بوسائط ملوثة بالجذري، وكذلك بحاويات مليئة بالفئران المصابة بالكوليرا والطاعون، إضافة إلى غارات استهدفت قرية (مين تشانج) شمال شرق الصين، وقرية (كوان تين) في منطقة لياتونج الصينية<sup>(١)</sup>.

✓ عام ١٩٦٠ استخدام الجيش الأمريكي لأسلحة بيولوجية في حربه ضد الفيتنام.

✓ عام ١٩٧٩ انفجار في المعسكر الشيوعي يقتل مئات الأشخاص بسبب إصابتهم بالجمرة الخبيثة.

✓ عام ٢٠٠٠ كان هناك اعتراف من البنتاغون بأن البرنامج السري لمشروع الأسلحة البيولوجية المسمى بـ (١١٢) اختبر أسلحة بيولوجية في العديد من الدول من بينها اليابان التي تعتبر جزء من منطقة شرق آسيا، كما تمتلك ١٤٩٥ مختبرا بيولوجيا في ٢٥ دولة ومنطقة، بما في ذلك منطقة جنوب شرق آسيا<sup>٢</sup>، إضافة إلى ذلك فقد صرح عدد من الخبراء ومن بينهم الخبير في علم البيولوجيا والعضو السابق في اللجنة الدولية الخاصة بالسلاح البيولوجي والكيمائي "ايغور نيكولين" عن وجود ٢٥ مختبرا أمريكيا سريريا لإنتاج الأسلحة الجرثومية في دول الجوار الصيني، مؤكدا قناعته أن فيروس كورونا هو سلاح جرثومي من صنع الولايات المتحدة<sup>٣</sup>.

وبناء على ما سبق وبالرغم من توقيع ١٠٨ دول -من بينها قوى إقليمية ودولية- على اتفاقية جنيف عام ١٩٢٥ التي تحظر اللجوء إلى الأسلحة البكتريولوجية في الحروب، إضافة إلى قرار هيئة الأمم المتحدة الصادر عن الجمعية العامة عام ١٩٦٦ والذي نص على ضرورة اعتماد هذا البروتوكول والالتزام به، إلا أنه وفي ظل رفض العديد من الدول التوقيع على هذه الاتفاقية وفي مقدمتها الولايات، إلى جانب امتلاك العديد من الدول لبرامج

١ محمد منصور، مرجع سابق

٢ لمى علي سليمان، "الأسلحة البيولوجية الأمريكية السرية تهدد العالم"، ٢٠٢١/٠١/١١، تاريخ الإطلاع ٢٠٢١/٠١/١٥، متاح على الرابط:

<https://cutt.us/jueKX>

٣ محمد منصور، مرجع سابق

السرية لتطوير الأسلحة البيولوجية، وهو ما ستكون له تداعيات على التفاعلات الدولية وخاصة في منطقة شرق آسيا التي تشكل أهم محاور السياسة الدولية.

## ثانيا: رهانات الحروب البيولوجية على التفاعلات الدولية في منطقة شرق آسيا وفقا لنظريات العلاقات الدولية

أكدت مظاهر توظيف العامل البيولوجي في منطقة شرق آسيا على مركزية المنطقة ضمن استراتيجيات القوى الإقليمية والدولية، والتي أدركت قدرة العوامل البيولوجية على تحقيق مصالحها واستمرار هيمنتها على المنطقة بأقل التكاليف، إلا أن التعددية المركزية التي تشهدها المنطقة وتحديد القوة الصينية التي تشكل منطقة شرق آسيا مجالها الحيوي، مما يطرح رهانات على مستقبل التفاعلات الدولية في المنطقة، وهو ما سنحاول تفسيره استنادا لأبرز نظريات العلاقات الدولية.

١. رهانات الحروب البيولوجية على التفاعلات الدولية في منطقة شرق آسيا وفقا ل:

"المنظور الواقعي" و"منظور صراع الحضارات"

إن الأهداف الاستراتيجية لنظرية صراع الحضارات تكمن في أنها جاءت لملأ الفراغ الاستراتيجي والفكري بقصد توجيه صناع القرار والسياسة الامبريالية في الاتجاه الذي يخدم المحافظة على القيادة الأمريكية للعالم وحماية مصالحها والحيلولة دون صعود قوة مهيمنة سياسيا وعسكريا في أوروبا وآسيا، وتحديد القوة الصينية، كما سعت هذه الأطروحة إلى صياغة دور إستراتيجي جديد للولايات المتحدة لفترة ما بعد الحرب الباردة، يتوافق مع مصالحها القومية ويستجيب للمتغيرات الدولية الجذرية والتي تظهر في الافتراض التالي: "أن الحضارة الصينية ستدخل في صراع ذو طبيعة اقتصادية مع الحضارة الغربية"<sup>(١)</sup>، وهو ما برز مع توظيف الأنماط غير النظامية للحرب لإعادة ترتيب مسار التفاعلات الدولية وهو ما تجسد في استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للعامل البيولوجي في منطقة شرق آسيا

كما سبق وأشرنا إلى ذلك سابقا مما دفع بكين وموسكو لإعتبار فيروس COVID 19 سلاح أمريكي الصنع يستهدف تدمير الصين لخدمة أغراض اقتصادية أو دولية، كما لعبت العولمة بما أنتجته من تكنولوجيا ووسائل معولمة بين الأفراد والجماعات دورا بارزا في

١ شاهر إسماعيل الشاهر، "النظريات التفسيرية لفهم عالم ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م. 02، ع. 08، (ماي 2019)، ص ص. 18، 19.

زيادة المدى الإنتشاري للفيروسات والأوبئة وتحويلها إلى جوائح عالمية<sup>(١)</sup>، لتتحول إلى آلية من آليات تحقيق الأهداف الاستراتيجية للحروب البيولوجية.

ومن جهة أخرى يراهن الواقعيون على أن الدول في حالة تعرضها للخطر أو تهديد غالبا ما تفقد لها الأنانيات المتأصلة في طبيعتها الجوهريّة، إلى تبني إستراتيجيات وسياسات "قومية" تركز على الاعتماد والانكفاء على الذات<sup>(٢)</sup>، وهو ما برز في منطقة شرق آسيا عند سعي اليابان لتعظيم قوتها في مجال السلاح البيولوجي وتوظيفه لتقويض تهديد إمكانية تنامي القوة الصينية في مناطق نفوذها، إضافة إلى ذلك فمنذ ظهور فيروس كورونا في ووهان الصينية سارعت كل دول المنطقة إلى تبني سياسات الإغلاق والانكفاء على الذات، ليبرز ضعف طروحات العولمة فيما يتعلق بسياسة تميع الحدود وزوال الدولة القومية.

٢.رهانات الحرب البيولوجية على التفاعلات الدولية في منطقة شرق آسيا وفقا لمنظور التعاون الليبرالي

إن جوزيف ناي في أطروحته انتشار القوة أكد على التحول التاريخي لمعايير ومقومات القوة، وهو ما برز من خلال سياقات الهيمنة العالمية، ففي القرن ١٦ تبوّأت إسبانيا مكانتها عبر السيطرة على المستعمرات وتكديس الذهب، وفي القرن ١٧ اعتمدت هولندا على عنصرى التجارة والمال، أما في القرن ١٨ فشكّل عامل السكان والقوة العسكرية الدور الأهم في المكانة الفرنسية، بينما في القرن ١٩ استندت بريطانيا على نتائج الثروة الصناعية والقوة البحرية، .. وصولا إلى نمط القوة المعلوماتية كأبرز متغيرات القوة المركزية<sup>(٣)</sup>، ويناقش ناي التعقيدات من تبني نمط القوة الناعمة، فموضوع الحريات من خلال الفضاء الإلكتروني أصبح نطاقا تصعب السيطرة عليه، نظرا لصعوبة التمييز مثلا بين الهدف العسكري والهدف المدني في الفضاء الإلكتروني، بل كيف يمكن الفصل بينهما تحديد المسؤول عن الجريمة الإلكترونية التي تقع ضمن حدود الدولة نظرا للتداخل في شبكة الانترنت<sup>(٤)</sup>، وإذا عدنا إلى العامل البيولوجي وطبقنا معايير المنظور الليبرالي لتفسير

١ محمد الطاهر عديلة، "جائحة كورونا كوفيد19 وأنماط الاستجابة الدولية بين مطلب التضامن وسياسات

الانكفاء على الذات"، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، م.٠٦، ع.٠١، (جانفي 2021)، ص.١٤٣.

٢ المرجع نفسه، ص.١٤٣.

٣ شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص.27، 28.

٤ شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص.٢٩.



الرهانات المرتبطة به، يمكننا الاعتماد على التساؤل الذي طرحته مجلة "Foreign Policy" في 20 مارس 2020<sup>(١)</sup> على ١٢ منظرًا ومفكرًا في العلاقات الدولية من مختلف المدارس الفكرية، وقد كانت إجابة جوزيف ناي أن من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتجاوز إستراتيجية منافسة القوى العظمى، وتتبنى إستراتيجية جديدة تقوم على التعاون مع هذه القوى<sup>(١)</sup>، فسرعة الانتشار واتساع دائرة المدى الانتشاري للعوامل البيولوجية سواء كانت طبيعية أم مصنعة- (وهي أهم الخصائص التي ميزت جائحة كورونا) كشفت عن حجم التداعيات التي يمكن أن يفرزها توظيف العامل البيولوجي على الأمن العالمي، كما كشف عن فشل الطرح المتعلق بقدرة الدول على مواجهة التهديدات والمخاطر بشكل فردي، في مقابل ترجيح الطرح المرتكز على قدرة سياسة الاعتماد المتبادل على مواجهة التحديات التي تفرضها البيئة الدولية، وهو ما برز من خلال الدور الصيني خلال الجائحة والسعي لتقديم المساعدات لمختلف الدول.

## الخاتمة:

وأخيرا فالملاحظ للتغيرات الحاصلة في شتي الجوانب، العسكرية والسياسية والاقتصادية، قد أثمرت علي توجهات جديدة في السياسة والنظام الدولي ككل، فالتوجهات تغيرت والهيمنة كذلك تغيرت، فتوجهات الدول أصبحت تعتمد فيها علي القوة الاقتصادية علي غرار القوة العسكرية والتي عرفت في الآونة الأخيرة تراجعًا مكثفًا، كما أن الهيمنة تبدلت من التقليدية والتدخلات العسكرية إلي الجديدة والتي تعتمد علي التكنولوجيا " الحروب البيولوجية"، وهو بدوره ما ينم عن تغير في التوازنات الدولية والعالمية، التي بدورها ستغير من مركزية الدول العظمى .

١ محمد الطاهر عديلة، مرجع سابق، ص. ١١٤٦

## قائمة المراجع أولاً: مراجع باللغة العربية

### I. الكتب

١. عبد الهادي مصباح، الأسلحة البيولوجية والكيميائية بين الحرب والمخبرات والإرهاب، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠
٢. فيكتور فرنز، الحرب العالمية الثالثة: الخوف الكبير، تر. هيثم الكيلاني، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٨
٣. مصطفى عاشور، الميكروبات والحرب البيولوجية، الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠٥،

### II. المقالات

١. شافو رضوان، "الحرب البكتريولوجية... الإستعمار الناعم لإفريقيا: قراءة في الخلفيات والتداعيات"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. ٢٠، (سبتمبر ٢٠١٥)
٢. شاهر إسماعيل الشاهر، "النظريات التفسيرية لفهم عالم ما بعد الحرب الباردة"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م. 02، ع. 08، (ماي 2019)
٣. علي عواد الشرعة، "الآسيان وتجربة التعاون الإقليمي: دراسة في مقومات التجربة وتحدياتها وإمكانات الاستفادة منها"، مجلة إنسانيات، ع. ٠٨، (١٩٩٩)
٤. محمد الطاهر عديلة، "جائحة كورونا كوفيد19 وأنماط الاستجابة الدولية بين مطلب التضامن وسياسات الانكفاء على الذات"، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، م. ٠٦، ع. ٠١، (جانفي 2021)

### III. مواقع الإلكترونية

١. أيمن النحراوي، "مدخل إلى الحرب البيولوجية"، ٢٢ مارس ٢٠٢٠، تاريخ الاسترداد
٢. جانفي ٢٠٢١، جريدة الشروق، متاح على الرابط:  
<https://2u.pw/OYhEz>
٢. لمى علي سليمان، "الأسلحة البيولوجية الأمريكية السرية تهدد العالم"، ١١/٠١/٢٠٢١، تاريخ الإطلاع ١٥/٠١/٢٠٢١، متاح على الرابط:  
<https://cutt.us/jueKX>

٣. المحبشي زيد، " الحروب البيولوجية أسلحة خفية وجرائم منسية"، ١١ أبريل ٢٠٢٠، تاريخ الاسترداد ٢٩ ديسمبر ٢٠٢١، شبكة النبا المعلوماتية، متاح على الرابط: <https://2u.pw/dk6aP>
٤. محمد منصور، الحروب البيولوجية .. ما بين بكين و واشنطن، ٢٠٢٠/٠٤/٠٧، تاريخ الاطلاع ٢٠٢١/٠١/١٠، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، متاح على الرابط: <https://2u.pw/yg86A>

## ثانيا: مراجع باللغة الأجنبية

### I. Books

1. Ebenzer N. Tadeo, "Regional Cooperation in East Asia: its needs and challenges", a thesis of Master, Baltimore: The Johns Hopkins university, may 2015
2. Peter Drysdale, Regional Cooperation in East Asia and FTA Strategies, Pacific economic papers, no. 344, Canberra: Australia-Japan Research Centre, & Government, 2005

### II. Articles

1. Aaron L. Friedberg, "Ripe for Rivalry: Prospects for Peace in a Multipolar Asia", International Security, Vol. 18, No. 3 (Winter 1994)
2. Benu Dhawan & other, "Bioterrorism: A threat for which we are ill prepared", Medicine and Society The National Medical Journal of India, vol. 14, no.4, (2001)
3. Edgar Dasilva, "Biological warfare, bioterrorism, biodefence and the biological and toxin weapons convention", journal of Biotechnology, vol.2, no.3, (1999, December 15)
4. Han Sung-Joo & others, "U.S.–East Asia Relations: A Strategy for Multilateral Engagement A New Beginning and Beyond the APEC Summit", Asia Society Task Force Report, (November 2011)
5. John Powell, " Japan's Germ Warfare: The U.S. Cover-up of a War Crime", Bulletin of Concerned Asian Scholars, vol.12, no.4, (1980)
6. Keidel Albert, "Why China Won't Slow Down", Foreign Policy, no.154, (May/June 2006)

7. Renato Cruz De Castro, "China and Japan in maritime Southeast Asia: extending their geo-strategic rivalry by competing for friends", Philippine Political Science Journal, vol.34, no.2, (2013)
8. Vincent Barras & Gilbert Greub, "History of biological warfare and bioterrorism", Clinical Microbiology and Infectio, vol.20, no.06, (June 2014)



## تقنيات الزمان السردي

في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للكاتب الهوساوي

د/ أبوبكر إمام

د. شوقي صلاح نوح الفرماوي

مدرس بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل جامعة أسوان — جمهورية مصر العربية

### تقديم:

هذا البحث بعنوان: "تقنيات الزمان السردي في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، للكاتب الهوساوي: "الدكتور: أبي بكر إمام"، وهو يمثل اهتماماً بلون من ألوان الأدب، هو "فن السيرة"، كما يمثل اهتماماً بكاتب من أكبر كتاب السيرة في الأدب الهوساوي، ليس على المستوى المحلي فقط، بل على المستوى الأفريقي، والعالمي، فلقد اجتمعت على الأدب الإفريقي بشكل عام، والأدب الهوساوي بشكل خاص، عدة عوامل منعت ظهوره بالشكل الذي يستحقه، أو كما هو الحال مع غيره من الآداب العالمية، ومن أهم هذه العوامل؛ سيطرة اللغات الأوروبية على معظم أرجاء إفريقيا، وعدم الإلمام باللغات الإفريقية، وتأخر انتشار التعليم في معظم البلدان الإفريقية<sup>(١)</sup>. أما الرواية والسيرة فقد تأثرتا بالآداب الأوروبية الحديثة، وقد انتقلتا لإفريقيا بكامل عناصرها، عن طريق الاحتكاك المباشر، وفرضت نفسها في المجتمع الإفريقي، بناء على تطور النموذج المحلي الشفهي.

ومع ذلك يري كثير من النقاد، أن السيرة ليست غريبة على التراث الشفهي لإفريقيا، وهو الحافل بالسير الشعبية والحكايات الخيالية والأساطير، وتوزعت القضية بين فريقين: الأول يرى أن السيرة الفنية الإفريقية المعاصرة ذات أصول غربية، أما الآخر فيرى أنها ذات جذور إفريقية. وعلى الحاليين فإن السيرة الفنية لئن أدبي يعبر عن شخص المسرود له، بما يتعلق من دور اجتماعي يقوم به المسرود له، سواء كانت غريبة الأصل أو إفريقية المورد. ومن المؤكد أن الأفارقة أضافوا إلى هذا الشكل الفني المنقول من الغرب كثيراً من الملامح المحلية المتمثلة في اللغة والبيئة، وأدوات رسم الشخصية والحوار

(١) علي شلش: الأدب الإفريقي، ط١ عالم المعرفة رقم ١٧١، الكويت، ١٩٩٣م، ص٢ بتصرف.

والتعبير عن الزمن وتصوير المكان. ومع انتشار التعليم لقيت السيرة الفنية اهتماماً كبيراً من الأدباء.

ولا يجوز للسيرة الفنية، كما يحدد النقاد، أن تكون بمعزل عن الحيز الزماني الذي هو عنصر رئيس في تشكيلها، فيمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضوياً، ويمثل الحيز السردى للسيرة عنصراً من عناصر البناء الفني، ويتصل اتصالاً مباشراً بقدرة الكاتب على الربط بين الأحداث وبين الشخصيات واللغة بروابط الزمان والمكان، بغية الوصول إلى الهدف الذي يقصده الكاتب من كتابة السيرة.

وسوف يتم تقسيم البحث إلى العناصر الآتية:

أولاً: تقنيات الزمن السردى السيرى.

ثانياً: تقنيات الزمان السردى السيرى في الجزء الأول.

ثالثاً: تقنيات الزمان السردى السيرى في الجزء الثانى.

رابعاً: تقنيات الزمان السردى السيرى في الجزء الثالث.

## أولاً: تقنيات الزمن السردي السيري:

الإطار الزمني من العناصر البنائية للسيرة، إذ لا يمكن تصور الأحداث خارج هذا الإطار، وفيما يلي تعرض الدراسة لتقنيات الزمن، بعرض تطور مفهوم الزمن السرد السيري، ثم لدور الزمن السرد في تحليل السيرة الفنية من خلال العناصر الزمنية .

جاء في مادة زمن "أن الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، والزمن والزمان العصر، والجمع أزمن وأزمان...، وأزمن بالمكان: أقام به زماناً، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه.. وما لقيته من زمنة أي: زمان، والزمنة: البرهة، والزمان يقع على جميع الدهر وبعضه الزمن"<sup>(١)</sup>.

ويعرف الطبري الزمان بأنه اسم لساعات الليل والنهار، وهي مقادير قطع الشمس والقمر ودرجات الفلك، ويعرفه بن مليكا البغدادي بأنه شيء له كمية تعد وتقدر بأقسام وأجزاء، وهي الساعات، والأيام، والشهور، والأعوام، أو مجالاته مثل الحر والبرد، الخصب والجذب"<sup>(٢)</sup>.

يمكن تحديد مفهوم الزمن السرد السيري بأنه: سير الأحداث المتتابعة، وفق نظام لغوي يعتمد على الترتيب والتواتر والدلالة الحينية، وذلك بهدف التعبير عن الواقع الخيالي الذي يعيشه السارد، وهذا التتابع في سير الأحداث لا يرتبط بالأحداث الفنية وحدها دون غيرها من العناصر الفنية للسرد السيري، بل يمتد إلى كل العناصر، إذ لم يعد الزمن مجرد خيط وهمي يربط الأحداث بعضها ببعض، ويؤسس لعلاقات الشخصيات بعضها مع بعض، ويظهر اللغة على أن تتخذ موقعها في إطار السيرة، ولكنه اغتدى أعظم من ذلك شأنًا، وأخطر من ذلك ديدنا، إذ أصبح الأدباء الكبار يعنتون أنفسهم أشد الإعنت في اللعب بالزمن، مثل إعنت أنفسهم في اللعب بالحيز، واللغة، والشخصيات...حذو النعل بالنعل"<sup>(٣)</sup>.

ارتبط الزمن في العصر الحديث بالإنسان في فلسفة كانط ارتباطاً وثيقاً، حيث حدد فكرة الزمان تحديداً ذاتياً، فالزمان لا واقع له خارج الذات، وهو ليس شيئاً موجوداً في ذاته،

(١) جمال الدين ابن منظور: معجم لسان العرب، مرجع سابق، مادة زمن، ص ١٦٨٧.

(٢) كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م، ص ١١٣.

(٣) عبدالمك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

والزمان ليس شيئاً آخر غير شكل الحس الباطنى، ولا يمكن تأمل الزمان إلا من خلال الإنسان. والزمان عند الفلاسفة أحد المؤثرات الثلاثة؛ الجنس، والبيئة، والعصر، التي تحدد ماهية العبقريّة عند المفكر أو الأديب، ويندرج تحت فهمه للعصر أو الزمان، مجموع أوجه النمو الفكرى والنمو الاجتماعى اللاحق<sup>(٤)</sup>.

وعرف ميشيل بوتور الزمن السردى بأنه: العلاقة بين زمن السرد وزمن الأحداث، وهو صيرورة الأحداث السردية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة تعتمد على التتابع والتواتر والدلالة الزمنية، بهدف التعبير عن الواقع الحياتي وفق الزمن الواقعي<sup>(١)</sup>.

تجمع التعريفات السابقة على أن الزمان هو الوقت، غير أن بعضها يلحظ في سكونه ونظامه، وبعضها يلحظه في حركته وتغيره، وكلا الفريقين ينظر إليه باعتباره ظاهرة مستقلة عن الإنسان، وليس هناك فرق عندهما بين الزمن والزمان، غير أن هناك من يرى أن أوضح ما يفرق بين الزمن والزمان، وهو أن الزمان كمية رياضية من كميات التوقيت، تقاس بأطوار معينة كالثنائى والدقائق والساعات، والليل، والنهار، والأيام والشهور، والسنين، والقرون، والدهور، والحقب، والعصور، فلا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة، ولا تحديد معنى الصيغة في السياق، ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي<sup>(٢)</sup>.

والزمان ليس واحداً، فهناك الزمان الكونى، والزمان الفلسفى، والزمان النفسى، والزمان الطبيعى، والزمان السردى. وهذه الدراسة ليست بصدد مناقشة مفهوم الزمن في الدراسات الفلكية والفلسفية والنفسية، وإنما تعنى بمفهوم الزمن الأدبى، ولاسيما الزمن الروائى، مع الاستعانة باهتمام الفلسفة بالزمن من زاوية الأدب فقط.

ففي الحوار مثلاً قد يحدث تلاقي بين مدة القراءة "زمن السرد" والمدة التي يستغرقها الحوار "زمن الحدث"، وقد يزيد أحد الزمنين على الآخر وفقاً لأسلوب السرد في

(٤) مارتين هيدجر، مفهوم الزمن، ترجمة فريق الترجمة والمراجعة في مركز الإنماء القومى، بيروت (د.ت) ص ٦٥، ٦٦.

(١) عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٩٨٨م، ص ٨: ١٠.

(٢) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩، ص ٢٤٢.



السيرة. وبالتالي فإن الأحداث في السيرة تسير بشكل متتابع وفق دلالة زمنية يستغرقها سير الأحداث، وذلك بهدف التعبير عن واقع معين يقصده السارد.

والزمان نوعان؛ ذاتي، وموضوعي، وللزمان الذاتي مغزى خاص بالنسبة للإنسان، لأنه لا ينفصل عن مفهوم الذات، والعضوي والنفسي في الزمان ما يسمى الذاتي أو الشخصي، أي أن الفرد لا يحصل خبرته، أو معرفته إلا من خلال تتابع اللحظات الزمنية والتغيرات التي تشكل سيرته<sup>(٣)</sup>.

الزمن في الأدب بشكل عام هو الزمن الإنساني، إنه وعينا للزمن لجزء من الخلفية الغامضة للخبرة، وكما يدخل الزمن في نسيج الحياة الإنسانية والبحث عن معناه إذن لا يحصل إلا ضمن نطاق عالم الخبرة هذا، أو ضمن نطاق حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات، وتعريف الزمن هنا شخصي ذاتي، أو كما يقال نفسي، ونعني بهذه الألفاظ أننا نفكر بالزمن الذي نخبره بصورة حضورية مباشرة<sup>(١)</sup>.

الزمان السيري نوعان؛ زمان خارج النص، وهو زمن موضوعي، وزمان داخل النص، وهو زمان تخيلي خاص منقسم عن الزمان الموضوعي، متداخل مع النسيج السيري تداخلاً شاملاً، وله أهمية كبيرة في بناء النص السيري، إذ يحدد عوامل فنية مرتبطة بالخطاب السيري أو كانتقاء الأحداث.

وقد كانت البنية الزمانية للسيرة الكلاسيكية تخضع لمبدأ التتابع، حيث تتوالى الأحداث السيرية بطريقة خطية، يأخذ الزمن منحى تصاعدياً من بداية السيرة إلى نهايتها، والسارد يرتب أحداثه ترتيباً تاريخياً لا مجال فيه لتداخل الأزمنة، أما في السيرة الحديثة، فيشترط للانتقال من العالم الخارجي إلى العالم السيري بخاصية الزمن، فالسيرة الحديثة تعامل الماضي بشكل مألوف، أي كما لو كان ماضيها الخاص. والذي يحدد السيرة عند

(٣) هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزق، مراجعة العوضي الوكيل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك سنة ١٩٧٢م، ص ٤١.

(١) هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، مرجع سابق، ص ١٠.

أصحاب هذا الرأي إنما هو التجربة والمعرفة والممارسة في الزمن، والزمن عنده ليس زمنًا بالمعنى الضيق للكلمة وإنما هو أحد مستويات التراتب للأزمنة والقيم<sup>(٢)</sup>. وتتخلص أهم تقنيات الزمن السردى السيري في التقنيات التالية:

تقنية التتابع: بسرد الأحداث تبعا لتسلسلها الزمنى، فالتتابع في الأحداث قائم على أساس التكامل لا التقابل، فهو يكمل الحدث.

تقنية الاسترجاع: "المقاطع السردية الاستذكارية تتفاوت من حيث طول أو قصر المدة التي استغرقتها أثناء العودة إلى الماضي"<sup>(٣)</sup>

تقنية الحذف: المسافة الزمنية التي يتناولها الكاتب طويلة نسبيا، فهي تمتد من .... إلى..... لذا لجأ إلى الإسقاط والحذف، "وهي تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"<sup>(٤)</sup>

تقنية الوقفة الوصفية: تقنية تعمل على إبطاء السرد أو تعطيله، وهي تطول وتقصّر حسب الزمن النفسى للكاتب. وسوف يقدم البحث نماذج من السيرة موضوع البحث للتطبيق على كل أنواع التقنيات الزمنية السيرية.

### ثانياً: تقنيات الزمان السردى السيري في الجزء الأول:

تبدو في الجزء الأول تقنية التتابع السردى السيري، إذ يقوم الكاتب بسرد الأحداث تبعا لتسلسلها الزمنى، والتتابع هنا قائم على أساس تكامل التسلسل الحدثي السيري، فهو يكمل الحدث ولا يتعارض معه. يقول الكاتب تحت عنوان: نبي الله إبراهيم Annabi Ibrahim، يقول :

NAbar labarin Annabi Ibrahim a bauta, don in ji dakin zura shi da labarin Annabi Muhammadu. Daga labarin annabi Ibrahim, za mu qaragane irin ayoyin da Sarki Allah ya nufa, suka yi ta

(٢) باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف الحلاق، دمشق وزارة الثقافة، لسنة ١٩٨٨، ص ٣٣: ٣٩.

(٣) حسين البحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافى العربى، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص ١٥٦.

(٤) السابق، ص ١٥٦.

aukuwa a karkarar Makka. Sai ka ji abu ya auku kamar babu dalili, ashe dalili yana zuwa. Bayyanar musulunci ta hannun Babban Manzo, Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi.

Da shi ke zan Ambato tarihin zaman Annabi Isma'ila a Makka, tilas ne im faro da labarin ubansa, Annabi Ibrahim Amincin Allah ya tabbata gare su. Ko da shi ke an yarda da cewa Annabi Isma'ila shi ne farkon wanda ya zavi Makka ta zama masa garin zama, duk da haka an san ko kafin wannan lokaci, wannan wuri sananne ne ga'yan Adam. Sai dai ainihin labarin wurin ne, kafin bayyanar Annabi Isma'ila, shi ya buwayi malaman tarihi ganowa.

Wannan wadi na Makka an san shi tun tun tun tuni, domin ayari na fatake su kan kafa tauntunansu a wurin. Ya zama zango na zuwa ga qasar Falasxinu, ko daga jihar qasar Falasxinu zuwa qasar Yaman.

بمعنى: "تركت طريق (ذكر) نبي الله إبراهيم إلى الآخر حتى نستمتع بسيرة نبي الله محمد من طريق إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنزداد فهماً لآيات الله التي ظهرت في مكة. فترى الشيء يحدث ربما بلا دليل لكنه فيه دليل وحكمة تأتي بعد. ظهور الإسلام بيدي النبي محمد [وأخيراً كانت سيرة النبي إسماعيل في مكة، ولابد أن أبدأ بتاريخ أبيه النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومعه نبي الله إسماعيل هنا أول من اختار مكة ليسكنها فيه ويجعلها مدينة سكنية مع أنها كانت معروفة قبل هذا الوقت عند الناس ولكن حقيقة خبر هذا المكان قبل ظهور النبي إسماعيل غابت عن علماء التاريخ. فهذا وادي مكة قد عُرف منذ القدم بما تحدث فيه من آيات في هذا المكان. فكان يُؤتى إليه من أرض فلسطين أو من جهة أرض اليمن<sup>(١)</sup>].

كذلك يتداخل الحيز الزمني مع الحيز المكاني في تصوير الشخصيات تتابع الأحداث،

يقول الكاتب تحت عنوان: إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام ، يقول :

ANA nan, ran nan sai Annabi Ibrahim ya tafi wurin da gumakan gari ke tare ya kakkarya su duka. Amma ya bar babban gunkin kawai, shi bai karya shi ba. Da safe mutane suka ga gumakansu an kakkarya, sai suka ce, "Ba wanda ya yi wannan aiki sai xan yaron nan Ibrahim!" Sai suka je suka kamo shi. Suka zo da

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ١٦.

shi gaban taro, don a tambaye shi. Suka ce masa. "Yalla kai ne ka aikata wannan al'amari ga guma. Kammu ya Ibrahimu?" Daga nan Annabi Ibrahim ya karva, ya ce, "Bal, ku bar wannan zance, babbansu, wannan, shi ya aikata haka. Ku tambaye su ku ji in suna iya Magana."

Annabi Ibrahim bai yi haka ba, sai bayan da hikimar Allah ka sa ya yi tunanin tsananin vata ga bauta wa gumaka. Ya sakankance kam bauta wa gumaka vata ne. annabi Ibrahim shi ya san Ubangijinsa shi ne Allah. Amma da ya yi nufin ya kawo hujja sabuwa ga waxansu jama'arsa masu bauta wa tauraro, da masu bauta wa wata, da masu bauta wa rana, sai ya qallafa wa kansa jahilci-yau ya shiga cikin wannan qungiya, gobe ya fita ya shiga waccan, tare da soke dalilansu, har daga qarshe ya zo ga maqasudinsa da ya ke son su gane kuma su aikata. Wannan ya faru bayan ya ke son su gane kuma su aikata. Wannan ya faru bayan ya bar qasarsa, ya komo Sham.

بمعنى: "في يوم ما ذهب إبراهيم إلى المكان الذي فيه تجتمع الأصنام وكسرها ولكن ترك أكبرها فقط فلم يكسره. ولما رأى الناس تحطيم الأصنام قالوا لا يفعل ذلك إلا هذا الولد إبراهيم، اقبضوا عليه، وأتوا به إلى مكان اجتماع الناس ليسألوه، قالوا له: أنت الذي فعلت هذا الأمر بالأصنام يا إبراهيم؟ وهنا قال النبي: بل كبيرهم هذا هو الذي فعل هذا واسألوهم إن كانوا يتكلمون.

النبي إبراهيم لم يسأل هذا السؤال إلا بعد أن جاءتة الحكمة من الله بالهداية إلى كيفية إفساد عبادة الأصنام فحاول أن يفسد عبادة الأصنام وعرف الله ربه ولكن يريد أن يأتي بالحجة والدليل لشعبه الذين يعبدون غير الله مثل الأصنام والشمس والقمر والجن فدخل مرة عند هؤلاء ومرة أخرى مع هؤلاء في محاورات ومجاولات تناسب كل جماعة حتى أدى أخيراً إلى غايته التي ينشدها من أن يفهموا حقيقة ما يعبدون وذلك كله دأبه حتى ترك بلده وذهب إلى الشام<sup>(١)</sup>.

ويلجأ الكاتب إلى تقنية الاستباق الزمني، فإذا به يترك الحديث عن هاجر وإسماعيل فيستبق الأحداث ويقفز قفزة زمنية، من الممكن أن تعد حذفاً إذ يسقط الكاتب عدداً من الأجيال ليصل إلى جيل قصي وهو الجد الخامس للمسروود له صلى الله عليه وسلم. يقول

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ١٨.

تحت عنوان قصي :

SHI Annabi Ibrahim da mu ke ba da labarinsa, shi ne rnuka ce ya haifi Annabi Isma'ila. Kada mu manta. To, a cikin zuriyar Annabi Isma'ila aka sami wani tauraro, wai shi Qusayyi. Shi kuwa hula biyar ke tsakaninsa da Annabi Muhammadu. Wannan tarihi ya nuna mana cewa Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, yana cikin zuriyar tsatson Annabi Ibrahim ne, uban Annabi Isma'ila, wanda a cikin zuriyarsa ne aka sami Qusayyi.

Shi wannan tauraro, Qusayyi, sunansa ya yi tambari sosai a cikin tsatson Annabi Isma'ila. Mulkinsa shi ne ya zama kamar bismilla ga tarihin Quraishawa. Shi ne ya kawo sabon shiri na mulkin Makka da na tsaron Xakin Ka'aba. Shi ne ya shirya yadda za a ba alhazai abinci, da ruwa in sun zo hajji, irin nasu na lokacin. Shi ne ya shirya al'amarin riqon mabuxin Ka'aba. Shi ne ya shirya rundunar soja da yadda za a yi hukuncin jinaye. Shi ne ya kuma gina majalisa babba, wadda aka riqa kira Darun Nadwa, Nan a ke shari'a, kuma a nan manyan gari ke taruwa su yi shawara. Yanzu wurin yana nan cikin Masallacin Makka. Shi a ke kira a yanzu, Masallacin Hanafi. Hasali dai ko da Qusayyi ya mutu, shirinsa na mulki bai mutu ba!

Wannan duk ya auku a lokacin jahiliyya ne. Waiau kafin bayyanar Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbaia a gare shi.

بمعنى: "النبي إبراهيم الذي نتحدث عنه هو الذي أنجب النبي إبراهيم إسماعيل. ولا ننسى وفي ذرية النبي إسماعيل وجد هذا النجم يقال له قصي. وهو الجد الخامس للنبي محمد. وهذا يدل لنا أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام من ذرية النبي إبراهيم أبو النبي إسماعيل الذي من ذريته وجد قصي.

هذا النجم قصي. اسمه مشهور جدا في نسل النبي إسماعيل ملكه هو بداية لتاريخ قريش. هو الذي شرع نظاما جديدا في ملك مكة لحرص الكعبة. وكيفية إطعام الحجيج واسقاءهم إذا أتو للحج وهو الذي جهز جيشا لحقن الدماء وبنا المجلس الأعلى الذي يسمى دار الندوة. فيه تقام الشريعة وفيه يجتمع كبار البلد للشورى. والآن هذا المكان موجود يسمى مسجد الحنقي. الأصل أنه مات قصي ولكن نظام ملكه لم يمت. هذا كله حدث في وقت

الجاهلية يعني قبل ظهور الإسلام والنبي محمد عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>. ثم يستبقى مرة أخرى أو يحذف أو يسقط فترة زمنية طويلة حتى يصل إلى عبد الله والد النبي، فيقول:

AZAMANIN da Sarki Abdul Muxxalabi ke wannan fama da abokan gaba, xansa xaya ne tak. Saboda haka ya yi rantsuwar cewa da Sarki Allah zai ba shi 'ya'ya goma, maza, duk kuwa su rayu, har su balaga a zamaninsa, to, shi kuwa da ya yi layya da guda. Allah da shi ke maijin roqo ne, sai ya karvi roqonsa, ya nufe shi da samun 'ya'ya goma duk maza. Da suka girma yadda ya yi alkawari, sai shi Abdul Muxxalabi ya xauke su duka zuwa ga Xakin Ka'aba ya ce wa limamin xakin ya buga musu quri'a ya gani, ko a kan wa ta faza cikin 'ya'yan nan nasa, to, shi Allah ke so a yanka.

بمعنى: "في الزمن الذي كثر فيه أعداؤه كان له ولد واحد. لأجل ذلك حلف أن لو أعطاه الله عشرة أبناء رجال وعاشوا حتى بلغوا في زمانه سيفي بواحد منهم. وإذا كان الله مجيباً للدعاء تقبل دعوته فأعطاه عشرة أبناء رجال ولما كبروا كما وعد. فذهب عبد المطلب بهم كلهم إلى دار الكعبة وقال للإمام أن ينتخب منهم من وقع عليه الانتخاب هو الذي أراد الله أن يُدَبِّح<sup>(٢)</sup>."

ثم يلجأ إلى تقنية الوقفة الوصفية الزمنية في السرد، من خلال حديثه عن عصر الجاهلية، فيقول:

ZAMANIN Jahiliyya shi ne zamani na kafin bayyanar musulunci. Labarin wannan zamani kamar shimfixa ne ga tarihin musulunci. A lokacin addinin Annabi Ibrahim da na Annabi Isma'ila, na babu abin bauta wa da gaskiya sai Allah, kuma Allah ba ya da abokin tarayya duk an goce masa. Tsawon zamani ya sanya jama'a sun karkace hanya, sun mai da gumaka su ne abin bautawa, saxanin Maxaukakin Sarki Allah! Ka'aba, Xakin Allah mai tsarki, wanda da aka ajiye domin bauta wa Maxaukakin Sarki Allah, yanzu ya koma gunki, xakin tsafi. Masu tarihi sun ce a lokacin nan a cikin Xakin Ka'aba xin kansa, akwai gumaka 360. Watau ko wace rana

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص ٢٥.

(٢) السابق، ج ١، ص ٢٦.

akwai gunkinta, har shekara ta kewayo. Kuma ko wace kabila da nata gunkin, abin bauta wa. Abin mamaki, sai tsatso da Annabi zai fito, su ne kawai xayansu bai tava bauta wa gunki ba. Wani babban mutum, mai tsaron Xakin Ka'aba wanda a lokacin a ke kira Amru Ibn Luhayyi, shi ne ya fara sawo gunki daga qasar Sham, Syria, ya kawo Makka. Ya ajiye a qofar Ka'aba, ya sanya mutane suka fara sujada a gare shi, suna bauta masa. Daga nan kabilu da yawa kuma sai suka je suka sassawo nasu. Hasali dai daga nan bauta wa gumaka ya tsira a qasar Makka, ya yi qarfi har ya dushe imani ga Maxaukakin Sarki Allah, imani wanda Annabi Ibrahim, da xansa Annabi Isma'ila da dukan Annabawa da suka wuce, suka isar.

بمعنى: "عصر الجاهلية هو زمن قبل ظهور الإسلام خبر هذا الزمن كان كتمهيد لتاريخ الإسلام. في وقت دين النبي إبراهيم والنبي إسماعيل لا يوجد معبود بحق إلا الله وليس له شريك جعل له يعد الزمان جعل الناس ضلوا الطريق. وجعلوا الأصنام ما يعبد في الكعبة بيت الله العظيم التي جعلت لعبادة الله. فصار للأصنام بيت. أصحاب التاريخ قالوا أن في الكعبة نفسها يوجد ٣٦٠ صنما يعني كل في يوم فيه عبادة حتى إعادة السنة وكل قبيلة لها يوم عبادتها. ومن العجيب أن نسب الذي يخرج منها النبي هم فقط لم يعبدوا الصنم. رجل كبير دافع الكعبة الذي يسمى عمرو ابن لؤي هو من بدأ يأخذ الصنم من أرض الشام سوريا وأتى بها إلى مكة ووضعها في باب الكعبة وجعل الناس يسجدون لها ويعبدونها. من هنا ذهب قبائل كثيرة يلبسونها. أصل هذه العبادة للأصنام في مكة قويت جتى أهملت الإيمان بالله الذي كان النبي إبراهيم والنبي إسماعيل وكل الأنبياء الذين مضوا أو وصلوا<sup>(١)</sup>. ويلجأ الكاتب إلى الاسترجاع الزمني بحديثه عن وأد البنات في عصر الجاهليين،

يقول:

ALOKACIN nan najahiliyya, Larabawan qasar Makka suna ganin mata kamar wata masifa ce Allah ya aiko a duniya. Wanda ya ji guxar haihuwa a gidansa, in ya tamaya aka ce masa 'ya mace aka samu sai ya ji kamar wata masifa ke nan Allah ya saukar masa. Hasali dai har a kan binne 'ya mace da rai wai a huta da masifarta. Su dai mata a lokacin ga su nan dai ne. Sai mutum ya auri iyakar yadda ya ke so, kuma ya saki waxanda ba ya so, sa'ad da ba ya sonsu. Duk da haka kuwa su matan Larabawa na lokacin cike su ke da

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٢٨.

mutunci da biyayya. Sabo da haka ko za a bizne 'ya maoe, don tsananin biyayya ba ta vata rai, balle ta yi raki.

بمعنى: "في عصر الجاهلية يرى عرب مكة أن المرأة مصيبة أرسل الله في الدنيا الذي أنجب له وسأله فقبل له أنجب أنثى يرى أن هذه مصيبة أنزل الله بها له حتى أنهم يدفنون الأنثى حية حتى يستريحوا من هذه المصيبة. كانت النساء حينئذ. الرجل يتزوج كما شاء ويطلق من لم تعجبه ولم يحبهن. ومع هذا كانت نساء العرب حينذاك ذوات أخلاق حميدة وذوات طاعة. ولذلك حتى إن أرادوا دفنها لا تحزن لشدة طاعتها فضلاً عن أن تتمرد. ثم ينتقل من الماضي بالاسترجاع، إلى الوقفة الوصفية بتصوير مشهد محاولة هدم الكعبة، يقول:

ABAYA, mun yiwo tsalle a kan Abdul Muddalabi. Shi ne kamar sarkin Makka a wannan lokaci. Mun tsaya a kan labarin haihuwar Abdullahi, da quri'ar da aka yi a kan ransa.

To, ga abin da kowa ya fahinta dai a yanzu lalle ne Sarki Abdul Muxxalabi ya isa zakara a qasar Makka, a wannan zamani nasa.

Ga shi dai da farko ya fito daga cikin farar kabilan nan da Larabawa ke girmamawa tun can da, kabilar Quraishawa. Ga shi kuma ta irin halinsa da kuka karanta. lalle ya isa a bambanta shi da sauran sarakuna.

A wannan zamani na Abdul Muxxalabi. qasar Yaman tana qarqashin wani sarki ne da a ke kira Abraha. Shi kuwa a lokacin kamar basarake ne na wani mashahurin sarki na Habasha (Abyssinia). Shi wannan sarki na Habasha Kirista ne. Ya kasaita har ba abin da ya ke so kamar ya hana kowa cara a gabansa. Ya gina wata babbar majami'a mai qayen kyau, a babban birninsa San'a. Ya gina ta da burin wai ya xauke hankalin Larabawa daga hajjatar Xakin Ka'aba.

بمعنى: "بعدما انتقلنا إلى عبد المطلب الذي كان شيخ مكة حينئذ. وقفنا عند خبر ولادة عبد الله والانتخاب الذي جرى عليه. والشيء الذي فهمه الجميع هو أن ملك عبد المطلب وصل.... في أرض مكة في ذلك الزمن.

ها هو خرج من قبيلة بيضاء يكرمها العرب من زمان. قبيلة قريش. وها هو بأخلاقه التي قرأتم. أكيد ينبغي أن يفرق بينه وبين باقي الملوك.

في زمن عبد المطلب كانت أرض يمن تحت سيطرة ملك يسمى أبرهه وكان حينذاك



كملك لرجل مشهور ملك الحبشة. هذا الملك كان نصراني كان لا يريد أحدا يتكبر أمامه. بنى مجمعا كبيرا جميلا في قريته الكبرى صنعا بناه بقصد أن يلفت عقول العرب من حج إلى الكعبة<sup>(١)</sup>.

بهذا الشكل تمكن الكاتب من الاستفادة من الحيز السردي الزماني السيري في تسلسل الأحداث، ورسم الشخصيات الممهدة لظهور المسرود له صلى الله عليه وسلم في الجزء التالي.

### ثالثاً: تقنيات الزمان السردية السيري في الجزء الثاني:

يتبع الكاتب في الجزء الثاني نفس التقنيات السردية السيرية من حيث الحيز الزماني السردية السيري فهذه تقنية المشهد الوصفي في قوله تحت عنوان: شق الملائكة صدره، يقول:

Lokacin da Annabi Muhammdu, tsira da aminein Allah su tabbata a gare shi, ya cika shekara huxu, ran nan yana kiwon tumaki, a kusa da gida, tare da abokinsa, sai ga waxansu mutane biyu, masu fararen tufafi, sun zo inda su ke. Daga nan xayan mutanen nan ya dubi Muhammadu, ya tambayi abokin tafiyarsa, ya ce, "Shi ne wannan?" Abokin ya ce masa, "I, shi ne." Shi ke nan, sai sauran yara abokan kiwonsa suka ga mutanen nan sun kama Muhammadu, sun kwantad da shi. Suka fasa cikinsa, suka lalabo wani abu daga cikinsa, suka debe shi, suka yi jifa da shi.

Ashe su waxannan ba. mutane ba ne, mala'iku ne, Allah ya aiko su don su zo, su xebe rabon Shaixan daga cikin kirjin Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi. Wannan al'amari ya ba Halimatu tsoro mai yawa. Don haka sai ta mai da shi Makka gun uwarsa, a sa'an nan yana da shekara huxu da haihuwa. Ko da Annabi ya girma bai tava mantawa da irin alhenn Halima ba da taimakonta a gare shi, sa'ad da yana qarami. Saboda wannan godiya Halima ta zama abar girmamawa ga Musulmi.

Wata shekara, da Halima ta zo Makka. Annabi ya gan ta, sai ya tashi da murna yana cewa, "Uwata, uwata!" Ya shimfixa mata mayafinsa don ta zauna bisa, saboda girmamawa da tuna alherin

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٣٠.

baya. Wata shekara kuma da aka yi wani mugun fari a qasar Makka har Halima ta zo Makka daga qauyensu. Da za ta koma Annabi ya yi mata alheri mai yawa. na raquma da tumaki.

بمعنى: لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أربع سنين. يوما يرى الغنم قريبا من البيت هو وأصدقائه إذا طلع رجلان ذو البس أبيض أتيا إلى مكانهم. فنظر واحد منهما إلى محمد وسأل صاحبه قائلا: «أهو هذا» وقال له صاحبه «إي هو». وأخيرا رأى باقي الأولاد أصدقائه في الرعاية. رأوا هذين الرجلين أخذوا محمدا وجعلاه مضطجعا. وشقوا صدره. وأخرجوا بعض الشيء ومن صدره أخذوا فرميا بها.

هؤلاء ملائكة أرسلهم الله ليخرجوا نصيب الشيطان من قلب النبي محمد [ هذا الأمر خوَّف آمنه خوفا شديدا. لذلك رجعت إلى مكة لأمه وهو حينئذ أربع سنين من عمره. لما كبر النبي لم ينسى حليلة أي خير ومساعدتها لديه حين صغره بهذا الشكر لحليمة صار شيئا عظيماً مكرماً عند المسلمين.

في عام ما. أتت حليلة إلى مكة ورأها النبي فقام فرحا وقال يا أماه يا أماه «وفرش لها ثوبه لتجلس عليه إكراماً وتذكراً للخير في السابق. وفي عام ما حدثت حادثة بيضاء في أرض مكة حتى جاءت حليلة إلى مكة من قريتهم لما أرادت الرجوع أهدى لها النبي خيرا كثيرا من جمال وأغنام<sup>(١)</sup>.

وتظهر تقنية الاسترجاع في حديث الكاتب عن مرض أم النبي وموتها، رغم أنه قد سبق هذه الفترة الزمنية فيما سبق: يقول :

Mahaifiyar Annabi Ita Kuma Ta Rasu , Mu koma ga labarimmu. Da dai Halima ta ga irin halin nan na Annabi sai ta mai da shi Makka, wurin uwarsa Aminatu. Ba a daxe ba, sai uwar ta xauke shi, ta tafi da shi Madina, don su ga danginsa na wajenta. Suna dawowa, sun kawo wani gari wai shi Abwa, sai rashin lafiya ya kama Aminatu, a nan Allah ya nufe ta da rasuwa. Shi ke nan, Annabi Muhammadu bai cika shekara shida ba, ya zama maraya xungum, ba uba, ba uwa! Sai renonsa ya koma hamiun kakansa Abdul Muxxalibi. Ya rungume Muhammadu a cikin gidansa, ya shiga taimakonsa, da tattalinsa, yana mai tausayi a gare shi. Abin ikon Allah, bayan shekara uku, sai shi kuma Abdul Muxxalibi ya rasu.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٣.

Allahu Akbar, watau Muhammadu bai cika shekara takwas ba ke nan duk ya rasa uwa da uba da kaka.

Amma ko kafin Abdul Muxxalibi ya rasu, sai da ya danqa Muhammadu a hannun xansa Abu Xalib. Abu Xalib kuwa shi ne ya gaji Abdul Muxxalibi ga riqon Xakin Ka'aba, da shugabancin jama'ar Makka. Watau yanzu rikon Annabi ya koma hannun baffansa ke nan, Abu Xalib, mahaifin Sayyidina Ali.

بمعنى: "موت والدة النبي، عوداً لتاريخنا لما رأت حليلة حال النبي أعادت به إلى مكة. عند أمه آمنة. لم يطول الوقت فأخذته أمه ذاهبةً به إلى المدينة ليروا أسرتها وعند رجوعهما وصلا إلى بلد يسمى أبوة فأصاب آمنة مرض هنا توفها الله، وأخيراً لم يبلغ النبي ست سنين صار مسكيناً لا أب ولا أم! فعادت تربيته لجدّه عبد المطلب، عانقه محمداً في بيته وساعده وكان يرفق به. وقد قدرة الله. بعد ثلاث سنين مات عبد المطلب. الله أكبر. يعني. لم يكمل محمد ثمان سنين حتى فقد أمه وأباه وجدّه. لكن قبل موت عبد المطلب قد وكلّ محمداً لابنه أبي طالب، وأبو طالب هو الذي تكفل والد سيدنا علي<sup>(١)</sup>. ويقول في موضع آخر مسترجعاً:

Ana nan haka sai wata rana, sa'ad da yana da shekara kamar sha biyu, baffan nasa ya yi niyyar ya tafi fatauci a qasar Sham. Kun kuwa sani cewa ita wannan qasa tana-da nisa daga Makka, tun ba a wancan lokaci ba. To, don tsananin son da Abu Xalib ke yi wa Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, sai ya ga ba shi iya tafiya Sham ya bar shi gida. Shi kuma don tsananin son da ya ke yi wa baffan nan nasa, ba shi iya so ya rabu da shi lokaci mai tsawo irin wannan. Sabo da haka sai shi Abu Xalib ya xauki Muhammadu suka tafi tare.

بمعنى: "في يوم من الأيام. لما بلغ حوالي اثني عشر من عمره. نوى عمه أن يتاجر إلى أرض الشام وقد عرفت أن هذه الأرض بعيدة عن مكة. قبل ذلك الوقت. ولشدة حب أبي طالب لمحمد.

رأى أنه لا يستطيع الذهاب إلى الشام تاركاً إياه في البيت وهو أيضاً من شدة حبه لعمه لا يريد أن يفارقه لمثل هذا الوقت الطويل لذلك أخذ أبو طالب محمداً معه وذهباً معاً<sup>(١)</sup>.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٤.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٤.

ويلجأ الكاتب إلى الحذف فيسقط أحداثاً وفترة زمنية طويلة من حياة المسرود له، لرؤية خاصة بالكاتب في تسلسل الأحداث وفق أسلوبه السردى السيري الخاص، فيقول:

Haxa Kai Don Hana Zalunci , Annabi Muhammadu tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, yana da shekara ashirin da xaya ya halarci wani taro da manyan Makka suka yi wanda a ke kira Hilful Fulul Shi wannan taro an daxe da kafa shi a qasar Makka, tun kafin bay yanar Annabi Muhanunadu. tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi. Amma a lokacin bayyanar Annabi taron ya mulu. Sai daga baya. Zubairu Ibn Abdul Muxxalib, watau batfan Ainnabi guda. kuma xaya daga cikin ginshiqan Makka. ya yi niyya ya sake ta da shi.

بمعنى: "الاتحاد لمنع الظلم، النبي محمد عليه الصلاة والسلام في واحد وعشرين من عمره حضر اجتماعا كان كبار مكة يقومون به الذي يسمى حلف الفضول. هذا الاجتماع كان من زمان في أرض مكة منذ قبل ظهور النبي محمد [ ولكن في وقت ظهور النبي لم يعد الاجتماع. وفي ما بعد الزبير بن عبد المطلب يعني عم النبي وأحد كبار مكة. نوى إحياء هذا الاجتماع<sup>(٢)</sup>.

ونفس التقنية الزمنية ، تقنية الحذف تظهر في هذا الموضع:

Auren Annabi Da Hadija , Da Annabi ya kai kamar shekara 25 da haihuwa, sai labarin gaskiyarsa da riqon amanarsa ya cika kunnuwan wata tajira Baquraisha, wai ita Hadija. Saboda haka ta roqi batlansa, da shi, ko za a yarda ya riqa yi mata fatauci, don-ta ji yadda kowa ke yabon gaskiyarsa da riqon amanarsa. Shi kuwa Muhammadu bai qi ba, kuma baffaasa bai qi ba, duk suka yarda.

Tajiran nan Hadijatu, ta gama shi da wani yaronta, wanda a ke kira Maisaratu. Ta ba su dukiya mai yawa suka koma qasar Sham Maisaiatu ya ga abubuwan mamaki game da Annahi a lokacin wannan tafiya tasu!

بمعنى: "زواج النبي بخديجة، لما بلغ النبي ٢٥ سنة من ولادته. أعجب خبر صدقه وأمانته تاجرة قرشية تسمى خديجة. لهذا سألت عمه إن يرضى أن يتاجر معها. لأنها سمعت الجميع يمدح صدقه وأمانته أما محمد فلم يرفض ولا عمه رفض الجميع رضي هذه التاجرة خديجة رافقته بسلام المسمى بميسرة أعطاهما مالا كثيرا فعاد إلى الشام

(٢) السابق ، ص ٦.

رأى مباشرة أشياء أعجبت له لدى النبي خلال هذه الرحلة!<sup>(٣)</sup>.

Annabi Ya Fita Fili To, a haka, a voye a voye, Annabi ya ci gaba, har shekara kamar uku. Daga nan fa Maxaukakin Sarki Allan ya aiko gare shi da umurni ya fito fili ya fara kiran jama'a ga abin da aka umurce shi, watau musulunci. Aka hore shi kuma da ya nisanci masu tsafi. Ga wannan umurnin nan cikin Alqur'ani.

Daga ran nan maganar vuya ta qare! Wata rana Annabi ya hau tudun Safa, ya tara danginsa, ya riqa kiransu kabila kabila, ya zuwa ga musulunci, yana cewa, "Allah ya aiko ni in shaida muku, ba wani amfani da za ku samu a nan duniya, ko a gobe lahira sai kun yi imani da gaskiya, cewa babu wani abin bautawa sai Allah." Da jin wannan jawabi sat suka watse, suna gunaguni wai Muhammadu ya vata musu lokaci. Har wani baffansa Abi Lahabi ya yi hushi ya ce, "Da saboda wannan magana kawai ka tara mu? Kaitonka da abin da zai same ka har iyakar ranka!"

بمعنى: "هكذا في سرية استمر النبي إلى ثلاث سنوات تقريباً من هنا أرسل الله إليه بأن يخرج إلى الميدان ويبدأ بدعوة الجماعة إلى ما أمر به يعني الإسلام. وأدب أن يجتنب السحرة هذا هو الأمر في القرآن.

من ذلك اليوم انتهى الكلام في السرية في يوم ما صعد النبي الصفا وجمع أسرته يدعوهم قبيلة قبيلة إلى الإسلام قائلاً «أرسلني الله لأشهدكم أنه لا خير تجدونه في هذه الدنيا أو غدا القيامة حتى تؤمنوا بالحق أمر لا إله إلا الله». بسماع هذا. افرقوا وقالوا بأن النبي ضيع لهم الوقت. حتى غضب عمه أبو لهب وقال «ألهذا جمعتنا؟.....»<sup>(١)</sup>.

ويعلن صراحة عن تقنية التتابع الزمني المنطقي التسلسلي من وجهة نظره في الشاهد التالي: تحت عنوان: حمزة ضرب أبي جهل Hmza Ya Daki Abu Jahali يقول:

Muna fata, ya masu karatun wannan littafi, kuna biye da mu da idon basira. Domin kuwa ko da shi ke a taqaice mu ke tafe, duk da haka mataki mataki mu ke biye na nuna yadda wannan al'amarin addinin musulunci ya shuku a duniya, da yadda ya tsira, da yadda ya

(٣) السابق، ج ٢، ص ٦.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ١١.

ke girma.

To, ana nan ran nan, ina ya Allah, babu ya Allah, sai Abu Jahali ya yi wa Annabi qazamar magana. Annabi ya wuce bai ce masa kome ba. Sai can zuwa rana, Hamza, aminin Annabi ya dawo daga farauta. A lokacta shi Hamza bai musulunta ba. Da ya shigo gari sai ya sami labarin abin da Abu Jahali ya aikata ga xanuwansa. Bai tsaya wata wata ba, sai ya zabura, ya nufi inda shi abu Jahali ya ke, ya kwaxa masa baka a kai. Faxe zai tashi aka raba. To, shi wannan Hamza da ma ba wanda bai san shi ba a Makka, a kan jaruntaka. Duk Quraishawa suna shayinsa! A nan wurin Hamza ya ce shi ya musulunta. Ya yi alkawari kuwa zai taimaki xan xanuwansa har qarshe.

To, a cikin wa'azin da Annabi ke yi kullum, ba ya rabuwa da Xakin Ka'aba, domin nan ne babban matattara na kowa da kowa. A ran nan yana qofar Xakin Ka'aba, yana kiran jama'a su bar bauta wa gumaka, alhali kuwa ga gunki 360 a ciki, sai haushi ya kama mutane, suka zaburo za su halaka Annabi, sai wani mabiyin Annabi da a ke kira Haris Ibn Halah ya shiga tsakani..

بمعنى: "ترجوا يا من يقرأ هذا الكتاب أنكم معنا بعين البصيرة، لأننا بالإيجاز نمشي،

مع ذلك نمشي تدريجياً لنبين كيف أن دين الإسلام عمّ الدنيا وكيف نجا وكيف نشأ.

في يوم من الأيام. قال أبو جهل للنبي كلاماً سخيفاً. مر النبي ولم يقل شيئاً حينئذ لم يكن حمزة قد آمن. وعند زوال الشمس رجع حمزة (عم النبي) من التجارة (أو رحلة صيد) لما دخل البلد سمع خبر ما فعل أبو جهل بابن أخيه. لم يقف حتى ذهب إلى مكان أبي جهل وضربه على رأسه. تقوم المشاجرة فنهض حمزة وكان معروفاً في مكة كلها لشجاعته.....

هناك قال حمزة أنه أسلم وقال أتسبه وأنا على دينه أقول ما يقول فضربه ضربة فشج رأس أبي جهل. في الوعظ الذي يقوم به النبي كل يوم لا يفارق الكعبة لأنها مجمعاً كبيراً للجميع. يوم ما وهو في باب الكعبة يدعو الناس لتترك عبادة الأصنام، وكان فيها ٣٦٠ صنماً، فغضب الناس وأقبلوا يريدون هلاك النبي إذ دخل بينهم أحد أتباع النبي يقال له حارث بن حلال<sup>(١)</sup>.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ١٦.

ثم ينتقل إلى تقنية المشهد الوصفي منوعاً ودافعاً للسأم، ورأساً للشخصيات، فيقول:

Abu Xalib Ya Rasu , Annabi Muhammadu tsira da amincin Allah su tabbata a, gare shi, yana cikin wannan hali na karvar azaba daga Quraishawa daga shi har mabiyansa, kamar yadda kuka karanta a baya, har ya shekara kamar goma da saukar annabci a gare shi. To, a sa'ad da ya shekara kamar goma xin nan a annabci, sai abubuwa biyu manya, na baqin ciki suka auku a gare shi. Na farko dai amminsa Abu Xalib ya rasu. Shi ne muka ce ya xauki garkuwar taimakonsa tun rasuwar Abdul Muxxalibi. Kuma a lokacin ne Hadija babbar uwargidansa ta rasu. It kuwa ce mace wadda ta fara karvar musulunci a duniya. Wannan shekara, har Larabawa na kiranta shekarar baqin ciki. Quraishawa kuwa, waxanda ba su musulunta ba, sai muma, wai garkuwar Muhammadu ta faxi! Altahu Akbar, ba su sani ba, Allah shi ne garkuwar. Shi ya saukad da musulunci, shi kuma ne da zatinsa ya yi alkawarin tsare abinsa!

بمعنى: "أبو طالب مات، النبي محمد في هذا الحال الذي يعذب فيه هو وأتباعه من قبل قریش. كما قرأتم سابقاً. حتى بلغ عشر سنين من نزول النبوة له بعد عشر سنين هذه حدث شيان عظيمان محزنان. الأول حين مات عمه أبو طالب. وهو الذي قلنا أنه تولى مهمة مساعدة النبي بعد موت عبد المطلب في نفس الوقت ماتت خديجة أم بيته العظيمة. وهي أول من دخل الإسلام في الدنيا هذا العام يسميه العرب عام الحزن.

أما قریش. الذين لم يسلموا منهم. ففرحوا. أن سقط مساعد النبي! الله أكبر! لا يعرفون أن الله هو المساعد، هو الذي أنزل الإسلام. وهو الذي بذاته وعد أن يحفظ ماله!<sup>(١)</sup>. وفي خبر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى طريق الحجيج، وأحداث دعوته إياهم، ما يترك أثراً للزمان في رسم بعض جوانب من شخصية المسرود له، يقول:

Annabi Bisa Hanyar Fatake, Tun sa'ad da aka umurci Annabi da ya fito fili ga kiran lama'a zuwa musulunci, sai ya kama bin hanyoyin fatake masu shiga Makka yana kiran baqin nan zuwa ga karvar musulunci.

Ban da wannan kuma, ko wace shekara, in Larabawa na qasa qasa sun taru a Makka, domin yin irin haijinsu na lokacin, shi kuwa sai ya yi ta binsu yana kira ga bauta wa Maxaukakin Sarki Allah. Ko yausha Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٣٣.

gare shi, in ya tari ayarin fatake, yana yi musu wa'azi, sai Abu Lahabi ya riqa bi, yana qaryatawa. Wata rana Annabi ya tsaya Mina kan hanyar fatake, kamar yadda ya saba, suna wucewa yana kiransu kabila kabila yana ce musu, "Ya ku kabilar Wane, ni manzo ne na Allah zuwa gare ku. Allah ya umurce ku da ku bauta masa shi kaxai. Ku rabu da bauta wa gumaka, ku ba da gaskiya gare shi. Ni kuwa ku sani manzonsa ne, ku gaskata ni. Ku bar ni har in gaya muku saqon da ya aiko ni da shi zuwa gare ku."

بمعنى: "النبي في طريق المسافرين ، منذ أن أمر النبي أن يخرج علانية ليدعوا الناس إلى الإسلام. فصار كأنه يتبع طرق المسافرين الذين يدخلون مكة يدعوهم إلى الإسلام.

غير هذا. في أي سنة. إذا اجتمع العرب في مكة لأجل حجهم الذي يحجون حينذاك. يبتعثهم ويدعوهم إلى عبادة الله جل جلاله. في كل حين إذا كان النبي محمد مع هؤلاء المسافرين يعظهم يأتي أبو لهب ويكذب. يوما وقف النبي في منى في طريق المسافرين كما اعتاد يعدون فيدعوهم قبيلة قبيلة ويقول لهم: يا قبيلة كذا إني رسول الله إليكم أمركم الله أن تعبدوه وحده. وتتركوا عبادة الأصنام. وتؤمنوا به. واعلموا أنني رسوله فأمنوا بي. واتركوني لأقول لكم ما أرسلني به إليكم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول مستخدماً تقنية المشهد الوصفي أو الوقفة الزمنية السردية:

A cikin wannan gamuwa, Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, ya samu ya musuluntad da waxansu 'yam mutane kaxan, daga cikin waxansu kafirai, waxanda suka zo daga Madina. Su waxannan, su suka koma da musulunci garinsu, Madina. Ta haka suka zama su ne suka fara seuka shi a can. Amma ko kafin su rabu. sai da sukaxauki alkawari a gaban Annabi, cewa : Ba za su tara bauta wa Sarki Allah da bauta wa wani ba, Ba za su yi sata ba. Ra za su yi zina ba. Ba za su bizne 'ya'yansu mata ba idan sun haka. Ba za su tafiyad da hannuwansu ba, ko qafafuwansu zuwa ga mugun aiki. Ba za su aikata wani abu mumniuna ba.

Da suka yi wannan alkawari, za su koma, sai Annabi ya gama su da wani sahabi nasa wanda a ke kira Mus'aba ya ce ya bi su can Madina ya je ya ci gaba da bayyana musu addinin musulunci, su waxannan da suka karva.

(٢) السابق ، ص ٣٨.



Da shekara ta kewayo kuma, waxansu mutanen Madina, mutum kamar 73, har da mata biyu, duk su ma suka yi alkawarin sun karva kiran musulunci. Suka koma Madina da niyyar baza wannan saqo. Ta haka saiwar musulunci ta sami kafuwa sosai a Madina. Alhali kuwa ga Aflalul Mursalina a Makka shi bai tafi ba.

بمعنى: "في هذا اللقاء أسلم على يدي النبي محمد. قلة من الكفار الذين أتوا من المدينة هؤلاء عادوا بالإسلام إلى بلدهم المدينة. بهذا صاروا أول من نزل به هناك. وقبل افتراقهم وعدوا أمام النبي. أنهم لا يشركون عبادة الله بعبادة أحد. لا يسرقوا. ولا يزنون. ولا يدفنوا بناتهم إذا أنجبوا. ولا يذهبوا بأيديهم ولا أرجلهم إلى عمل رذيل. ولا يفعلوا أي شيء قبيح. وعاهدوا بهذا. وعندما أرادوا العودة. ضم معهم النبي أصحابيا له يقال له مصعب. قال له أن يذهب معهم إلى المدينة. ويعلمهم دين الإسلام. الذين آمنوا به. في عام قادم أيضا أناس من المدينة تقريبا ٧٣ وامرأتان. كلهم وعدوا أنهم أسلموا. وعادوا إلى المدينة بنية نشر هذه الرسالة بهذا ثبت الإسلام في المدينة. مع أن أفضل المرسلين في مكة لم يذهب<sup>(١)</sup>.

وكذلك في خبر خروج النبي إلى طريق الهجرة إلى المدينة، يستخدم الكاتب الكثير من الأفعال التي تضيف بظلال دلالية زمانية تسهم في تطور الأحداث، يقول:

A rana ta huxu da himmar Quraishawa suka yi sanyi cikin farautar, sai su Annabi suka fito daga kogon, suka kama hanya, suka tasam ma Madina. Bayan sun kwana guda suna tafiya, ba dare ba rana, sai suka yi kicivis da wani Badawi, Balaraben qauye, wai shi Suraqa, wanda ya sami labari Quraishawa sun ce wanda duk ya zo musu da su Annahi, za a ba shi ladan raqumi xari.

بمعنى: في اليوم الرابع وقريش قد تعبت عن البحث عن النبي. خرج النبي وصاحبه من الغار وتمادا بالرحلة إلى المدينة بعدما مكثا يوم في الرحلة لا يوجد ليل ولا نهار. لقيا أعرابيا يقال له سراقا الذي سمع خبر قريش أنهم قالوا كل من أتى بالنبي يُعطى مائة إبل أمراً له<sup>(٢)</sup>.

هكذا وبنفس أسلوب الكاتب في الجزء السابق، يعالج في الجزء الثاني تقنيات الزمان

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) السابق، ج ٢، ص ٤٣.

السردى السيرى بكل أشكالها وأنواعها، فيما يسهم في تطور الأحداث، ورسم الشخص، والتداخل بين العناصر الفنية السيرية.

### رابعاً: تقنيات الزمان السردى السيرى في الجزء الثالث:

يتابع الكاتب في الجزء الثالث استخدام كل أشكال التنوع الزمنى فيما يشكل التكوين الخاص بسيرته الفنية، ويخرج بسيرته بعيداً عن مجرد التأريخ للنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحاب الفن والأدب بما لا يتعارض مع الصحيح الثابت من سيرته صلى الله عليه وسلم. يقول:

Kun karanta a guzu'i na biyu, yadda kafiran Makka na lokacin, su Abu Jahali, su ke ta fitinar Musulmi. Da yadda su ke sa burin su zo su halaka su. Sabo da haka ne fa, a cikin watan Rajab, hijira na da shekara biyu, ya zavi mutum 12, ya sa su qarqashin wani, wai shi Absullah Ibn Jahshi, ya ce su je wani wuri da a ke kira Nahla, su riqa dako domin kada abokan gaba su far wa Madina ba labari. Abin qaddara, suna isa Nahla, sai ga ayarin waxansu fatake ne Makka sun sauka bakin wata rijiya. Da su Abdullah suka bukaci ruwa, sai ayarin nan suka hana su. Daga nan sai faza ya tashi a tsakaninsu. Aka kashe mutum guda cikin ayarin na Makka, aka kama biyu. Suka komo Madina da su, wai ganimu.

Wannan al'amari da su Abdullah suka aikata ya vata ran Annabi ainun ainun. Domin shi ba aikata wannan aiki. Ya qi karvar ganimar, ua saki waxanda aka kamo. Ya sake su kuwa cikin daraja, da girmimawa.

بمعنى: "أنتم قرأتم في الجزء الثاني كان كفار مكة ومنهم أبو جهل يفتنون المسلمين ويعذبونهم وكان همهم أن يهلكوهم.

لذلك في شهر رجب لعامين من الهجرة هو [ اختار اثنا عشر رجلاً ليضعهم في بعضهم وهم عبد الله بن جحش، قال بأن يذهبوا إلى مكة اسمه نحلة ويكونون على حذر لئلا يكون أعداؤهم قد تركوا خبراً في المدينة، وكان من القدر لما وصلوا إلى نحلة كان بعض الناس من مكة نزلوا في شاطئ البئر الذي كان جماعة عبد الله يشربون منه فمنعواهم ومن هنا بدأت المشاجرة بينهم وقتل رجل واحد من بين الذين هم من مكة، وقتل واحد وأسر اثنين

فرجعوا بهم إلى المدينة كغنيمة. وهذا الأمر الذي قام به عبد الله وجماعته لم يكن يرضي عنه النبي [ لأنهم لم يرسلوا للمشاجرة. وعاتب النبي محمد ] عبد الله على هذا الأمر كما رفض أن يقبل الغنيمة وترك الأسيرين وأكرمهما<sup>(١)</sup>.

تحت عنوان : زواج ابنته فاطمة ، يحدث الكاتب وقفة وصفية للزمن السردي فيقول:

Mun sani yanzu muna tsaka ne ga labarin jihadodin Annabi, amma duk da haka a wannan wuri, ba mu iya wuce wannan shekara, sai mun ba da labarin wani babban abu da ya auku ga Musulunci a cikinta. Wannan babban al'amari, shi ne auren Nana Fatsima, xayar Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi. A wannan shekara ne, Annabi ya aurad da ita, ga xan amminsa Sayyidina Ali. Aliyu xan Abi Talib! Sayyidina Ali kuwa shi ne ya zama halifa na huxu bayan Annabi. (Amma dai muna zuwa kan wannan labari na halifofi in da rai, kada in yi muku tsalle). To, wannan aure, ya shiga cikin abubuwan da duniya ke mamakinsa, game da halayen Annabi. Domin kuwa yadda ka san ana auren 'yar kowa, ba wata rigima, haka aka yi na wannan 'ya ta Annabi Muhammadu, tsira da aminci su tabbata a gare shi. Ita wannan 'ya ta Annabi, Nana Fatsima, tare da uwargidansa ya haife ta, watau Hadiza. Duk dai kuna tune da labarinta, tun farkon labarimmu na bayyanar musulunci.

Kuma ga wani babban abin tunawa, game da wannan 'ya ta Annabi, Nana Fatsima. Ita ce fa kuma ta hafti Alhasan da Husaini da Muhassin da waxansu mata.

بمعنى: "نحن نعلم الآن أننا في منتصف قصة جهاد الرسول ، ولكن حتى الآن ، لا يمكننا أن نمر هذا العام ، حتى نروي شيئاً عظيماً حدث للإسلام فيه. وأهم شئ زواج نانا فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في نفس العام ، زوجها الرسول من ابن عمه علي رضي الله عنه. علي خان أبي طالب! كان علي رضي الله عنه هو الخليفة الرابع بعد النبي. (لكننا نأتي إلى قصة الخلفاء على قيد الحياة ، لا يجب أن أقفز إليك). هذا الزواج ، إذن ، من

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٦.

عجائب الدنيا فيما يتعلق بشخصية النبي. لأنه ، كما تعلم ، تزوجت ابنة الجميع ، فلا خلاف ، لذا فإن ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهي ابنة النبي نانا فاطمة ، ولدت لزوجته حديزة. تتذكرون جميعاً قصتها منذ بداية مغامراتنا الإسلامية. وهنا تذكير عظيم آخر ، عن "ابنة النبي ، نانا فاطمة. هي ابنة الحسن ، حسين ، محسن وغيرها من النساء<sup>(١)</sup>.

وتبدو تقنية التتابع في مشهد ما بعد معركة أحد Bayan Yaqin Uhudu، يقول:

Wannan yaqi na Uhudu, ya zama kamar sabon mabuxi ne na fitinoni ga Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi. Duk Larabawan qauye, waxanda da ke shayin Musulmi, don firgitar da suka yi ga abin da ya faru a yaqin Badar, yanzu sai suka hutsance. Kowa ya xauko xan yaqinsa, sai ya nufu Madina. Musulmi su kore su su koma. Mutanen Makka suka gama baki da dukan kabilun Larabawa a kan kada a bari Annabi ya kai!

Da abu ya yi tsanani, sai Musulmi suka zama da xamara su ke kwana, da xamara su ke tashi. Ga hari suna fama da karo da shi, ga kuma yaudara ana yi musu. Hijira na da shekara huxu sai wani munafiki ya zo, wai shi Abu Bara, kamar ya musulunta, ya sanya Annabi ya ba shi mutum saba'in daga cikin sahabbansa, wai zai ja su su je ga waxansu kabilu can a Nejad, suna son bayanin musulunci. Sun rabu da Madina da kwana huxu, duka aka halaka su! Aka kama su xai xai aka yayyanke su gaba gaba. Ita wannan qasa la Nejad can nc fadar sarkin Makka na yanzu ta ke. A cikin wannan shekara kuma, wata kabila da a ke kira Banu Adhal suka aiko ga Annabi, wai ga su sun musulunta, a je a koya musu addini. Annabi ya aika da malamai, shugabansu Asim Ibn Sabit. Da zuwa sai barde metan suka hau musu na Banu Lihyar, suka halaka Musulmin nan duka. Yahudawa kuma da da aka yi alkawarin zaman aminci da su suka layar. Kai, fitinu dai iri iri, har ba su lissaftuwa a wannan xan qurarren littafi.

<sup>(١)</sup> أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ١٠.

Ana nan haka, hijir;i na shekara biyar, sai Quraishawa na Makka, da kabijun Larabawan daji, da Yahudawa, duk suka gama qarfi suka yi runduna wadda la gigita kowa a qasar Larabawa, suka yunqura gaba xaya kamar tashin duniya, suka unti, Madina kisan Musulini.

بمعنى: "كانت معركة أحد مثل مفتاح جديد لمحاكمات الرسول صلى الله عليه وسلم. كل عرب القرية ، الذين كانوا يضايقون المسلمين ، بسبب إرهابهم لما حدث في معركة بدر ، هدأوا الآن. كل واحد منهم أخذ سلاحه وجاء إلى المدينة. يجب على المسلمين طردهم والعودة. اتفق أهل مكة مع جميع القبائل العربية على عدم السماح للنبي بالوصول إليهم! عندما ساءت الأمور ، كان المسلمون يقضون الليل في النوم والاستيقاظ. هاجموا هنا ، لقد خدعوا. بعد أربع سنوات من الهجرة ، يبدو أن المنافق ، أبو بارا ، قد تحول إلى الإسلام ، جعل النبي يعطيه سبعين من رفاقه ، وقال إنه سيجرهم إلى بعض القبائل هناك في نجاد ، الذين يريدون معلومات. دين الاسلام.

غادروا المدينة المنورة في أربعة أيام ، ودمروا جميعاً! تم اعتقالهم وتشويههم. هذا هو نجاد ، موقع القصر الحالي لأمير مكة. وفي نفس العام أرسلت قبيلة تدعى بني عذال رسولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلمهم الدين. أرسل النبي العلماء ، زعيمهم عاصم بن ثابت. عندما وصلوا ، هاجم مائتان منهم بنو ليهيان ، مما أسفر عن مقتل جميع المسلمين. كما قتل اليهود الذين وعدوا بالسلام. كما ترى ، هناك العديد من أنواع المحن والمحن التي لم يتم ذكرها في هذا الكتيب.

في غضون ذلك ، خلال فترة الهجرة التي استمرت خمس سنوات ، احتشد قريش مكة وقبائل العرب العرب واليهود معاً وشكلوا جيشاً صدم الجميع في شبه الجزيرة العربية. المدينة المنورة تقتل المسلمين<sup>(١)</sup>.

وكذلك في مشهد احتجاز أهل مكة للعباس: اعتقل عباس ملك مكة ، يقول:

Dare na yi, sarkin Makka, watau sarkin Kafiran Makka Abu Sufuyanu ya fito, da shi da Budaili Ibn Warqata, suna rave rave kusa da rundunar Musulmi, don su samo asirin abin da su ke ciki. Ashe cikin daren kuma sarkin yaqi guda na Musulmi, Abbas, xan Abdul Muxxalibi, watau baffan Annabi, ya hawo alfadarar Annabi, fara,

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ١٨.

yana ravawa kewayen sansaninsu, don kada mutanen Makka su yi musu farmaki cikin dare.

Abin da ya sa ya hawo alfadarar Annabi, gudu ya yi kada yana cikin kewaye da duhun dare, wani Musulmi ya zaci abokin gaba ne ya hau masa. Amma wannan alfadara ta Annabi, kowa ke bisanta, sai ya ratsa inda ya ga dama.

Yana cikin rave rave, sai ya zo kusa da sarkin Makka shi kuma ya fito rave rave. Cikin duhun dare, sai ya ji sarkin Makka na ce wa abokin tafiyarsa, “Kai, tun da na ke ban tava ganin wani sansani da ya hura wutace aka cika karkara haka ba!”

Duhun dare ya hana ganin juna, ashe Abbas yana kusa yana jinsu. Da ya gane muryar sarkin Makka, sai ya kira shi da sunansa na kakanni ya ce, “Kai Aba Hanzalata.” Sarkin Makka ya waiwaya. Abbas ya ce, “Kaitonka ya Abu Sufuyana, wannan runduna ta manzon Allah ce, shi ke tafe da kansa. Idan kuwa kuka bari ya shiga Makka da qarfi, kaitonku!”

Sarkin Makka ya gane muryar Abbas, sai ya ce, “Abbas ne! To, ina dabara? Na gama ka da Allah.” Sai Abbas ya xauke shi a kuturin alfadarar Annabi, ya nufi laimar Annabi da shi. Abokin tafiyarsa kuwa ya koma gida. Abbas ya ratsa rundunan nan ta mutum dubu goma!

Suna wucewa, sai suka ravo wurin da Sayyidina Umaru Ibn Haxxab ya ke. Da ganin Abu Sufuyana, sai ya yi zaton ko Abbas na son gudu da shi ne. Sai ya zabura, ya tafi ga tantin Annabi, ya bixi izni ya sare kan Abu Sufuyana cikin dare.

Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, ya ce, “A’a.” Abbas ya ce yana roqo a ba shi ceton Abu Sufuyana a wannan dare. Annabi ya ce ya ba sbi, ya je da shi tantinsu sai da safe su zo.

بمعنى: "في تلك الليلة ، خرج أبو سفيان ، ملك الكفار في مكة ، وهو وبوديلي ابن ورقاتا ، يسيران بالقرب من الجيش الإسلامي ، لمعرفة سر محتوياتهم. أثناء الليل ، استقل سلطان

المسلمين ، عباس ، ابن عبد المكسيبي ، عم النبي ، بغل النبي ، أولاً ، يتحرك حول معسكرهم ، حتى لا يهاجمهم أهل مكة في الليل لذلك ركب بغل النبي ، هرب في ظلام الليل ، ظن مسلم أنه يركب عدوًا. أما بغل النبي ، فكان الجميع يركبها ، وعبر حيثما شاء كان في الهذيان ، لذا اقترب من ملك مكة وخرج الهذيان.

في ظلام الليل ، سمع ملك مكة يقول لصاحبه ، "أوه ، لأنني لم أر قط معسكرًا يحترق مليئًا بالريف " !ظلام الليل منعهم من رؤية بعضهم البعض ، لأن عباس كان على وشك الاستماع إليهم. عندما تعرف على صوت ملك مكة ، اتصل به باسم أجداده وقال: "أنت أبا حنظلة".

استدار ملك مكة. قال عباس: "ويل لك يا أبو سفيان ، هذا جيش رسول الله ، وهو يسير بمفرده". ولكن إذا سمحت له بدخول مكة بالقوة ، ويل لك " !اعترف ملك مكة بصوت عباس وقال ، "إنه عباس! فأين الخدعة؟ لقد أنهيتكم مع الله ". حمله عباس على بغل النبي ، وأشار إلى مظلة النبي معه. وعاد رفيقه إلى المنزل. عبور عباس هذا الجيش المؤلف من عشرة آلاف رجل !عندما مروا ، جاءوا إلى المكان الذي كان فيه عمر بن الخطاب.

عند رؤية أبو سفيان ، تساءل عما إذا كان عباس يريد الفرار معه. قفز ، ذهب إلى خيمة النبي ، وأذن بقطع رأس أبو سفيان أثناء الليل قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا". قال عباس إنه كان يطلب خلاص أبو سفيان في تلك الليلة. قال النبي : (أعطه سبياً) <sup>(١)</sup>.

ثم يلجأ الكاتب إلى إبطاء السرد وتعطيله حسب الجو النفسي له، وبحسب ما يراه مناسباً لأسلوبه السرد في مشهد فتح مكة، في يوم دخول النبي إلى مكة، يوم انتصاره، يوم إعلان خروج البشرية جمعاء من ظلمات الجهل إلى أنوار الدين الحنيف، يقول الكاتب:

Tsarkaka Xakin Ka'aba, Daga nan Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, ya tasam ma Xakin Ka'aba. Gumakan nan 360 da da kafiran Makka ke bauta wa duk ya karairaya su. Har surorin da da su ke bauta wa, duk ya lalata su. Yana karya su yana cewa, "Gaskiya ta bayyana, qarya kuma sai ta tafi!"

Da ya gama tsarkake Xakin Allah, daga daukar tsafi, sai ya sa Bila babban bawa, ya yi kiran salla a Xakin Ka'aba. Aka shiga aka yi salla. Allahu Akbar! Xakin da da a ke taruwa a yi tsafi, ana bauta wa

<sup>(١)</sup> أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٢٨.

gumakka 360, yau ga shi ya koma xakin bauta wa Maxaukakin Sarki Allah, shi kaxai, wanda ba shi da abokin tarayya!

Annabi Muhammadu, tsira da anuncin Allah su tabbata a gare shi, ya karva musu da zuciya mai gafartawa, da hawaye cike da fuskarsa, yana-cewa, "Ya Allah, ka karve su. Allah, kai ne fiyayyen mai jin qai!"

بمعنى: "تقديس الكعبة، النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلى الكعبة. الأوثان ٣٦٠ التي يعبدها الكفار في مكة كلها خاطئة. حتى السور التي يعبدونها ، دمرها. لقد كذب عليهم قائلاً: "الحقيقة خرجت ، والكذب ذهب "ولما انتهى من تطهير بيت الله من الإله جعل بيلا العبد الرئيسي ودعا إلى الصلاة في الكعبة. تم عرض الصلوات.

الله أكبر! كان الضريح يستخدم لعبادة ٣٦٠ الأصنام ، وهو اليوم هو الضريح الوحيد لله سبحانه وتعالى ، الذي ليس له شريك! الله أكبر! قبل ثماني سنوات ، طرد الكفار من مكة النبي من هذه المدينة من والديه وأجداده. واليوم عاد مسؤولاً عن كل الخلق! (٢).  
بهذه الطريقة السردية للزمان السيري يتميز أسلوب الكاتب في درجة عالية من الفنية في استخدام التقنيات الزمانية، بما يسهم في تطور الأحداث ورسم الشخص.

(٢) السابق، ج ٣، ص ٣٠.



## الخاتمة:

إن الزمان السيري يلعب دوراً في تشكيل العمل الفني للسيرة، فهو البنية الأساسية من بنياتها الفنية، ولا يمكن تصور أحداث سيرية إلا في زمان معين، تتطور فيه الأحداث، وتتشعب فلا يمكن تخيل شخصية تفكر أو تتفاعل مع أخرى إلا في زمن محدد، وفي ضوئ الزمان يمكن أن نفهم حركة الشخص وننتعرف على أفكارها وميولها النفسي، لأن الإنسان الواحد تتغير أفكاره وتتغير ميوله باختلاف الزمن، وكذلك فإن الأحداث في ظل الزمان تعطي دلالات خاصة، وتحمل رسائل جمة يبيها الكاتب في سيرته الفنية.

لا ينقل الكاتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة خطية متوالية، بل يستخدم عدداً من التقنيات التي تنظم السرد، وتبتعد به عن الرتابة؛ مما يجعله أكثر حيوية. وتتسرب هذه التقنيات في النسيج السرد السيري، فتعمل على تلاحم خيوط نص السيرة وتماسكها، فتجعل القراءة عن المسرود له للتعلم والتربية مصحوبة بالمتعة، ومقرونة بالدهشة، وموسومة بالفنية، من خلال توظيف المفارقات الزمنية، ومن أكثر هذه المفارقات الزمانية السردية السيرية تجلياً في السيرة موضوع الدراسة تقنية الاسترجاع، إذ يشكل ذاكرة النص وفيه ينقطع زمن السرد الحاضر، ويستدعي الماضي، وتأتي أهميته في كونه تقنية تتمحور حول تجربة المسرود له صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يقلل من أهمية التقنيات الأخرى من نحو الاستباق، والحذف، والوقفة الزمنية... إلخ

## المراجع:

- 1- Alhaji Abubakar Imam , C.O.N, O.B.E.; Tarihin Annabi Kammalalle, Northern Nigerian Publishing Company , Zaria .
- ٢- إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سلسلة فنون أدبية رقم ٤، بدون تاريخ.
- ٣- سمير سعيد حجازي: المناهج المعاصرة لدراسة الأدب، دار الكتاب الجامعي، الكويت، ١٩٩٦م.
- ٤- شوقي محمد المعاملي: السيرة الذاتية في التراث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٥- عبد الملك مرتاضى: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٤٠، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.
- ٦- عز الدين بوبيش: في نظرية السرد وتحليل الخطاب، الموقف الأدبي ع ٣٨٠ كانون الأول لسنة ٢٠٠٢م.
- ٧- علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٧١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.
- ٨- كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م .
- ٩- ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م .
- ١٠- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.
- ١١- مارتن هيدجر: مفهوم الزمن، ترجمة فريق الترجمة والمراجعة في مركز الإنماء القومي، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٢- هانز ميرهوف: الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزق، مراجعة العوضي الوكيل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك سنة ١٩٧٢م .



## مظاهر الزمان السردي

في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للكاتب الهوساوي

د/ أبوبكر إمام

عطية عبدالموجود ناجي القط

باحث دكتوراه بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل جامعة أسوان — جمهورية مصر العربية

### تقديم:

هذا البحث بعنوان: "مظاهر المكان السردي في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، للكاتب الهوساوي: "الدكتور: أبي بكر إمام"، وهو يمثل اهتماماً بلون من ألوان الأدب، هو "فن السيرة"، كما يمثل اهتماماً بكاتب من أكبر كتاب السيرة في الأدب الهوساوي، ليس على المستوى المحلي فقط، بل على المستوى الأفريقي، والعالمي. ولا يجوز للسيرة الفنية، كما يحدد النقاد، أن تكون بمعزل عن الحيز المكاني الذي هو عنصر رئيس في تشكيلها، فيمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضوياً، ويمثل الحيز السردي للسيرة عنصراً من عناصر البناء الفني، ويتصل اتصالاً مباشراً بقدرة الكاتب على الربط بين الأحداث وبين الشخصيات واللغة بروابط الزمان والمكان، بغية الوصول إلى الهدف الذي يقصده الكاتب من كتابة السيرة.

إن علاقة الإنسان بالمكان بشكل عام علاقة تأثيرية تأثرية في آن واحد، فالمكان يشكل وعي الإنسان، والإنسان تنعكس صفاته على البيئة والمكان، وفي هذا البحث "مظاهر المكان السردي في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم" للكاتب الهوساوي الدكتور أبي بكر إمام يتكئ الاهتمام بالمكان على كون السيرة الفنية فناً مكانياً يقف خارج القسمة التقليدية للفنون إلى فنون زمنية وأخرى مكانية، وهو بذلك يعكس تفرداً للنوع بقدر ما يعن تقويضاً للتقسيم ذاته، وبقدر ما نسعى إلى تقديم المكان في السيرة الذاتية على أنه عنصر سردي يتمتع بخصوصية وأهمية، نؤكد أن هذا العنصر لا يمكن النظر إليه من منطلق عزله عن بقية العناصر السردية الأخرى (الزمن، الشخصية...)، ولا سيما عنصر الزمن، إذ "يستحيل وجود

مكان أرضي، أو غير أرضي لا يتضمن كمية من الزمن وجدت بوجوده واستمرت باستمراره  
(١) كما أن المكان "لا تتجلى أبرز صفاته الجمالية إلا من خلال الزمان والإنسان" (٢).

وسوف يتم تقسم البحث إلى العناصر الآتية:

أولاً: أشكال المكان السردى السيري.

ثانياً: أشكال المكان السردى السيري في الجزء الأول.

ثالثاً: أشكال المكان السردى السيري في الجزء الثاني.

رابعاً: أشكال المكان السردى السيري في الجزء الثالث.

---

(١) صلاح صالح — قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر — دار شرقيات — القاهرة — ١٩٩٧ — ص ٢٠، ص ٥٢ .

(٢) لؤي علي خليل — المكان في قصص وليد إخلاصي — خان الورد نموذجاً — عالم الفكر — عدد ٤ — ١٩٩٧ — ص ٢٥ .

## أولاً: أشكال المكان السردى السيري:

يعرف المكان بأنه: الحيز من الفضاء الذي تقدم فيها الوقائع والمواقف، والذي تحدث فيه اللحظة السردية. ولا يقصد بالحيز المكاني أو المكان دلالاته الجغرافية المحدودة المرتبطة بمساحة محدودة من الأرض في منطقة ما، وإنما يراد دلالاتها الرحبة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها، وناسها، وأحداثها، وهمومها، وتطلعاتها، وتقاليدها، وقيمها، "فالمكان بهذا المفهوم كل زاخر بالحياة والحركة يؤثر، ويتأثر، ويتفاعل مع حركة الشخص وأفكارها، كما يتفاعل مع الكاتب ذاته<sup>(١)</sup>.

ويطلق البعض على المكان في النص السردى مصطلح الفضاء الجغرافي، باعتبار أن المؤلف يورد عدداً لا بأس فيه من الإشارات الجغرافية التي تشكل تصوراً يمكن مخيّلة المتلقي من التحليق والوصول إلى مخطط منهجي للأمكنة، والتعرف على خصائصها وصفاتها.

ومن المهم أن نشير إلى أنه من الممكن أن يتم السرد بدون الإشارة إلى مكان الأحداث المروية، ومكان اللحظة السردية أو العلاقة بينهم، إلا أن المكان في حال التأكيد عليه يمكن أن يلعب دوراً مهماً في السرد، وأن السمات أو الوصلات بين الأماكن يمكن أن تكون هامة وتؤدي وظيفة موضوعية وبنوية كوسيلة للتشخيص، ولا سيما في نصوص السيرة الذاتية، حيث يلعب المكان دوراً هاماً ومحورياً في تكوين مرجعيات الذات التي تحكي تجربتها، إضافة إلى دوره في جعل أحداث النص ومواقفه ووقائعه ممكنة الحدوث، وتشي بواقعيته وقربه من المعقول.

إن أهمية دراسة المكان في السيرة الذاتية تنبع من ضرورة الوصول إلى تحديد طبيعة الفضاء السردية فيها، لأن الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من المكان، فهو أمكنة الرواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالزمن والحوادث ومنظور الشخصيات.

ولو تأملنا طبيعة المكان في السيرة الذاتية بمعزل عن أساليب تقديمه، لوصلنا إلى نتيجة تؤكد أنه ليس مجرد ديكور للحدث وحسب، أو حتى بعداً كنائياً للحدث أو الشخصية أو البيئة... الخ، على نحو ما كان سائداً في الروايات التقليدية، بل بوسعنا التأكيد أن المكان أصبح يشكل رموزه التي تعيد تشكيل أدبية النص والرؤية فيه، وهذه الرموز ستؤسس

(١) عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، ص ٥٩.

ولاشك بنى جمالية خاصة بجنس السيرة الذاتية، مما يجعل المكان في هذا الجنس الأدبي رمزاً لحياة البشر، يجسد الغربة والملل والضيق والمفارقة والعبور المؤقت، ويؤثر على مفهوم الزمن، فيعكس اضطرابه بين الديمومة واليومى، بين السطحي والعميق، وبين الوهم والحقيقة<sup>(٢)</sup>.

وباعتبار أن الشخصية تعتبر عنصراً رئيسياً من عناصر السرد وترتبط أهميتها بوجود العمل السردى نفسه، ولأسيما في السير الذاتية المبنية على النمط التقليدي، وإذا كان المكان يتخذ دلالاته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية عامة<sup>(١)</sup>.

يستخدم النقاد المحدثون مصطلح "الحيز المكاني" للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد أو "الفراغ" المكاني: أحدهما محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، ويمكن تسميته بـ "المظهر الخارجى المباشر" أو "المظهر الجغرافى"، والآخر أكثر اتساعاً، ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه الأحداث الفنية، ويمكن أيضاً تسميته بـ "المظهر غير المباشر للمكان أو المظهر الخلفى"<sup>(٢)</sup>.

فأما المظهر الجغرافى المباشر للمكان: فهو ذلك المكان الذي يبدو مطلاً في النص السيرى من خلال الوصف الجغرافى إلى حد ما للحيز الذي يدور فيه الحدث، فيصف الكاتب الأرض، والبناء، والشوارع، والبيت، والحجرة، وهكذا باستخدام الكلمات التي تدل على المكان والمساحات والأشكال والألوان.

وأما المظهر الخلفى غير المباشر للمكان: وهو ما يعبر عنه بتعبير غير مباشر ويكون له دلالات المكان، كقول السارد: "رحل، خرج، دخل، سافر، ركب البحر، سمع المنادي لصلاة الصبح،... فمثل هذه الأفعال أو الجمل تحيل القارئ إلى عوالم لا حدود لها، وهي كلها

(٢) ماجدة حمود — مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن — اتحاد الكتاب العرب — دمشق — ٢٠٠٠م — ص ٤٢.

(١) محمد الباردي — الرواية العربية والحدث — الجزء الأول — دار الحوار — اللاذقية — ١٩٩٣ — ص ٢٣٢.

(٢) سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص ٧٤: ٧٨.  
وانظر أيضاً: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مرجع سابق، ص ١٤٣: ١٤٦.

أماكن وأحياز في معانيها، فالذي يسافر، يتحرك وينتقل من حيز إلى حيز آخر، ومن مكان إلى مكان آخر.

يمثل الحيز المكاني في السرد الروائي عنصراً هاماً في البناء الفني السيري، ويتصل اتصالاً مباشراً، بقدرة السارد على تكوين موضوع السيرة، وصياغته، والربط بينه وبين المسرود له والأحداث واللغة بروابط الزمان والمكان، بغية الوصول إلى الهدف الذي يقصده الكاتب بسيرته. وإلى ذلك أشار النقاد إلى أنه لا يجوز للسيرة أن تكون بمعزل عن الحيز الذي هو عنصر هام في تشكيل العمل السيري حيث يمكن ربطه بالعناصر الفنية الأخرى.

يستخدم بعض النقاد مصطلح "الحيز" بدلاً من "المكان"، مقابلًا للمصطلح الإنجليزي (Space) حيث أن استخدام مصطلح "المكان" هو ترجمة غير سليمة، ولا دقيقة التمثيل للمعنى الأصلي الأجنبي<sup>(١)</sup>. كما أن استعمال مصطلح "فضاء"، الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية الحديثة، استعمال قاصر – من وجهة نظرهم – بالقياس إلى "الحيز"، وذلك "لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريًا في الخواء والفراغ"<sup>(٢)</sup>.

إن الفضاء السرد السيري يلعب دوراً في تشكيل العمل السيري، فهو البنية الأساسية من بنياته الفنية، ولا يمكن تصور أحداث سيرة إلا بوجود مكان تنمو فيه الأحداث، وتتشعب، فكل المكونات الحكائية في العمل السيري تتشكل داخل الفضاء الذي تتم به عمليات التخيل والاستنكار والحلم، فلا يمكننا تخيل شخصية تفكر أو تتفاعل مع أخرى إلا في داخل المكان، ومن خلال المكان يمكن أن نفهم حركة الشخص ورؤاها، فبيت الإنسان امتداد له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان<sup>(٣)</sup> الذي يصور البيت ذوقه وجوانب عديدة من شخصيته. وسوف يقدم البحث تصوراً للمكان السرد في السيرة، سواء بمظهره الخارجي أو الداخلي.

(١) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٣) عمر منيب إدلبي: المكان في السيرة الذاتية، منتدى أدباء وشعراء ومطبوعات، بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٩م.

## ثانيًا: أشكال المكان السردى السيرى فى الجزء الأول.

اتخذ المكان السردى السيرى فى الجزء الأول أشكالاً عدة، فالمظهر الخلفى غير المباشر للمكان يظهر فى مشهد خروج النبى موسى من مصر إلى مدين، وهى أرض بصفات معينة، ولها جوار مع الشام، والنشاط البشرى كالسقى والرعى فيها له دلالة على هذا المكان السردى، بما يدخل القارئ فى عالم السرد السيرى، ومثال ذلك فى قول الكاتب تحت عنوان: النبى موسى Annabi Musa، يقول:

ANNABI MUSA, amincin Allah ya tabbata a gare shi, yana cikin kabilar Bani Isra'ila ne. A Masar aka haife shi, a zamanin wani Fir'auna da a ke kira Alwalidu ibn Musab-ibnal-Rayyar. Haka aka ruwaito shi cikin littafin da a ke kira Hazinu. Sunan mahaifin Annabi Musa Imrana. A lokacin, su Bani Isara'ila suna qarqashin daular wannan Fir'auna ne, sarkin Masar-Shi kuwa wannan Fir'auna, ba abin da ya qi, kamar wannan kabila ta Yahudawa Bani Isra'ila. Ga su a qarqashinsa, amma kamar suna qarqashin wuta. Azaba kusan ba irin wadda ba shi gwada musu. Hasali ma, abin har ya kai ya ba da Oda, in Yahudawa sun haifi xa namiji, to, sai ya ce a yanke shi. Wai don wani boka ya gaya masa cewa za a haifi wani jinjiri a cikinsu wanda zai vata masa mulkinsa. Amma idan sun haifi mace wannan ita ba a yanka ta....

Annabi Musa, ya yi ta tafiya, ya yi ta tafiya har Allah ya kai shi wani birni da a ke kira Birnin Madyana. Wannan birni yana nan kusa da Birnin Tabuka. Watau ga shi nan tsakanin Madina daqasar Sham. Da ya shiga garin sai ya tarar da mutane jingim an taru bakin wata rijiya, ana turereniyar xiban ruwanta. Annabi Musa ya duba daga gefe guda, sai ya ga wadansu 'yam mata su biyu, sun zo don ruwan, amma ba su da qarfin kokawa da masu qarfi. Sabo da haka suka rave, suna jiran sauran wani. Ganin haka, sai tausayinsu ya kama Annabi Musa. Ya matsa, ya keta jama'a, ya samo musu, ya shayad da dabbobinsu, suka tart.

Shi kuwa ya koma gindin wata itaciya ya zauna yana cewa, "Ya Ubangiji, ni mabukaci ne ga abin da ka saukar mini daga alherinka." To, da 'yam matan nan suka koma gida sai ubansu ya tambaye su, "Yau latiya kuka komo da wuri haka?" Sai suka ba shi labarin taimakon da wani mutum baqo ya yi musu.

Sai tsohon ya aiki xaya daga cikinsu, ya ce ta je ta kira masa baqon nan don ya saka masa. Da shi Annabi Musa ya zo masa, ya



tambaye shi daga inda ya ke. Da ya ba shi labari, sai xan tsohon nan ya ce, “Kada ka ji tsoro, ka kuvuta daga mutane azzalumai!”

بمعنى: " النبي موسى عليه الصلاة والسلام وكان في قبيلة بني إسرائيل وُلد في مصر في زمن فرعون الذي قال له الوليد بن مصعب ابن ديار. هكذا روي في كتاب يسمى حزين. اسم والده عمران في ذلك الوقت كان بنو إسرائيل تحت دولة فرعون ملك مصر. وهذا الفرعون ملك مصر يفعلوا أي شيء وكان تحت حكمه بنو إسرائيل كأنهم تحت النار. لا يعذب أحد مثلهم حتى بلغ الأمر أن من أنجب ولدًا يقول بأن يذبح لأن أحد السحرة قال له سيولد في بني إسرائيل ولد يفسد ملكه ولكن إذا ولدت أنثى لا تكون.

سافر نبي الله موسى حتى أرسله الله إلى مدينة يقال لها مدين هذه المدينة قريبة من أرض تبوك يعني في أرض الشام. ولما دخل تلك الأرض وجد أناساً في جانب البئر يأخذون الماء ليستاقوا متزاحمين ونظر جانباً فرأى فتاتين تريدان الماء ولكن يمنعهما الحياء من مزاحمة الناس ولا قوة لهما. ولهذا وقفاً في جانب ينتظران الناس أن ينتهوا. لما رأى موسى هذا أشفق عليهما وقرب منهما وعرف طلبهما فسقى لهما وذهبتا، وعاد موسى إلى ظل شجرة قائلاً يا الله إني عبدك إني فقير، وبعد هذا لما وصلت الفتاتان إلى البيت سألهما أبوهما: اليوم رجعتما مبكراً ومسرعتين فقالتا بأن هناك رجل غريب سقى لهما فأرسل الأب العجوز واحدة منهما لتذهب وتنادي هذا الغريب ليجزيه فلما جاء نبي الله موسى سأله من أين هو؟ فلما أخبره قال: العجوز: لا تخف لقد نجوت من هؤلاء الظالمين<sup>(١)</sup>. نتلمس معالم أمكنة عديدة متنوعة التفاصيل والأحوال، مما يضعنا أمام نص يمثل رحلة في ثنايا المكان.

كذلك في وصف الحرم يظهر المكان بشكل غير مباشر، يقول الكاتب:

KASAR Larabawa a da rarrabe ta ke lardi uku. Su ne Hijaz watau qasar Makka, da Yaman da lardin Najad, watau inda fadar sarkin Makka na yanzu ta ke, Abdul Aziz. Ibn Sa'ud. Cikin lardi lardi xin nan ne, ke da lardin Harami. Harami nan ne lardin da aka haramta yaqi a ciki, tun tun tuni, tun iyakar sanin 'yan Adam, na zamanin bayyanar musulunci, haka abin ya ke. Kome ya sa jama'a suka riqi wannan wuri a haka Allahu shi xai ya sani. Sai dai abin da ke tafe nan gaba ya isa ya jefa mu cikin kogin tunani. Ga shi:

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٦.

A cikin lardin nan na Harami, nan ne Maxaukakin Sarki Allah ya nufi ajiye Xakinsa mai tsarki Ka'aba. Xakin Ka'aba yana cikin Birnin Makka ne. Ga ya nan mil hamsin daga Bahar Maliya. A wajen Musulmi, Birnin Makka kamar tauraro ya ke a cikin birane na duniya. Dalili kuwa, a Makka cibiyar Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi la ke. A Makka aka haife shi. Kuma a Birnin Makka nan Ka'aba ta ke. Xakin Allah mai tsarki.

Sabo da darajar wannan birni na Makka, Larabawa suka raxa masa suna, Ummul Qura. Watau Uwar Birane. Abin mamaki shi ne wannan, Birnin nan na Makka tun tun tun tuni, tun kafin bayyanar musulunci, mutanen qasar su ke riqe da shi da daraja. Maxaukakin Sarki Allah kuma ya nufi wannan birni na Makka, da tsarki haka, tun asalin asali, don ya zama mahaifar Manzun sarki Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi.

بمعنى: "أرض العرب تنقسم إلى ثلاثة، وهي الحجاز في مكة واليمن في نجد وهو مكة الآن حيث الملك عبد العزيز آل سعود في هذه الأرض أرض الحرم. هذا الحرم هو الذي حُرِّم فيه القتال من القديم وقبل ظهور الإسلام، هكذا كان ما جعل الناس يجفون بهذا المكان لا يعلمه إلا الله ولكن الذي يحدث الآن يجعلنا أن نفكر وهو أن في داخل الحرم الله سبحانه وتعالى جعله بيته العظيم. باب الكعبة في أرض مكة وعند المسلمين أرض مكة هي مكان الجمع الأكبر في الدنيا. في أرض مكة عاش النبي [ فولد في مكة وكان في مكة الكعبة، بيت الله العظيم لأجل منزلة هذه الأرض أرض مكة سمته العرب باسم أم القرى. كان شيئاً عجباً أن أرض مكة من القديم وقبل الإسلام أهلها يهتمون به بدرجة كبيرة ويعظمونه ويقدمونه. الله سبحانه وتعالى طهر هذه الأرض من النجاسات ليجعل مكان مولد سيدنا محمد<sup>(١)</sup>.

إن المكان في السيرة يفرض نفسه بطلاً قبل أي بطل آخر، في سرد يعادل في قيمته قيمة الوثيقة التاريخية التي تدون تاريخ مجتمع ومكان، وما ذكر أسماء الأماكن الحقيقية إلا تقنية استخدمها السارد لتوفير أكبر قدر ممكن من الإيهام الذي يجعل المتلقي يؤمن بحقيقية النص وأحداثه وشخصه، وبالتالي مضاعفة طاقة التأثير به. ولعل ولع الكاتب بالأمكنة هو السبب، وأول ما يمكن ملاحظته ذلك الحرص الشديد منه على تسمية الأمكنة، مما يشير بالتالي إلى حرصه على إضفاء بعد واقعي للمكان الذي تدور فيه الأحداث على أقل تقدير.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ١٥.

يأخذ المكان بعده الوظيفي في السيرة حيث يشكل المكان في النص صورة تعكس وعي الكاتب بعالم المسرود له صلى الله عليه وسلم ولذلك يظهر الكاتب حضور المكان في قصة موسى عليه السلام على سبيل المثال.

كذلك يتداخل الحيز الزمني مع الحيز المكاني في تصوير الشخصيات تتابع الأحداث، يقول الكاتب تحت عنوان: إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام ، يقول :

DA Annabi Ibrahim ya ga ya kuvuta, sai ya bar garinsu, ya koma Falasxinu bias ga umurnin Allah. Ya tafi tare da matarsa Saratu. Daga nan Falasxinu, ya ci gaba har Masar. To, ita matan nan tasa, Saratu, kyakkyawa ce ainun. Sarkin Masar na lokacin shi kuwa in ya ga kyakkyawa ba a raba su.

بمعنى: لما نجا إبراهيم رحل إلى مصر من فلسطين بأمر الله وأخذ معه سارة من فلسطين إلى مصر وكانت سارة جميلة وملك مصر في ذلك الوقت إذا رأى جميلة (يسرقها) لا يتركها<sup>(١)</sup>.

يساهم الحيز المكاني السيري، والزمني السيري في تصور الشخصيات كما أرادها السارد، وفي تتابع الأحداث بشكل منطقي، قائم على فكرة استكمال الصورة وتوضيحها للقارئ حتى يكون مستعداً لتلقي الرسالة التربوية التي ينشدها السارد. والشاهد على ذلك تصويره لرحلة إبراهيم عليه السلام إلى مصر، ووصف مكة، وأحداث هاجر وابنها اسماعيل عليهما السلام، يقول السارد:

TO, da shi ke Saratu ta yi shekaru da dama tare da Annabi Ibrahim ba ta haihu ba, sai ita Saratu ta yardam masa ya sanya Hajaratu xaka. Abin nufin Allah kuwa, ba a daxe ba, sai ita Hajara saxakarsa ta sami ciki, ta haihu, xa namiji, aka sanya wa yaro Isma'ila. Ana nan ana nan, ina ya Allah, babu ya Allah sai ran nan aka ji kamar wani abu ya tura Saratu. Sai kawai aka ji ta ka da baki, a cikin nufin Sarki Allah, ta ce wa Annabi Ibrahim mijinsu, ya xauki Hajara da xanta Isma'ila, ya kai su can wata qasa ya bar su! A lokacin kuwa, Annabi Isma'ila yana jinjiri kurum.

Annabi Ibrahim ya yi baqin ciki da jin wannan kalami ya fito daga bakin matarsa. Daga nan sai Ubangiji Allah ya yi masa umurnin da kada wannan magana ta sa shi baqin ciki.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ١٨.

Aka umurce shi da duk abin da Saratu ta ce masa ya saurara ya kuma aikata.

Shi ke nan Annabi Ibrahim ya karvi umurnin Ubangijinsa, ya xauki Hajara da xansu Annabi Isma'ila suka yi ta tafiya cikin daji, kwana da kwanaki har Allah, a cikin ikonsa, ya kai su wata karkara ta Sahara, wadda a ke kira Bakka. A nan Birnin Makka ya ke yanzu. Wannan suna Makka, da suna Bakka duka xaya ne. Savawar karya harshe shi kawai ya bambanta su.

A can, cikin qunqurmin dawan karkaran nan ta Bakka, Annabi Ibrahim ya yi wa Hajara bukka, ya sanya ta ciki, tare da goyonta Annabi Isma'ila. A cikin umurnin Allah ya bar su su kaxai a wurin ya juyo fuskar gida. Wurin da Annabi Ibrahim ya yi musu wannan bukka, yana nan yanzu kusa da Ka'aba. Wurin shi a ke kira Hijiri Isma'ila.

To, da Annabi Ibrahim ya ba da baya zai wuce, Hajara ta tambaye shi, har sau uku, dalilin da ya sa ya kawo su nan ya yar cikin karkarar Bakka, ba isasshen abinci, ba wurin kwana, ba mai gadi. Amma Annabi Ibrahim ya yi shiru, bai ce mata qala ba.

Daga nan ta sake tambayarsa, "Shin wannan umurnin Sarki Allah ne ka bi ko kuwa?" Annabi Ibrahim ya buxe baki ya ce, "Na'am!" Sa'an nan Hajara ta ce "In haka ne kuwa, ashe Allah ba zai bar mu mu halaka ba."

بمعنى: "حزن النبي إبراهيم بهذا الكلام الذي سمع من زوجته. ومن هنا أمره الله أن لا يحزن بهذا الكلام. وأمر بكل ما قالت له سارة أن يستمع ويمتثل به. وأخيراً لبى النبي إبراهيم أمر ربه وأخذ معه هاجر وابنهما النبي إسماعيل فسافروا في الغابة بضع أيام حتى شاعت قدرة الله أن وصلوا إلى بلد في الصحراء التي تسمى «بكة» إنهم الآن في أرض مكة. هذا الاسم مكة واسم بكة كله واحد إنما يفرقهما افتراق الألسنة فقط.

وهناك داخل هذه البكة بنا النبي إبراهيم (بيتا صغيراً) لهاجر وابنهما النبي إسماعيل ووضعهما فيه، ومما أمره الله به أن يتركهم في ذاك المكان وينقلب إلى البيت. هذا المكان الذي تركهما فيه في بكة موجود حتى الآن قريباً من الكعبة. المكان يسمى حجر إسماعيل. النبي إبراهيم أراد أن ينصرف، فسأله هاجر ثلاث مرات لما أتى بهم إلى هذا المكان في بكة بلا طعام يكفي ولا مكان للنوم ولا حارس. ولكن النبي إبراهيم سكت ولم يقل لها شيئاً. فكررت السؤال «أهذا أمر من الله أم ماذا؟» قال النبي إبراهيم «نعم!» وهنا قالت هاجر

«إذا لا يتركنا الله للهلاك»<sup>(١)</sup>.

وبوصف الصفا والمروة يجعل الكاتب المكان هو بطل المشهد السيري في الوقفة

الوصفية، يقول: تحت عنوان الصفا والمروة Safa Da Marwa:

TAUSAYI ya kama uwar, Hajara ta ximauta ta rasa abin da za ta yi, sai ta fara kai tana komowa tsakanin wa xansu yan duwatsu guda biyu da ke kusa. Su ne Dutsen Safa da Dutsen Marwa. In ta ruga ta hau kan Safa, ta hanga ko ta ga alamar ruwa, ba ta gani ba, sai ta gangaro, ta ruga ta hau bisa kan Marwa, ta hanga.

Da yaro dai ya tsananta da kuka sai ta koma ga Sarki Allah da addu'a. Allahu Akbar, a cikin karva wannan roqo, sai Maxaukakin Sarki Allah ya nufi idon ruwa da vuvugowa daga qarqashin qafafun Isma'ila. Shi ruwan ya riqa yin qara zam, zam, zam. Waxansu kuwa sun ce ita Hajara, ita ta riqa cewa idon ruwan nan, zam zam zam, wai da harshen mutanen Farisa, dakata, dakata, ke nan. Daga nan dai aka sami Rijiyar Zamzam mai albarka, wadda ke a Makka har yanzu. Asajinta ke nan. Ita ce alhazai ke kawo mana ruwanta a nan qasar. Allahu Akbar!

بمعنى: "شفقت الأم هاجر ولم تعرف ماذا تفعل فبدأت تمشي وترجع بين جبلين قريبين ، هما الصفا والمروة إذا لفت تركب الصفا وتفتش لترى هل هناك علامة للماء. لم تجد فتنزل وتلف لتركب المروة وتفتش.

لما كثر بكاء الولد عادت تدعو الله. الله أكبر. ومن إجابة هذا الدعاء أن الله جل جلاله أخرج الماء من تحت رجلي إسماعيل لضربه الأرض. هذا الماء يصدر صوت زم زم زم. قال البعض أن هاجر هي تقول زم زم بلسان أهل فارس. يعني من هنا وجد بئر زم زم المبارك الموجود في مكة حتى الآن. هذا أصله. هو الماء الذي يأتي لنا الججيج به من هذه الأرض الله أكبر<sup>(١)</sup>.

ويظهر الكاتب المكان بشكل إيجابي في تصوير الأحداث، ورسم الشخص، يقول:

LABARIN wannan yaqi, shi ne Sarki Allah ya gaya wa Annabi Muhammadu shi da kansa, sa'ad da ya bayyana. Ya gaya masa shi cikin Alqur'aninsa mai girma. Surar 'Alam Tara Kaifa, ita ta zo da wannan labari.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ١٩.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٢١.

To, wannan shekara fa har Larabawa na lissafi da ita, suna kiranta shekarar giwaye. A cikinta ne kuwa aka haifi Aflalul Mursalina, Shugabammu Muhammadu, Mabuxin abin da ya kasance a rufe, cikamakin abin da ya rigaya, mataimakin gaskiya da gaskiya, mai shiryarwa ga tafarki madaidaici!

To, sa'ad da fa Larabawa suka ga abin da Maxaukakin Sarki Allah ya aikata da rundunan nan ta Sarkin Abraha, duk sai suka qara sanya daraja ga wannan kabila ta Quraishi. Suka riqa cewa lalle Quraishawa al'amarinsu da magana, kabilar Allah ce. Dubi yadda Allah ya yi musu yaqi, har ya tsare su daga abokan gabansu!

Kai, ya kamata mu dawo hakanan daga wannan dogon ratse da muka yi. Wannan shimfixa ta tarihi ta isa ta sanya kowa a cikin kogin tunani na Maxaukakin daraja wanda ke tare da wannan zuriya ta Annabi Isma'ila xan Annabi Ibrahim, da Maxaukakin daraja wanda ke tare da wannan qasa ta Makka wadda Allah ya shirya za ta zama mahaifa ga Imamul Mur salina Shugabammu Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi.

بمعنى: "أخبر الله النبي محمد خبر هذه الحرب بنفسه حين قال له في القرآن الكريم سورة {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} هي التي جاءت بهذا الخبر في هذا العام. العرب يسمونه عام الفيل. فيه ولد أفضل المرسلين سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط مستقيم.

لما رأى العرب ما فعل الله بجيش أبرهة زادوا لقريش درجة وبدأوا يقولون أمر قريش وكلامهم أنها قبيلة الله. انظر كيف دافع الله عنهم وحفظهم من أعدائهم ينبغي أن ترجع هكذا من هذه السيرة الطويلة التي قلنا كفى هذا التاريخ أن يجعل كل واحد يفكر في درجة هذه الذرية ذرية النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم والدرجة العظيمة التي لمكة. والتي جعل الله أن تكون مكان ولادة إمام المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.

بهذا الشكل تمكن الكاتب من الاستفادة من الحيز السردى المكاني السيري في تسلسل الأحداث، ورسم الشخصيات الممهدة لظهور المسرود له صلى الله عليه وسلم في الجزء التالي.

(٢) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ٣٢.

### ثالثاً: أشكال المكان السردى السيري في الجزء الثاني.

يتبع الكاتب في الجزء الثاني نفس التقنيات السردية السيرية من حيث الحيز المكاني

السردى السيري

A can qasar Sham, sun isa Birnin Busura, sai suka haxu da wani babban malam Nasara, wanda a ke kira Bahira. Da ya dubi Muhammadu da kyau, ya kuma ji irin halayensa masu barn mamaki, sai ya gane alamomin annabci a gare shi, kamar yadda ya karanoi siffofinsa. Da ganin haka, bai voye kome ba, sai ya ce wa Abu Xalib, “Ka kula da wannan yaro da kyau. Wata rane Allah zai aiko shi da annabci!”

بمعنى: "هناك في أرض الشام وصلوا إلى قرية بصرة فلحقوا بكبير عالم النصارى الذي يسمى بحيرة. لما نظر إلى محمد بدقة وقد سمع عن أخلاقه العجيبة رأى علامات النبوة لديه. كما قرأ صفاتها. من هنا لم يخف أي شيء فقال لأبي طالب «اعتن بهذا الولد جداً في يوم من الأيام سيرسله الله بالنبوة»<sup>(١)</sup>.

Wata rana suna cikin tafiya, sai suka iso ga wata itaciya. Sai aka ga kawai Muhammadu ya tsai da ayari, ya sauka. ya zauna gindin itaciya nan Lokacin da wani shaihun malami na ahlil kitabi, wanda a ke kira Nasxura ya ga Muhammadu zaune a gindin wannan itaciya, sai ya matsa kusa da Maisaratu, ya ce masa, “Wannan shi ne annabin qarshen zamani!” Ku lura fa duk waxannan abubuwa suna aukuwa ne, tun ana saura kamar shekara 15 a aiko wa Muhammadu da saqon annabci.

بمعنى: "في يوم ما وهما في الرحلة وصلا إلى أشجار. فوقف محمد ونزل وجلس تحت هذه الأشجار. ذراه شيخ عالم أهل الكتاب الذي يسمى بـ نسر جالساً تحت هذه الأشجار وقرب إلى ميسرة وقال له «هذا هو نبي آخر الزمان تأملوا كان هذه الأشياء تحدث قبل أن يرسل محمد بحوالي ١٥ سنة بالنبوة»<sup>(٢)</sup>.

ويطل الحيز المكاني من خلال المظهر الجغرافي المباشر للمكان في وصف غار

حراء ونزول رسالة الإسلام، والجهر بالدعوة، يقول السارد:

Saqon Sarki Allah Ya Sauka-Annabci , Mun sani duk an lura da cewa, tun fara tarihin nan da muka yi har ya zuwa nan, Ubangiji

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٤.

(٢) السابق، ج ٢، ص ٦.

bai aiko wa Annabi da saqon annabci ba tukuna. Mun kira Muhammadu da suna Annabi tun a baya, don kada jahilai su zarge mu ne kawai. Amma a haqiqa daga nan gaba kaxan ne za ku ji inda ya kamata da mu fara kiran Muhammadu da suna Annabi.

Sai dai fa tun kafin Maxaukakin Sarki Allah ya aiko masa da annabci, al'adarsa, ita ce ya tafi kogon wani dutse wai shi Hira, ga shi nan mil uku daga Makka, duk alhazai sun san shi Sai ya shiga ciki, yana ta ibada da tuntuntuni cikin zuciyarsa tsarkakka. Allah bai aiko wa Muhammadu da annabci ba, sai da ya cika shekara 40 da haihuwa. Ran nan ne fa, Ubangiji Allah, ya aiko Mala'ika Jibrilu, da babban saqo, annabci, zuwa ga Babban Shugaba, Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi. Mala'ika Jibrilu ya iske shi a cikin kogonsa na Dutsen Hira.

بمعنى: "رسالة الله نزلت (النبوة)، عرفنا أن الجميع لاحظ من البداية هذا التاريخ حتى

هنا لم يرسل الله النبي بالنبوة بعد.

سمينا محمداً باسم النبي منذ البداية لأن لا يتجاهل علينا الجاهلون فقط. لكن في الحقيقة فيما بعد بقليل ستسمعون متى ينبغي أن نسمي محمداً باسم النبي لا أنه قبل أن يرسله الله جل جلاله بالنبوة كانت عاداته أن يذهب إلى صميم جبل يسمى بحراء ثلاث أميال من مكة عرفه الحبيج. كان يتعبد ويتفكر في قلبه الطاهر.

لم يرسل الله محمداً حتى بلغ أربعين من عمره. هذا اليوم أرسل الله جبريل برسالة عظيمة النبوة. إلى سيد عظيم محمد. أدركه الملك جبريل في داخل هذا الحجر حراء.

في صحيح البخاري. روي أن سورة القرآن التي أنزلت على محمد مع النبوة هي التي فيها اقرأ. يعني سورة رقم ٩٦، النبي عاد إلى البيت .... لزيارة الملك جبريل له هما اثنان في داخل هذا الحجر غار حراء<sup>(٢)</sup>.

Hijira Zuwa Qasar Habasha, TO, jama'a ana nan fa, a kwana a tasbi, sai dai Annabi ya ga azabar da Quraishawa ke gwada musu ta yi yawa, iyakar yawa! Shi a gwada masa azaba, waxanda suka ba da gaskiya da shi kuma a gwada musu. Da ya ga abin ya wucc kima, ga mutane sun ba da gaskiya da shi, amma ba su da 'yancin yin ayyukan addini cikin aminci, sai ya ga ya fi kyau ya rage waxansu da dama daga cikin mabiyan nan nasa, ya kau da su ya kai su Qasar Habasha, wurin sarkin ya ba shi ajiya.

(٢) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ٨.



بمعنى: الهجرة إلى أرض الحبشة، يا جماعة، على مر الأيام، رأى النبي أن قریش عذبوهم كثيرا كثرة كافية! هو يُعذب وأتباعه يُعذبون رأى أن العذاب كثر وأن أتباعه ليس لهم فرصة أن يتعبدوا في الأمان فرأى أنه من الأفضل أن ينقص بعضا من أتباعه ويذهب بهم إلى أرض الحبشة ويضعهم عند الملك<sup>(١)</sup>.

وفي خبر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى طريق الحجيج، وأحداث دعوته إياهم، ما يترك أثراً للمكان، في رسم بعض جوانب من شخصية المسرود له، يقول:

Annabi Bisa Hanyar Fatake, Tun sa'ad da aka umurci Annabi da ya fito fili ga kiran lama'a zuwa musulunci, sai ya kama bin hanyoyin fatake masu shiga Makka yana kiran baqin nan zuwa ga karvar musulunci.

Ban da wannan kuma, ko wace shekara, in Larabawa na qasa qasa sun taru a Makka, domin yin irin haijinsu na lokacin, shi kuwa sai ya yi ta binsu yana kira ga bauta wa Maxaukakin Sarki Allah. Ko yausha Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, in ya tari ayarin fatake, yana yi musu wa'azi, sai Abu Lahabi ya riqa bi, yana qaryatawa. Wata rana Annabi ya tsaya Mina kan hanyar fatake, kamar yadda ya saba, suna wucewa yana kiransu kabila kabila yana ce musu, "Ya ku kabilar Wane, ni manzo ne na Allah zuwa gare ku. Allah ya umurce ku da ku bauta masa shi kaxai. Ku rabu da bauta wa gumaka, ku ba da gaskiya gare shi. Ni kuwa ku sani manzonsa ne, ku gaskata ni. Ku bar ni har in gaya muku saqon da ya aiko ni da shi zuwa gare ku."

بمعنى: "النبي في طريق المسافرين ، منذ أن أمر النبي أن يخرج علانية ليدعوا الناس إلى الإسلام. فصار كأنه يتبع طرق المسافرين الذين يدخلون مكة يدعوهم إلى الإسلام.

غير هذا. في أي سنة. إذا اجتمع العرب في مكة لأجل حجهم الذي يحجون حينذاك. يبتعثهم ويدعوهم إلى عبادة الله جل جلاله. في كل حين إذا كان النبي محمد [ مع هؤلاء المسافرين يعظهم يأتي أبو لهب ويكذب. يوما وقف النبي في منى في طريق المسافرين كما اعتاد يعدون فيدعوهم قبيلة قبيلة ويقول لهم: «يا قبيلة كذا إني رسول الله إليكم أمركم الله

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ١٩.

أن تعبدوه وحده. وتتركوا عبادة الأصنام. وتؤمنوا به. واعلموا أني رسوله فأمنوا به. واتركوني لأقول لكم ما أرسلني به إليكم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول مستخدماً تقنية المشهد الوصفى للمكان المباشر:

A shekara ta 11 da saukar arinabci a gare shi, a cikin taryar fatake da ya ke yi, sai ya gamu da Larabawa waxanda suka fito daga Binun Yasriba. Shi kuwa ko a sa'an nan mashahurin birni ne, ga shi nan arewacin Makka. Wannan birni, shi nc daga bisani aka riqa kiransa Madina. Shi ne Birnin Madina na yanzu, wanda alhazai ke ziyarta. Allah ya nufa, tun fil azal, ashe nan ne zai zama fadar musulunci.

Amma su kuma waxannan Annabi ya sadu da su ne a wurin da ya sadu da na farko. Watau Aqba. Sabo da haka su ma ba su rabu da shi ba, sai da suka xauki alkawari, aka sa hannu kamar yadda aka yi da ayari na bara. Sabo da haka ma ne a ke kiran wannan 'Alkawarin Aqba Na biyu', kamar yadda a ke kiran wancan 'Alkawarin Aqba Na Farko'

بمعنى: "في عام ١١ من نزول النبوة. في حجة المسافرين التي يقوم بها. لقي العرب الذين أتوا من يثرب وهي أرض مشهورة. وهي في شمال مكة هذه القرية هي التي سميت فيما بعد «بالمدينة» هي المدينة الآن التي يزورها الحجاج. شاء الله من الأزل أن تكون أرض الإسلام.

أما هؤلاء فلقبهم النبي في نفس المكان الذي لقي فيه الأولين. يعني في العقبة لذلك لم يفارقوه إلا بعد أن وعدوه ووافقوا كما فعل الذين أتوا قبلهم. ولذلك يسمى «وعد العقبة الثانية» كما يسمى تلك «وعد العقبة الأولى»<sup>(١)</sup>.

وكذلك في خبر خروج النبي إلى طريق الهجرة إلى المدينة، يستخدم الكاتب الكثير من الأفعال التي تضيف بظلال دلالية مكانية تسهم في تطور الأحداث، يقول:

Kogon Sauru . To, a baya mun tsaya ga cewa Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, ya yi hijira zuwa Madina a daren da aka kewaye gidansa wai za a kashe shi. To, da fitarsu bayan gari, sai Annabi ya ce nufi wani dutse da a ke kira Dutsen Sauru, da shi Annabi da babban abokinsa Sayyadina

(٢) السابق ، ص ٣٨.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٣٨.

Abubakar. Da suka isa gindin dutsen, sai Annabi ya ce su hau su shiga cikin kogonsa. Suka shiga suka zauna.

Da safiya ta yi, Quraishawa suka fafaka ba Annabi, sai Sayyadina Ali, sai baqin ciki da haushi suka kama su. Suka bazu gari da kewaye suna bixarsu. Bixar, da bin sau, ta kawo su har koton nan na Dutsen Sauru. A nan Sarki Allah ya aikata abin da ya aikata. Ga su bakin kogo, su Annabi na kallonsu amma su Allah ya makantad da su ga ganin su Annabi. Hasali dai kwanan su Annabi huxu cikin wannan kogo.

Da Sayyadina Abubakar ya gansu, ga su tsaitsaye a bakin koton, sai ya tsorata ya raxa wa Annabi, ya ce, "Ga su fa sun zo!" Annabi ya karva masa ya ce, "Kada ka yi baqin ciki, Allah na tare da mu!" Allahu Akbar? Allah kuwa na tare da su. Domin da ikonsa ya makantad da maqiyar nan na Annabi, suka qare leqe-leqensu, ba su gansu ba, suka koma.

بمعنى: "غار ثور (سورو) ، فيما سبق. وقفنا في أن النبي محمد [ هاجر إلى المدينة في الليلة التي أحاطوا ببيته لقتله. بوصولهم إلى خارج البلد قصد النبي غارا يسي غار سورو هو وصاحبه سيدنا أبو بكر، ولما وصلا إلى الحجر قال النبي أن يصعدا ويدخلا في غاره. فدخلوا وجلسا. وفي الصباح لما عرفت قريش بعدم وجود النبي [ إلا سيدنا علي حزنوا وتبعوهم غضبا. نشروا في البلد وأحاطوا يطلبونهم. باتباع الأثر حتى وصلوا إلى الغار في حجر سورو. هنا فعل الله ما فعل. هاهم في عين الغار ينظر إليهم النبي وصاحبه لكنهم أعماهم الله عن رؤية النبي أصلاً. يوما مكث النبي فيه أربعة أيام. لما رآهم سيدنا أبو بكر واقفين على الغار. خاف وقال للنبي «هاهم قد جاءوا!».»

أجابه النبي قائلاً: «لا تحزن إن الله معنا» الله أكبر! وكان الله معهم. لذا بقدرته أعمى مكرهي النبي حتى لم يروهما فعادوا<sup>(١)</sup>.

هكذا وبنفس أسلوب الكاتب في الجزء السابق، يعالج في الجزء الثاني تقنيات المكان السردي السيري بكل أشكالها وأنواعها، فيما يسهم في تطور الأحداث، ورسم الشخص، والتداخل بين العناصر الفنية السيرية.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٢، ص ٤٣.

### رابعاً: أشكال المكان السردى السيرى في الجزء الثالث.

يتابع الكاتب في الجزء الثالث استخدام كل أشكال التنوع المكاني فيما يشكل التكوين الخاص بسيرته الفنية، ويخرج بها بعيداً عن مجرد التأريخ للمسرد له صلى الله عليه وسلم إلى رحاب الفن والأدب بما لا يتعارض مع الصحيح الثابت من سيرته صلى الله عليه وسلم. يقول:

**Kun ji abin da ya auku a Madina.**

**To, me ya garu a Makka da jin wannan labari? Wannan ai ba sai mun gaya muku ba. Yaya lafiyar kura bare ta yi hauka? Da ma mutanen Makka suna can suna wasa takubba, suna xamara, suna tara dangi, jira kawai su ke yi su sami xan dalilin da zai sa su auka wa Madina. To, ga dakikin ya samu!**

بمعنى: "أنتم قد سمعتم بما حدث في المدينة، فماذا حدث في مكة؟ عندما وصل الخبر وعلمته قريش؟ نحن لا نحتاج أن نقول لكم، ويكفيكم من شر سماعه؟. وكان أهل مكة ينتظرون فرصة لمهاجمة المدينة فهم يتربصون لها ولأهلها. وها هم قد سئدت لهم الفرصة لمحاربة المدينة. ودخل عظماء مكة هذه الأرض قائلين لابد أن نكسر المدينة ونحطمها وكل ما فيها<sup>(١)</sup>.

وفي فتح مكة يأتي بيت أبي سفيان بدور بارز في تطور الأحداث، ورسم الشخص، وذلك بما قرره النبي صلى الله عليه وسلم بأن من دخل هذا البيت فهو في أمان، يقول الكاتب:

**Da gari ya waye aka zo da shi. Annabi ya tambaye shi, "Ya Abu Sufuyana, har yanzu watau kai ba ka ba da gaskiya ba, cewa babu sarki sai Allah ko?" Ya Abu Sufuyana, har yanzu ba ka ba da gaskiya ni manzon Allah ne ba ko?"**

**Abu Sufuyana ya karva ya ce shi kam a gaskiya zuciya na qaiqayi ga yin imani da haka. Aka ci gaba da ba shi bayani, ana kawo masa ayoyin Allah da misalai. Hasali dai bar wurin ba sai da ya karvi musulunci.**

**Daga nan Abbas ya ce, "Ya Annabin Allah, Abu Sufuyana mutum ne mai son girma. To, a ba shi wani abu na girma da zai faranta masa rai." Annabi ya karva, ya ce, "Na'am, to, a yi shela a Makka, im mun shiga, a ce a cikin jama'ar gari, wanda duk ya faza**

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٦.

gidan Abu Sufuyana ya nuna amana. Wanda ya rufe gidansa ya nuna amana. Wanda ya shiga masallaci ya nuna amana. Waxanda suka yi haka duk ba za a tava su ba.”

بمعنى: "عند الفجر أحضر. وسأله النبي: (يا أبو سفيان ألا زلت لا تصدق أنه لا ملك إلا الله؟). يا أبا سفيان ألا زلت لا تصدق أنني رسول الله؟

رد أبو سفيان بأنه حزين حقا من هذا الاعتقاد. كان على اطلاع ، وتم تقديم آيات الله وأمثاله إليه. لم يغادر حتى اعتنق الإسلام.

ثم قال عباس: "يا نبي الله ، أبو سفيان رجل عظيم الشرف. أعطه شيئا كبيرا للاستمتاع. " قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تعم ، فليكن إعلان في مكة ، إذا دخلنا فليكن بين أهل المدينة من ذكر بيت أبو صفيانة جدير بالثقة". من أغلق بيته يثق. من دخل المسجد جدير بالثقة. أولئك الذين يفعلون ذلك لن يتضرروا".

يقول المؤرخون إنه في العاشر من رمضان دخل جيش النبي مكة. في ذلك الوقت كان في الثامنة من عمره ، وبعبارة أخرى ، كان النبي يبلغ ثماني سنوات عندما عاد إلى المدينة المنورة. قام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بتقسيم جيشه ودخل مكة عبر دول مختلفة. قال لهم أن يذهبوا بسلام لا أن يقاتلوا<sup>(١)</sup>.

ثم يلجأ الكاتب إلى إبطاء السرد وتعطيله حسب الجو النفسي له ، وبحسب ما يراه مناسباً لأسلوبه السرد في مشهد فتح مكة ، وصعود النبي إلى المنبر ، ليرسم للناس معالم الحياة الجديدة في ظل الإسلام الحنيف من مكانه المعظم في مكة المكرمة إلى كل مكان في العالم، يقول الكاتب:

Allahu Akbar! Shekara takwas ke nan da suka wuce, kafiran Makka suka kori Annabi daga wannan birni na iyayensa da kakanni. Yau ga shi ya dawo ya shugabanci talikkai duka! Annabi ya hau mumbari, ya kama huxuba, yana cewa :

“Gaskiya ta bayyana, qarya kuma sai ta tafi! ..... Ba abin bauta wa da gaskiya sai Allah. Allah ya cika alkawarinsa, ya taimaki bawansa. Allah, shi ne da qarfin zatinsa ya rinjayi abokan gaba. Ya ku Quraishawa, yau Allah ya xauke muku girman kan nan naku na jahiliyya, da girman kan nan naku na alfahari da asali. Ku sani, duk jama'a 'yan Adam ne, Adam kuwa da turvaya aka halicce shi. Ba

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٢٩.

shakka a cikinku wanda ya fi saura daraja, shi ne kawai wanda ya fi saura taqawa kamar, yadda Allah ya ce.”

Daga nan. Annabi Muhammadu, tsira da amincin Allah su tabbata a gare shi, ya sake duban jama’ar Quraishawa da suka taru ya ce musu, “Ya ku jama’ar Quraishu yaya ku ke zato yau. zan saka muku!” Quraishawa suka karva gaba xaya, “Da jin qai, domin kuwa kai xanuwa ne mai jin qai, kuma xan xanuwa mai jin qai!”

Annabi Muhammadu, tsira da anuncin Allah su tabbata a gare shi, ya karva musu da zuciya mai gafartawa, da hawaye cike da fuskarsa, yana-cewa, “Ya Allah, ka karve su. Allah, kai ne fiyayyen mai jin qai!”

بمعنى: الله أكبر، صعد النبي المنبر وألقى خطبة ، قائلاً: "تكشف الحقيقة ، ويزول الباطل! ..... لا إله إلا الله. حفظ الله وعده وساعد خادمه. الله هو الذي يتغلب على الأعداء. يا قريش ، اليوم ، أخذ الله غطرك من جهلك وغرورك وكبريائك. تعلمون ، كل البشر بشر ، وآدم خلق من التراب.

بالتأكيد أشرف منكم هو أكرم ، كما يقول الله . " بعيدا. نظر النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى قريش مرة أخرى وقال: "يا أهل قريش ، ما رأيك اليوم؟" سأرد لك! " رد قريش بالإجماع "ارحم ، لأنك أخ رحيم ، وأخ رحيم " !استقبلهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقلب غفور ، والدموع تنهمر على وجهه ، قائلة: "اللهم إقبلهم. يا إلهي ، أنت الرحمن الرحيم"!(<sup>١</sup>).

بهذه الطريقة السردية للمكان السيري يتميز أسلوب الكاتب في درجة عالية من الفنية في استخدام الأشكال المكانية، وكذلك في تصوير المكان الجغرافي بشكل مباشر وغير مباشر، بما يسهم في تطور الأحداث ورسم الشخص.

(١) أبو بكر إمام: السيرة الكاملة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٣٠.

## الخاتمة:

إن أهمية دراسة المكان في السيرة الذاتية تنبع من ضرورة الوصول إلى تحديد طبيعة الفضاء السردي فيها، لأن الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من المكان، فهو أمكنة الرواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالزمن والحوادث ومنظور الشخصيات.

إن الفضاء السيري يلعب دوراً في تشكيل العمل الفني للسيرة، فهو البنية الأساسية من بنياتها الفنية، ولا يمكن تصور أحداث سيرية إلا بوجود مكان تنمو فيه الأحداث، وتتشعب فلا يمكن تخيل شخصية تفكر أو تتفاعل مع أخرى إلا في داخل المكان، ومن خلال المكان يمكن أن نفهم حركة الشخص ونعرف على أفكارها وميولها النفسي، فبيت الشخص امتداد له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الشخصية. ومسرح الأحداث امتداد له، فإذا وصفت المكان فقد أقيت الضوء على الحدث.

يستخدم النقاد المحدثون مصطلح "الحيز المكاني" للتعبير عن مستويين مختلفين للبعد أو "الفراغ" المكاني: أحدهما محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، ويمكن تسميته بـ "المظهر الخارجي المباشر" أو "المظهر الجغرافي"، والآخر أكثر اتساعاً، ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه الأحداث الفنية، ويمكن أيضاً تسميته بـ "المظهر غير المباشر للمكان أو المظهر الخلفي".

فأما المظهر الجغرافي المباشر للمكان: فهو ذلك المكان الذي يبدو مطلقاً في النص السيري من خلال الوصف الجغرافي إلى حد ما للحيز الذي يدور فيه الحدث، فيصف الكاتب الأرض، والبناء، والشوارع، والبيت، والحجرة، وهكذا باستخدام الكلمات التي تدل على المكان والمساحات والأشكال والألوان.

وأما المظهر الخلفي غير المباشر للمكان: وهو ما يعبر عنه بتعبير غير مباشر ويكون له دلالات المكان، يحيل القارئ إلى عوالم لا حدود لها، وهي كلها أماكن وأحياز في معانيها، فالذي يسافر، يتحرك وينتقل من حيز إلى حيز آخر، ومن مكان إلى مكان آخر.

تميز أسلوب الكاتب بتنوع أشكال المكان السري السيري، فبرع في تصوير المكان الجغرافي المباشر وغير المباشر، مما حدا به أحياناً أن يجعل المكان هو بطل المشهد، فأسهم بذلك في رسم الشخص، وتطور الأحداث.

المراجع:

- 1- Alhaji Abubakar Imam , C.O.N, O.B.E.; Tarihin Annabi Kammalalle, Northern Nigerian Publishing Company , Zaria .
- ٢- إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سلسلة فنون أدبية رقم ٤، بدون تاريخ .
- ٣- سمير سعيد حجازي: المناهج المعاصرة لدراسة الأدب، دار الكتاب الجامعي، الكويت، ١٩٩٦م.
- ٤- صلاح صالح - قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر - دار شوقيات - القاهرة - ١٩٩٧ -
- ٥- لؤي علي خليل - المكان في قصص وليد إخلاصي - خان الورد نموذجاً - عالم الفكر - عدد ٤ - ١٩٩٧ -
- ٦- ماجدة حمود - مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن - اتحاد الكتاب العرب - دمشق
- ٧- شوقي محمد المعاملي: السيرة الذاتية في التراث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ .
- ٨- عبد الملك مرتاضى: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٤٠، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.
- ٩- عز الدين بوبيش: في نظرية السرد وتحليل الخطاب، الموقف الأدبي ع ٣٨٠ كانون الأول لسنة ٢٠٠٢م.
- ١٠- علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٧١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.
- ١١- كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١م .
- ١٢- ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م .
- ١٣- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.
- ١٤- مارتن هيدجر: مفهوم الزمن، ترجمة فريق الترجمة والمراجعة في مركز الإنماء القومي، بيروت (د.ت) .
- ١٥- هانز ميرهوف: الزمن في الأدب، ترجمة أسعد رزق، مراجعة العوضي الوكيل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك سنة ١٩٧٠



## الدلالات اللغوية وأهميتها في الاستنباط الفقهي، قضايا ونماذج

د/ رشيد ناصري

أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مولاي إسماعيل، المغرب

### ملخص:

لقد جاء زمان على الأمة عامة، وبعض الباحثين وطلبة العلوم الشرعية خاصة، ضعفت فيهم اللغة العربية، لتوجههم نحو مباحث في العلوم الشرعية دون الاهتمام باللغة، فتوجهوا إلى أصول الفقه، فاهتموا بالأدلة والمقاصد مستعيزين بها عن دلالات الألفاظ على الأحكام، فنتج عن ذلك خلل منهج في التحصيل والتعلم والبحث، مما ولد ضعفا في التعامل مع النص الشرعي، وقد يصل الأمر إلى الانحراف في فهمه ثم في تطبيقه.

ومن ثم، جاءت مقالي هذا الموسوم بـ: " الدلالات اللغوية وأهميتها في الاستنباط الفقهي، قضايا ونماذج" لبيان أهمية علم الدلالات في علم الأصول، باعتباره همزة وصل بين اللغة والفقه والأصول، وأثره في الاستنباط والخلاف الفقهيين، مقدما نماذج تعلق منها: بالأمر والنهي، والخاص والعام، وذلك من خلال تحديد مفهوم الدلالات وأهميتها في علم الأصول، وأنواع دلالات اللفظ على المعنى، ثم أثر علم الدلالات في الاستنباط الفقهي من خلال نماذج وقضايا، ثم ختمت بخاتمة بينت فيها الخلاصات المتوصل إليها والتوصيات الكفيلة بإعادة تجسير هذه العلاقة، ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع.

**Abstract:**

**"Linguistic semantics and their importance in jurisprudential deduction, issues and models"**

A time has come for the ummah in general, and some researchers and students of Sharia sciences in particular, the Arabic language weakened in them, for their orientation towards studies in Sharia sciences without concern for language. In attainment, learning and research, which resulted in a weakness in dealing with the legal text, and the matter may reach a deviation in its understanding and then in its application.

Then came my article entitled "Linguistic semantics and their importance in jurisprudential deduction, issues and models" to demonstrate the importance of semantics in the science of origins, as it is a link between language, jurisprudence and origins, and its effect on jurisprudential deduction and disagreement, presenting models related to them: the command, the prohibition, and the private And the general public, by defining the concept of semantics and their importance in the science of origins, and the types of semantics on the meaning, then the effect of semantics on the jurisprudential deduction through models and issues, and then concluded with a conclusion in which it indicated the conclusions reached and recommendations that ensure re-bridging this relationship, and then the research is attached to an index Sources and references.

## بين يدي الموضوع:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد، لعل من أهم المباحث التي اشتغل عليها علماء أصول الفقه، مبحث الدلالات، والذي اعتبره الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) "عمدة علم الأصول"<sup>١</sup>، وذلك لأهميته الكبرى في الاستنباط الفقهي، إذ به يعرف مراد الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصوص الشرعية، سواء من حيث المنطوق والمفهوم وغيرهما، فقد يرد اللفظ عاما ويراد به الخصوص...، وبه تعرف دلالة الأمر والنهي...، ومن كان "مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولا"<sup>٢</sup>

وهذا الباب تجلت فيه حكمة اشتراط علماء الأصول في المجتهد المقبل على الاستنباط العلم باللغة العربية، بل ذهب بعضهم إلى أنه "لا بد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي، والمازني ومن سواهم"<sup>٣</sup> وذلك راجع إلى كون علم الأصول نقل اللغة من دلالتها العامة إلى دلالة الشرع، وحمل بعضها على أصلها الذي وضعت له.

وقد جاء زمان على الأمة عامة، وبعض الباحثين وطلبة العلوم الشرعية خاصة، ضعفت فيهم اللغة العربية، لتوجههم نحو مباحث في العلوم الشرعية دون الاهتمام باللغة، فتوجهوا إلى أصول الفقه، فاهتموا بالأدلة والمقاصد مستعيزين بها عن دلالات الألفاظ على الأحكام، فنتج عن ذلك خلل منهجي في التحصيل والتعلم والبحث، مما ولد ضعفا في التعامل مع النص الشرعي، وقد يصل الأمر إلى الانحراف في فهمه ثم في تطبيقه، وصدق صلى الله

١- المستصفى من علم الأصول، ١/ ٢٢٢

٢- الموافقات في أصول الشريعة، للإمام أبي إسحاق الشاطبي، ٤/ ٨٣

٣- المصدر السابق

عليه وسلم حين قال: " نَضَرَ اللَّهُ امرأً سمعَ مقالتي ، فبلغَهَا ، فربُّ حاملٍ فقهٍ ، غيرُ فقيهٍ ، وربُّ حاملٍ فقهٍ إلى من هوَ أفقهُ منه"<sup>(١)</sup>

ومن ثم جاء بحثي هذا الموسومة ب: " الدلالات اللغوية وأهميتها في الاستنباط الفقهي، قضايا ونماذج"، لتحقيق الأهداف التالية:

- بيان أهمية علم الدلالات في علم الأصول، باعتباره همزة وصل بين اللغة والفقه والأصول
- بيان أثره في الاستنباط والخلاف الفقهيين
- تقديم قضايا ونماذج في استنباط مجموعة من الأحكام، خصوصاً ما تعلق منها: بالأمر والنهي، والخاص والعام.

فحاء بناء على ذلك في مقدمة وثلاثة محاور رئيسة:

- المقدمة، وهي ما نحن بصدد
- المحور الأول: تعريف علم الدلالة وأهميته في أصول الفقه والفقه، وقد قدمت التعريف بإجمال ودون الدخول في تفاصيله والخلافات التي وقعت فيه.
- المحور الثاني: أقسام دلالة اللفظ على المعنى، انطلاقاً من الدلالة اللفظية الوضعية
- المحور الثالث: أثر علم الدلالات في الاستنباط الفقهي، مركزاً على مسألتين الأمر والنهي ثم الخاص والعام
- ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت الخلاصات التي تم التوصل إليها، ثم قدمت توصيات خادمة للموضوع، عسى أن يتفع بها الله تعالى.
- ولا يسعني إلا أن أشكر القائمين على هذه المجلة المباركة كل باسمه وصفته.

١- أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب: الخطبة يوم النحر، حديث رقم: ٣٠٥٦

## المحور الأول: التعريف بعلل الدلالة وأهميته في علم الأصول والفقه:

### أ- تعريف الدلالة لغة واصطلاحاً:

#### ١- تعريف الدلالة لغة:

يرد لفظ الدلالة ويراد منه الإبانة، قال ابن فارس: "الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة"<sup>(١)</sup>.

ويراد منه الإرشاد، قال الجوهري: "الدليل: ما يستدل به والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدلّه دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات والدليلي الدليل"<sup>(٢)</sup>.

من خلال التعريفين السالفين يتبين أن الدلالة الإبانة والإرشاد من خلال أمارات هادية إلى المقصود.

#### ٢- تعريف الدلالة اصطلاحاً:

وقد تعددت الدلالات الاصطلاحية لعلم الدلالات، وفي معناها العام ترجع إلى تعريف المناطق، ومنها:

- أن الدلالة هي: أن "يكون الشيء بحالة يلزم أي يحصل من العلم به العلم بشيء آخر ولو في وقت"<sup>(٣)</sup>.
- وعرفها الجرجاني بأنها: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ"<sup>(٤)</sup>.
- وعرفها الإمام بدر الدين الزركشي بـ: "أنها كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالماً بوضعه له"<sup>(٥)</sup>، "ومعناها موجبته تخيل اللفظ لفهم المعنى، ولهذا يصح تعليل فهم المعنى من اللفظ بدلالة اللفظ عليه"<sup>(٦)</sup>.

١- مقاييس اللغة لابن فارس، مادة دل

٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

٣- كشاف اصطلاحات الفنون، ٧٨٧

٤- التعريفات، ص: ١٠٨

٥- البحر المحيط في أصول الفقه، ٣٦ / ٢

٦- المصدر السابق

والملاحظ أن هذه التعاريف قريبة مع تعاريف علماء المنطق، والقصد من ذلك أن خطاب الشارع لعباده جاء بألفاظ لها دلالاتها الحاملة لتلك التكاليف والتوجيهات التي بها صلاح الفرد والجماعة، إلا أن هذه الدلالة "تنقسم إلى دلالة لفظية وغير لفظية، والثانية قد تكون وضعية كدلالة وجود المشروط على وجود الشرط، وعقلية كدلالة الأثر على المؤثر كدلالة الدخان على النار وبالعكس"<sup>(١)</sup>، إلا أننا سنركز على الدلالة اللفظية الوضعية من خلال مدارس أنواع الدلالة اللفظية.

وقد عرفت بأنها: " هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه"<sup>(٢)</sup>، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام"<sup>(٣)</sup>

وسنرجئ بيان تقسيماتها إلى المحور الثالث، إن شاء الله.

#### ب- أهمية علم الدلالات في علم الأصول:

إن وظيفة المجتهد والفقيه هي استنباط الحكم الشرعي والإجابة عن قضايا الناس من خلال المرجعية الأصلية التي هي أصول الاستنباط متجسدة في القرآن والسنة، ولذلك اعتنى العلماء بنصوص الوحي تحقيقاً وبياناً لمرتبها الدلالية :

- به تفهم مقاصد الشرع من خطابه، وبه تفهم العلل والحكم من التكاليف، لذلك جعل الشاطبي، رحمه الله، ثاني مقاصد الشارع: القصد الإفهامي، قال رحمه الله: "... أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، والعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر..."<sup>(٤)</sup>.

- يعين على استنباط الحكم الشرعي من نصوص الوحي، إذ إن كان النص الشرعي هو حامل التكاليف الشرعية، فإن وظيفة المجتهدين والمفتين بذل الجهد واستفراغ الوسع في استنباط تلك الأحكام والحكم التي يعبد الله تعالى بها، مما يصلح أمور دنياهم وآخرهم،

١- البحر المحيط، ٢/ ٣٧.

٢- التعريفات للجرجاني، ص: ١٠٨.

٣- المصدر السابق

٤- الموافقات، ٢/ ٥٠.

وكل ذلك مداره على معرفة اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها، وخصوصا دلالات الألفاظ على الاحكام، لذلك جعل الإمام الغزالي الدلالات ربع علم الأصول، قال رحمه الله تعالى: "اعلم أنك إذا فهمت أن نظر الأصولي في وجود دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية لم يخف عليك أن المقصود معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة"<sup>(١)</sup>... "وطرق الاستثمار هي وجود دلالة الأدلة وهي أربعة، إذ الأقوال إما أن تدل على الشيء بصيغتها ومنظومها، أو بفحواها ومفهومها وباقتضائها وضرورتها أو بمعقولها ومعناها المستنبط منها"<sup>(٢)</sup>.

- فيها يعرف الواجب من غيره والأمر والنهي، والخاص والعام...، ولولا علم الدلالات لقال من شاء في دين الله، فهو بذلك العاصم من تجرؤ العامة على كتاب الله تعالى، مما قد يؤدي إلى سوء التأويل المهلك للأمة، وذلك ما دفع الإمام الشافعي لتأليف الرسالة، التي كانت مادتها الأساسية معرفة دلالة الألفاظ

- أن هذا العلم هو عمدة علم الأصول كما قال رحمه الله تعالى: " اعلم أن هذا القطب هو عمدة علم الأصول، لأن ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها واجتنائها من أغصانها ... إنما مجال اضطراب المجتهد واكتسابه استعمال الفكر في استنباط الأحكام واقتباسها من مداركها، والمدارك هي الأدلة السمعية ومرجعها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، إذ منه يسمع الكتاب أيضا وبه يعرف الإجماع. والصادر منه من مدارك الأحكام ثلاثة: إما لفظ، وإما فعل، وإما سكوت وتقرير"<sup>(٣)</sup>.

- شرط في من يستنبط الأحكام، كما بين الشاطبي في أنه يجب عليه أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها، كالخليل وسيبويه والأخفش والجزمي والمازني ومن سواهم"<sup>(٤)</sup>، لأنه إن كان "مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة"<sup>(٥)</sup>.

١- المستصفى، ١/ ١٧

٢- المصدر السابق

٣- المصدر السابق، ١/ ٢٢٣

٤- الموافقات، ٤/ ٨٣

٥- المصدر السابق

## المحور الثاني: أنواع الدلالات:

" قَسَمَ المناطق والأصوليين الدلالة إلى قِسْمَيْن: دلالة لفظية، ودلالة غير لفظية، و قَسَمُوا كُلَّ قِسْمٍ منهما إلى ثلاثة أقسام: دلالة عقلية، ودلالة طبيعية، ودلالة وضعية.. وقد وقع خلاف مهم بين الحنفية وجمهور المتكلمين في تقسيم دلالات الألفاظ على المعاني، وسنكتفي بالحديث عن منهج المتكلمين في تقسيم دلالات الألفاظ على المعاني. فاللفظ قد يستعمل في ما وضع له أصالة من لدن علماء اللغة، وقد يستعمل في غير معناه، كما تتفاوت درجاته من حيث الوضوح والخفاء في الدلالة على المعاني، ومن ثم كانت عناية علماء الأصول من المتكلمين به من حيث تقسيمه وضبط أنواع تلك الدلالات. لذلك قسموا طرق الدلالة اللغوية على المعنى إلى دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، ومنهم الإمام الغزالي كما ذكرنا سابقا، قال رحمه الله: "واللفظ إما أن يدل على الحكم بصيغته ومنظومه، أو بفحواه ومفهومه، أو بمعناه ومعقوله، وهو الاقتباس الذي يسمى قياسا، فهذه ثلاثة فنون: المنظوم والمفهوم، والمعقول"<sup>(١)</sup>. وقال الفخر الرازي: "الخطاب إما أن يدل على الحكم بلفظه أو بمعناه، أولا يكون كذلك ولكنه بحيث لو ضُم إليه شيء آخر لصار المجموع دليلاً على الحكم"<sup>(٢)</sup>. وقسمه الباجي إلى أقسام من خلال تقسيم الأدلة فجعله ضمن معقول الأصل، قال رحمه الله تعالى: "الأدلة على ثلاثة أضرب: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب حال.. فأما الأصل: فهو الكتاب والسنة والإجماع. وأما معقول الأصل: فعلى أربعة أقسام: لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، والحصَر، ومعنى الخطاب. وأما استصحاب الحال: فهو استصحاب حال العقل إذا ثبت ذلك"<sup>(٣)</sup>. ولم يخرج عن جوهر هذا التقسيم الإمام الزركشي أيضا، قال: "اعلم أن الألفاظ ظروف حاملة للمعاني، والمعاني المستفادة منها تارة تستفاد من جهة النطق والتصريح، وتارة من جهة التعريض والتلويح..

١- المستصفى من علم الأصول، ١/ ٢٢٣

٢- المحصول في علم الأصول، ١/ ٤٠٩

٣- إحكام الفصول في أحكام الأصول، ١/ ١٩٣.



والأول ينقسم إلى: نصّ إن لم يحتمل، وظاهر إن احتمل، والثاني هو المفهوم<sup>(١)</sup>.

#### أ- دلالة المنطوق:

وقد عرفها علماء الأصول بتعاريف متعددة إلا أن أدقها تعريف الآمدي رحمه الله تعالى بأنها: "ما فهم من دلالة اللفظ قطعاً في محلّ النطق"<sup>(٢)</sup> فتنقسم إلى أقسام، وهي:

- الصريح، وهو المقصود بدلالة المطابقة، من حيث دلالة اللفظ على معناه مباشرة، كقوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) (البقرة، الآية: ٢٧٥)، فهم منه إباحة التجارة وتحريم الربا.

- ودلالة التضمن عند غير ابن السبكي الذي لا يعتبر دلالة التضمن ضمن الصريح، وهي دلالة اللفظ على جزء من معناه، كقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) (المائدة، الآية: ٦)، فهم من ذكر الوجه تضمنه للجبهة والحاجبين وما يدخل ضمنه.

- وغير الصريح، ويتضمن ثلاثة أقسام، هي: الاقتضاء، ودلالة الإيماء ودلالة الإشارة:

\* دلالة الاقتضاء: "وهو المقصود للمتكلم الذي يتوقف صدق كلامه أو صحته شرعاً أو عقلاً على تقديره"<sup>(٣)</sup>، مثل تقدير رفع الإثم والمؤاخذه والعقاب في حديث: "رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"<sup>(٤)</sup>.

\* دلالة الإيماء، ويسمى بالتنبيه: "هو أن يقترن مقصود المتكلم فيه بوصف يومئ إلى أنه علة للحكم"<sup>(٥)</sup>، "كافتران الأمر بإعتاق رقبة بالوقاع، فإنه يدل على الوقاع عليه الإعتاق"<sup>(٦)</sup>.

\* دلالة الإشارة: "هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص"<sup>(٧)</sup>، ومثاله: "دلالة مجموع قوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقوله

١- البحر المحيط، ٤/ ٥

٢- الإحكام، ٣/ ٨٤

٣- أصول الفقه الإسلامي ١/ ٣٦٠

٤- المرجع السابق

٥- المرجع السابق

٦- المرجع السابق

٧- التعريفات للجرجاني، ص: ٣١.

تعالى ( وفصاله في عامين) على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإن لم يكن ذلك مقصوداً من اللفظ<sup>(١)</sup>.

## ب - دلالة المفهوم،

وهي دلالة على حكم لم يذكر في الكلام ولم ينطق به بل فهم من فحوى الكلام، وهي مقسمة إلى قسمين، مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة.

١- أما مفهوم الموافقة (أي مفهوم الخطاب وتنبيهه) فهو أن "تثبت للمسكوت عنه حكم المنطوق به لاشتراكهما في معنى يدرك بمجرد اللغة"<sup>(٢)</sup>، وهو نوعان:

\* فحوى الخطاب، "ما يفهم من نفس الخطاب من قصد المتكلم بعرف اللغة"<sup>(٣)</sup> إذ المسكوت عنه أقوى في الحكم من المنطوق به، كتحريم ضرب الوالدين من خلال قوله تعالى: (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) (الإسراء، جزء من الآية: ٢٣)، فالضرب والإيذاء أشد من الأف، مما اقتضى التشديد فيهما أكثر منها.

\* ولحن الخطاب: وعرفه الباجي في الحدود بكونه: "هو الضمير الذي لا يتم الكلام إلا به"<sup>(٤)</sup>، وفيه يكون المسكوت عنه مساو في الحكم للمنطوق به، مثل قوله تعالى: (ومن قتل مومناً خطأ فتحرير رقبة) (النساء، جزء من الآية: ٩٢)، فإن تقييد القتل بالخطأ في فرض الكفارة على القاتل خطأ يدل على إيجابها في القتل العمد من باب أولى.

٢- مفهوم المخالفة أو دليل الخطاب:

وهو عند القائلين به: "قصر حكم المنطوق به على ما تناوله، والحكم للمسكوت عنه بما خالفه.

ومعنى ذلك -عند القائلين به- أن يعلن الحكم على صفة موجودة في بعض الجنس، فيدل ذلك -عند القائلين به- أن حكم ما لم توجد فيه تلك الصفة مخالف لحكم ما وجدت فيه.

١- أصول الفقه الإسلامي، ٣٦٠/١.

٢- المرجع السابق

٣- الحدود، ص: ١١٠.

٤- كتاب الحدود، ص: ١١٠.

وذلك مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم -أنه قال " :في سائمة الغنم الزكاة"<sup>(١)</sup>، فدل ذلك عند القائلين بدليل الخطاب على أن ما ليس بسائمة من الغنم لا زكاة فيها.

وذلك أن السائمة عندهم منطوق بحكمها، والمعلوفة مسكوت عنها، فوجب أن يكون حكم المعلوفة غير حكم السائمة"<sup>(٢)</sup>، وهو عشرة أنواع، لا يتسع المقام لذكرها"<sup>(٣)</sup>.

### المحور الثالث: أثر علم الدلالات في الاستنباط الفقهي، قضايا ونماذج:

إن كان أصول الفقه هو: " ما انبنت عليه معرفة الأحكام الشرعية"<sup>(٤)</sup>، باعتبار وظيفته التي هي التأصيل والتفعيد لضبط عمل الفقيه أثناء استنباطه الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، فإن الفقه باعتباره: " معرفة الأحكام الشرعية"<sup>(٥)</sup>، هو مناط تطبيق تلك القواعد الكلية بيانا للحكم الشرعي لينزل على أفعال المكلفين.

لذلك قدم الإمام ابن رشد الحفيد، رحمه الله تعالى، لكتابه الفقهي بداية المجتهد ونهاية المقتصد ببيان ما يدور حوله اللفظ، قال رحمه الله تعالى: " وقبل ذلك فلنذكر كم أصناف الطرق التي تتلقى منها الأحكام الشرعية، وكم أصناف الأحكام الشرعية، وكم أصناف الأسباب التي أوجبت الاختلاف، بأوجز ما يمكننا في ذلك، فنقول: إن الطرق التي منها تلقيت الأحكام عن النبي - عليه الصلاة والسلام - بالجنس ثلاثة: إما لفظ، وإما فعل، وإما إقرار... وأصناف الألفاظ التي تتلقى منها الأحكام من السمع أربعة: ثلاثة متفق عليها، ورابع مختلف فيه. أما الثلاثة المتفق عليها: فلفظ عام يحمل على عمومها، أو خاص يحمل على خصوصه،

١- أخرجه مالك في الموطأ.

٢- الحدود، ١١٠

٣- أنظر أصول الفقه الإسلامي: ٣٦٢/١-٣٦٧

٤- الحدود، ١٠٢

٥- المصدر السابق، ص: ١٠١

أو لفظ عام يراد به الخصوص، أو لفظ خاص يراد به العموم<sup>(١)</sup>، ثم فصل في بيان تلك القواعد اللغوية الحاكمة في الاستنباط قبل البدء في بيان الأحكام الفقهية. ومن ثم، فإن علم الدلالات حاكم في تقعيد قواعد الأصول والفقه، وضابط لتعامل الفقيه مع النص الشرعي، وقد قعدت في ذلك قواعد كثيرة، منها: قواعد الأمر والنهي، والتخصيص والعموم، والإطلاق والتقييد، وما يتبع ذلك من قواعد وقضايا. وسنقتصر على نماذج في دلالة الأمر والنهي، ودلالة الخاص والعام.

### نماذج تطبيقية في الأمر والنهي:

من المجالات التي كان فيها الأثر كبيرا لعلم الدلالات، باب الأمر والنهي، إذ كان الأثر الكبير في بيان دلالات الأمر، هل تحمل على الوجوب أو الندب...

### أ- تعريف الأمر لغة واصطلاحا

#### ١- الأمر لغة:

الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب... والأمر الذي هو نقيض النهي قولك افعل كذا. قال الأصمعي: يقال: أمره طاعة، أي لي عليك أن آمرك مرة واحدة فتطيعني<sup>(٢)</sup>.

#### ٢- الأمر في اصطلاح الأصوليين:

عرفه الإمام الباجي بأنه: "اقتضاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء والقهر"<sup>(٣)</sup>. وعرفه أيضا بأنه: "اقتضاء الفعل المأمور به والمطالبة به والنهي عن تركه على وجه ما هو أمر به"<sup>(٤)</sup>.

وأما الإمام الجويني فقد عرفه بأنه: "هو القول المقتضي بنفسه طاعة المأمور بفعل المأمور به"<sup>(٥)</sup>، وقريب منه تعريف الإمام الغزالي الذي عرفه بأنه "القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به"<sup>(٦)</sup> وعرفه الإمام الشاطبي بأنه: "إلزام المكلف الفعل أو الترك"<sup>(٧)</sup>.

١- أنظر مقدمة بداية المجتهد ونهاية المقتصد

\_ المقاييس، جذر: أمر. ٢.

٣- الإشارة، ص: ٥٦.

٤- الأحكام، ١/ ١٧٦.

٥- البرهان، ١/ ٦٣.

٦- المستصفى، ٢/ ٢٥٣.

### شروط الأمر:

المتأمل في هذه التعاريف يجد أن نقاط الاتفاق بينها تكمن في الشرط الأول من التعريف وهو طلب الفعل واقتضاؤه، وهذا ما يزيل أي اختلاط للمباح بالواجب والمندوب، إلا أن جمهرة من العلماء ذهبوا إلى أنه " لا يشترط فيه علو الأمر خلافا للمعتزلة، واختار الباجي من المالكية والإمام فخر الدين وأبو الحسن من المعتزلة الاستعلاء"<sup>(٢)</sup>.  
تطبيقات قواعد الأمر في مواطن الخلاف:

### وجوب الزكاة:

فقد ذهب الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى إلى إعمال قاعدة " الأمر للوجوب" في كثير من المسائل في الزكاة.  
ففي حكمها العام ذهب إلى أنها واجبة لدلالة ظاهر أمر الله تعالى على ذلك، قال رحمه الله: "والزكاة لفظة عامة، ... وهي واجبة والأصل من ذلك قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (البقرة: ٤٣)؛ وهذا أمر والأمر يقتضي الوجوب"<sup>(٣)</sup>.  
وبناء على هذه القاعدة استنبط الإمام الباجي كثيرا من الأحكام المتعلقة بالزكاة، ورجح رأيه ورأي المالكية بناء عليها.

### وجوب العشر في الزيتون بناء على هذه القاعدة:

اختلف الفقهاء في حكم زكاة الزيتون، فقال الإمام الشافعي: "لا زكاة في الزيتون، في أحد قوليه، قال: لأنه يؤكل إداما، وأيضا فإن التين أنفع منه في القوت ولا زكاة فيه"<sup>٤</sup>.  
وذهب الإمام مالك إلى وجوب العشر في الزيتون: قال الباجي رحمه الله: قوله "في الزيتون العشر"<sup>٥</sup>، هو قول جماعة الفقهاء وبه قال أبو حنيفة وأحد قولي الشافعي، وله قول آخر: أنه لا زكاة فيه ولا شيء.

١- الموافقات، ٩١/٣.

٢- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، للإمام القرافي، ص: ١٤٨

٣- المنتقى، ١٢١/٣.

٤- أحكام القرآن، ٢٨٧/٢.

٥- ذكره ابن عبد البر في الاستنكار برقم: ٥٧٠.

والدليل على صحة ما يقوله: قوله تعالى: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات [إلى قوله تعالى] وآتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام: ١٤)، والحق هاهنا هو الزكاة، لأنه لا خلاف أنه ليس فيه حق واجب غيره، والأمر يقتضي الوجوب.<sup>(١)</sup>

وفي وجوب إخراج الزكاة بعد الحصاد:

اختلف العلماء في وقت وجوب إخراج الزكاة في المنتجات النباتية، فانقسموا إلى ثلاثة أقوال كما بين الإمام أبو بكر بن العربي المعافري رحمه الله: "اختلف العلماء في وقت وجوب الزكاة في هذه الأموال النباتية على ثلاثة أقوال:

- الأول: أنها تجب عند الحصاد، قاله محمد بن مسلمة قوله: (وآتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام، الآية: ١٤١).

- والثاني: أنها تجب يوم الطيب، لأن ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما، فإذا طابت وكان الأكل الذي أنعم الله به وجب الحق الذي أمر الله به، إذ بتمام النعمة يجب شكر النعمة، ويكون الإيتاء يوم الحصاد لما قد وجب يوم الطيب.

- الثالث: أنه يكون بعد تمام الخرص، قاله المغيرة، لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة، فيكون شرطا لوجوبها، أصله مجيء الساعي في الغنم<sup>٢</sup>.

واختار رحمه الله تعالى الرأي الثاني، وهو أن الزكاة واجبة عند الحصاد، وهي المقصودة بقوله تعالى: (وآتوا حقه يوم حصاده)، قال الإمام الباجي متبنيا نفس الرأي، الذي هو رأي مالك بن أنس وأصحابه رحمه الله: "وقال مالك في قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) أي ذلك الزكاة، وقد سمعت من يقول ذلك، كما قال أن ظاهر الآية يقتضي الزكاة لأنه ليس في الثمار والحبوب حق واجب يوم الحصاد غير الزكاة، وقد أمرنا بإخراج هذا الحق، والأمر يقتضي الوجوب، فكان الظاهر أن الحق المأمور به يوم الحصاد هو الزكاة، وقد أيد ذلك مالك.<sup>(٣)</sup>

١- المنتقى، ٢٥٨/٣.

٢- أحكام القرآن، ٢/٢٨٧-٢٨٨.

٣- المنتقى، ٢٦٢/٣.

## نماذج تطبيقية من مسائل النهي:

### ١ - النهي عن عقد النكاح للمحرم يقتضي فساد:

اختلف العلماء في نكاح المحرم هل هو عى الجواز أو على التحريم، فذهب فريق منهم إلى الجواز، وهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري، فقالوا: "لا بأس أن ينكح المحرم وأن ينكح، وهو قول القاسم بن محمد وإبراهيم النخعي.

وذكر عبد الرزاق، قال: أخبرنا محمد بن مسلم الطائي عن عبد الرحمان بن القاسم، عن أبيه أنه لم ير بنكاح المحرم بأسا. قال وأخبرني الثوري عن مغيرة عن إبراهيم، قال: يتزوج المحرم إن شاء، لا بأس به.

قال عبد الرزاق: قال الثوري: لا يلتفت إلى أهل المدينة، حجة الكوفيين في جواز نكاح المحرم حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم<sup>(١)</sup>.

والفريق الثاني، اختار المنع من النكاح والإتكاح، وهم مالك والشافعي وأصحابهما، والليث بن سعد والإمام الأوزاعي، قالوا رحمهم الله: "لا ينكح المحرم ولا ينكح، فإن فعل فالنكاح باطل"<sup>(٢)</sup>، وهو المذهب الذي كان عليه أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم كأمر المؤمنين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار رضي الله عنهم أجمعين، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل وغيره<sup>(٣)</sup>.

وقد اختار الإمام الباقي الرأي الأخير مستندا على أن النهي في الحديث الشرف "لا ينكح المحرم ولا يخطب"<sup>(٤)</sup>، قال رحمه الله: "وقوله: 'لا ينكح المحرم ولا يخطب'، وهذا يقتضي منع عقد النكاح للمحرم، ويقتضي منع المحرم من عقده لغيره، وإذا اقتضى المنع من عقد نكاح المحرم اقتضى فساد إن عقد، لأن النهي يقتضي فساد المنهي عنه"<sup>(٥)</sup>.

١- الإستنكار، ٦/ ١١٨ - ١١٩

٢- المرجع السابق

٣- أنظر المرجع السابق

٤- الحديث ذكره ابن عبد البر في الاستنكار برقم: ٧٤٥.

٥- المنتقى، ٣/ ٤٠٨.

الخاص والعام نماذج وتطبيقات:

من أهم مباحث الدلالة التي اشتغل عليها الأصوليون، دلالة الخاص والعام، إذ إن النصوص الشرعية جاءت حاملة لأحكام، وهذه الأحكام إنما عرفت من خلال لفظها، هل يراد منها الخصوص أو العموم، وهل اللفظ الخاص يبقى على خصوصه، هل العام يراد به العموم فقط؟

اللفظ العام والخاص وأثره في الاستنباط الفقهي:

العام وتطبيقاته في موطن الخلاف:

أ- تعريف العموم لغة واصطلاحاً:

١- العموم لغة:

العين الميم أصل صحيح واحد يدل على الطول والكثرة والعلو، قال الخليل: العميم: الطويل من النبات يقال نخلة عميمة، والجمع عم. ويقولون: على عممه أي على تمامه. ويقال جارية عميمة، أي طويلة<sup>(١)</sup>، ومن الباب العمامة، معروفة... ويقال تعممت بالعمامة واعتممت، وعمني غيري. وهو حسن العمة، أي الاعتماد<sup>(٢)</sup>، ويقال: عمم الرجل: سود، وذلك أن تيجان القوم العمائم، كما يقال في العجم توج يقال في العرب عمم. قال العجاج: وفيهم إذ عمم المعتم أي: سود فألبس عمامة التسويد...<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الأعرابي: العمّ الجماعة من الناس<sup>(٤)</sup>، ومن الجمع قولهم: عمّا هذا الأمر يعمتا عموماً، إذا أصاب القوم أجمعين. قال: والعمّة ضد الخاصّة. ومن الباب قول بعضهم، أي كبرا. وإن كان كذا فهو من العلو<sup>(٥)</sup>.

٢- العموم في اصطلاح العلماء:

عرف الإمام الجرجاني العموم بقوله: "ما يقع به الاشتراك في الصفات سواء كان في صفات الحق كالحياة والعلم أو صفات الخلق كالغضب والضحك، وبهذا الاشتراك يتم الجمع وتصح نسبته إلى الحق والإنسان"<sup>(٦)</sup>.

١- المقاييس، جذر عم.

٢- المصدر السابق

٣- المصدر السابق

٤- المصدر السابق

٥- المصدر السابق

٦- التعريفات، ١١٩-١٢٠



وقال الإمام الغزالي رحمه الله: "العام عبارة عن اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً"<sup>(١)</sup>.

### ب- ومن تطبيقاته في باب زكاة الأنعام:

وفي باب زكاة الأنعام اختلف العلماء في وجوب الزكاة في المعلوفة كالسائمة بناء على عموم النص في ذلك، قال الإمام الباجي رحمه الله في: "... النواضح والبقر السواني وبقر الحرث: إني أرى أن يؤخذ من ذلك كله إذا وجبت فيه الصدقة، وتجمع النواضح والسواني وبقر الحرث في العوامل، فإن الزكاة واجبة فيها كالسائمة... والدليل على صحة ما نقله حديث أبي بكر رضي الله عنه المتقدم "في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم في كل خمس شاة"<sup>(٢)</sup> وهذا عام في السائمة والمعلوفة، فيجب حمل ذلك على عمومته إلا أن يخصه دليل"<sup>(٣)</sup>.

فوجه الاستدلال بما مضى أن الإبل والغنم لفظ جنس يقتضي استغراق كل أنواع هذه الأنعام سواء كانت معلوفة أو سائمة تأكل من خشاش الأرض، وبالتالي فالحكم فيها واحد.

#### الخاص وتطبيقاته في مواطن الخلاف:

أ- تعريف الخاص لغة واصطلاحاً:

#### ١ \_ الخاص لغة:

(الخاء والصاد) أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة. فالخصائص الفرجة بين الأتافي. ويقال للقمر: بدا من خصاصة السحاب...

ومن الباب خصصت فلانا بشيء خصوصية، بفتح الخاء، وهو القياس لأنه إذا أفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره، والعموم بخلاف ذلك.<sup>(٤)</sup>

#### ٢ - الخاص في اصطلاح الأصوليين:

عرف الجرجاني الخاص بأنه: "عبارة عن التفرد"<sup>(٥)</sup>، والخصوص عنده هو: "أحدية أحدية كل شيء عن كل شيء بتعيينه، فكل شيء وحدة تخصه"<sup>(٦)</sup>.

١- المستصفي، ٢/ ٢٠

٢- الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الزكاة، باب صدقة المشية، وهو رقم: ٢٣ من حديث عمر رضي الله عنه.

٣- المنتقى، ٣/ ٢٠٧.

٤- المقاييس، جذر: خص

٥- التعريفات، ١٠٣

وذهب الإمام الشوكاني إلى أنه: <sup>(٢)</sup> تمييز بعض الجملة بالحكم ونسبه إلى السمعاني.

وقد عرف بتعريفات أخرى ردها الإمام الشوكاني وغيره، كقول البعض في الخاص أنه: "اللفظ الدال على مسمى واحد" <sup>(٣)</sup>. إلا أنه غير تام، لأن التخصيص كما سنرى بعد قليل بإذن الله، إذ قد يكون التخصيص وإسقاط بعض أفراد العموم منه فيبقى على كثير من أفراد الأخرى.

وقد عرفه الباجي رحمه الله في الحدود بقوله: "والخصوص: أفراد بعض الجملة بالذكر، وقد يكون إخراج بعض ما تناوله العموم عن حكمه، ولفظ التخصيص فيه أبين" <sup>(٤)</sup>، فهو بذلك معنى يخرج من اللفظ العام ما لولاه لدخل فيه" <sup>(٥)</sup>.

وهذا التعريف يقترب من تعريف الإمام الشوكاني للخصوص، إذ قال رحمه الله: "... فالأولى في حده أن يقال هو: إخراج بعض ما كان داخلا تحت العموم على تقدير عدم المخصص" <sup>(٦)</sup>.

من خلال التعاريف السابقة للخصوص، يتضح بجلاء أن وظيفته هي البيان، إذ لولاه لأدخل في العموم ما ليس منه، ومن ثم تختلط الأحكام، ويضطرب الرأي في ذلك، ولبطل جزء من التشريع كما هو في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس" <sup>(٧)</sup>، فاقتضى ذلك نفي كل صلاة بعد العصر، ثم قال: "من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها" <sup>(٨)</sup>.

١- المصدر السابق.

٢- إرشاد الفحول، ٢/ ٢١٢

٣- المرجع السابق

٤- كتاب الحدود، ص. ١٠٦.

٥- الأحكام، ١/ ٢٥٤.

٦- إرشاد الفحول، ٢١٣.

٧- متفق عليه، أنظر مشكاة المصابيح، كتاب الصلاة، باب أوقات النهي، رقم ١٠٤١.

٨- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١١١٨.

فأخرج هذا اللفظ الخاص الصلوات المنسيات من حملة الصلوات المنهي عنها بعد العصر<sup>(١)</sup>.

فكانت وظيفة الخصوص هاهنا - على سبيل المثال - بياناً للمساحة التي تدخل تحت حكم الحديث الأول، ولولاها لبقى النهي على إطلاقه، وهذا ما يبين حكمة هذه الشريعة الغراء

إلا أن تعريف الإمام ابن جزى المالكي أكثر تقييداً، وكأنه يربط هذا المبحث بالحكم مباشرة، إذ التخصيص عنده: "إخراج بعض ما يتناوله العموم قبل تقرير حكمه"<sup>(٢)</sup>، وقد تحرز تحرز رحمه الله بهذا القيد الذي هو "قبل تقرير حكمه" من "النسخ" كما قال<sup>(٣)</sup>  
ب- تطبيقات التخصيص في مواطن الخلاف:

تحريم الجمع بين الأختين من خلال تخصيص عموم القرآن، قال الباجي رحمه الله: "فأما من الكتاب: فما خص بالكتاب قوله عز وجل: (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) (المؤمنون، الآية ٦)، فكان عاما في الجمع بين الأختين بملك اليمين، ثم خصه قوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) (النساء، الآية: ٢٣) وكذلك تخصيص عموم تربص المطلقات ثلاثة أشهر من قوله عز وجل: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (البقرة، الآية: ٢٢٨)، بقوله تعالى: (واللاني يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاني لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (الطلاق، الآية: ٤).

فدل ذلك على أن قوله (أو ما ملكت أيمانكم) (النساء، الآية: ٣)، إلا أن تكون أختين، فلا تجمعوا بينهما بالوطء، فذلك عدتهن الأقراء إذا كن من أهل المحيض، وأشباه ذلك كثير في الكتاب<sup>(٤)</sup>.

١- الإشارة، ص. ٦٢.

٢- تقريب الوصول إلى علم الأصول، ١٥٨ (بتصرف).

٣- المصدر السابق.

٤- الإشارة، ص. ٣٢.

## خاتمة:

- بعد هذا البحث المقتضب، نخلص إلى:
- أنه للغة خصوصاً أثر كبير في التقعيد الأصولي والاستنباط الفقهي، كما أنه أثر فيها من خلال الارتقاء بها وتحويلها من لغة فئة وطائفة إلى أن تصبح لغة أمة، كما أصبحت لغة يتعبد من خلالها العالم استنباطاً والمقلد والعامي تطبيقاً.
  - أن ارتباط اللغة بالشريعة عامة وبالفقه والأصول خاصة، كتب لها الخلود والحفظ.
  - أن علم أصول الفقه يعتمد أساساً في أهم محاوره على اللغة العربية، إذ منها استنبط قواعد الاستنباط، وحدد للمجتهد منهج اجتهاده، لذلك جعل العلم بها من أهم شروط المجتهد
  - أن فهم خطاب الشارع، ومعرفة أحكامه وحكمه مرتبط بشكل كبير بالعلم بعلم اللغة، خصوصاً علم الدلالات.
  - أن الأصوليين والفقهاء أثروا اللغة العربية وطوروها من خلال ربطها بسياقاتها، وتحويلها من مجرد قواعد جامدة إلى دلالات تحمل مقاصد الشارع، مما مكنها من الارتباط بالشرع، فحلت معه حيث حل، واستمدت منه قوتها، وبضعف أصحابه أضعفت بضعفها (كما نرى اليوم للأسف).
  - أن علم الدلالات لم يسلم من التناوش الكلامي والمنطقي، مما أدى إلى الإغراق في حدوده وكثرتها مما يضيع على طالب العلم إمكانية استيعابه وضبطه.
  - أن النهوض بالأمة من جديد، يقتضي التجديد وإصلاح الخلل المنهجي الذي أصاب العقل المسلم، ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى الوحي، ولا رجوع إلى الوحي إلا من خلال الرجوع إلى مفاتيح فهمه، وهي اللغة العربية، التي تجسد خزان تاريخ وذاكرة هذه الأمة.

## نوصيات:

- الأمة اليوم تحتاج إلى جهاد، أصبح فرض عين على كل مسلم، وهو العمل على النهوض باللغة العربية تعليماً وتعلماً، فعلى العالم بذل جهده في التعليم وتطوير مناهج التعلم، وعلى العامة دعم هذا الجهد بالمال والموارد البشرية.
- الخروج باللغة العربية من مجرد المناقشات الكلامية إلى التحول نحو بناء الجانب الوظيفي منها كما فعل علماء الأصول والفقه.
- وسبيل النهوض بهذه اللغة المفتاح، هي تكثيف البحوث العلمية المتخصصة في هذا المجال.

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- المستصفى من علم الأصول، ١/ ٢٢٢، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، طبعة دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.
- الموافقات في أصول الشريعة، للإمام أبي إسحاق الشاطبي، ٨٣/٤، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، طبعة سنة: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية
- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (٧٤٥-٧٩٤هـ)، قام بتحريه الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجع د. عمر سليمان الأشقر، الطبعة الثانية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م، طبع: دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالغردقة.
- المحصول في علم أصول الفقه، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٥٤٤هـ / ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني، طبع مطبعة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
- إحكام الفصول في أحكام الأصول، للإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، حققه وقدم له ووضع فهرسه الدكتور عبد المجيد تركي، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، منشورات محمد علي بيضون ببيروت، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت من غير ذكر لتاريخ الطبعة ولا رقمها.
- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت من غير إشارة لتاريخ الطبع ورقم الطبعة.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، الفتح الكبير، لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري، طبعة دار صادر ببيروت من غير إشارة لتاريخ الطبع ورقم الطبعة.
- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرقي (ت ٦٨٤هـ)، قدم له وعلق عليه أحمد فرد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت
- المنتقى شرح موطأ مالك، للإمام أبي الوليد الباجي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد بيضون، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م
- أحكام القرآن لأبي محمد بن عبد الله المعروف بابن المعافري (٤٦٨ - ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٨ هـ / ٥١٩٨٨.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، علق عليه ووضع حواشيه سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ٢٠١٠ م.
- أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- الإشارة في أصول الفقه، للإمام الباجي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، خرج أحاديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- التعريفات، للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد بيضون، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
- الحدود في الأصول، للإمام أبي الوليد الباجي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
- الإحكام في أصول الأحكام للإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، طبع دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م



## دور العصبية القبلية في إثراء الشعر العربي القديم د/ سهام عبد الرحمن طيب الأسماء

### ملخص:

تناولت الدراسة دور العصبية القبلية في نهضة الشعر القديم، تدور مشكلة الدراسة حول الدور الذي لعبته العصبية القبلية في الشعر العربي القديم ومدى تأثيرها عليه. تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة تتصل بصميم تراثنا الأدبي القديم من خلال وقوفها على الشعر القديم في جميع عصوره، وقد هدفت الدراسة لمعرفة شعراء العصبية القبلية ودورهم في المجتمع القبلي ومدى مساهمتهم وتأثيرهم في ربط القبائل والتغني بأمجادها. نأمل أن يكون هذا البحث إضافة للمكتبة العربية من خلال وقوفه على صفحة مهمة من صفحات التراث العربي.

بدأ البحث بدراسة حياة العرب وأنسابهم وقبائلهم ومساكنهم ثم تناول مفهوم العصبية عامة وبعدها بدأ بدراسة العصبية في الشعر الجاهلي ثم تناولت دورها في العصر الإسلامي بشقيه - صدر الإسلام وعصر الأمويين - والعصر العباسي مع التدعيم بالنماذج. ثم ختمت الدراسة بخاتمة أعقبها ذكر المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث.

العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية شاعت في المجتمعات العربية القديمة ونات حظاً من الدراسات التي تناولت دورها وأثرها في الشعر العربي القديم ومن بين هذه الدراسات كتاب "العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي" للكتاب احسان النص " ومنها بحث للدكتور علي مصطفى عشا بعنوان "جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي" ومنها ورقة علمية بعنوان "العصبية القبلية في الشعر العربي القديم (مظاهرها في الشعر الجاهلي) للكاتب ميمون يوسف.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي في تتبع الظواهر الأدبية. توصلت الدراسة للنتائج التالية: تباينت حدة العصبية في الحياة العربية فهي تشتد حيناً وتموت حيناً وتظهر في بعض الأحيان وحيثما وجدت وجدت معها أشعار صارخة.

فقد كان للعصبية القبلية دور يارز وأثر بين في الشعراء الجاهليين فكان معظم ما جاشت به صدورهم من القريض من وحي تلك العصبية وصدى لها فاندثرت مع ظهور



الاسلام فانعدمت الأشعار الداعية لها ثم عادت للظهور في العصر الأموي بنفس شدتها التي كانت في العصر الجاهلي واختفت مرة أخرى في العصر العباسي إلا النزر القليل فندرت اشعارها .توصي الدراسة بتتبع التراث العربي ومتابعة المؤثرات التي كان لها دور في ازدهار الشعر والعوامل التي أثرت على نهضته تأثيراً ايجابياً أدى لنهضته .

## Abstract

The study deals with the role of tribalism in the renaissance of pre-Islamic poetry. The problem of the study revolves around the role that tribalism played in Arabic ancient poetry and the extent of its influence. The importance of this study stems from its being a study related to the core of our Arabic ancient literary heritage through its standing on ancient poetry. The study aimed to find out the poets of tribalism and their role in tribal society and the extent of their contribution and influence in linking tribes and enriching their glories. The researcher hopes that this study will be an addition to the Arab library by standing on an important page of Arab heritage. The study began with an introduction to the meaning of jahiliyyah, and then dealt with pre-Islamic life in its various aspects (social, economic, religious, mental and political). And then tribalism and its role in Arabic ancient poetry, talked about the genealogies of the Arabs and the definition of tribal nervousness, its types and manifestations, then its role in Arabic ancient poetry with the support of models. Then the researcher concluded by mentioning the sources and references that have been consulted. The study adopted the descriptive method in tracking literary phenomena. The study reached the following results: Tribal fanaticism has its the role which influenced among the Arabic ancient poets, so most of what their chests overtook that inspired by that nervousness and echoed by, and although it was a reprehensible phenomenon that came as a result of the lack of urbanization of societies, it pushed Arabic ancient poetry forward, but it was a lot of fuel that fueled its roots, and hardly can be noticed it. All ancient Arabic poetry is an effect of individualism. Rather, its majesty is considered a stark echo of the tribal spirit that prevailed in that era. The study recommends to peruse the standing of the ancient literary heritage and its effects on the prosperity of

## الحياة الجاهلية

الجاهلية هي الحالة التي كانت عليها الأمة قبل النبوة ، وقد وردت الكلمة بعدة معاني منها : السفه والطيش كما جاءت في الآية الكريمة ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناَ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما )<sup>(١)</sup> ووردت بنفس المعنى عندما خاطب الرسول صل الله عليه وسلم لأبي ذر مؤدبا ( انك امرؤ فيك جاهلية )<sup>(٢)</sup> ووردت بنفس المعنى في معلقة عمرو بن كلثوم في بيته<sup>(٣)</sup>.

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

والجاهلية قد تكون من الجهل الذي ينافي العلم أو الجهل الذي ينافي الحلم ، وبالنظر إلى الجاهلية التي نحن بصددنا نجد أنها من الجهل الذي ينافي الحلم ، وذلك لأن أهل الجاهلية كانت لهم بعض العلوم والمعارف مثل القيافة والعيافة وقرض الشعر والبيان ، أما من ناحية الحلم فلا تكاد تجده عندهم إلا لماما، حيث أنهم كانوا يندون بناتهم لأسباب لا تقوم على منطق، وقد تقوم بينهم الحروب الطوال لأنفه الأسباب ، مثل حرب البسوس التي قامت بسبب ناقة، وحرب داحس والغبراء التي قامت بسبب رهان بين حصان وفرس ، فاستغرقت كلا الحربين أربعين عاما. وأحيانا يثورون بلا ثورة

استخدم عنثرة الكلمة بمعنى ( عدم المعرفة ) في بيته<sup>(٤)</sup>

هَذَا سَأَلَتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

حياة العرب في العصر الجاهلي : بلاد العرب هي أفضل بقعة على وجه الأرض وقد اختلفت معيشة أهلها باختلاف المكان وعاش بعضهم في البوادي والبعض الآخر في الحواضر أو كما أسموها هم أهل الوبر والمدن وكانت القبيلة هي نواة المجتمع وأساسه وتكونت من ثلاث طبقات هم : أبناء القبيلة وهم الذين تمتعوا بكثير من الحقوق والواجبات و يحتفظون بهذه الحقوق حتى وإن ماتوا ، فيكون لهم حق أخذ الثأر ابن القبيلة يتجاهل

١ - الفرقان : الآية ٦٣

٢ - البخاري، صحيح البخاري، طبعة أوروبا ١٤٢٢هـ ، ص ٣٤٥

٣ - ديوانه ، شرح أميل يعقوب ، دار الكتاب بيروت ١٩٦٥م ص ١٩ ، ص ٧٨

٤ - مطبعة الآداب ، بيروت ، ١٨٩٣هـ ، ص ٢٥

نزعاته الفردية ويعمل فقط في اتجاه مصلحة الجماعة وخير من يصور ذلك دريد بن الصمة في قوله<sup>(١)</sup>.

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنَّ غَوَتْ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشُدْ

وإن أساء سمعة القبيلة فلها أن تتخلى عن حمايته ونصرته وتطرده من حماها فيتحول لقبيلة أخرى يكون مولاً فيها أو جار . والطبقة الثانية هي طبقة الموالي وهم العتقاء من العبيد أو أسرى الحروب ومنهم الخلعاء الذين جاءوا للقبيلة من أبناء القبائل الأخرى ولهم نفس حقوق أبناء القبيلة وعليهم واجباتها ، ومن الشعراء الخلعاء طرفة بن العبد حين طرده قبيلته بسبب إدمانه الخمر وقد ذكر ذلك في شعره حين قال:

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا \* وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ<sup>(٢)</sup>

والطبقة الثالثة هم الأرقاء الذين يباعون في الأسواق أو يؤسرون في الحروب وكانوا يبتاعونهم ويتوارثونهم ويتهادونهم شأنهم شأن المتاع ويعملون في رعاية الماشية وحرث الأرض . أما المرأة فكانت عظيمة الشأن وقد تشترك في الحروب لمداداة الجرحى والتحريض على أخذ الثأر وكان لها حق امتلاك الأموال والتصرف فيها ، وفي مكة كان مفتاح الكعبة بيد امرأة هي " بنت خليل الخزاعي " استودعته لمدة طويلة وتنازلت عنه لقصي<sup>(٣)</sup>. سمي العرب أبناءهم بأسماء قاسية مثل حجر وصخر وأسد حتى يتفاءلوا فيهم الشدة والصلابة<sup>٤</sup> وقتل بعضهم بناتهم خشية الفقر والعار وفضلوا البنين على البنات لأن الذكور كان يُعتمد عليهم في الصيد والغزو والحروب . تميز العرب بمجموعة صفات حميدة أهمها الكرم - خاصة أكرام اليتامى والأرامل والسائلين والشجاعة فالشجاعة شرط من شروط بقائهم ولم يقدرُوا صفة كما قدرُوا الوفاء بالعهد وعرفوا بحماية الجار وإنكار الضيم والهوان . ومن عاداتهم السينة شرب الخمر ولعب الميسر واستباحة النساء . وقد عرفوا الأعياد وكانوا يلبسون حينها أحسن الثياب ويتزينون بالحلل الثمينة وكان صبيانهم يلعبون ويزمرون بالدفوف والمزاهر ويتغنون بالأراجيز وكان فرسانهم يتسابقون بالخيول وأجوادهم

١ - الأصمعي ، الأسمعيات ، تحقيق عبد السلام هرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٥٠  
٢ - ديوان طرفة ، شرح الأعلام الشنتمري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الثقافة والفنون ، ٢٠٠٩ م ، ص ٦

٣ - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ، ١٩٤٢ م ، ص ٣٢

٤ - الجاحظ ، الحيوان ج ١ ، مطبعة الحلبي ، ج . م . ع . ١٩٤٥ م ص ٣٢٤

يلعبون بالميسر.<sup>(١)</sup> أما المعيشة فقد اعتمد سكان البدو على رعي الابل والأغنام وقد أحبوا الابل كما أحبوا الخيول واعتمدوا في معيشتهم في التمر واللبن ، عرفت أطراف الجزيرة ووحدات الحجاز - يثرب وخيبر والطائف - نوعا من التحضر والمدنية وعاش أهلها نوعاً ما من الترف.<sup>(٢)</sup> عبد كثير من عرب الجاهلية الأصنام والأوثان واعتنق بعضهم الحنفية ودخل بعضهم في اليهودية وبعض آخر اعتنق النصرانية تأثراً بالروم وعرف بعض أهل الشرق المجوسية تأثراً بالفرس.<sup>(٣)</sup> أما أهم علوم العرب فهو الشعر والنثر خاصة الخطب واهتموا بعلم الأنساب والتاريخ والعيافة والفراسة والعرفاء والكهانة وعلم النجوم وأحوال الأمطار ومارسوا الطب بصورة بدائية وكانوا في البيطرة أفضل حالاً منهم في الطب.<sup>(٤)</sup>

أما أوضاع الجزيرة السياسية فكانت تختلف من منطقة لأخرى فعرفت اليمن الممالك والحضارات ونمت في شمال الجزيرة مملكة الحيرة ( المناذرة ) ومملكة الغساسنة ومملكة النبط وتدمر ومملكة كندة . وكانت مكة أهم مدن الجزيرة قاطبة وذلك لمكانتها الدينية والأدبية والروحية والتجارية .

قبائل الجزيرة العربية ومساكنهم: العرب كلهم ينحدرون من نسل سام بن نوح وينتسبون لإسماعيل بن إبراهيم وقحطان ويقول بعض أهل اليمن: قحطان من ولد إسماعيل ، وإسماعيل أبو العرب كلها.<sup>(٥)</sup> وينقسم العرب لثلاثة أقسام هي: العرب البائدة وهي الطبقة الأولى من العرب التي بادت وانقرضت ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وجرهم والقسم الثاني وهم : العرب العاربة وهم أولاد قحطان بن عاثر بن شالخ بن أفشخد بن سام بن نوح أبناء عموم العرب البائدة وإلى قحطان نسب أهل اليمن والقسم الثالث وهم العرب المستعربة وهم العدنانية أبناء عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.<sup>(٦)</sup> أما مساكنهم فقد كانت في بادئ الأمر بجزيرة العرب الواقعة في أواسط المعمورة وهي تشمل على خمسة

١ - الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، طبعة القاهرة ١٩٢٤م ص ٣٧٠

٢ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٧، طبعة لبرج ، ١٨٩٠م ص٧

٣ - محمد نعمان الجارم ، أديان العرب في الجاهلية ، مصر ، ١٩٣٢م ص١٨ ومابعدا

٤ - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي، مصر ١٩٣٢م ، ص٩٠

٥ - ابن قتيبة ، المعارف، المكتبة الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٤م ، ص٢٤

٦ - ابن منظور، لسان العرب ، "مادة عرب " دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م ص٥٨٧

أقسام : تهامة ، نجد ، حجاز ، عروض ، ويمن.<sup>(١)</sup> وأول من سكن جزيرة العرب هم العرب البائدة فقد سكنت عاد بالأحقاف ، شرق اليمن وشمال حضرموت فسكنت بالحجر ووادي القرى شمال الحجاز أما عييل فسكنوا الجحفة بين مكة والمدينة ، وعبد ضخم كانوا بالطائف ، وجرهم كانت باليمن ثم انتقلت للحجاز ثم عادت لليمن وبادت هناك أما الباقون فقد قسمهم الرواة لقحطانيين وعدنانيين.<sup>(٢)</sup>

قبائل قحطان : كهلان وحمير قحطان قبيلة كبيرة ديارها شمال وغرب صحراء الربع الخالي وبين نجران وعسير وإلى الجنوب منها أرض مهلان . قبائل كهلان : طي وهمدان ومزحج والأزد وجزام ولخم وطي أما طي فقد سكنت جبلية أجا وسلمى في نجد أما همدان ومزحج فقد بقي أكثرهم باليمن ومن مزحج بلحارث يسكنون اليوم جنوب شرق الطائف وسكنت فقد سكنوا عمان ومنهم غسان التي كانت لهم إمارة بالشام ومنهم العتيك وبارق والأوس الخزرج في المدينة ودروس وغامد وزهران وكهلان وبجيلة وختعم.<sup>(٣)</sup> ومن كهلان عاملة التي سكنت تيماء وجزام ولخم التي كانت تسكن الحيرة ومنهم كندة وسكنت الشام وشمال بلاد العرب.<sup>(٤)</sup> أما قبائل قضاة فتختلف الأقوال أهي يمنية أم عدنانية ومنها بهراء وتنوخ في الشام وجهينة في وادي أضم على مقربة من المدينة وجيرانهم عذرة ومن قضاة بلى ، شمال العراق ومن حمير ، كلب شمال الحجاز ، وبادية الشام.<sup>(٥)</sup>

قبائل عدنان : ربيعة مضر :- كانت لربيعة ديار على دجلة تعرف باسمها وانتشرت شمالاً بعدها فنزلت تغلب والتمر منازل مضر وأوغلت إلى الشمال حتى الأرض التي سميت باسمها ديار بكر ومن بكر بنو حنيفة في اليمامة ومن ربيعة عنزة وأسد ، كانتا متجاورتين في نجد وامتدت ديار شيبان شمال العراق ومنها ضبيعة وعبد القيس والتمر بن قاسط.<sup>(٦)</sup> قاسط.<sup>(٦)</sup> أما مضر فكانت منازلهم على الفرات وعرفت باسمهم وأشهر قبائلهم : قيس عيلان

- ١ - الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٣م ص ٧٠٣
- ٢ - المسعودي ، التنبيه والإشراف ، تحقيق عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص ٣١٥-٣٢٢
- ٣ - الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٣٩م ، ص ٦٢٨
- ٤ - ابن حزم ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، جمهرة انساب العرب ، ص ٧-٤٣١
- ٥ - الذهبي ، سيرة أعلام النبلاء ج ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ٢٨٠-٢٨٢
- ٦ - جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، راجعه حسن مؤنس ، القاهرة ، ص ١٩٢-١٩٧

عيلان ، وشرقيهم عدوان جنوبي الحجاز ومن قيس : هوازن وسليم وكانت منازلهم غربي نجد الى شرق المدينة ومكة ومن قيس غطفان ومن غطفان عيس وذبيان ومن ذبيان فذارة وكان لغطفان وفروعها شأن في الأدب الجاهلي . ومن مضر حنبة وتميم و أيضاً أعظم قبائل العرب في الجاهلية والإسلام وقد حلت تميم في نجد قبل الإسلام.<sup>(١)</sup> ومنها فهم إلى الجنوب من ثقيف ومنازل بكر وتغلب في شرقي نجد ثم امتدت لأرجاء كثيرة ومنهم عامر بن صعصعة ، و بنو نمير ، و بنو هلال ، و و كلاب وكعب.<sup>(٢)</sup> ومن مضر مدركة بن الياس بن مضر وتنحدر منه قبائل هزيل ، واسد ، وكنانة ، وهزيل سكنت الجبال التي تقع جنوب مكة ومن كنانة قريش سكان مكة ومنهم ثقيف على مقربة من هزيل وإلى طانجة بن الياس بن مضر تنسب قبائل ضبة ومزينة والرباب وتميم وتسكن مزينة في الحجاز وغربي نجد.<sup>(٣)</sup> ومن القبائل العدنانية اياد وكانوا في تهامة ونزحوا للعراق بسبب الحروب.<sup>(٤)</sup>

الأحلاف القبلية : ظروف الحياة في المجتمع القبلي الجأت القبائل في بعض الأحيان لعقد التحالفات مع القبائل المجاورة ، أو جاءت بعضها تلتمس الحلف والمجاورة وفي هذه الحالة لا تكون منزلتها مساوية لمنزلة حليفاتها لأن التماس الحلف ناجم عن ضعفها وشعورها بالحاجة الى حليف تعزز به وقد نؤثر القبيلة الدخول في نسبها وحينئذ تتخلى عن نسبها وتقطع صلتها بقبيلتها الأم وفي هذه الحالة يصبح أبناءها بمثابة البناء القبيلة الصرحاء.<sup>(٥)</sup> وقد تتحالف قبيلتان متساويتان في القوة لأغراض الدفاع والهجوم وفي هذه الحالة تتساوى القبيلتان في الحقوق والواجبات .<sup>(٦)</sup> وعادة ما ينفض الحلف بعد نهاية الحرب وانتشرت هذه الأحلاف كثيرا في المجتمع الجاهلي.<sup>(٧)</sup> وهناك أحلاف دائمة أو شبه دائمة.<sup>(٨)</sup> وليس كل الأحلاف غايتها التناصر في القتال فثمة أحلاف غايتها دفع الظلم أو نشر

١ - اليعقوبي ، تاريخه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٢٦

٢ - اليعقوبي - تاريخه ، ص ٢٠٠

٣ - اليعقوبي ، تاريخه ص ٢٠٠

٤ - بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هرون ، ١٨٥٤ م ص ١٧٠-٣٠٧

٥ - بن دريد ، الاشتقاق ج ٢ ، ص ٣٢٠

٦ - بن حبيب ، المحبر ، ١٩٤٢ م ، ص ١٦٦

٧ - بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق علي محمد الجذري ، الطبعة الأولى المنيرية ، مصر ، ١٣٤٩ هـ - ١٣٤٩ هـ ج ١ ، ص ٢٥٥

٨ - بن حبيب ، المحبر ، ١٩٤٢ م ، ص ١٦٥

نشر الأمن كحلف الفضول بين بطون قريش بمكة.<sup>(١)</sup> وكانت لهذه الأحلاف طقوس معينة تمارس عند عقدتها كغمس اليدين في دم أو عطر

المجتمع القبلي : النظام القبلي هو ذلك النمط من الحياة الذي نجد فيه الأمة الواحدة موزعة إلى جماعات بشرية مستقلة يجمع بين أفرادها صلة النسب المشترك.<sup>(٢)</sup> البناء القبلي القبلي : الأسرة هي نواة القبيلة في النظام القبلي ، و القبيلة هي مجموعة من الأسر تجمع بينها أوامر الرحم، وتلتقي أنسابها عند الأب المشترك الذي تنتمي إليه القبيلة وكل خلايا القبيلة تعمل في اتجاه واحد هو مصلحة القبيلة المشتركة.<sup>(٣)</sup> إلا أن وحدة القبيلة لا يمكن إرجاعها إلى صلات القرى وحدها فالقبيلة فيها الصرحاء والموالي والمستحقين.<sup>(٤)</sup> وكانت القبيلة وحدة سياسية مستقلة بذاتها كما كانت وحدة اجتماعية لها نظامها وأعرافها وتقاليدها.<sup>(٥)</sup>

السيادة في المجتمع القبلي : كل قبيلة توكل عادة أمر الإشراف على شؤونها وسياسة أمورها إلى مجلس قبلي يترأسه سيد القبيلة.<sup>(٦)</sup> وكان منصب سيد القبيلة محتكرا للأسر التي عرفت بالشرف والنبل في القبيلة ولكن اختيار السيد لم يكن محصورا على الوراثة وحدها ، فلا بد أن تتوفر صفات معينة في الرجل ليكون أهلا للسيادة . والصفات التي يجب توافرها في السيد تكاد تكون مشتركة بين قبائل العرب كافة وهذه الصفات هي سداد الرأي ورجاحة العقل والحلم.<sup>(٧)</sup> ومن تلك الصفات وفرة المال والجود والشجاعة وأن يكون السيد ذا موهبة بيانية حتى يستطيع التأثير في الجماعة ولا يشترط أن تجتمع كل تلك الصفات في السيد.<sup>(٨)</sup> وعلى السيد واجبات وتبعات ثقال منها دفع الديات.<sup>(٩)</sup> وفي القبيلة

١ - السابق ، ص ١٦٧

٢ - أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية في الجاهلية وعهد الرسول صل الله عليه وسلم ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٢٤

٣ - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٣١

٤ - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٧ م ، ج ٤ ، ص ١٧

٥ - ابن دريد ، الاشتقاق ج ٢ ، ص ٣٢

٦ - الأزرق ، أخبار مكة وما جاء منها من الآثار ، ج ١ ، ١٨٥٨ م ، ص ٦١

٧ - أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٥ م ، ص ٣٢

٨ - المبرد ، الاشتقاق ج ١ ، ص ١٢١

رجال حكماء تحتكم اليهم عند وقوع خلاف فيها.<sup>(٢)</sup> كما كان لكثير من القبائل الجاهلية بيوتات عرفت بالرئاسة والشرف وامتازت من سائر القبيلة.<sup>(٣)</sup>

الصلات في المجتمع القبلي : قامت السياسات الخارجية للقبيلة وعلاقاتها بالقبائل الأخرى على المنافسة والعداوة والغزو الدائم وعلى قدر ما كان التناصر بين أفراد القبيلة كان التخاصم بين القبائل في سبيل الشرف والرئاسة أو المال والعيش لذلك كانت حياة القبائل الجاهلية مصبوغة بالدم لا ترى فيها سلما.<sup>(٤)</sup> إلا أنهم تخلوا في بعض الأحيان عن نزعاتهم العدوانية وأقاموا صلوات سلمية في صورة أحلاف.<sup>(٥)</sup>

العصبية القبلية: العصب الطي الشديد والتعصب من العصبية أي التجمع ، والعصبية: أن يدعو الرجل الى نصره عصبته ، والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين أو مظلومين . والعصبية الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويتعصب بهم أي يحيطون به ويشند بهم ، والعصبية والتعصب : المحاماة والمدافعة ، وتعصبنا له ومعه : نصرناه ، وقيل للرجل الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم ويعينهم ولو على الظلم : عصبى.<sup>(٦)</sup> العصبية كانت طابع أهل البدو وذلك لأن حياتهم اتسمت بطابع التخاصم والتنازع وكانت بمثابة الدستور العرفي لكل القبائل إذ يشترك فيها كل أفراد القبيلة.<sup>(٧)</sup> كان للعرب عدة أنواع من العصبية ، أقرب أنواع العصبية هي عصبية الرجل لوالديه وأخوته والعمومة.<sup>(٨)</sup> ومثلما للعمومة شأن عظيم في النفس فلاخوانه أيضا شأن عظيم فعاطفة الابن تجاه أمه عاطفة مستقرة في النفس البشرية وكان الشعراء يفخرون بعشائر أمهاتهم ويتعصبون لهم مالم تتعارض وتتصطم مع عصبيتهم لعشيرة والدم فان حدث ذلك تغلبت عصبية الاب وكذلك

١ - ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٢٥ م ، طبعة السندوي القاهرة ١٩٣٢ م ، ص ٢٢٦

٢ - الجاحظ ، البيان والتبيين ج١ ، ص ٢٩٠

٣ - الألويسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج ٢ ، ص ١٨٩

٤ - أحمد الشايب تاريخ الشعر السياسي ص ٣٢

٥ - احسان النص ،العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، دار الفكر ، ص ٨١

٦ - ابن منظور ، لسان العرب ج١ ، ص ٢٠٩ .

٧ - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٤ ، ص ١٠

٨ - السابق ، ص ١٥



حينما تصطدم العصبية بالعلاقة الزوجية وقد تفرق العصبية بين الأصدقاء فتغلب المودة لعداء . وتخرج العصبية منتصرة في كل معترك تخوضه ، وحتى الصعاليك أنفسهم لم يتخلوا عن عصبيتهم فنرى السليك بن السلكة لا يتعرض لقومه مضر ولا يغير إلا على قبائل اليمن وربيعة.<sup>(١)</sup>

هناك عصبية تسمى عصبية التحالف وهي عصبية الأحلاف القبلية والأحزاب لبعضها البعض وقد تستمر هذه الأحلاف لأجيال وهي في النهاية عصبية ليست أصيلة فالأحلاف قد تنفض في أي وقت على حسب ما تقضيه المصلحة المشتركة وكان عبيد القبيلة ومواليها ومستلحيها يحملون لها الولاء ويتعصبون لها . كان العرب يتعصبون لعاداتهم وموروثاتهم حتى أنهم رفضوا اتباع الرسالة المحمدية لأنهم رفضوا ترك ما وجدوا عليه آبائهم ( وإذا قبل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون.<sup>(٢)</sup>

ومن مظاهر العصبية القبلية : اتباع أبناء القبيلة لأوامر سيدها وخضوعهم التام لنظم القبيلة ومن مظاهر العصبية حرصهم على نسبهم واعتزازهم به ومنها رفضهم الخضوع لأي قبيلة أخرى تنزل جوارهم أو لسيدها وكذلك كانوا يرفضون أن يفودهم في القتال رئيس من قبيلة أخرى - في حال التحالف - وتعتبر كثرة المفارقات مظهر آخر من مظاهر العصبية ويعتبر الأخذ بالنثار وكثرة الحروب والغارات مظهرا من مظاهر العصبية القبلية.<sup>(٣)</sup>

العصبية القبلية في الشعر الجاهلي : كان لكل قبيلة عدد من الشعراء ولكنها تقدم شاعرا منهم تسميه شاعر القبيلة وكانت تهتم بأعداد الشاعر والخطيب والقائد . فيقال أن قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان.<sup>(٤)</sup> فهو لاء هم حماة الأعراس وكانوا اذا نبغ فيهم شاعر أنتهم القبائل مهنة وصنع الطعام واجتمعت النساء للعب بالمزاهر كما

١ - الأصفهاني الأغاني، ج٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧م ، ص ٩٢

٢ - الأعراف الآية ٢٨

٣ - ابن خلدون ، تاريخه ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٣٢م ، ص ١٠٠

٤ - الأصفهاني ، الأغاني ج٤ ، ص ١٤٦

يصنعن بالأعراس.<sup>(١)</sup> ولم يكن تقديرهم للشاعر لأنه يدافع عنهم فحسب وإنما كانوا يجلون الشعر نفسه

كل ما بقي لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم فإنما هو منقول من أشعارهم وكان موقف هؤلاء الشعراء هو موقف المتحمس للعصبية المدافع عنها وقد قال جرجي زيدان في هذا الشأن ( نرى في الشعر الجاهلي بكل أغراضه غلبة الطابع القبلي عليه ، حتى لا نكاد نرى أثر الفردية فيه . فالشاعر الجاهلي كان قلما يتكلم بلسان شخصه أو يلجأ لاستخدام الضمائر المفردة إلا في بعض الأغراض كالنسيب.<sup>(٢)</sup> وليس في ذلك غرابة فهو يرى أن عليه تحقيق ذلك الأمل الذي عقد عليه فلم يقف موقف المتفرج من الأحداث القبلية بل أخذ يفرح لفرح قبيلته ويغضب لغضبها.

كان الشاعر الجاهلي ينبري لهجاء كل من يتعرض لقبيلته بسوء ويفخر كل من يفتخر عليها ويتغنى بانتصاراتها ويلتمس لقومه العذر ان خسروا معركة ويتوعد الأعداء باسم القبيلة ومن ذلك قول المهلهل.<sup>(٣)</sup>

ومنا إذا بلغ الصبي فطامه      ساس الأمور وحارب الأقوام  
قتلوا كليباً ثم قالوا اربعوا      كذبوا وربّ الحلّ والإحرام  
حتى نبى قبيلة وقبيلة      فهدراً ونفلق بالسيف الهام

كانت القبائل اذا شهدت المواسم والأسواق حرصت على اصطحاب شعرائها وخطبائها وسرعان ما كانت حلقات المفاخرة تتعقد بين شعراء القبائل كل يشيد بمآثر قومه ويعدد مكارمهم وينتقص من شأن القبائل الأخرى ، وكانت تقام للشعراء والخطباء منابر بعكاظ يتناشدون عليها أشعارهم ويتفاخرون.<sup>(٤)</sup>

كان العرب في جاهليتهم يحبون التفاخر حتى في مصائبهم وهو ما سمي " بالمعازمة " وأشهرها معازمة الخنساء وهند بنت عتبة ، فعندما مات والد الخنساء وأخويها كانت تأتي في الموسم وتبكيهم وتقول : (أنا أعظم العرب مصيبة ) وأصيببت هند بنت عتبة وقتل أبوها وعمها وكان قد بلغها ما قالت الخنساء فقالت انا اعظم العرب مصيبة وشهدت

١ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١، ص٢٤١

٢ - جرجي زيدان ، تاريخ أدب العربية ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ، ٩٣٦م ، ص٨٤

٣ - الأصمعي ، الأصمعيات ، تحقيق عبد السلام هرون ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٥م ، ص١٥٦

٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣ ، طبعة لبرج ١٨٩٠م ، ص٧٠٤

المواسم بعكاظ وقالت : (اقرنوا جملي بجمال الخنساء ) ففعلوا ، فلما تقاربنا تعارفتا وتعاضمنا شعرا ونثرا.<sup>١</sup> وان كان التنافس يحدث بين عامة الناس فالأحرى أن يكون بين الشعراء ومن أشهر المتنافرات ما كان بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وكلاهما من بني عامر وكانت المنافسة على الشرف والمكانة الاجتماعية فاستنجد كل منهما بقومه فوقف مع عامر كل من لبيد بن ربيعة العامري والأعشى ميمون بن قيس ووقف مع علقمة الشاعر الحطيئة وحكم بينهما هرم بن قرطبة بن سنان الفزاري.<sup>(٢)</sup> فقال الأعشى في ذلك

حَكَمْتُمُوهُ، فَقَضَى بَيْنَكُمْ      أَبْلَجُ مِثْلَ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
لا يأخذ الرشوة في حكمه      ولا يبالي حكم الخاسر

كان للشاعر دور بارز في مكانة القبيلة ووضعها في المكان الذي يليق بها لدى الأمراء والملوك بدفاعه عنهم ورفع مكانتهم . ومن ذلك ما فعله لبيد بن ربيعة في مجلس النعمان بن المنذر عندما أفلح في تنفير النعمان بن المنذر من مجالسة الربيع بن زياد واقصائه عنه وتقريبه لأشراف بني عامر بعد ازوراره عنهم.<sup>(٣)</sup> وقال في ذلك الموقف.

لا تَزْجُرِ الْفَتَيَانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَى      يَا رَبَّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَى  
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ      سِيُوفُ حَقٍّ وَجَفَانٌ مُتْرَعَةٍ  
نَحْنُ خَيْرُ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةٍ      وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْصَعَةِ  
الْمُطْعِمُونَ الْجَفَنَةَ الْمُدْعَدَةَ      مَهَلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلَ مَعَهُ

ومضى بعد تلك الأبيات يكيل السباب والشتائم لزياد حتى نفر منه الملك.

وكذلك حدث عندما اجتمع بنو تغلب وبنو بكر في مجلس عمرو بن هند الذي كان يؤثر بنو تغلب الا أن شاعر بكر - الحارث بن حلزة استطاع أن يقلب الموقف ويستميل الملك لصالح قبيلته بعد أن أشاد بها ورد مزاعم تغلب فيهم ببراعة شعره حيث مدح المنذر بن ماء السماء والد عمرو بن هند قائلاً.<sup>(٤)</sup>

فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى      مَلَكَ الْمَنْذَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ  
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ      مِ الْحَيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءُ

١ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ج١، ١٩٦٤م دار المعارف القاهرة ، ص٣٣٥

٢ - الالوسي ، بلوغ الأرب ص٢٨٩

٣ - الأصفهاني ، الأغاني ج١٥، ص٣٥٤

٤ - ديوانه ، شرح أميل يعقوب ، دار الكتاب بيروت ١٩٦٥م ص١٩

مَلِكٌ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ لَا يُؤْ  
جَدٌ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ  
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطَّلُوا  
لَّ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ الْعَفَاءُ

وقد كان لبعض الشعراء حظوة لدى ملوك الغساسنة والمناذرة استطاعوا ان يدفعوا بها معاداة هؤلاء الملوك عن قومهم كصنيع النابغة الذبياني حين أوقع ابن الجلاح الكلبى بقومه واستاق منهم عددا حينها هرع النابغة للنعمان بن المنذر وانقذهم من الأسر واطلق سراحهم وحينها قال النابغة في ذلك.<sup>(١)</sup>

أَصَابَ بَنُو غَيْطٍ فَأَضْحُوا عِبَادَهُ  
وَجَلَّلَهَا نَعْمَى عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ  
فَلَا بُدَّ مِنْ عَوْجَاءٍ تَهْوَى بِرَاكِبٍ  
إِلَى بَنِ الْجَلَّاحِ ، سَيَّرَهَا اللَّيْلُ قَاصِدٍ  
تَحَبُّ إِلَى النِّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ  
فَدَى لَكَ مِنْ طَرِيفِي وَتَالِدِي

وكذلك نجد أن النابغة الذبياني يتهدد عمرو بن هند حين هم بغزو قومه مستعينا بتغلب ومما قاله في هذا الشأن.<sup>(٢)</sup>

مَنْ مَبْلُغٌ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ آيَةً  
وَمَنْ النَّصِيحَةُ كَثْرَةُ الْإِنْدَارِ  
لَا أَعْرِفُكَ عَارِضًا لِرِمَاحِنَا  
فِي جُفٍّ تَغْلِبُ وَادِي الْإِمْرَارِ

وكانت القبيلة اذا تأخرت عن أخذ ثار أحد أبنائها هب الشعراء تحريضاً وتأليباً حتى تدب الحمية في نفوس رجالها فيسارعون لطلب دماء قتلهم وإن قبلوا الدية ايثاراً للسلامة هاج الشعراء مرة ثانية وقد يشبهونهم بالنساء لعجزهم عن القتال وجبنهم ومن ذلك قول كبشة اخت عمرو بن معد يكرب تخاطب قومها وتحرضهم على المطالبة بدم أخيها عبد الله ورفض الدية فيه.<sup>٣</sup>

أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ: لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دَمِي  
وَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مَظْلَمٍ  
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأَرَوْا بِأَخِيكُمْ فَمُشُّوا بِأَذَانِ النِّعَامِ الْمَصْلَمِ

وقلما نجد شاعرا من الشعراء قد دعا للسلم والتنفير من الحرب وحدث ذلك من زهير بن أبي سلمى الذي دعا لوقف حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان وما قاله في الحث على

١ - ديوانه ، تحقيق أحمد عبدالرحمن سلام ، بيروت ، ١٩٢٩م ، ص ٤٥

٢ - السابق ، ص ٤٨

٣ - المرزوقي شرح ديوان الحماسة مطبعة لجنة التحقيق والترجمة ج ١، ١٩٥١م ص ٢١٧

السلم جاء في معرض مدحه هرم بن سنان والحارث بن عوف الذين احتملا ديات القتلى  
حيث قال.<sup>١</sup>

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلِمُ      وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلْمِ وَاسِعاً  
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقِ مَأْتَمٍ      فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ

أدت شدة ارتباط الشاعر بقبيلته الى جر كثير من المشاكل عليهم فتحوّلت المعارك  
الكلامية كثيراً لوقائع دامية بين القبائل . وإن تهاجى شاعرين وتخاصما فإن الهجاء يعم  
القبيلتين وكان الهجاء في ذلك الحين جماعياً لا فردياً . وكانت القبيلة إذا هاجمها شاعر  
فحل، حط الهجو منها خصوصاً إذا كان الهجو مطابقاً للواقع ، وإلا رد شاعرها عنها فتعود  
إلى مقامها.

كانت القبائل تفتخر إذا مدحت لا سيما إن كان المادح من غير أبنائها . وقد رفع  
مدح الحطيئة من مكانة "بني أنف الناقة" وكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال من بني  
قريح وهو نسب آخر لهم ولكن صاروا يفاخرون بنسبهم بعدما قال فيهم الحطيئة.

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفِ وَالْأَذْنَابِ غَيْرُهُمْ      وَمَنْ يَسُوِيَّ بِأَنْفِ النَّاكَةِ الذَّنْبَا

ومدح أيضاً بني كليب حتى قيل لم يمدح أحد قط بني كليب غير الحطيئة.<sup>(٢)</sup>

لَعَمْرُكَ مَا الْمَجَاوِرُ فِي كَلِيبٍ بِمَقْصِي الْجَوَارِ وَلَا مُضَاعٍ  
هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ      يَدُ الْخِرْقَاءِ مِثْلُ يَدِ الصَّنَاعِ

القبائل النابغة هي التي نالت الهجاء وسلمت منه القبائل الخاملة وكان هم الجماعة  
أن ينصرها شاعر مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل تلك النصرة.

في أواخر العصر الجاهلي مدح بعض الشعراء رجالات من غير قبائلهم ومنهم زهير  
والنابغة والأعشى والحطيئة وحسان بن ثابت بعضهم بغرض التكسب وبعضهم لصداقة  
جمعتهم بالمدح ويرجع بعض النقاد ذلك الأمر لكثرة الشعراء ولأن مكانة الشاعر صارت  
دون مكانة الخطيب ورغم تكسب هؤلاء الشعراء إلا أنهم لم ينسوا عصبيتهم ولم يتخلوا عن  
نصرة قبائلهم ولم يقدم أيّاً منهم على مدح أعداء قومه ولم يظاهر ممدوحية على قبيلته بل

١ - الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، لجنة التحقيق في الدار العالمية - الدار العالمية ١٩٩٣ م ، ص ٩٣

٢ - الاصفهاني ، الأغاني ج ٢ ، ص ١٠١ بأبيات جاء فيها :

نجدهم جميعا يسعون في الخير لعشائهم فالأعشى رقم طوافه بين الملوك والبلدان إلا انه يذكرهم ويبدى اشتياقه لهم في قوله.<sup>(١)</sup>

إِنِّي مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ قَوْمِي وَإِنِّي إِلَيْهِمْ مُشْتَاقٌ

وقد وقف زهير جل شعره على مدح هرم بن سنان وأشراف قومه مثل قوله:

والسائلون إلى أبوابه طُرُقًا \* د جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ

يلقُ السَماحةَ منه والندى خُلُقًا \* إِنْ تَلَقَّ يوماً على عِلَاتِهِ هَرماً

وقد اختص حسان بن ثابت بمدح الغساسنة وهم من الأزدي قبيلة قومه ومن مدائحه فيهم قوله.<sup>(٢)</sup>

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

وشذ عن تلك القاعدة الحطية فهو كان مغموز النسب محتقر في قومه وقد ضعفت عنده العصبية القبلية وهجا بعض قومه

ومن الحالات النادرة التي يثور فيها الشاعر على قبيلته ويهون من شأنها أن تكون القبيلة قد فصرت في واجبها تجاه فرد - الشاعر أو غيره - ولم تقم بحمايته والانتصار له وها هو قريط بن أنيف يقول في قومه.<sup>(٣)</sup>

١ - ديوانه ، تحقيق رودلف جبر طبعة لندن ، ١٩٢٨م ، ص ١٢٨

٢ - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ج ١ ، ٢٩٦

٣ - نفس المصدر ونفس الصفحة

لو كنتُ من مازن لم تستبح إليّ      بنو اللَّقيطة من ذهل بن شيبانا  
إنّ لقام بنصري معشرٌ خشنٌ      عند الكريهة إن ذو لوثةٍ لانا  
قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم      طاروا إليه زرافاتٍ ووحداً  
لا يسألون أخاهم حين يندبهم      في النائبات على ما قال برهانا  
لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد      يسوا من الشرِّ في شيء وإنّ هانا

ونموذج آخر من نماذج التمرد على النظام القبلي هو " الصعلكة " التي اتخذها بعض الشعراء نظاماً لحياتهم حينما هاموا في الصحراء لقطع الطرق على الأغنياء وعلى القوافل التجارية كوسيلة

### العصبية في العصر الإسلامي :

أولاً : العصبية في صدر الاسلام :

حول الاسلام العرب من قبائل متفرقة إلى أمة واحدة تحمل للعالم أجل رسالة وبها تألفت القلوب واتحدت الاجساد حول أهداف واحدة وكانت العصبية هي احدى الأشياء التي نهى عنها الاسلام كما جاء في الحديث الشريف: « من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية »<sup>(١)</sup>. والعمية هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه. وشدد الدين في امرها حتى اعتبر أن من يواد قرابته الكافرين تعصبا لهم فهو ليس من زمرة المؤمنين فقد قال - تعالى - : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم )<sup>(٢)</sup> قال أهل العلم في سبب نزول هذه الآية: إنها نزلت في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر، وفي عمر حيث قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.<sup>(٣)</sup> لقد

١ - صحيح مسلم بشرح النووي: ، ج١٢، ط١- دار المغني - عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ص٢٣٨

٢ - المجادلة الآية ٢٢

٣ - تفسير ابن كثير ، المحقق سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج٨ص ٧٩

جمعت هذه العقيدة صهيبياً الرومي وبلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وأبا بكر العربي القرشي تحت راية واحدة، راية الإسلام، وتوارت العصبية، عصبية القبيلة والجنس والقوم والأرض وما هو مربى هذه الأمة وقائدها - عليه الصلاة والسلام - يعلم ويربى إذ يقول لخير القرون كلها مهاجرين وأنصار: «دعوها فإنها منتنة».. وما هي؟ صيحة نادى بها أنصاري: يا لأنصار، وردّ مهاجري: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله وقال: «ما بال دعوى جاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة»<sup>(١)</sup> حقاً إنها منتنة... وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»<sup>(٢)</sup> فانتهى أمر هذا النتن، وماتت نعرة الجنس واختفت لوثة القوم.. ومنذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الأرض، وإنما وطنه هو دار الإسلام تلك الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها. وانصرف العرب للفتوحات ونسوا - إلى حين - عداواتهم القبلية فقل شعر العصبيات وطفأ إلى السطح الشعر الداعي إلى الجهاد والدعوة للإسلام ووصف الوقائع ومالوا للنظم في المديح والغزل وانزوت اشعار الهجاء والفخر القبلي رقم أن النقاد قد رأوا أن في فخر حسان بن ثابت بقومه الأنصار في وقفته مع رسول الله ودعوته نوع من الفخر إلا أنني أرى أن أشعار العصبية القبلية توجد حيث توجد العصبيات وتراجع حيث تختفي القبلية.

ورغم أن الاسلام قد حارب العصبية القبلية حرباً لا هوادة بعدها إلا أنه كان من الصعب اقتلاعها من جذورها فهي قد تأصلت في نفوس العرب وكادت أن تجري مجرى الدم فيهم.

فما أن توفي الرسول (صل الله عليه وسلم) حتى أطلت العصبية في عدة مواقف في حياة سيدنا أبي بكر وسيدنا عمرو قد تداركا تلك المواقف وحالا دون ظهور العصبية على السطح ومن ذلك أن بعض الشعراء قد وقفوا إلى جانب قبائلهم المرتدة مثل الحطيئة<sup>(٣)</sup>.

١ - صحيح البخاري: ج٨ ص٦٤٨،

٢ - صحيح مسلم: كتاب الإمارة، ج٣، ص ١٨٤٨

٣ - ديوانه ص ٢٢٩



ومن شعراء القبائل المرتدة " أبو الشجري بن عبد العزى السلمي " - ابن الخنساء - فهو القائل: (١)

فَرَوَيْتُ رَمَحِي مِنْ كَتِيْبَةِ خَالِدٍ      وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أَعْمُرَا

أما سيدنا عثمان فقد كان على قدر كبير من الطيبة وحسن النوايا سمحت لظهور العصبية بين بعض زعماء القبائل لاستئثار القرشيين بالخلافة ومغانم الحكم وكانت الفتنة التي أعقبها مقتله إيذانا بانقسام القبائل في موقفها تجاه ما حدث فمال هوى الشعراء حيث مالت قبائلهم مؤيدين أراءهم مهاجمين خصومهم دون ظهور نزعاتهم الفردية وبدأت بواكير العصبية الحقيقية في واقعتي الجمل وصفين ففي واقعة الجمل افتخر الأعرج الضبي بوقوف قبيلته مع السيدة عائشة قائلاً: (٢)

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ      الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنْ الْعَسَلِ  
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ      نَنْعِي ابْنَ عَفَّانٍ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

وفي صفين قيل إن بعض قبيلة عك كان يدعو قومه في الاستبسال كي لا تشمت به مضر. (٣) ولما دعا معاوية طائفة من رجال قريش أن يقتلوا فرسان علي ورؤساء جيشه البارزين فلم يفعلوا شيئاً شمتت بهم اليمانية من أصحاب معاوية. (٤) وعقد معاوية الامارة في بعض أيام الموقعة لرجال من مضر على اليمن فعلم ذلك أهل اليمن وكرهوا أن يتأمر عليهم أحد من غير قومهم وتحدث بذلك شعراؤهم حتى اضطر معاوية لإرضائهم. (٥) وبدأت القبائل اليمنية تظهر في الأحداث السياسية . وبدأت العصبية القبلية تطل برأسها في مواقف جمة وفتت قبيلة " ربيعة " مع سيدنا علي وقد أثنى عليهم مما أثار غيرة " مضر " التي ساندته أيضاً مما انعكس على أشعار شعراء كلا الفريقين فها هو الشاعر الربيعي الحضي بن المنذر الرقاشي يتحدى قبائل مضر أن تبلي بلاء ربيعة ان استطاعت. (٦)

رَأَتْ مُضَرًا صَارَتْ رَبِيعَةً دُونَهَا      شَعَارُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذَا الْفَضْلِ

١ - الطبري- تاريخ الملوك والرسل ، ج٢-ص٢٩٣

٢ - الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣- ص ٥٢٨

٣ - ابن مزاحم المنقري ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هرون ، القاهرة ١٣٦٥هـ ، ص ٢٣٩

٤ - السابق ٤٨٥

٥ - السابق ص ٤٨٢ - ٥٠١

٦ - شرح نهج البلاغة ج٢، ابن أبي الحديد ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ ، ص٥٠٢

فأبدوا لنا مما تجن صدورهم  
علينا من البغضاء وذاك له أصل  
فأبلوا بلانا أو أفرؤا بفضلنا  
ولن تلحقونا الدهر ما حنت الأبل

وجاء أشراف القبائل المضربة لسيدنا علي كرم الله وجهه طالبين منه أن يعفي ربيعة من القتال معه أياما حتى لا تستأثر بفضل نصرته والوقوف معه ففعل وحينها ابلى المضربون بلاء حسنا فافتخر شعراؤهم بذلك فقال أبو الطفيل عامر بن وائل الكناني<sup>(١)</sup>

لَقَيْنَا قَبَائِلَ إِنَّا بِهِمْ  
إلى حَصْرَمُوتٍ وأهل الجند  
فَلَمَّا تَنَادَوْا بِآبَائِهِمْ  
دَعَوْنَا مَعَدًا وَنِعْمَ الْمَعَد

ونفس ما حدث بين مناصري سيدنا علي حدث في صفوف جيش معاوية بين مضر واليمن حينما أمر معاوية رجال من مضر على اليمن غضب أهل اليمن واحتج شاعرهم عبد الله بن الحارث السكوني وخاطب معاوية قائلاً<sup>(٢)</sup>

مُعَاوِي أَحْيَيْتَ فِينَا الْإِحْنَ  
وأحدثت في الشام ما لم يكن  
عَقَدْتَ لِبِشْرٍ وَأَصْحَابِهِ  
وما الناس حولك إلا اليمن  
فَلَا تَخْلُطَنَّ بِنَا غَيْرَنَا  
فما شيب بالماء محض اللبن  
وإلا قدمنا إلى مالنا  
وإنا وإنا إذا لم نهن

فاضطر الى خلع من ولاهم عليهم . وحدث مثل ذلك عندما ولي عمرو بن العاص على قحطان فغضبوا وقال شاعر لهم<sup>(٣)</sup>

مُعَاوِي أَمَا تَدْعُنَا لِعَظِيمَةٍ  
يلبس من نكرائها الغرض بالحقب  
فَوَلَّ عَلَيْنَا مَنْ يَحُوطُ زِمَارَنَا  
من الحميريين الملوك على العرب  
وَلَا تَأْمُرْنَا بِالتِّي لَا نَرِيدُهَا  
ولا تجعلنا بالهوى موضع الذنب

تركت العصبية القبلية صدى واسعا في أشعار تلك الفترة وسجلت أرقاما لا يستهان بها في ميادين الشعر وأغراضه.

العصبية في العصر الأموي: بدأ العرب في الانتشار خارج جزيرتهم منذ بدأت الفتوحات الإسلامية فاستوطنوا في كل البقاع التي قاموا بفتحها ولكن عصبيتهم ظهرت واضحة في الجزيرة والشام والعراق وخراسان أما مصر والمغرب العربي والأندلس فلم

١ - وقعة صفين ، ابن مزاحم ، ٣٤٨

٢ - السابق ص ٤٨٢

٣ - ابن مزاحم وقعة صفين ، ص ٥٠١

يظهر بها - في العصر الأموي - شئ يذكر من العصبية القبلية والأمر الشائع في كتب التاريخ أن الأمويين عملوا على استئثار العصبية حتى تشغل القبائل عن الحكم وإن صدق هذا الزعم أم كذب فإن العصبية قد وصلت حدا من الشدة والعنفوان لم تصله من قبل وبلغت مداها.

هنالك أسباب اجتماعية أدت لازدهار العصبية في العصر الأموي كنظام السكن فمثلاً قسمت الكوفة لنصفين أحدهما لقبائل اليمن والشطر الثاني للقبائل النزارية.<sup>(١)</sup> وكانت مصاهرة الأمويين للقبائل المختلفة سببا من أسباب العصبية فالوالي أو الخليفة كان يظهر ميوله لتلك القبيلة التي ناسبها ، وابنه كذلك يميل لقبيلة أمه إن دخلت مع قبيلة أخرى في أي مشكلة أو خلاف وقد تبدل المصاهرة العداوة لحب وولاء كلما فعل "خالد بن يزيد" عندما تبدل موقفه من (آل الزبير بن العوام) عندما ناسبهم وانقلب العداء بينهم وبين بني أمية لمحبة واعجابا وقال في ذلك.<sup>(٢)</sup>

أَحِبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طَرّاً لِحُبِّهَا      وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَوْالَهَا كَلْباً

نجد المصهرات قد لعبت دورا في أهواء الخلفاء مما جعل القبيلة التي يحيد عنها الخليفة تسخط وتغضب وأحيانا تغضب معها قبائل أخرى وأحيانا يغضب أفراد البيت الأموي فيما بينهم فمن كانت أمه من قيس مال لقيس ومن كانت أمه من كلب مال لكلب.<sup>(٣)</sup> الرأي الذي تبناه كثير من المؤرخين والدارسين أن الأمويين قد عملوا على زرع العصبية القبلية حتى تختصم القبائل ويضعف شأنها فتتشغل عن الحكم ويخلو لهم الجو فالقبائل لن تتوحد ضدهم بسبب الخلافات مستندين على أن معاوية بن أبي سفيان مال منذ بداية عهده للقبائل اليمنية بالشام وعلى نهجه سار خلفاؤه يقربون هذا ويبعدون ذلك . كان الأمويين يأتون بوالدهم من القبائل الكبيرة والقوية حتى تسنده وتقف معه.<sup>(٤)</sup> وكان الحجاج بن يوسف أحد ولادة بني أمية المتهمين بالعصبية فرجاله وجل عماله كانوا من القيسية واتهم غيره من الولاة بتحريك العصبية القبلية ولم تكن المغام السياسية هي الوحيدة المسؤولة عن العصبية بل كانت المصالح الاقتصادية والمغام المادية أيضا سببا من الأسباب بل تتداخل مع السياسة

١ - البلازري ، فتوح البلدان ج١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٢٣٩

٢ - ، المبرد ، الكامل ج١ ص٢٠٤

٣ - التبريزي ، شرح حماسة أبوتام ج١ ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص١٦ .

٤ - ( الطبري ، تاريخه ، ج٢ ص٥٧٩ )

والاقتصاد فالمنافسات السياسية سببها الكسب المادي وبعد الحصول على المنصب السياسي لا بد من تحسين الأوضاع المادية .

تجلت مظاهر العصبية القبلية في عدة أشياء منها : التمسك بالأنساب والاعتزاز بها، والتماسك القبلي بين أبناء القبيلة الواحدة حتى يكتسبوا قوة يستطيعون بها حصد المنافع المادية والاقتصادية ، ظهرت المنافسات والمنازعات الجاهلية مرة أخرى فعادت المنافرات والمفاخرات بالكرم والأحساب والأنساب وغيرها.<sup>(١)</sup> وعادت في العصر الأحلاف القبلية حتى أن بعض أحلاف العصر الجاهلي ظلت ممتدة ومرعية حتى العصر الأموي كحلف تميم وكنب ومن الأحلاف التي ظهرت في هذا العصر حلف " ربيعة واليمن " وحلف " بكر والأزد "ومن مظاهر العصبية أيضا الصراع الحربي والحروب القبلية التي قامت بعد وفاة معاوية وابنه يزيد مثل وقائع قيس وكنب.<sup>(٢)</sup> ووقائع قيس وتغلب.<sup>(٣)</sup> بالإضافة للفتن والغائل التي حدثت في البصرة ومثلها حدثت في خراسان بين ربيعة ومضر.<sup>(٤)</sup> وتجلت مظاهر الصراع القبلي في الفتن التي ظهرت في أواخر العصر الأموي منها ثورة اليمانية على الوليد الثاني لقتله لخالد القسري.<sup>(٥)</sup> وثورة اليمانية على مروان بن محمد الذي كان يقرب القيسية ويفضلهم عليهم واشتد الصراع في العراق وخراسان بين اليمانية والمضرية ودخلت الكوفة أيضا في النزاعات القبلية رغم أنها كانت قد نأت عنها طوال العصر واستمرت القبائل تتصارع على هذا النحو حتى سقطت الدولة الأموية.<sup>(٦)</sup>

إنما وجدت العصبية كان خلفها شاعرٌ يزكي نيرانها ويؤججها ومعظم شعراء العصبية انتموا إما لقبيلة قيس المضرية أو تغلب الربيعية أو كلاب اليمانية ومن شعراء قيس زفر بن الحارث الكلابي وزفر بن الحارث الكلابي ونقيع بن صفار المحاربي والضجير السلولي ومن أبرز شعراء تغلب الأخطل والقطامي وأعشى تغلب ومن شعراء اليمانية الذين حملوا لواء العصبية عمر بن مخلاة وجواسي بن القعطل وحكيم بن عياش المعروف بابن

١ - الأصفهاني ، الأغاني ج ٢٠ ص ١٨

٢ - الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ص ٤٠٩

٣ - البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق أحمد حميد الله ، ط ١٥ ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٣١٢

٤ - الطبري ٥ - تاريخ الأمم والملوك / ص ٢٢٧ وبعدها

٥ - الأخبار الطوال ، الدينوري ، تحقيق فالدمير جبراس ، ط ٢ ، ١٨٨٨ م ، ص ٣٤٨

٦ - الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٧٢

الأعور وعمران بن هلباء والأصبغ بن ذؤالة وأقلمح بن يعقوب النمري وعدي بن الرقاع العاملي وكلهم من قبيلة كلب . وفي العراق نالت القبائل النزارية- خاصة تميم وبكر - الحظ الأوفى من شعراء العصبية مثل جرير والفرزدق والبعيث والعجاج وابنه روبة وغسان السليطي وكل هؤلاء من تميم أما الشعراء القحطانية في العراق فهم الطرماح بن حكيم الطائي وسراقة بن مرداس البارقي ومن شعراء خراسان ، النابغة الجعدي والمغيرة بن جنباء التميمي وكعب الأشقر والشمر دل اليربوعي ونهار بن توسعة البكري وممن حملوا لواء العصبية داخل جزيرة العرب شبيب بن البرصاء من ذبيان وأرطاة بن سهية وعقيل بن علقمة وابن ميادة ومن قبيلة قيس بن عيلان : الحكم الخضري والمساور بن هند العبسي وأبو وجزة السعدي وأشهر من تعصب من قريش عبد الله بن قيس الرقيات وعبد الرحمن بن الحكم الأموي والفضل اللهبي ، وعبد الله بن عمر العيلي ، أما من حمل لواء العصبية من الانتصار فهم : عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والأحوص . ومن شعراء العصبية البارزين المرار بن سعيد الفقمي الأسدي .

لم يكن سلطان العصبية مقصور على أبناء القبيلة وحدها بل تعداها الى مواليتها وقد تبلغ شدة دفاع المولى عن قبيلته لدرجة تجعل العشيرة تلوذ به وتسميه شاعرها دون سائر الشعراء.<sup>(١)</sup> ومن شعراء الموالى الذين أخلصوا لمواليهم ثابت بن قطنة مولى الأزدي وفارسهم في خراسان ونصيب مولى بني مروان كان الشاعر المتعصب يرى أن الله هباه موهبة الشعر لينطق بلسان قومه كما فعل الفرزدق حين قال : محمد غناوي الزهيري.<sup>(٢)</sup>

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا وَمِثْلِي  
كانت القبائل تفخر ان نبغ فيها شاعر حتى يكون لسانها الناطق بحالها وكان الشاعر أيضاً  
يفخر بانتمائته لقبيلته ويحتمي بها وقد يتحدى بها السلطان وذلك مثلما فعل الشاعر سوار بن  
المضرب عندما تحدى الحجاج بن يوسف والأمويين بعزة قومه تميم عندما قال.<sup>(٣)</sup>  
أَتَرْجُو بَنِي مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي  
وَدُوْنِي تَمِيمَ وَالْفَلَاةَ وَرَأْيَا

١ - الاصفهاني - الأغاني ج ١ ص ٩٤

٢ - محمد بن المثنى ، النقائض ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٥٤ م ، ص ١٢٨

٣ - المبرد ، الكامل ، ج ١ ص ٣٠١

ومثله قال الفرزدق حينما طلب منه يزيد بن المهلب مدحه ومدح آل المهلب حين فتح جرجان.<sup>(١)</sup>

سأبى وتأبى لي تميم وربما  
أبيت فلم يقدّر عليّ أمير  
كان الشعراء يؤججون نار الفتنة بين القبائل كما فعل الأخطل حينما تحدى الجحاف بن حكيم  
السلمي - في مجلس عبد الملك بن مروان - بعد أن هدأت الفتنة بين قيس وتغلب أن يثار  
لمن قتل من قومه في المواقع التي دارت بين القبيلتين قاتلاً: <sup>(٢)</sup>

ألا سائل الجحاف هل هو ثائرٌ بقتلي أصيبت من سليم وعامر  
وكان الشعراء يحرضون القبائل على أخذ ثار أبنائهم حتى لو كان هؤلاء الأبناء  
مخطئون مثلما حدث مع ابن السمهري العكلي الذي كان لصا فاتكا فظفرت به فبيلة أسد  
وسلمته للسلطات فما كان من نديمه وصديقه الشاعر ابن داره الغطفاني إلا وأن حرض  
قبيلته على الثار من بني أسد وبالغ في تحريضهم حتى أنه وصفهم بأوصاف نسائية إن  
عجزوا عن ثاره حتى قاموا فأغاروا على بني أسد ومما قاله: <sup>(٣)</sup>

وإن أنتم لم تتأروا بأخيكم فكونوا نساءً للخلق وللحل  
وبيعوا الردينيات بالحلى واقعدوا على الذل وابتنعوا المغازل بالذل  
وفي بدايات العصر الأموي طلب يزيد بن معاوية من الأخطل هجاء الأنصار فاستجاب من  
فوره وقال :

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللوؤ تحت عمائم الأنصار  
فبلغ ذلك الأنصار فغضبوا ودخلوا على معاوية مهددين ومتوعدين فوعدهم بقطع لسان  
الأخطل. <sup>(٤)</sup>

في بعض الأحيان كان الشاعر يتعالى على العصبية الضيقة وينادي بها لتشمل  
قومه فيدعو العشائر التي تنتمي لقبيلة واحدة أن تتحد ضد العدو مثلما فعل القطامي التغلبي

١ - ابن سلام طبقات فحول الشعراء ص ٢٨٦

٢ - الطبري، تاريخه ، ج ٥ ص ٢٤٠

٣ - الأصفهاني، الأغاني ج ٢١ ص ٥٠

٤ - الأصفهاني، الأغاني ج ١ ص ١٠٦

حينما وقع الخصام بين قبيلتي نزار " ربيعة ومضر " وطلب منهما الصلح حتى لا تشمت بحربهما "قضاة" فقال : (١)

أَلَمْ يَحْزَنْكَ أَنَّ حَبَالَ قَيْسٍ      وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنْتَ انْقِطَاعَا  
يَطِيعُونَ الغَوَاةَ وَكَانَ شَرًّا      لِمُؤْتَمِرِ الغَوَايَةِ أَنْ يُطَاعَا  
أَلَمْ يَحْزَنْكَ أَنَّ بَنِي نَزَارَا      أَسَالَا مِنْ دِمَائِهِمَا التَّلَاعَا  
فَلَا تَبْعُدْ دِمَاءَ بَنِي نَزَار      وَلَا تَقَرَّرْ عَيْونَكَ بِأَقْضَاعَا

كان الشعراء في العصر الأموي يفخرون بأبائهم في حضرة ممدوحهم حتى وإن كانوا أمراء فقد دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فظن الأول بأن الثاني سيمدحه فقال الشاعر. (٢)

وَقَوْمٌ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطَلَّبُ عَنْدهُمْ      لَهَا تَرَّةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ  
فلما سمع سليمان الأبيات تعفر وجهه وغضب وأظهر للشاعر الجفاء والسخط. (٣) ومثله فعل يزيد بن الحكم الثقفي في حضرة الحجاج بن يوسف عندما ولاه خراسان وجاءه وافدا فتوقع الحجاج أنه سيمدحه ولكنه قال: (٤)

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي      أَنَا ابْنُ الصَّيِّدِ مِنْ سَلَفِي ثَقِيفُ  
وَمَنْ كَعْبٍ وَمَنْ كَالْحِي كَعْب      حَلَلْتُ ذَوَابَةَ الْجَبَلِ الْمَنِيفُ

فغضب الحجاج وطرده وأخذ منه الولاية لأنه افتخر برهطه وكأنه يتحداه بأنه من عشيرة أعز من عشيرة الحجاج داخل القبيلة الواحد.

وقف كثير من الشعراء مع الأمويين لوقوف قبائلهم معهم كالقبايل اليمانية بالشام مثال عدي بن الرقاع العاملي وعمرو بن مخلدة الكلبي وحكيم بن عياش الكلبي ، كلهم مدحوا الأمويين دفاعا عن مصالح قبائلهم وكانوا يوجهون لهم أعنف أنواع اللوم -لبنى أمية - إن ازوروا عنهم أو قربوا أعداءهم. (٥) وما بعدها

١ - ديوان القطامي ، تحقيق ج . بارث ، ط ١ ، لندن ، ١٩٠٢ ص ٢٧

٢ - ديوان الفرزدق المحقق علي فاعور ، دار الكتب العالمية ، ص ٢٤٠

٣ - طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ص ٥٤٧

٤ - خزنة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٥٤

٥ - التبريزي ، -شرح حماسة أبي تمام ج ٤ ص ٦٦

أما عبد الله ابن الزبير فلم يكن سخياً مع الشعراء فأعرضوا عنه ولم يكن له شاعر مخلص سوى عبد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي الأصل وقد ساء أن ينقل بنو أمية مقر الخلافة الإسلامية للشام واعتبرهم أعداءه وظل بجانب مصعب بن الزبير حتى وفاته ومما قاله فيهم. (١)

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمِيَّةَ مَرْ  
وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ  
إِنَّ قَتْلِي بِالطُّفِ أَوْجَعْتَنِي  
كَأَنَّ مِنْكُمْ قَدْ قَتَلْتُمْ شِفَاءً

شعراء الخوارج والشيعة هم الوحيدون الذين دافعوا عن مبادئهم دون التعصب لقبلية ولم يأخذوا نوالاً على أشعارهم

أشرنا في موضع سابق لاشتعال الخصومات بين القبائل اليمنية -عرب الجنوب - والقبائل المضرية -عرب الشمال وحدث أن اشتبكت قبيلة قيس المضرية وبعض القبائل اليمنية وكثرتها من كلب ووقعت بينهما موقعة تسمى " مرج راهط " انهزمت فيها قيس فاشتعلت على اثر هذه الهزيمة المعارك الكلامية بين الطرفين وقد قال زفر بن الحارث في هزيمة قومه. (٢)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةَ رَاهِطٍ  
أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لَمْ تَنْلُهَا رِمَاحُنَا  
فَقَدْ يَنْبُتُ الْمِرْعَى عَلَى دِمْنِ الثَّرَى  
فَلَا صَلْحٌ حَتَّى تَنْحَطَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَصِيبُنِ غَارَتِي  
فرد عليه جواس بن القحطل الكلبى قائلاً: (٣)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَقِيعَةَ رَاهِطٍ  
نَبْكِي عَلَى قَتْلِي سَلِيمٌ وَعَامِرٌ  
دَعَا بِسِلَاحٍ ثُمَّ أَحْجَمَ إِذْ رَأَى  
عَلَيْهَا كَأْسِدَ الْغَابِ فِتْيَانِ نَجْدَةٍ  
على زفر داء من الداء باقياً  
وذبيان مغذوراً وتبكي البواكيا  
سيوف جناب والطوال المذاكيا  
إذا شرعوا نحو الطعان العواليا و

١ - ديوان الرقيات - تحقيق رودو كاناكيس، ط١، فين، ١٩٠٢م، ص ١٧٠

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والرسول، ج ٤ ص ٤١٨

٣ - تاريخ الأمم والرسول - الطبري ج ٤ ص ٤١٨



تبادلت جميع الأطراف الهجوم ردحا من الزمن وكلما اضطربت أمور الدولة كلما اشتعلت الخصومات واشتعلت معها النقائض كانت المناقضات هي سمة غالبية على العصر الأموي وارتبطت بسائر الأغراض فقد أدخلوا العصبية في الرثاء والفخر وفي الحماسة والدفاع عن القبيلة وتناولوا كل أغراضهم من منظور عصبي حتى اننا نكاد نجزم أن العصبية لم تزدهر في عصر كما ازدهرت في العصر الأموي

النقائض: النقائض فن قديم عرفه العرب منذ الجاهلية ولكنها نضجت واستوت في العصر الأموي والنقض هو الرد فالشاعر يرد الهجوم كما يرد المحارب الطعنة ولكنها في العصر الأموي تقيدت بشروط منها التزام الشاعر الأموي بنفس القافية والبحر وأن يستقصي معاني خصمه ويردها واحدة واحدة ومن أساليب النقائض التكذيب والنفي فاذا ادعى شاعر فضيلة لقومه كذبه خصمه كما ورد في أبيات جرير والفرزدق أكثر من تناقضوا في العصر فقد قيل أنهما ظلا يتناقضان خمسة وأربعين عاما ومن أشهر نقائضهما ما قال الفرزدق: (١)

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ

فرد عليه جرير قائلا<sup>٢</sup>

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ  
بَيْتًا يُحَمِّمُ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثُ الْمَدْخَلِ

وكان بين الفرزدق والطرماح نقائض لأن كل منهم عرف بشدة عصبية القبيلة فالفرزدق

كان يهجو اليمن عامة والطرماح يهجو نزار عامة ومن أقوالهما ما جاء على لسان

الفرزدق: (٣)

لَقَدْ هَتَكَ الْعَبْدُ الطَّرْمَاحُ سِتْرَهُ وَأَصْلَى بِنَارِ قَوْمِهِ فَتَصَلَّتْ  
وَلَوْلَا حِذَارُ أَنْ تُقْتَلَ طِيَّءٌ لَمَا سَجَدَتْ لِلَّهِ يَوْمًا وَ

صَلَّتْ

نَصَارَى وَأَنْبَاطٌ يُؤَدُّونَ جَزِيَّةً سِرَاعًا بِهَا جَمَزًا إِذَا هِيَ أَهْلَتْ

١ - ديوان الفرزدق ، ص ٣٥

٢ - ديوان جرير، دار الفكر ، بيروت ، ط ٥، ١٤٠٥ هـ ، ص ٤٧٣

٣ - ديوانه ص ١٢٥

وَمَا لَقِيتَ مِنَّا عُمَانُ وَذَلَّتْ  
وَقَدْ سُبِّيتَ نِسْوَانُهُمْ

أَتَذْكُرُ شَأْنَ الْأَزْدِ مَا أَنْتَ مِنْهُمْ  
قَتَلْنَاهُمْ حَتَّى أَبْرْنَا شَرِيدَهُمْ

وَاسْتَحْلَتْ

ويُرد عليه<sup>(١)</sup>

بِمَوْلِدِهَا هَانَتْ تَمِيمٌ وَذَلَّتْ

بِأَيِّ بِلَادٍ تَطْلُبُ الْعِزَّ بَعْدَمَا

وَكَانَتْ إِذَا سَيِمَتْ هَوَانًا أَقَرَّتْ

أَقَرَّتْ تَمِيمٌ لِابْنِ دَحْمَةَ حُكْمَهُ

لِقَحْطَانِ أَهْلِ الشَّامِ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ

وَنَجَاكَ مِنْ أَزْدِ الْعِرَاقِ كِتَائِبُ

رَأَوْا نَعْلَ صَنْدِيدٍ عَنِ الْحَقِّ زَلَّتْ

بِهِمْ بَيَّضَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ كُلَّمَا

عُرِيَ الْحَقُّ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ

بِهِمْ نَصَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَأُثْبِتَتْ

أفرزت النقائض أشعارا يعجز هذا البحث عن احتوائها ولكنني قمت برصد بعض

النماذج من باب التمثيل .

العصبية القبلية في العصر العباسي : كانت العصبية سبباً أساسياً في سقوط الدولة الأموية فقد أحس الموالي بظلم الأمويين وميلهم لتفضيل العنصر العربي عليهم فقاموا بالثورة عليهم مراراً حتى نجحت ثورة خراسان التي تزعمها الفرس وأشرفوا على نجاحها واسقطوا حكم الأمويين ثم سيطروا على جميع مرافق الدولة ومفاصلها حتى الخليفة نفسه صاروا له وزراء ولم يعد العرب يرونه إلا نادراً وتمكنوا حتى عادهم الشعور بأنهم أفضل من العرب باعتبارهم أصحاب حضارات قديمة حين كان العرب بدواً يهيمنون في الصحراء ويقتتلون من أجل البقاء وظهر على إثر ذلك ما عرف " بالشعوبية " وظهرت فيه القومية واضحة جلية . أما العصر العباسي الثاني فقد سيطر عليه الأتراك وصارت الأوضاع أسوأ مما كانت عليه وتردت أوضاع في كل مناحي الحياة

حدث تبدل اجتماعي وفكري كبير تغيرت فيه أحوال الشعر كثيراً ونمت أغراض وظهرت أغراض وغابت أغراض أخرى . أما المديح فقد صار للمرأة والكرم والشجاعة وشرف النفس وعلو الهمة وأما الهجاء فانقسم لقسمين أولها السخرية والاستخفاف بالمهجو وثانيها سلب المهجو الإيجابية والمثالب الخلقية أما الوصف فقد صار للطبيعة الخلابة كوصف الربيع والحدائق والبرك وغيرها ولمظاهر الحضارة من قصور وما تحتويه . نما شعر الزهد

١ - الطرماح (ديوانه ص ١٣٩)

والحكمة وصارت الخمرة غرضاً منفصلاً يقصد لذاته وكثر شعر الغزل وتنوع فشكل التغزل بالغلطان والشعر الفاحش . ظهر الشعر التعليمي وتوسع الرثاء فشكل رثاء المدن والحدائق والحيوانات الأليفة وغيرها ، ظهر شعر الزندقة والمجون . وهكذا تبدلت أحوال الشعر وأوضاعه ووسط هذا الكم من التغيير ضاعت مكانة العصبية القبلية وحل محلها شعر الشعوبية للتعالي بين العرب والموالي خاصة الفرس ولم يبق لها باق إلا النذر اليسير في شعر بشار تعصباً لمواليه القيسيين تعصباً لمواليه بني أسد .

لم تكن عصبية أبو نواس ولا بشار كعصبية العصور السابقة فهما ممن عرفا بالشعوبية والفخر بأصولهما الحقيقية وهجا كل منهما العرب في مواضع عدة والعصر العباسي أكبر من أن نحكم عليه بشاعرين تباينت آراءهما بتباين المواقف

لم يعرف عن العصر العباسي قبلية تذكر فقد انصرف فيه الناس عن التعصب القبلي وانشغلوا عنها بمستجدات ظهرت مع العصر الجديد .

الخاتمة : في الختام أحمد الله حمداً طيباً مباركاً أن وفقني لنهاية البحث وأرجو أن أكون قد قدمت فيه ما يفيد المكتبة العربية أن يكون إضافة لدارسي الأدب وتكملة لما بدأه الباحثين من قبلي في هذا الموضوع

العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية بغیضة تسببت في خلق المشاكل بين الأفراد والقبائل ولكنها أمدت الشعر بمادة غزيرة في جميع الأغراض وكان لها نصيب كبير في شعر الحماسة والرثاء والفخر والمديح والهجاء . تأصلت العصبية القبلية في نفوس العرب منذ جاهليتهم فزادت أشعارها ثم خبت في عصر الرسول صل الله عليه وسلم فاندثرت أشعارها وبدأت في الظهور مرة أخرى في أخريات عهد الراشدين حتى وصلت ذروة مجدها في العصر الأموي فملأت أشعارها الأرض بما رحبت وبعد نهاية عصر الأمويين انشغل الناس عنها في عصر العباسيين ولم تجد لها أنصاراً فاندثرت أو كادت .

## المصادر والمراجع :

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الكامل في التاريخ - علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن تحقيق علي محمد الجذري - الطبعة الأولى المنيرية - مصر ١٣٤٩هـ
- ٣- احسان النص : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي - الطبعة الأولى - بيروت - لبنان - ١٩٦٤م
- ٤- الأخطل : أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة - الدار العلمية - ط٢ - ١٩٩٤م
- ٥- الأرزقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن عقبة الأزرق الغساني (ت ٢٥٠) - أخبار مكة وما جاء منها من الآثار - طبعة ليبزج ١٨٥٨م
- ٦- الأعشى : ميمون بن قيس - (ت ٦٢٩) ديوانه - تحقيق رودلف جابر - طبعة لندن - ١٩٢٨م
- ٧- الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني الأموي (ت ٣٥٦) - الأغاني - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٢٧م
- ٨- الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب (١٢١٦هـ) - الأصمعيات - تحقيق عبد السلام هرون - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٥م
- ٩- الآلوسي : محمد شكري الآلوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - طبعة القاهرة - ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م
- ١٠- أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي - مطبعة الاعتماد - ١٩٤٥م
- ١١- أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صل الله عليه وسلم - الطبعة الثانية - دار الفكر العربي - ١٩٦٥م
- ١٢- البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦) صحيح البخاري - طبعة أوروبا
- ١٣- البغدادي : عبد القادر بن عمر البغدادي - خزنة الأدب ولب لباب العرب - القاهرة - ١٢٩٩هـ
- ١٤- لبلازري : أحمد بن يحيى البلازري
- ١- أنساب الأشراف : تحقيق أحمد حميد الله - ط١ - القاهرة - ١٩٥٩م

- ٢- فتوح البلدان : تحقيق صلاح الدين المنجد - ط٣ - القاهرة - ١٩٥٦م
- ١٥- التبريزي : أبو زكريا يحيى علي التبريزي \_ شرح حماسة أبي تمام - تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط٤ - القاهرة ١٩٣٨م ١٤٢٢هـ -
- ١٦- الحارث بن حلزة : ديوانه - شرح أميل يعقوب - د دار الكتاب - بيروت - ١٩٦٥م
- ١٧- الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر (٢٥٥هـ)
- ١- البيان والتبيين - طبعة السندوي - القاهرة - ١٩٣٢م
- ٢- الحيوان - طبعة الحلبي - ١٩٤٥م
- ١٨- الجارم : محمد نعمان الجارم - أدباء العرب في الجاهلية - مصر - ١٩٣٢م
- ١٩- جرجي زيدان :
- ١- تاريخ آداب العربية - مطبعة دار الهلال - القاهرة - ١٩٣٦م
- ٢- تاريخ التمدن الاسلامي ج٤ - مطبعة الهلال - ١٩٢٧م
- ٣- العرب قبل الاسلام - راجعه حسن مؤنس - ط١ - القاهرة
- ٢٠- جرير : جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي - دار الفكر - بيروت - ط٥ - ١٤٠٦هـ
- ٢١- ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب - المحبر- تحقيق اينزة شتير - حيدرآباد ١٩٤٢م
- ٢٢- ابن أبي الحديد : ابن أبي الحديد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله - شرح نهج البلاغة - القاهرة ١٣٢٩هـ -
- ٢٣- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب - ط١ - دار المعارف القاهرة ١٩٤٨م
- ٢٤- الحطينة: ديوانه : تحقيق تعمان أمين طه - شرح بن السكيت وآخرين - القاهرة - ١٩٥٨م
- ٢٥- الحموي :- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي معجم البلدان - ج٧ - لبرج ١٨٩٠م
- ٢٦- ابن خلدون : الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي - تاريخه - تحقيق علي عبد الواحد وافي - ط٣ - القاهرة - ١٩٣٢م

- ٢٧- ابن دريد : أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد -- الاشتقاق : تحقيق عبد السلام هرون  
طبعة جوتنجن ١٨٥٤م
- ٢٨- الدينوري : أبو حنيفة أحمد ابن داؤود الدينوري -الأخبار الطوال - تحقيق فالدмир  
جرجاس ط٢-١٨٨٨م
- ٢٩- الذهبي : سيرة أعلام النبلاء - تحقيق صلاح الدين المنجد - دار المعارف - القاهرة  
- ١٩٥٧م
- ٣٠- الرقيات : عبيد الله بن قيس الرقيات - ديوانه تحقيق رودوكاناكيس - ط١- فين  
١٩٠٢م
- ٣١- الزوزني : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني -شرح المعلقات  
السبع - لجنة التحقيق في الدار العالمية ١٩٩٣م
- ٣٣- زهير بن أبي سلمى : زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح المزني -ديوانه - شرح أبو  
العباس ثعلب - ط١-القاهرة ١٩٤٤م
- ٣٤- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الأمم والملوك - مطبعة  
الاستقامة - القاهرة - ١٩٣٧م
- ٣٥- الطرماح : الطرماح بن حكيم - ديوانه - تحقيق كرنكو - لندن - ١٩٢٧م
- ٣٦- عمرو بن كلثوم : تحقيق أميل بديع يعقوب - ديوانه ، شرح أميل يعقوب ، دار الكتاب  
بيروت ١٩٦٥م
- ٣٧- عنتره : عنتره بن شداد العبسي - مطبعة الأدب لصاحبها أمين الخوري -بيروت  
١٨٩٣م
- ٣٨- غوستاف لوبون : حضارة العرب - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة
- ٣٩- الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي -المحقق علي فاعورة ، دار  
الكتب العالمية ،
- ٤٠- ابن قتيبة : ١-الشعر والشعراء - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٤م  
٢-عيون الأخبار -دار المعارف - القاهرة ١٩٢٥م  
٣-المعارف المكتبة الاسلامية - القاهرة - ١٩٣٤م
- ٤١- القطامي : ديوانه - تحقيق ج . بارت - ط١- ليدن - ١٩٠٢م

- ٤٢- ابن كثير : اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تفسير ابن كثير - المحقق سامي محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- ٤٣- لبيد : لبيد بن ربيعة العامري - ديوانه - تحقيق هوير - ليدن - ١٨٩١م
- ٤٤- المبرد: أبو العباس المبرد الكامل في اللغة والأدب - القاهرة - ١٣٠٨هـ
- ٤٥- المثنى : أبو عبيدة محمد بن المثنى التميمي - نقائص جرير والفرزدق - تحقيق بيفان - ليدن ١٩٠٥م
- ٤٦- المرزوقي : شرح ديوان الحماسة - ج٢ - مطبعة لجنة التحقيق والترجمة ١٩٥١م
- ٤٧- مزاحم : نصر بن مزاحم المنقري - وقعة صفين - تحقيق عبدالسلام هرون - القاهرة - ١٣٦٥هـ
- ٤٨- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر - مطبعة باريس - ١٨٧٧م
- ٤٩- مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٧م
- ٥٠- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي - دار المعارف المعارف - القاهرة - ١٤٣١هـ
- ٥١- النابغة : " ديوانه " تحقيق عبد الرحمن سلام - بيروت - ١٩٢٩م
- ٥٢- النويري : أحمد بن عبد الوهاب النويري شهاب الدين - نهاية الأرب في فنون الأدب - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٢٩م
- ٥٣- الهمذاني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود - صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد بن عبد الله بليهد النجدي - القاهرة - ١٩٥٣م
- ٥٤- اليعقوبي : أحمد ابن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب - تاريخه - دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٩٩م .



## رفع الروح المعنوية

### دراسة تربوية تحليلية

د/ حافظ عبدالرحمن بشارة تبين

خبير تربوي - شمال دارفور - السودان

#### المستخلص:

يهدف الباحث من خلال الدراسة إلى بيان أهمية الروح المعنوية، وكيفية رفعها من خلال الأصول التربوية الإسلامية. والهدف الثاني هو توضيح العلاقة بين الروح والنفس والقلب والفروق الجوهرية بينها، والوظائف التي تؤديها للإنسان ليقوم بدورها في الحياة، ذلك أن الإسلام قد يربي في الإنسان ضميراً حياً يوجه سلوكه نحو الإيمان بالله تعالى. والهدف الثالث والأخير هو كيفية رفع الروح المعنوية معتمداً على أسس التربية الإسلامية. وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتكامل منهجية البحث بين الوصف والتحليل والاستنباط بغرض الإجابة عن أسئلة الدراسة، وذلك لبيان الكيفية التي يتم من خلالها رفع الروح المعنوية بالاعتماد على الأصول التربوية الإسلامية، وتوصلت الدراسة إلى أن الإسلام جاء بمنهاج شامل في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، يربي فيهم ضميراً حياً نابضاً، لأن الضمير هو الرقيب على نفس الإنسان فإذا تبلد الضمير، أصبح الإنسان كالحيوان تبلد معه الشعور، ونامت الفضيلة، والنخوة لديه، فتربية الضمير تكون بحسن التوجيه. ويوصي الباحث بضرورة الالتزام بتطبيق الأسس التربوية الإسلامية لرفع المعنوية لدى أبناء الأمة.



## Abstract

Through the study, the researcher aims to show the importance of morale, and how to raise it through Islamic educational principles. The second goal is to clarify the relationship between the soul, soul, and heart, and the essential differences between them, and the functions they perform for a person to perform his role in life, because Islam may raise in a person a lively conscience that directs his behavior towards belief in God Almighty. The third and final goal is how to raise morale based on the foundations of Islamic education. In this study, the researcher used the descriptive analytical approach to integrate the research methodology between description, analysis and deduction in order to answer the questions of the study, in order to show the way through which the morale is raised by relying on Islamic educational principles, and the study concluded that Islam came with a comprehensive curriculum in the education of souls. The upbringing of generations raises in them a lively and vibrant conscience, because the conscience is the watchdog over the human soul. If the conscience becomes dull, the human becomes like an animal, with it feeling dull, and virtue and chivalry slumber in him, so raising the conscience is with good guidance. The researcher recommends the need to adhere to the application of Islamic educational foundations to raise the morale of the nation's children.

## المقدمة:

إن الاستقرار النفسي والشعور بالأمن والسكينة والطمأنينة من أعظم النعم التي أنعمها الله علي عباده المؤمنين ؛ حيث يتمتعون بروح معنوية عالية وذلك لأنهم أسلموا أمرهم لله، فوجدوا العلاج النفسي لعلهم وأمراضهم، ومن هنا فالإيمان والعمل الصالح أثر كبير في تقويم الإنسان في الحفاظ علي اعتداله في تصرفاته، وعلي اتزانه في عواطفه وانفعالاته، لقوله تعالى: (لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختار فخوراً) (١)

فالإيمان هو سبيل إلي كشف الهم، والذهاب بالحزن عن المؤمن. لذا فقد بحث العلماء في المعاني المشتركة لمعني الإنسان الذي اعتبروه أنه مجرد تفاعلات بيولوجية إنما هو جسد وروح، وهو قلب وعقل، وعواطف وجوارح. فقد بوأه الله سبحانه وتعالى المكانة الكريمة اللائقة وميزه عن جميع الكائنات تمييزاً بيناً، فمنحه عقلاً يهديه إلي من خلقه في أحسن تقويم، وصيره بشراً سوياً ، يعمل الصالحات وينبذ السيئات، يعبد الله، ولا يشرك به شيئاً، ويسهم في إقامة مجتمع كريم فاضل، تسوده الرحمة والمحبة، ويظلمه الخير والسلام، وعمارة الكون كله، إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

## الإطار النظري:

### أولاً: معني الروح المعنوية وعلاقتها بالنفوس والقلب.

#### • لفظ (الروح) في القرآن الكريم:

الروح من الألفاظ التي خاض الناس في تعريفها، وبيان طبيعتها، وتخطب الفلاسفة في تحديد ماهيتها، والوقوف علي حقيقتها وهي في النهاية من المعاني التي استأثر الله بعلمها، ولم يجعل للإنسان سبيلاً إلي معرفتها، عرف ذلك من عرف، وجهله من جهل، وكابر فيه من كابر، قال الله تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). (٢).

وتخبرنا معاجم اللغة العربية عن مادة (الروح) بأنها أصل كبير مضطرد يدل علي سعة وفسحة وإطراد. وأصل ذلك كله الريح، وأصل (الياء) في الريح (الواو) ؛ وإنما قلبت

١ . سورة الحديد: الآية (٢٣)

٢ . سورة الإسراء: الآية ٨٥

ياء لكسرة ما قبلها، و (الروح) بضم الراء المشددة: ما به حياة الانفس، يؤنث ويذكر، ويجمع علي (أرواح).

ولفظ (الروح) ورد في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعاً، وردت جميعها بصيغة الاسم، من ذلك قوله تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره)<sup>(١)</sup>.

ولم يرد لهذا الاسم صيغة فعلية في القرآن. أما قوله تعالى: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)<sup>(٢)</sup>، فهو مأخوذ من راح يروح: إذ رجع وهو مقابل ل(غدا يغدو): إذا ذهب، وعلي هذا أيضاً قوله تعالى: (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر)<sup>(٣)</sup>.

ولفظ (الروح) ورد في القرآن الكريم علي عدة معانٍ، نذكر منها:

- الروح بمعنى (الحياة التي يكون بها قوام الكائنات)، ومنه قوله تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)<sup>(٤)</sup>، فسر (الروح) في الآية هنا علي أنه العنصر المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان، قال الشوكاني: اختلف الناس في الروح المسؤول عنه، فقيل: هو الروح المدير للبدن الذي تكون به حياته، في معني الآية، ثم قال: " والظاهر القول الأول، يعني ما تقدم ".
- والروح بمعنى (القرآن والوحي)، ومنه قوله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)<sup>(٥)</sup>. قال ابن كثير يعني القرآن. ونحو قوله تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره)<sup>(٦)</sup>، قال القرطبي: الروح الوحي.
- الروح بمعنى (ملك من الملائكة)، ومنه قوله تعالى: (يوم يقوم الروح والملائكة صفا)<sup>(٧)</sup>، قيل في معني الآية: إنه ملك من الملائكة، وقد نقل الطبري أقوالاً آخر في الآية بيد أنه لم يقطع بواحدٍ منها. ومال ابن كثير إلي أن يكون المقصود ب(الروح) في الآية: بني آدم.

١ . سورة النحل: الآية ٢

٢ . سورة النحل: الآية ٦

٣ . سورة سبأ: الآية ١٢

٤ . سورة الإسراء: الآية ٨٥

٥ . سورة الشورى: الآية ٥٢

٦ . سورة النحل: الآية ٢

٧ . سورة النبا: الآية ٣٨

- الروح بمعنى (جبريل) ومنه قوله تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك) <sup>(١)</sup> يعني جبريل عليه السلام. ومن هذا القبيل قوله تعالى: (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) <sup>(٢)</sup>، قال الطبري: الروح في هذا الموضع: جبريل.
  - الروح بمعنى (النصر) ومنه قوله تعالى: (وأيدناهم بروح منه) <sup>(٣)</sup>. قال الشوكاني: "قواهم بنصر منه علي عدوهم في الدنيا، وسمي نصره لهم روحاً لأن به يحيا أمرهم، وقيل: (الروح) في الآية هنا بمعنى: "البرهان".
  - الروح بمعنى (الرحمة) ومنه قوله تعالى: (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) <sup>(٤)</sup>، قال قتادة: "أي من رحمة الله"، ومن هذا القبيل قوله تعالى: (وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه) <sup>(٥)</sup>، قيل في معنى الآية: معناه في في هذا الموضع: ورحمة منه قالوا: فجعل الله عيسى عليه السلام رحمة منه علي أتباعه وآمن به وصدقته؛ لأنهم هداهم إلي سبيل الرشاد، وهذا علي قول في معنى الآية.
  - الروح بمعنى (الراحة من الدنيا) ومنه قوله تعالى: (فروح وريحان وجنة نعيم) <sup>(٦)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: "فراحة من الدنيا" وقال الشوكاني: "الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها".
  - الروح بمعنى (القدرة الإلهية علي الخلق) ومنه قوله تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) <sup>(٧)</sup>، أي: أن الإنسان مخلوق من خلق الله وكائن بقدرته.
- هذه أهم المعاني التي ورد عليها لفظ (الروح) في القرآن الكريم، والمهم في هذا السياق أن ندرك أن معرفة حقيقة (الروح) ليس لأحد من سبيل إليها بل هي مما اختص الله سبحانه بعلمها، ولعل الحكمة من اخف عليها عن المخلوقات، أنه يتكامل الإنسان ويتحقق أن

١ . سورة النحل: الآية ١٠٢

٢ . سورة البقرة: الآية ٨٧

٣ . سورة المجادلة: الآية ٢٢

٤ . سورة يوسف: الآية ٨٧

٥ . سورة النساء: الآية ١٧١

٦ . سورة الواقعة: الآية ٨٩

٧ . سورة الحجر: الآية ٢٩

الروح التي جعل الله بها الحياة والراحة والقوة والصورة والحس والحركة والفهم والفكر والسمع والبصر..... هي من أمر الله، وهو يباشرها ويعايشها مدة حياته، وطول عمره، ومع ذلك لا يصل علمه إلى شيء من كنه حقيقتها وإدراك معرفتها، فكيف يطمع في الوصول إلى حقيقة خالقها وبارئها، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١).

### • تعريف النفس في القرآن الكريم:-

لفظ النفس في القرآن الكريم يرد بمعنى ذات الإنسان التي تشمل بدنه وروحه، لقوله تعالى: (يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً) (٢)، وقال تعالى: (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) (٣)، وقوله عز وجل: (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) (٤)، وقوله تعالى: (علمت نفس ما أحضرت) (٥)، وقوله تعالى: (ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) (٦)، وقد ترد كلمة النفس بمعنى الروح كما في قوله قوله تعالى: (ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تحزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) (٧)، كما وردت أيضاً بمعنى نازع الشر في الإنسان، ومصدر الأعمال السيئة وموطن الصفات الوخيمة فيه، كما في قوله: (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) (٨)، وقوله تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٩).

وهناك معنى آخر للنفس هو ما يراد به النفس في اصطلاح علماء النفس المسلمين، ورد أيضاً في القرآن الكريم. فقد ورد لفظ النفس في الأحاديث النبوية بالمعاني الثلاثة آتفة الذكر، فقد ورد المعنى الأول في قوله صلي الله عليه وسلم: "... إن روح

١ . سورة الانعام: الآية ١٠٣

٢ . سورة النساء: الآية ١

٣ . سورة المائدة: الآية ٣٢

٤ . سورة الفرقان: الآية ٦٨

٥ . سورة التكاوير: الآية ١٤

٦ . المائدة: الآية ٢٥

٧ . سورة الأنعام: الآية ٩٣

٨ . سورة المائدة: الآية ٣٠

٩ . سورة الحشر: الآية ٩

القدس، نفس في روعي لن تموت نفس حتي تستكمل رزقها فاتقوا الله في الطلب " (١). والمعني الثاني في قوله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ الميت إذا خرجت نفسه يعرج بها إلي السماء حتي ينتهي بها إلي السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء يعرج بها إلي السماء فإنه لا يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير إلي القبر" (٢). والمعني الثالث في قوله صلى الله عليه وسلم: " أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك " (٣).

أما النفس في تعريفات علماء النفس تعني الروح عند اتصالها بالجسد، واكتسابها أوصاف الجسد. فالروح هي نفخة من روح الله، وبها تكون حياة الجسد. وبما أن الروح روح الله فهي لا تتصف إلا بصفات الكمال فهي موصوفة بكل صفة كريمة، وهي مبعث الاخلاق الفاضلة الحميدة، ولا تسكن الروح الجسد إلا بعد اكتمال خلقه، فبعد اكتمال خلق آدم عليه السلام نفخ الله فيه من روحه (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٤)، وعند اكتمال خلق الجنين في بطن أمه يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعون يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح " (٥) <٤> ويبقي الجنين ذا روح ما دام حياً في بطن أمه. تلك الروح هي لمة <٥> الملك (٦)، التي لا تأمره إلا بالخير، وهي مصدر الصفات الكريمة، والأخلاق المحمودة فيه، من جود، وحلم، وعفاف، ووفاء، وعقل، وهي نازع الخير فيه. ومتى تم وضعه كان ميلاده علي الفطرة، وعند ميلاده يمسه الشيطان الذي يوسوس في صدره فتصبح عنده لمة الشيطان (٧)، <٦> التي تأمره بالسوء والفحشاء، فهي نازع الشر فيه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها " (٨). <٧> فإذا شب

١ . رواه الحاكم والطبراني والبخاري والبيهقي.

٢ . رواه أحمد وغيره.

٣ . رواه البيهقي.

٤ . سورة الحجر: الآية ٢٩

٥ . رواه البخاري ومسلم.

٦ . المرجع نفسه.

٧ . لمة: هي همة وفطرة في القلب.

٨ . علم النفس الإسلامي (أحمد محمود طه — الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر — ص ١١٤).

المولود وسعى في مصالح الجسد واكتسب روحه أخلاقاً، وأوصافاً لم تكن فيها ؛ إنما اضغاثها عليها حرص المولود علي مطالب الجسد المخلوق من طين، وعشقه للذات الجسد وسعيه لرفع المضار عنه سميت الروح نفساً، فالروح إذاً هي النفس في جوهرها العلوي الخالص النقي، الذي لم تدنسه مطالب الجسد، ولم تشوبه شوائب المادة، والنفس هي الروح في عالم المادة، الساعية في رغبات الجسد، والتي يتنازعها قوة تشدها إلي عالمها الأصلي الملائكي وقوة تجذبها إلي عالم الأرض المادي الحيواني. فالروح هي النفس في معناها المعنوي، والنفس هي الروح في معناها المادي.

ويتميز هذا النفس جانبان: جانب الروح التي بها حياة البدن فهي منبع الحياة، ومحل الأخلاق المحمودة، ومصدر الصفات الحميدة، من عفاف وحلم وكرم ووفاء، وهي موطن الحب والكراهية مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (الأرواح جنود مجندة ما تفارق منها انتلف، وما تناكر منها اختلف)<sup>(١)</sup>، وبالجملة فإن الروح ينسب إليها كل مظاهر الغنسان ونشاطاته الروحية كالوعى، والإدراك والإرادة، ويعزى إليها القيم العليا، كالإيمان بالله، والخير والبر والرحمة والحق والجمال، ومن خصائصها كل أمر معنوي، لا تدركه الحواس، وإنما تدرك آثاره الظاهرة في الواقع المحسوس، كالعواطف، والصدق، والعدل، والمودة، والإخاء، والروح إلهية ومتحررة من سلطان البدن، ولا يدرك كنهها إلا الله سبحانه وتعالى، ومن متعلقات الروح القلب الذى سنشير إليه من التفصيل فيما بعد.

أما الجانب الآخر من النفس البشرية فهو النفس التي هي شر محض، وهي مركز الشهوة والدوافع الفطرية، الأخلاق المذمومة، وموضع نظر الخلق، مصداقاً لقوله تعالى: (وأحضرت الأنفس الشح)<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء)<sup>(٤)</sup>.

١ . رواه البخاري.

٢ . سورة النساء: الآية ١٢٨

٣ . سورة الحشر: الآية ٩

٤ . سورة يوسف: الآية ٥٣

وقد أطلق علي النفس البشرية لفظ النفس من باب إطلاق البعض علي الكل ؛ ولأن خصائصها هي الغالبة في كثير من الأحيان، وصفاتها هي التي جبل عليها كثير من البشر. وعلاقة النفس بالروح تكمن في سيطرتها علي القلب<sup>(١)</sup>.

• القلب:-

هناك معنيان للقلب، أولهما: القلب الجسماني، أو الصوري وهو العضلة التي في القفص الصدري، ووظيفتها ضخ الدم إلي سائر أجزاء الجسم. وثانيهما: القلب الروحاني، أو القلب الحقيقي وهو الذي بينه لفظ القلب في علم النفس الإسلامي.

ويعرف أبو حامد الغزالي القلب بأنه: لطيفة ربانية روحانية، لها بالقلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، وهو العالم بالله، وهو المكاشف بما عند الله، وله استعداد للمعرفة بدون حاجة إلي جراحة من الجوارح، وإنما يستخدم القلب الجوارح كآلات، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من خير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما ينتشر علي الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد علي الله وإنما الساري إلي الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه<sup>(٢)</sup>.

فالقلب هو لطيفة إلهية مرتبطة بالروح، والروح من أمر الله وهو مكان الوجدان، والعقل والعواطف المختلفة في الإنسان، وهو محل المعارف ومركز المعرفة، والعلم بالله سبحانه وتعالى، والعلم في القلب لا يأتي ولا يكتسب عن طريق وسائل المعرفة فهو إما مركز فيه كالإيمان بالله، أو مكتسب باستشراق النفس إلي العلوم الدنيوية ووسيلتها إلي ذلك الرياضة الروحية، ومداومة الذكر. والقلب هو وسيلة الإدراك وهذا الإدراك يختلف عن الإدراك الحسي الذي وسائله الحواس الخمس (اللمس والبصر والشم والذوق) ومحلّه العقل فالحواس الخمس هي وسائل المعرفة العقلية، وهي عن طريقها يتعلم الإنسان ويختزن المعلومات، أما إدراك القلب فيعرف بالبصيرة ولا يعتمد إدراك القلب علي الحواس، بل إن القلب لا يدرك إلا إذا تحرر من سلطان النفس وأضحى صافياً من شوائب الحس، إذ إن

١ . علم النفس الإسلامي، أحمد محمد طه المكي، الدار المصرية السعودية للنشر ٢٠١١، ص ٢-٣

٢ . أحياء علوم القرآن ج٣، باب شرح عجائب القلب



الشهوات والميل وهوى النفس والذنوب والآثام تطمس نور البصيرة، وتظلم القلب وتغطيه بالرين (كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون)<sup>(١)</sup>.

إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتي تعلو قلبه، فهو الران الذي قال الله تعالى: (كلا بل ران علي قلوبهم ما كان يكسبون)<sup>(٢)</sup>، كما أن الحواس قد تحجب القلب عن الإدراك (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة مما أغني عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء)<sup>(٣)</sup>.

وإدراك القلب لا يتوقف علي الحواس مع أن الحواس قد تكون نوافذ للقلب يطل عليها الحقائق، ودليله إلي مواضع الاعتبار والفهم والهداية. ويختلف إدراك القلب لما تمده به الحواس عن إدراك العقل فإدراك العقل حسي غايته اتساع معرفة الإنسان، بينما إدراك القلب روحي معنوي غايته العبرة والتدبر والهداية، فالمرء قد تسهم حواسه الخمس وجوارحه ولكن يعمي قلبه فلا يوجهه لمعرفة الحق، والنظر في دلائله فهو يبصر ويسمع وتفيض حواسه علي عقله معارف لا تكاد تنتهي ويدرك منها ما يستوعبه عقله إلا أنه ينظر إلي ما خلق الله تعالى نظرة اعتبار، ولا يبصر آيات الكون بعين البصيرة ولا يسمع آيات الله وذكره ومواعظه سماع تأمل وتذكر، ولا ينفذ إلي المعاني والأسرار الخفية ولا يكلف نفسه النظر خلق ظواهر الامور، فهو في جانب النفس سميع بصير وفي ميزان العقل عالم مدرك وفي جانب الروح أصم وأعمى، وفي ميزان القلب جاهل غافل لا يعقل (فغنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك الأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: (وإن تدعوهم إلي الهدى لا يسمعونوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون)<sup>(٦)</sup>.

١ . سورة المطففين: الآية ١٤

٢ . سورة الأحقاف: الآية ٢٦

٣ . سورة الحج: الآية ٤٦

٤ . سورة الأعراف: الآية ١٧٩

٥ . سورة البقرة: الآية ١٧١

٦ . سورة الأعراف: الآية ١٩٨

وبالمقابل فإن المرء قد يفقد حاسة من حواسه، كحاسة البصر فيفقد عقله من المعارف ما لا يتم تحصيله إلا عن طريق حاسة البصر، ولكن يظل عقلاً فقيهاً وقلبه مبصراً (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من أستغني فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهي)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)<sup>(٢)</sup>، وقد ترقى حواس المؤمن بنور البصيرة فيسمع بالله ويبصر بالله (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)<sup>(٣)</sup>.

والقلب هو موطن العقل، والفهم والهداية و التدبر والاعتبار، فهو الذي يعقل المعارف التي تقد إلي العقل عن طريق الحواس، وهو الذي يدرك الحقائق الكونية، وهو مكان إدراك الحقائق الميتافيزيقية (إن ذلك لذكرى لمن كان له قلب)<sup>(٤)</sup> <٤>، وقال تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها)<sup>(٥)</sup> <٥>، وقال تعالى: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)<sup>(٦)</sup>.

والقلب هو محل العلم النافع الموصل إلي الله سبحانه وتعالى، (العلم علماً: علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم علي اللسان فذلك حجة علي ابن آدم)<sup>(٧)</sup>.

والقلب هو المحاسب والمسؤول أمام الله سبحانه وتعالى: (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور)<sup>(٨)</sup>، وهو مكان النية التي تصح بها الاعمال وتقبل من الله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)<sup>(٩)</sup>، وهو المعذب بعذاب الله (نار الله الموقدة التي تطلع علي الأفئدة)<sup>(١٠)</sup>، والفؤاد لفظ مرادف للقلب في القرآن الكريم والقلب هو محل الحب والكراهية

١ . سورة عبس: الآيات ١ — ١٠

٢ . سورة الحج: الآية ٤٦

٣ . رواه البخاري

٤ . سورة ق: الآية ٣٧

٥ . سورة الأعراف: الآية

٦ . سورة الملك: الآية ٦

٧ . الترغيب والترهيب: للمنزري ص ٩

٨ . سورة العاديات: الآيتان ٩ — ١٠

٩ . سورة البقرة: الآية ٢٢٥

١٠ . سورة الهمة: الآيتان ٦ —

(يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: (لقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر)<sup>(٢)</sup>، وهو منبع الصفات الدفينة والخصال السيئة، وإنما الجوارح والأعمال دليل على القلب (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)<sup>(٣)</sup>.

ولا يدرك ماهية القلب إلا الله لأنه متعلق بالروح، والروح من أمر الله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)<sup>(٤)</sup>، ومكان القلب الصدر (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)<sup>(٥)</sup>، وهو ذو علاقة معنوية بالقلب الجسماني لا ندرك كنهها.

وكما أن في سلامة القلب الجسماني سلامة للجسم، فإن في صلاح القلب صلاح النفس (ألاً وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألاً وهي القلب)<sup>(٦)</sup>.

• العقل: العقل له مدلولان: فقد يقصد بالعقل الغريزة التي تهى للإنسان إدراك العلوم النظرية، وهو استعداد النفس البشرية بالفطرة لتلقي العلوم التي تميز الإنسان عن الحيوان وزواله هو الجنون، وهذا المعنى هو الذي نقصده عندما نشير إلى العقل. أما المدلول الآخر للعقل فهو ما يعنيه لفظ العقل في علم النفس الإسلامي ويقصد به البصيرة، وهي الصفة الباطنة للنفس التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات وبها يدرك حقائق الأمور، وهي نور القلب الذي يبصر به الحقائق الإلهية وبها يملك القدرة على معرفة عواقب الأمور، وبها يقرر قدر الأشياء النافعة والضارة في الدنيا والآخرة، ومحل هذا العقل القلب وكماله معرفة الله سبحانه وتعالى وبزواله يصبح المرء غير عاقل عن الله سبحانه وتعالى، وإن تركز المجانين بالعقل<sup>(٧)</sup>.

١ . سورة التوبة: الآية ٨

٢ . سورة آل عمران: الآية

٣ . رواه مسلم

٤ . سورة الإسراء: الآية ٨٥

٥ . سورة الحج: الآية ٤٦

٦ . رواه البخاري

٧ . علم النفس الإسلامي، مرجع سابق ص ١٤

وكي ندرك الفرق بين وظيفة العقل ووظيفة القلب نقول إن العقل هو غريزة منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان، مميزاً إياه عن سواه من الكائنات ووظيفة العقل هي معرفة الأشياء الحسية الخارجية، وفيه ملكة التفكير والقدرة على التعلم، واكتساب الخبرة والمعارف التي تعطيها للحواس وفقدان العقل أو فقدان القوى العقلية هو الحمق والجنون، أما القلب فهو نور إلهي يجعل الإنسان يدرك الحكمة الإلهية الباطنة في هذا الكون عندما يتفكر الإنسان ويتدبر في معطيات هذا الكون.

والعقل يدل الإنسان على ما هو ضار وما هو نافع، سواء عن طريق العلم الغريزي أو العلم المكتسب، فإذا سلم قلبه اختار الإنسان ما هو نافع لدنيائه وآخرته. فالعقل يميز بين الخير والشر والقلب يختار الخير أو الشر، والعقل يتأمل في الطبيعة وفي الكائنات وفي الإنسان، ويعمل ليكتشف أسرار الكون والقلب هو الغريزة النورانية التي يهتدي به إلى الحكمة في مخلوقات الله، وإلى ما وراء هذا الكون وتتسع معرفة العقل بالوحي الإلهي ومعرفة الله سبحانه وتعالى وتطهير القلب من الذنوب والآثام، والبعد عن الغفلة والنسيان بمداومة الذكر. والعقل يكتسب معارف من الحواس والجوارح بينما بواعث القلب وإرادته هي التي تسخر الجوارح والحواس<sup>(١)</sup>.

والعقل هو المهيمن على الجسم، والقلب هو مركز اليقين والاعتقاد وخالصة القول أن القلب هو نور العقل الذي ينفذ إلى ما وراء المعرفة الحسية التي يدركها العقل، ويدرك ما وراء المدركات الحسية وفقدان العقل هو الجنون وموت القلب وانطماس نور بصيرته هو الكفر. والقلب هو الذي يختار سلوك الفرد بين أنماط السلوك المختلفة وهو الضمير الحي اليقظ الذي يتواضع لله ويخشاه، والقلب القاسي هو الغافل الناسي الذي يسلك سلوكاً مغايراً لفطرة الله، والقلب السليم هو الفطرة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)<sup>(٢)</sup>.

- الفطرة: الفطرة السليمة هي الإيمان بالله، فالإيمان بالله تعالى مركز في النفس بالفطرة (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)<sup>(٣)</sup>، فالفطرة التي فطر الله الناس عليها هي شهادتهم له سبحانه وتعالى بالوحدانية

١ . المرجع نفسه: ص ١٤١

٢ . سورة الشعراء: الآية ٨٨ — ٨٩

٣ . سورة الروم: الآية ٣٠

عندما قبض الحق عزَّ وجلَّ علي ظهر آدم واستخرج منه بنيه في عالم الذر وأشهدهم علي أنفسهم وأخذ ميثاقهم علي ذلك (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)<sup>(١)</sup>.

صار كل مولود يولد علي الفطرة ويبقي عليها حتي يصل مرحلة البيان، وأضحى الإيمان هو الذي يحدد الهيئة الاجتماعية النفسية للإنسان فإذا ورد الإيمان ذلك النور الإلهي علي باطن الهيئة الاجتماعية النفسية للإنسان الذي هو القلب، وعلي ظاهرها الذي هو النفس وتمكن القلب والنفس صارا قائلين للإيمان والإسلام ولأحكام الله وشرعه وأمره، ونهيه ومقبلان علي قبولها، والعمل بموجباتها والتي هي أداء الواجبات وترك المحرمات والشبهات والانحرافات. ولكن نشأة الإنسان الدنيوية الحسية قد تقتضي ميل النفس وانحرافها عن هيئتها الاجتماعية النفسية (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)<sup>(٢)</sup>، وتجذبها طبيعتها الحيوانية فتبتعد عن الفطرة السليمة، فيأتي الوحي ليذكرها بميثاقها ويحي هوات القلب ويضيئه بنور الإيمان، وينتشلها من عالم الغفلة والنسيان (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا)<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: (أو من في الظلمات ليست بخارج منها)<sup>(٤)</sup>.

ولذا سمي الوحي روحاً لأنه يحي القلب والنفس بنور الإيمان كما يبعث الروح الحياة في الجسد، وكان الكفر قوتاً لحجية القلب من الاستنارة بنور الإيمان.<sup>(٥)</sup> ويمكن أن نخلص إلى المعاني الآتي:

١ - النفس: بمعنى الروح ومنه قوله تعالى: (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم)<sup>(٦)</sup>.

١ . سورة الأعراف: الآية ١٧٢

٢ . رواه البخاري

٣ . سورة الشورى: الآية ٥٢

٤ . سورة الأنعام: الآية ١٢٢

٥ . المرجع نفسه، ص ١٤٢

٦ . سورة الأنعام: الآية ٩٣

٢- النفس: بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً لقوله تعالى: (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)<sup>(١)</sup>.

٣- النفس: بمعنى القوة المفكرة في الإنسان لقوله تعالى: (وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)<sup>(٢)</sup>.

٤- النفس: بمعنى القلب وما يتصل به من الصدر والفؤاد وغيرهما لقوله تعالى: (فأسرها يوسف في نفسه ولم يعدها لهم)<sup>(٣)</sup>.

٥- النفس: بمعنى قوة الخير والشر في الإنسان لقوله تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا يمكن تحديد تعريف النفس بأنها: (شيء داخلي في كيان الإنسان لا تدرك ماهيته، قابل للتوجيه إلى الخير أو الشر وجامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آياتها في السلوك الإنساني)<sup>(٥)</sup> <٧>.

والنفس بهذا المعنى تشمل الروح والقلب وكل ما في الإنسان من قوى الإدراك التي يميز بها الخير والشر.

#### • علاقة القلب بالنفس والروح:

يتنازع جانباً الروح والنفس والقلب، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فأبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فأبعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)<sup>(٦)</sup>. وقال تعالى: (الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء)<sup>(٧)</sup>.

١ . سورة لقمان: الآية

٢ . سورة النمل: الآية ١٤

٣ . سورة يوسف: الآية ٧٧

٤ . سورة النازعات: الآية ٤٠ — ٤١

٥ . منهج الإسلام في تزكية النفس، أنس أحمد كرزوي — دار ابن فرح — بيروت ص ١٦

٦ . البداية النهاية، لابن كثير، ١، ٢

٧ . سورة البقرة: الآية ٢٦٨

ويحسب الجانب الغالب على القلب: جانب الروح، أو جانب النفس تكتسب النفس صفتها وتتمايز فيها ثلاثة أحوال وتأخذ اسمها من الحال التي تغلب عليها، فهي إما أمانة بالسوء أو لؤامة أو مطمئنة.

— النفس الأمانة بالسوء:

النفس الأمانة بالسوء هي التي وصفها الله تعالى بقوله: (إن النفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي)<sup>(١)</sup>، وهي النفس المذمومة التي يسيطر عليها جانب النفس، في صورته الأصلية الخالصة فهي تركت إلى طبيعة النفس الحيوانية، وتردها جبلتها إلى أسفل سافلين، فهي لا ترقى في معارف الروح، وتأمر بكل سوء إذ إن قرينها الشيطان ويتملكها الشر الكامن في جانب النفس، والذي يوجب سيئات الأعمال، والقلب فيها مظلّم لا يغشاه النور، ولا المعرفة ويسيطر عليه دواعي النفس والشهوة، وتنسلخ عن الفضائل الإنسانية وينحدر صاحبها إلى حضيض البهائم، ويصير إنساناً بالرسم والصورة، وشيطاناً من شياطين الأنس: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول عزوراً)<sup>(٢)</sup>. قال الجرجاني في تعريف النفس الأمانة (هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر بالذات والشهوات الحية، وتجذب القلب إلى جهة السفلية، فهما مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة).

وقال ابن القيم في مدراج السالكين: (من عرف حقيقة نفسه زما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وإن كل خير فيها فبفضل من الله من ربه عليها)<sup>(٣)</sup>، ويستطرد قائلاً: (النفس الأمانة تجعل صاحبها يقر بالذنب، فيحدث نفسه "أقر والتزم وأنجع بذنبي ويستشعر بان النعمة والإحسان والفضل بيد خالق النفس و النفس الأمانة تجعل صاحبها إلى الإقرار بان نفسه الأمانة هذه هي مصدر الذنب والإساءة)<sup>(٤)</sup>.

١ . سورة يوسف: الآية ٥٣

٢ . سورة الانفال: الآية ١١٢

٣ . كتاب التعريفات: للشريف الجرجاني ص ٢٤٣

٤ . مدراج السالكين: ابن القيم الجوزية ج ١ ص ٢٤٣-٢٤٤

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة توضح حقيقة هذا المنهج المنحرف، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)<sup>(١)</sup>.

— النفس اللوامة:

أما النفس اللوامة فهي التي أقسم الله سبحانه وتعالى بها في قوله: (ولا أقسم بالنفس اللوامة)<sup>(٢)</sup>، وهى التي لا تثبت على حال، فتارة يسيطر على القلب فيها جانب الروح فتساق إلى دواعي الروح، وتارة يتغلب عليها جانب النفس، فتتملكها شهوات النفس، فهي وقواها وجنودها في حرب وقتال، ونزاع وشجار، والحرب بينها سجال، فأحياناً تكون لها الغلبة على قواها، وأحياناً تغلبها قواها فلا تكون حالها مستقيمة وساعة يتغلب فيها جانب الروح، فتثبت على الطاعات، وساعة يستولى عليها جانب النفس فتتهبط إلى درك الحيوان، لكن يظل القلب فيها مبصراً، لذلك فهي تتوق إلى مدراج الروح، وتلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات، وتعاتبه على التفريط في جنب الله، والتقصير في طاعة الله؛ فالنفس اللوامة هي النفس المنزعجة عن مقام جبلتها، والمتطلعة إلى مقام الطمأنينة وقد ذكر في القرآن الكريم صفة اللوم في صيغ عدة، قال تعالى: (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: (لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً)<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: (فأقبل بعضهم على بعض يتلومون)<sup>(٥)</sup>.

من هذا نستنتج أن الآيات التي وردت فيها لفظ اللوم ومشتقاتها تدور وتلتقى في معنى واحد، وكلها تعبر عن حالة التقصير في عمل الخير، لأنها قد أحست بذنب كبير، وتبغى رأب الصدع والعودة إلى سيرتها الأولى التي كانت تسير على منوالها

والإنسان الذى ما يفتأ يقاوم نفسه هو إنسان فيه صلاح؛ لأن بلومه هذا يعد غير راضٍ عن أفعاله، منكرًا لها وبهذا يكون اللوم أول مراحل العدول عن مواطن الحسنة واللؤذ

١ . سورة النور: الآية ٢١

٢ . سورة القيامة: الآية ٢

٣ . سورة المائدة: الآية ٥٤

٤ . سورة الإسراء: الآية ٢٩

٥ . سورة القلم: الآية ٣٠



بالتقوى، وكما يكون اللوم على الأفعال التي وقعت يكون كذلك على الأفعال التي لم تتجاوز حدود التدبير والنوايا، وعندئذ يكون اللوم عاصماً للنفس من الإقدام على أفعال السوء التي أغرتها بها النفس الأمارة بالسوء<sup>(١)</sup>.

فالنفس اللوامة إذن مترددة بين الخير والشر وهى نفس تعد في المرحلة الوسطى بين النفس الامارة، وبين النفس المطمئنة التي اعلى مراتب النفس التي اختارت طريقة الاستقامة وحسن التصرف فى القول والفعل والتميز بين الصالح والطالح.

— النفس المطمئنة:

النفس المطمئنة صورة من صور النفس الإنسانية عرضها القرآن الكريم فى تصوير رائع معجز بما فيها من حياة وحركة وتناسق، إنها النفس المطمئنة المؤمنة بالله الخاشعة، الراضية الآمنة من الخوف التي لا تتكالب على ماديات الحياة ولا تصارع على عرض زائل قال تعالى: (يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فداخلي في عبادي وأدخلي جنتي)<sup>(٢)</sup>، وهى التي يسيطر على القلب فيها جانب الروح، فيبلغ كماله الذى هو معرفة الله سبحانه وتعالى وإرادته ومحبه والإجابة إليه، والإقبال عليه، والشوق إليه والأنس به، وهى التي اهتدت إلى الصواب ونزلت عليها السكينة الإلهية وتوالت عليها نفحات فيض الجود الإلهي، فاطمأنت إلى ذكر الله عز وجل وسكنت إلى المعارف الإلهية، وطارت إلى أفق الملكية وتحلى صاحبها بالعلوم، والفضائل النفسية، والاعمال الحسنة وارتفع إلى أفق الملائكة، فهو ملك جسماني لارتفاعه عن الإنسانية وعدم مشاركته الشر إلا فى الصورة والرسم، فهو كما قال الله تعالى: (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)<sup>(٣)</sup>، وقرين النفس المطمئنة الملك، وتتنزل على القلب فيها السكينة التي هي ثمرة اليقين وازدياد الإيمان، وتخرج النفس فيها إلى مقام الروح.

ويورد ابن القيم صفات النفس المطمئنة فى كتابه الروح فيقول: " فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبه وللإجابة إليه، والتوكل عليه والرضى به والسكون إليه، فإن سمة محبه وخوفه ورجائه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه، فيستغنى بمحبته عن حب من سواه، فالطمأنينة إلى الله سبحانه وتعالى ترد منه سبحانه على

١ . النفس الإنسانية فى القرآن الكريم ص ١٠٧

٢ . سورة الفجر: الآية ٢٧ — ٣٠

٣ . سورة يوسف: الآية ٣١

قلب عبده، تجمععه عليه، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به، فسترى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله إلى خدمته، وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ويلين جلده، وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره هو وكلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)<sup>(١)</sup>، فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج، والاضطراب عنه وهذا لا يتأتى شيء سوى الله تعالى وذكره البتة، وأما عداه فالطمأنينة إليه وجه غرور والثقة به عجز، قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له، أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته، كأننا من كان. بل لو اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله سلبه وزايلة، وقد جعل سبحانه نفوس المطمئنين التي تصير بها النفس المطمئنة، أن تطمئن في باب معرفة أسمائه، وصفاته كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له، وفرح القلب به، فإنه معرف من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب، حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه، وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملهب بالعطش، فيطمئن إليه، ويسكن إليه، ويفرح به ويلين له قلبه، ومفاصله حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبر به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة بعينه، فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم، وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصديق الأكبر من مطمئناً بالإيمان وحده، وجميع أهل الأرض مخالفه، وما نفس ذلك من طمأنينة شيئاً.

فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له، فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليها بناؤه، ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة، حتى كأنه يشاهد ذلك كله عياناً، وهذه حقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان حيث قال: (وبالآخرة هم يوقنون).

١ . سورة الرعد: الآية ٢٨

فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عليها، طمأنينة إلى الأمور التي لا يشك فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقاً باليوم الآخرة كما في حديث حارثة: " أصبحت مؤمناً حقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال: عرفت نفسي عن الدنيا وأهلها، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وأهل النار يعذبون فيها فقال: عبدٌ نور الله قلبه).<sup>(١)</sup>

وتتصارع في النفس قوى جانب الروح، وقوى جانب النفس وتكون الغلبة لأحدهما، وتنزع النفس إلى الخير أو الشر، تبعاً لنتيجة الصراع أو تكون المعركة مجالاً بينهما، فتارة تتغلب قوى جانب الروح وتارة تتغلب قوى جانب النفس، فتتغلب النفس في أحوالها من أمارة بالسوء إلى حال اللوامة إلى أن تبلغ غاية كمالها وهي النفس المطمئنة. ويبين ابن القيم الجوزية طبيعة هذا الصراع فيقول: " وقد امتحن الله سبحانه الإنسان بهاتين النفسيتين الأمارة واللوامة، كما أكرمه بالطمأنينة فهي نفس واحدة تكون أمارة ثم لوامة ثم مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحتها وأيد المطمئنة بجنود عديدة، فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها ويقذف فيها بالحق ويرغبها فيه ويربها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه، ويربها قبح صورته وأمدها بما علمها من القرآن، والأذكار، وأعمال البر، وجعل وفود الخيرات ومداد التوفيق بنيانها، ويصل إليها من كل ناحية، وكلما تلقتها بالقبول والشكر والحمد لله، ورؤية أولويته في ذلك كله، ازداد مددها فتقوى على محاربة الأمارة، فمن جندها وهو سلطان عساكرها وملكها الإيمان واليقين، فالجيوش الإسلامية كلها تحت لوائه ناظرة إليه، إن ثبت تثبتت وإن انهزم ولت على أديبارها، ثم أمراء هذا الجيش ومقدمو عساكره شعب الإيمان المتعلقة بالجوارح على اختلاف أنوانها و كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصيحة الخلق والإحسان إليهم بأنواع الإحسان، وشعبه الباطنية المتعلقة بالقلب، كالإخلاص والتوكل، والإنابة، والتوبة، والمراقبة والصبر والحلم، والتواضع، والمسكنة وامتلاء القلب من محبة الله ورسوله، وتعظيم أوامر الله وحقوقه، والغيرة في الله والله، والشجاعة والعفة والصدق، والشفقة والرحمة، وملاك ذلك كله الإخلاص والصدق، فلا يتعب الصادق المخلص، فقد أقيم على الصراط المستقيم،

١ . الروح، ابن القيم الجوزية، ص ٢٩٣ - ٢٩٥، مكتبة المدني - جدة المملكة العربية السعودية - ط ١  
١٩٨٤م.

فيسار به وهو راقد ولا يتعب إلا من حُرْم الصدق والإخلاص، فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين في الأرض حيران، فإن شاء فليعمل وإن شاء فليترك فلا يزيد عمله من الله إلا بعداً.

فبالجملة مما كان لله وبالله فهو من جند النفس مطمئنة، وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو بعدها يمينها ويقذف فيها بالباطل ويأمرها بالسوء، ويزينه لها ويطيل في الأمل، ويريه الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة، ويستعين عليها بهواها وإرادتها، فمنه تدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه، فما استعان على النفوس بشيء فهو أبلغ من هواها وإرادتها إليه).

(وقد انتصبت الأمارة في مقابلة مطمئنة، فكلما جاءت به تلك من خير ضاقتها هذه، وجاءت بما يقابله حتى تفسده عليها، فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدر في الإيمان من الشك والنفاق وبما يقدر في التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا يرضى حتى يقدم محبة غيره وخوفه ورجائه، فيكون ماله عندها هو المؤخر وما للخلق هو المقدم؛ وهذا حال أكثر هذا الخلق وإذا جاءت تلك بتجديد المتابعة للرسول، جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال وأقوالهم على الوحي، وأنت من السبب المضلة بما يمنعها من كمال المتابعة، وتحكيم السنة، وعدم الالتفات إلى آراء الرجال، فتقوم الحرب بين هاتين النفسين والمتصور من نصره الله، وإذا جاءت تلك بالإخلاص، والصدق والتوكل، والإتابة والمراقبة جاءت هذه بأضرارها وأخرجتها من عدة قوالب، وتقسم بالله ما مرارها إلا الإحسان والتوفيق، والله يعلم إنها كاذبة، وما مرارها إلا مجرد خطها وإتباع هواها والتفلسف من سجن المتابعة، والتحكيم المحض للسنة إلى قضاء إرادتها، وشهوتها، وضغوطها، ولعمر الله ما تخلصت إلا من قضاء المتابعة والتسليم إلى سجن الهوى والغربة، وضيقه وظلمته ووحشته فهي مسجونة في هذا العالم، وفي البرزخ في أضيق منه، ويوم المعاد الثاني في أضيق منهما).<sup>(١)</sup>

فحقيقة النفس واحدة، ولكن يختلف اسمها باختلاف توارده أحوالها، فهي إذا توجهت توجهاً تاماً إلى طبيعتها البشرية سميت نفساً أماراً، وإذا توجهت إلى الله بالكلية سميت نفساً

١ . المصدر السابق، ص ٣٠٢ — ٣٠٥

مطمئنة، وإذا توجهت تارة إلى الله بالتقوى، وتارة إلى طبيعتها البشرية بالفجور سميت نفساً لواءة.

فالنفس تتوجه بحسن الخواطر التي ترد عليها، فخاطر الملك يوجهها نحو طاعة الله سبحانه وتعالى، وخاطر الشيطان يدفعها نحو المعصية، وهناك نوع ثالث من الخواطر هو الذى ينبعث من النفس ذاتها دونما تأثر بخاطر ملائكي أو شيطاني فهو خاطر يوجه النفس للتطلع والاستزادة من المباح من زهرة الحياة. فالنفس تسعى في طلب المال، وتحب ما طاب من الطعام والشراب والملبس والمركب، وتركن للراحة والدعة وغيرها من متاع الدنيا لخواطر نفسية نابعة منها، قد يستغلها الشيطان فيسلك بها طريق الشر، ويزين لها الحرام لإشباعها عن طريق خواطره، فالنفس فى طبيعتها المجردة تعشق المباح، وترنو إلى متع الدنيا وإنما الذى يزين لها المعصية ويسول ويمول لها الحرام وعصيان الخالق عز وجل هو الشيطان عن طريق خواطره التي يلقيها فيها، فالنفس أمارة بالسوء ليس بطبعها وإنما بتسلط الشيطان عليها. فالنفس تتمنى والشيطان هو الذى يزين لها طريق السوء لتحقيق أمانيتها، يقول الله سبحانه وتعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)<sup>(١)</sup>. فقد جبلت النفس على متاع الدنيا الذى فصلته الآية الكريمة، فخاطر النفس يدعو إلى الانغماس في المباح من هذه الملذات ويورث الحرص عليها، والحزن والأسف على ما فات منها، وخاطر الشيطان يرغب في حب النساء وحب البنين للتفاخر والزينة، أما خاطر الملك فهو إما أن يزهد في متاع الدنيا الفاني، ابتغاء نعيم الآخرة الدائم، أو يصلح المية فيجعل من التزويج والاستكثار منه لتكثير النسل ممن يعبد الله وحده لا شريك له.<sup>(٢)</sup>

### • علاقة النفس بالجسد:

للإنسان بدن ونفس، فالبدن هو الجسد المادي المحسوس ظاهره، والذى يكشف التشريح عن باطنه، أما النفس فهي القوى الروحية في الإنسان التي تحرك البدن كي يؤدي

١ . سورة آل عمران: الآية ١٤

٢ . المصدر السابق ، ص ٣٠٦

وظائفه المختلفة، وتجعله يسلك السلوك الخاص به، والمميز له كإنسان وهذه القوى خفية لا يدركها الحس وإنما يستدل عليها بآثارها وأفعالها.

والنفس جوهر لا يقبل الفساد، والجوهر ما قام بنفسه دون حاجة لغيره، ويقابله العرض الذى لا يقوم لذاته، وإنما يقوم بغيره. والنفس جوهر روحي لأنها لا تدرك إدراكاً حسيّاً، أي بواسطة الحواس الخمس، وإنما تدرك بالبراهين العقلية وتدل عليها آثارها وأفعالها، والنفس لا تقبل الفساد لأن الموت لا يفنيها ولا يقضى عليها فهي باقية خالدة. أما الجسد فهو عرض لا تقوم ذاته إلا بالنفس، فالنفس قوام البدن، وهى كمال الجسم، ولا يمكن أن يقوم جسم بدون النفس ؛ لأنها مصدر حياته وحركته، فالجسم محتاج للنفس تمام الاحتياج في حين أن النفس لا تحتاج إليه في شيء، ويمكن أن تعيش بمعزل عن الجسم، بدليل عن الجسم متى انفصلت عنه النفس تغير وبلى وتلاشى، بينما النفس تصعد بعد الانفصال إلى العالم العلوى لتعيش حياة كلها بهجة وسعادة. فالنفس جوهرها قائم بذاته، لا يتغير سواء اتصل بالجسد أو انفصل عنه، والجسد قائم بالنفس ولا يتعين جسد ولا يتحدد إلا إذا اتصلت به النفس، والجسد فأنى لأنه عرض واتصال النفس بالجسد اتصال عرضي وليس جوهرياً، وعلاقة النفس بالجسد هي أن الجسد يعطى النفس المادة التي تتعلق بها النفس.

والنفس بدورها تمنحها الصورة. فبدن الإنسان كغيره من أجسام الكائنات الطبيعية مادة وصورة ، فبدن الإنسان هو المادة والنفس بقواها المختلفة هي صورة ذلك البدن، فالإنسان ليس النفس فقط ولا الجسم فقط وإنما الإنسان النفس والجسم معاً، فالإنسان هو اتحاد النفس والجسم هي التي تعطى الجسم صورة الإنسان.

وعندما تتحد النفس بالجسد فإنها تستخدمه كألة وتركبه كمركب، وتتصرف فيه تصرف العاملة فى الآلة، والراكب في المركب وتؤثر فيه، وتعمل فيه بقواها دون أن تتصل بأي جزء من أجزائه، ودون أن يتأثر به جوهرها أو تتغير طبيعتها. ولا يعلم كيفية اتصال النفس بالجسد إلا الله، وهذا الاتحاد والتصرف عرضي غايته الموت، فإذا جاء الموت فارقت النفس الجسد، وفقدت تصرفها فيه وفقدت سيطرتها عليه وخرج عن طاعتها، وتركته مادة من غير صورة، وجسماً من غير نفس، فيبلى الجسد ويتحلل ويتدثر، لأنه عرض لا يقوم إلا بالنفس وتتحول النفس إلى حالة أخرى، وتسكن الدار الآخرة وتبقى بها، لأنها جوهر يبقى ببقاء خالقه سبحانه وتعالى. وباتحاد النفس مع الجسم فغنّها تقوم بوظيفتين أساسيتين، أولهما: سياسة البدن وتوجيهه. وثانيهما: إدراك المعقولات. فسياسة البدن وإدراك المعقولات تقوم

بها قوى النفس، وكل قوة من هذه القوى تسمى مجازاً نفساً. فهناك ثلاث قوى أو أنفس قوتان تسوسان النفس هما: النفس النباتية، التي هي القوة الغذائية والمنمية وهي المسئولة عن تغذية ونمو الجسم، والنفس الحيوانية وهي القوة المحركة (أي المسئولة عن حركة الجسم) المدركة وهي قوة الإدراك الحسي والباطني. أما قوة إدراك المعقولات فهي ملكة النفس التي بها تتمكن من تحصيل المعقولات وتسمى النفس الناطقة ؛ والنفس النباتية تقوم بنفس وظائف الحياة التي تقوم بها النبات، وهي التغذية والنمو، والنفس الحيوانية تقوم بنفس وظائف الحياة في الحيوان ألا وهي الحركة والإدراك، أما النفس الناطقة فهي القوة التي تعقل الأشياء، ويتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، فهي القوة الإنسانية التي يطلق عليها مجازاً الروح.

ويجب ألا يتبادر إلى الذهن أن علماء النفس المسلمين قالوا بتجزئة النفس حين استعملوا مصطلحات النفس النباتية والنفس الحيوانية، والنفس الناطقة. فقد أقر علماء النفس المسلمين وحدة النفس البشرية بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حين قرروا أن البشرية جمعاء خلقت من نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: (يأبها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء).<sup>(١)</sup>

وقد استدل علماء النفس المسلمين على وجود النفس، وعلى أن طبيعة النفس مغايرة لطبيعة الجسد ببراهين كثيرة منها أدلة شرعية، وأدلة عقلية فمن الأدلة الشرعية قول المولى عز وجل: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) فالتسوية هي خلق البدن، وهي القلب المحسوس المستعد لتلقى النفس الناطقة التي تعقل عن الله سبحانه وتعالى وهي الروح وإضافة النفس إلى نفسه سبحانه وتعالى في قوله: (من روحي) تدل على أن النفس جوهر روحاني غير مجسم، ولا جسماني، وأنه مغاير للبدن ولا يموت بموت البدن ؛ لأنه نفخه من روح الله، ومنها قوله سبحانه وتعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون)<sup>(٣)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: عن الشهداء (إن أرواحهم في جوف طير

١ . سورة النساء: الآية ١

٢ . سورة آل عمران: الآية ١٦٩

٣ . سورة البقرة: الآية ١٥٤

خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم طلاعة. فقال هل يشتهون شيئاً ؟ فقالوا أي شيء تشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء ؟ ففعل ذلك لهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لديهم حاجة تركوا<sup>(١)</sup>.

ومنها خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلى كفار قريش من أهل القلب وسلامه على الموتى وخطابه لهم عند زيارته صلى الله عليه وسلم للبقيع، كما أن خطاب الشرع موجه للنفس لا للبدن: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)<sup>(٢)</sup>.

وكل خطابات الشرع تدل على أن النفس جوهر مفارق للجسم، كما أن الثواب والعقاب يقع على النفس، فنعيم الآخرة تتلذذ به النفس: (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي)<sup>(٣)</sup>، كما أن العذاب تشقى به النفس كعذاب القبر، وألم عذاب جهنم، وغن حل بالبدن فلأجل النفس. وهناك من العذاب ما تختصر به النفس كالحسرة والندامة على التفریط في جنب الله، وتمنى العودة للدنيا، لإصلاح العمل وتدارك ما فات، كما أن الأحلام ولا سيما الرؤيا الصادقة التي تأتي كفلق الصبح والتي قال المصطفى صلى الله عليه وسلم، إنما جزء من النبوة، دليل آخر على أن النفس شيء والجسد شيء آخر، وأن النفس تصعد إلى المأ الأعلى والجسد باقى في مكانه.

أما الأدلة العقلية فمنها ثبات النفس، وتغير البدن، فالبدن في تغير وتبدل مستمر من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشيخوخة، وقد يعتريه الضعف وهو يقطع رحلة العمر وقد يعتل، وحتماً يصيبه الوهن مع تقدم العمر ولا سيما بعد الأربعين، بينما ملكة التفكير وبقية القوى العقلية تقوى في الغالب بعد سن الأربعين، ولا تضعف دائماً في زمان الشيخوخة. كما أن إدراك المعقولات وهى أشياء معنوية، وإدراك الإنسان ذاته بدون حاسة من الحواس وبدون واسطة، والقدرة على التجريد تدل على أن النفس المدركة لهذه المعنويات والمجردات معنوية مجردة أيضاً، وليست جسماً متحيزاً، بالإضافة إلى أن الإنسان إذا كان منهمكاً في

١ . رواه مسلم

٢ . سورة الشمس: الآيات ٧ — ١١

٣ . سورة الفجر: الآيات ٢٧ — ٣٠



أمر من الأمور فإنه يستحضر نفسه، ويكون في هذه الحالة غافلاً عن جميع أجزاء بدنه، وإذا تجرد في تفكيره عن كل شيء من الأمور الحسية والعقلية فلا يمكنه أن يتجرد عن تفكيره، أو شعوره بأنه قادر على التفكير مما يدل على أن القدرة على التفكير ليست خصائص البدن.

ومن علماء المسلمين كابن القيم من خطأ من قال بأن النفس مجردة عن البدن، وأنها غير مجاورة أو مساكنه أو مداخله له، أو حالة به، وأن تعلقها به بالتدبير فقط، وذهب إلى أن النفس غير مجردة عن الجسمية والتحيز، وعرف النفس بأنها جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهي جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، وينفذ في جوهر الأعضاء، ويسرى فيها سريان الماء وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف متشابكاً لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارقت النفس البدن وانفصلت إلى عالم الأرواح، وقد ساق أكثر من مئة دليل في كتابه الروح<sup>(١)</sup>.

البرهان على صحة ما ذهب إليه اختار ابن القيم هذا الرأي كي يثبت للنفس الصفات التي دل عليها الشرع والعقل والحس من الحركة، والانتقال والصعود، والنزول، ومباشرة النعيم، والعذاب، واللذة، والألم، وكونها تحبس، وترسل وتفيض، وتدخل، وتخرج، وهي صفات الجسم إلا أن ابن القيم لم يعن معنى الجسم في عرف أرباب لغة العرب، الذين يطلقون لفظ الجسم على الشيء المجسم، وإنما قصد معنى الجسم في اصطلاح الفلاسفة والمتكلمين الذين يطلقون الجسم على قابل الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والعمق) خفيفاً كان أو ثقيلاً، مرئياً كان أو غير مرئ، فيسمون الهواء والنار جسماً.

### • أحوال النفس بعد مفارقة الجسد:

اتفق علماء النفس المسلمون على أن النفس حادثة وأنها باقية خالدة غير أنهم اختلفوا فيما إذا كانت النفس حادثة قبل البدن، أو أن حدوثها تأخر عن حدوث البدن وقد استدلل العلماء على حدوث النفس بقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً

١ . ابن القيم الجوزية، كتاب الروح، المرجع السابق ص ٢٣٩ — ٢٦٢

مذكوراً<sup>(١)</sup>، وبقوله صلى الله عليه وسلم: (كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان)<sup>(٢)</sup>، أي لم يكن مع الله سبحانه وتعالى شيء قبل بدء الخليقة.

وقد استدل من رأى تقدم النفس فى الجسد فى الخلق بقوله تعالى: (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)<sup>(٣)</sup>، فالآية تدل على أن عالم الأرواح سابق لوجود الأبدان، واستدل من قال بتأخر حدوث النفس على البدن، وأن النفس تحدث عندما يكون البدن مستعداً لها<sup>(٤)</sup>، بقوله تعالى: (إني خلقت بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)<sup>(٥)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح)<sup>(٦)</sup>.

وللتوفيق بين الرأيين نقول أن خلق جسد آدم سبق نفخ الروح فيه، أي ظهر آدم عليه السلام، واستخرج منه ذريته، وهم على أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا؛ وأشهد عليهم الملائكة وآدم أنهم أقروا بربوبيته، ثم ردهم إلى مكانهم إنما كانوا أحياء أنفساً من غير أجسام، فلما ردهم إلى صلب آدم عليه السلام أماتهم وقبض أرواحهم، وجعلها عنده فى خزانة من خزائن العرش، فإذا استقرت النطفة فى الرحم حتى تتم صورة الجنين والنفس فيه ميتة، فإذا نفخ الله تعالى فيه الروح رد إليه سرها المقبوض منه الذى خبأ زماناً فى خزانة العرش فتدب الحياة فى الجنين ويتحرك، فهذه موتة أولى، وحياة ثانية قلت ولعل هذا يفسر قوله تعالى: والله أعلم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)<sup>(٧)</sup>، وعلى ذلك يكون خلق أرواح بنى آدم سابق لخلق أجسادهم، وتكون النفس فيهم حادثة قبل حدوث البدن ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل

١ . سورة الإنسان: الآية ١

٢ . رواه البخاري

٣ . سورة الأعراف: الآية ١٧٢

٤ . الإمام الغزالي، معارج القوس فى مدراج معرفة النفس، ط١، ص١٠٥ - ١١٥ بيروت

٥ . متفق عليه

٦ . متفق عليه

٧ . سورة غافر: الآية ١١

إنسان منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال: من هؤلاء يارب؟ قال: يارب من هذا ؟ فقال: هذا ابنك داود يكون في آخر الأمم<sup>(١)</sup>.

وما رواه الحاكم من حديث أبي جعفر الداربي عن أبي بن كعب، في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمُ) الآية: قالت جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم، ألسنت بربكم ؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرنكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبتي، فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك، فقال: رب لو سويت بين عبادك فقال: " إني أحب أن أشكر " ورأى فيهم الأنبياء مثل السرح رخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ)<sup>(٢)</sup>، وهو قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)<sup>(٣)</sup>، وهو قوله تعالى: (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى)<sup>(٤)</sup>، وهو قوله تعالى: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)<sup>(٥)</sup>، وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق، فأرسل ذلك الروح إلى مريم حيث انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فدخل فيها.

والنفس تدخل الجسد وهي كارهة، وتخرج منه عند الموت وهي كارهة، وهذا يفسر سكرات الموت، وبعد أن يتوفى ملك الموت النفس تصعد بها الملائكة إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء، إن كانت مؤمنة، وتكتب في عليين، ثم تنزل إلى الأرض وتتصل بالجسد لتحاسب حساب القبر ثم يصير القبر روضة من رياض الجنة، وتعيش فيه حياة برزخية

١ . رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم

٢ . سورة الأحزاب: الآية ٧

٣ . سورة الروم: الآية ٣٠

٤ . سورة النجم: الآية ٥٦

٥ . سورة الأعراف: الآية ١٠٢

تختلف عن حياة الدنيا، كما تختلف عن حياة الآخرة، والبرزخ هو ما بين الموت والبعث، أي بين الدنيا والآخرة وهو مستقر.

أما الكافر فلا تفتح لنفسه أبواب السماء، وتطرح في الأرض السفلى وتكتب في سجين، ثم تعاد روحه في جسده، ويحاسب حساب القبر، ثم يصير القبر حفرة من حفر النار. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كان وجوههم الشمس، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقا فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها من يده طرفة عين حتى يأخذونها فيجعلونها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعنى على ملاء من الملائكة - إلا قالوا: ماذا هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى، فيقول الله عز وجل: أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإن فيها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله. فيقولان له: مادينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرآن كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وأفتحوا له باباً من الجنة، قال: فيأتيه من ريحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد البصر، قال: فيأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي قال: وغن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتقرف في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها من يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كائنين ريحة صيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث، فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به

إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط).

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طراحاً ثم قرأ: (من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق)<sup>(١)</sup>، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاها لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاها لا أدري، فينادى مناد من السماء: إن كذب عبادي فأفرشوه من النار وأفتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه في قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتهم الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول: من أنت فوجهك الذي يجي بالشر؟ كنت توعده فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت النفس لا تموت يموت البدن، فالموت للإنسان ليس بعدم محض وإنما تتبدل نفسه بالموت من حال إلى حال، فبالموت تتحرر النفس من البدن وبالتالي من الانغماس في شواغل البدن، وتتجرد تجرداً كاملاً من عالم الحس الذي يحجب عنها الكثير من العلوم والمعارف، وبهذا التجرد تلغ النفس كمال علومها ومعارفها وتصبح طليقة تسرح في البرزخ حيث تشاء، ولكنها تظل متعلقة بالبدن البالي تعلقاً يختلف عن تعلقها به في الحياة الدنيا، حتى إذا نفخ في الصور النفخة الثانية عادت النفس إلى البدن المعاد وتعلقت به تعلقاً يختلف عن تعلقها به في الحياة الأولى، وفي الحياة البرزخية. فقد ورد في السنن والآثار أن الميت يسأل عن الأحياء ويعرف أقوالهم وأعمالهم، ويعلم ما يكون في أهله بعده وأنه لينظر لهم وهم يغسلونه ويكفونونه، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام)<sup>(٣)</sup>، وقوله: (ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم)<sup>(٤)</sup>، كما أن أرواح الشهداء تنبأ الجنة حيث تشاء، وتتمنى أن تعود للدنيا لتقتل في سبيل الله مرة أخرى وتود أن تجد من يخبر أصحابهم الذين خلفوهم في الدنيا عن طيب عيشهم كي لا يوهدوا في الجهاد.

١ . سورة الحج: الآية ٣١

٢ . رواه الإمام أحمد وأبو داود

٣ . تهذيب تاريخ دمشق: لابن عساكر

٤ . إتحاف السادة المتقين، للزبيدي والحاوي للفتاوى للإمام السيوطي

## الخاتمة:

نخلص إلى أن تلازم العلاقات بين الروح والنفس، وظان الروح المعنوية ما هي إلا عبارة عن الاتجاه النفسي العام الذي يسيطر على الفرد في مجموعة ويحدد نوع استجاباته الانفعالية، وردود الفعل لديه للعوامل والمؤثرات المحيطة به ؛ حيث يرى آخرون أن الروح المعنوية هي استعداد وجداني وليس أمراً مبنياً على خصائص مادية، فلا يمكن افتعالها أو إقامتها بالقوة والإقناع، وإنما من خلال تهيئة المناخ الجيد وبناء ملكات العاملين وإقامة العلاقات الإنسانية السليمة والتعامل الموضوعي، فالروح المعنوية ليست أمراً محسوساً، بل يمكن إدراكها بآثارها السلوكية بين جماعة من الأفراد التي تتميز بالشعور بالثقة في الجماعة، وبالفرد وكذلك الشعور بالولاء تجاه الجماعة والاستعداد للكفاح من أجل تحقيق أهداف هذه الجماعة... فما أسس هذه الجماعة؟؟

## النتائج:

إن الإسلام جاء بمنهاج شامل في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، يربي فيهم ضميراً حياً نابضاً، لأن الضمير هو الرقيب على نفس الإنسان فإذا تبدل الضمير، أصبح الإنسان كالحيوان تبدل معه الشعور، ونامت الفضيلة، والنخوة لديه، فتربية الضمير تكون بحسن التوجيه.

## التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة الالتزام بتطبيق الأسس التربوية الإسلامية لرفع المعنوية لدى أبناء الأمة.

## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. السنة النبوية المطهرة
٣. إتحاف السادة المتقين، للزبيدي والحاوي للفتاوى للإمام السيوطي.
٤. إحياء علوم القرآن ج ٣، باب شرح عجائب القلب
٥. الإمام الغزالي، معارج القوس في مدارج معرفة النفس، ط ١، بيروت.
٦. البداية النهاية، لابن كثير، م ٢، ١
٧. الترغيب والترهيب، للمنزري ٩
٨. تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر
٩. الدار الفاخرة في كشف علوم الآخرة، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت.
١٠. الروح، ابن القيم الجوزية، ص ٢٩٣ - ٢٩٥، مكتبة المدني - جدة المملكة العربية السعودية - ط ١ ١٩٨٤ م.
١١. علم النفس الإسلامي، أحمد محمود طه - الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر.
١٢. علم النفس الإسلامي، أحمد محمد طه المكي، الدار المصرية السعودية للنشر.
١٣. كتاب التعريفات، للشريف الجرجاني.
١٤. مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية ج ١.
١٥. منهج الإسلام في تزكية النفس، أنس أحمد كرزوي - دار ابن فرح - بيروت.



## نظرية العلم عند ابن رشد الحفيد

د/ كمال أمساعد

جامعة القاضي عياض - المغرب

### ملخص:

لقد سعى ابن رشد الحفيد إلى تأسيس الاجتهاد الفقهي والعقدي والبحث العلمي عموماً على ضوء محددات نظرية العلم، باعتبار أقسام العلم وأنواعه وخصائصه. ولعل إطلاع ابن رشد الواسع على مختلف مجالات المعرفة والعلوم مكنه من صياغة نظرية متسقة ومستقلة عن العلم والمعرفة. فكيف عرّف العلم؟ وما هي أقسام العلم وأنواعه وخصائصه حسب ابن رشد؟ وما هي "حدود العلمية" التي وضعها ابن رشد خلال نقده للمدارس الفقهية والكلامية وللتخصصات العلمية الأخرى في زمانه؟

تنتهج الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي-التركيبى، في تعامل مباشر مع المصادر الرشدية، مع الاستعانة بما توفر من الدراسات والأبحاث المنشورة في الموضوع. لقد آمن ابن رشد بالتفكير العلمي وبالتراكمية والنسبية في المعرفة والعلوم واصطبغ بذلك إبداعه في شتى الميادين العلمية. وقد جعل ابن رشد المنطقية والمعقولية والانتظام القانوني والسلامة من الإيديولوجيا شروطاً ومميزات حاسمة بين العلم واللاعلم في قلب كل مجال علمي جابه عقله.

الكلمات المتاحية: ابن رشد - العلمية - نظرية - العلم - التفكير العلمي.



## مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وبعد؛  
لقد كان ابن رشد من أولئك الفلاسفة الذين عاشوا قلقا فكريا لقوة تداخل التيارات  
الفلسفية في تياراتهم الفقهية والكلامية<sup>(١)</sup>، لذلك حين ندرس فقه شخصية فلسفية مثل ابن  
رشد فلا بد من ملاحظة كثير من الأمور التي تتسترّ خلف اللفظ، لأن فيلسوفا مثله يناقش  
اختلاف الفقهاء، ويحلل أسباب ذلك الاختلاف، ويجتهد في الوصول إلى المعاني والعلل  
والمصالح والأقيسة والمدارك التي كانت وراء اختلاف مذاهبهم وأقوالهم وتنوعها، فإنه لكي  
يفعل كل ذلك يقوم بعمليات ذهنية عديدة لتحقيق أهدافه في تلك الدراسة والوصول إلى  
الصواب<sup>(٢)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن "ابن رشد في نقده لعلم الكلام، لم يتجه إليه كآراء ومواقف  
بلورثها الفرق، في تناولها لمختلف مسائله فقط، بل اهتم أيضا وبصورة أولية، بآلياته كعلم  
وبالطرق المعتمدة فيه"<sup>(٣)</sup>، ولم يأل جهدا في منهجه النقدي للقضايا الكلامية الذي ضمنه في  
كتبه التي خصصها لهذا الغرض<sup>(٤)</sup> أن يركز على قضية غاية في الأهمية وهي ومدى "علمية"  
الآراء الكلامية في مختلف القضايا العقديّة.

كانت هذه كبرى الملاحظات الإبستمولوجية التي وجهها ابن رشد للفرق الكلامية في  
عصره معتبرا إياها السبب الأول والأخير في التخطي والفوضى الذي تسببت فيه هذه الفرق.  
والصواب في مجال النقد الإبستمولوجي، أن "المصادقية العلمية" هي ما يتمتع بها هذا  
الرأي أو ذاك على مستوى بنائه الداخلي؛ أعني مدى ما يتوافر فيه من تماسك منطقي وما

١- ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق جبرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، الطبعة  
الأولى ١٩٩٦م، ص ١١٩/١.

٢- طه جابر العلواني، ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة  
الأولى ٢٠١٠م، ص ٢٤.

٣- سالم يفو، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة  
الأولى ٢٠٠٩م، ص ٤٨١.

٤- وهي "فصل المقال"، و"الكشف عن مناهج الأدلة"، و"تهافت التهافت".

يشاهد له<sup>(١)</sup>. لهذا لا يستطيع الدارس لفكر ابن رشد قول: إن فكر هذا الفقيه الفيلسوف يمكن أن يكون قائما دون مقدمات أو أوليات تحكمه وتبرز وحدة نسقه.

لقد كانت إشكالية ابن رشد إشكالية منهجية وعلمية ومعرفية في الوقت نفسه، لأنه توخى النظر في طرائق البحث شكلا ومضموما، آخذا بعين الاعتبار الارتباط بين الشكل والمضمون<sup>(٢)</sup>. ولا شك في أن ابن رشد قد لام علماء عصره بمن فيهم الفقهاء والمتكلمين وحملهم المسؤولية الكبرى فيما يتعرض له الدين والعلم من انتكاسات على أيديهم وبسبب جهلهم أكثر مما لام العامة أو الجمهور على ذلك.

وقد كان البحث عن العلمية أو "تجريد الأقاويل العلمية" -بلغه ابن رشد- هدفا له في كل تأليف في مجالات المعرفة المختلفة كالتب والطب والسياسة والفقه والأصول والفلسفة... يقول رحمه الله: "قصدنا في هذا القول أن نجرد الأقاويل العلمية التي في كتاب السياسة المنسوب لأفلاطون في العلم المدني، ونحذف الآراء والأقوال الجدلية، سالكين سبيل الاختصار كما هي عادتنا في ذلك"<sup>(٣)</sup>.

### إشكالية البحث:

لقد سعى ابن رشد إلى تأسيس الاجتهاد الفقهي والعقدي والبحث العلمي عموما على ضوء محددات نظرية العلم، باعتبار أقسام العلم وأنواعه وخصائصه. ولعل اطلاع ابن رشد الواسع على مختلف مجالات المعرفة والعلم مكنه من صياغة نظرية متسقة ومستقلة عن العلم والمعرفة.

فكيف عرف ابن رشد العلم؟ وما هي أقسام العلم وأنواعه وخصائصه حسب ابن رشد؟ وما هي "حدود العلمية" التي وضعها ابن رشد خلال نقده للمدارس الفقهية والكلامية وللتخصصات العلمية الأخرى في زمانه؟

١ - ابن رشد الكليات في الطب، بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ص ٢٠.

٢ - عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٩.

٣ - ابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٧١.

## منهجية البحث:

تعتمد الورقة البحثية المنهج الوصفي والمنهج التحليلي-التركيبى، في تعامل مباشر مع المصادر الرشدية، مع الاستعانة بما توفر من الدراسات والأبحاث المنشورة في الموضوع، وأعمال الندوات واللقاءات المنجزة حول ابن رشد وفكره.

٢. المحور الأول: مفهوم العلم عند ابن رشد.

١.٢ : بين العقل والعلم.

ليس من باب المبالغة القول: إن العقلانية والدعوة إلى العلم استبدت بتفكير الرجل، وشكلت الخيط الناظم لمتنه، والفكرة الموجهة لتفكيره، مما جعل إنتاجه الفكري والمعرفي مشروطا بها؛ فقد شكلت شرطا نظريا لاختياراته المنهجية، وقضاياه الفكرية لمواقفه النظرية والعملية<sup>(١)</sup>.

لقد لاحظ ابن رشد حاجة زمانه إلى التفكير العقلاني<sup>(٢)</sup> وأن معارف الجمهور آنذاك كانت مقتصرة على ما يُدرك بالحس فقط دون تصديق للعقل<sup>(٣)</sup>، وباسم هذا الجمهور الفاقد للرشد تم إقبار العقل، وباسم فطرته الساذجة وطبيعته السمجة تم وأد العلم والمعرفة وباسم فقر ذكائه غُيبَت الحقيقة وصودرت الحرية<sup>(٤)</sup>.

وهذه العقلانية هي التي تحدث عنها "أنخيل بالنثيا" في كتابه "تاريخ الفكر الأندلسي" عندما نقل واقع اتهام فقهاء المالكية دعاء التفكير العقلاني والمنطق بالزندقة، يقول: "ونظر فقهاء الأندلس إلى كل تفكير عقلائي في مسائل الدين على أنه زندقة، واتَّهموا من يتكلم في المنطق في دينه (...). فعاقبوا البعض، وقتلوا البعض"<sup>(٥)</sup>.

١- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٨.

٢- نفسه، ص ١٤٩.

٣- ابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ١٥٦.

٤- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ١٣٧.

٥ - أنجيل جنتال بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص ٣٢٤ بتصرف.

لقد كان ابن رشد يبحث عن تأسيس ذلك المجتمع الإسلامي الذي لا يتوطد فيه الإيمان إلا بقدر توطد العقل داخل كل فرد من أفراده، ولا يتسامى أي فرد فيه إلى عالم الغيب إلا بقدر تحقيقه لذاته في عالم الشهادة وبذلك الاعتبار، مجتمعاً يرتقي من جديد نحو تلك المكانة التي جعلت منه يوماً ما خير أمة أخرجت للناس<sup>(١)</sup>.

فتراءى له القيام بالخطوة الحاسمة التي كانت تفتقر إليها الحياة في المجتمع، والتي كانت كل القرائن التاريخية تدل على أن فكرتها قد نضجت وأن وقتها قد آن أوانه، هاته الخطوة هي الاعتراف للعقل بالحق في الوجود في المجتمع، فيكون مصدراً أولياً من مصادر العلم والحكم والتقييم إلى جانب المصدر الديني، لقد حان الوقت إذن، لإعطاء العقل حقه الطبيعي والمشروع في المعرفة النظرية وفي تدبير الشؤون العملية، أي في العلم والعمل معاً<sup>(٢)</sup>.

يؤكد العمراني جمال أن ابن رشد اهتم كثيراً بمسألة العقل بتعدد أعماله حتى إن مذهبه في العقل أصبح على مر العصور كشعار تعرف به فلسفته الخاصة<sup>(٣)</sup>، ولعل الغرض من وراء العودة إلى البحث في العقلانية الرشدية هو أن نحقق لابن رشد ما لم يستطع هو تحقيقه، وهو تحويل الدعوة إلى العقل والعقلانية إلى قوة ثقافية وفكرية وتاريخية مؤثرة على مجريات وجودنا<sup>(٤)</sup>.

يعرف ابن رشد العقل بقوله: "معقولات الأشياء هي حقائق الأشياء"<sup>(٥)</sup>، وأنه "ليس شيئاً أكثر من إدراك نظام الأشياء الموجودة وترتيبها"<sup>١</sup>، وفي مواضع متعددة من كتاباته

١- البخاري جملة، ماذا يمكن أن نستفيد من ابن رشد اليوم، ضمن "ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب" المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منشورات المجمع الثقافي، تونس ١٩٩٩م: ٧١٧/٢.

٢- محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي"، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان: الطبعة الأولى ١٩٨١م. ص ٣٥-٣٦.

٣- العمراني جمال عبد العلي، تطور نظرية العقل عند ابن رشد، ضمن "ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منشورات المجمع الثقافي، تونس ١٩٩٩م: ٩٧/١.

٤- محمد المصباحي، مع ابن رشد: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م. ص ١٤.

٥- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٣٦٥.

يحاول ابن رشد تحديد مفهوم للعقل وإبراز أنواعه ومبادئه وحدوده، وطرق تحصيله للمعرفة ومن ثم البحث في قيمة هذه المعرفة نفسها وفي مصداقيتها<sup>(٢)</sup>، وأن الحاجة إلى العلم هي حاجة إلى العقل، وأن الحاجة إلى العقل هي حاجة إلى البحث والتقصي والتمحيص والتعمق في القضايا التي هي موضوع نظر واكتشاف، وذلك من أجل توفير القدرة على التنظيم والتخطيط والتوجيه والسيطرة على الأمور معرفياً، لأن الحاجة إلى العقل بما هو نظر وممارسة عقلانيتان، رهين بتوفر إرادة المعرفة أولاً<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر يربط ابن رشد بين العقل والعلم والمنطق عندما يقول رحمه الله: "والعقل ليس هو شيء أكثر من إدراك الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل؛ وصناعة المنطق تضع وضعا أن ها هنا أسبابا ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة هذه الأشياء؛ فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورافع له"<sup>(٤)</sup>.

يترتب عما سبق أن العقل لا يمكنه أن يكون في جوهره وطبيعته القصوى والأسمى، سوى من طبيعة برهانية، إنه عقل منطقي، برهاني قياسي، واستدلالي، والوصول إلى العلم والمعرفة على وجه حق تقتضي أن يكون المنهج حقيقياً وهذا لا يمكن إلا من خلال الطابع البرهاني الملزم لكل ذي عقل راجح<sup>(٥)</sup>؛ والمنطق نفسه إنما وُضع ليُقوي العقل ويعصمه من الخطأ<sup>(٦)</sup>.

١- نفسه، ص ٣٦٥.

٢- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٥.

٣- نفسه، ص ١٣٦.

٤- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٥٠٧.

٥- ابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ١٦٢.

٦- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٤٩.

والشريعة نفسها حينما مجدت العقل في الإنسان معتبرة أنه أسمى ما كرم به، إنما كانت تفعل ذلك من منطلق كونه قادرا من خلاله على بلوغ الحق في ذاته بكيفية برهانية، لهذا السبب نجد أن ابن رشد يجعل من اعتبار النظر الذي يدعو إليه الشرع وجوبا وانتدابا، مرادفا للاستدلال والقياس والبرهان، فإذا كان القياس استنباطا للمجهول من المعلوم، فذلك لأن الطبيعة البرهانية للعقل هي التي منحته ملكة الإدراك والحكم على الموجودات بما هي عليه<sup>(١)</sup>.

إن المجهود الجبار الذي بذله ابن رشد كان من أجل تأسيس عقلانية عربية إسلامية ورعايتها والدفاع عنها كمشروع فكري بكل الوسائل الممكنة شرعا وحكمة، اجتهدا واستدللا واستنباطا للأحكام، تأملا ونظرا مشوبين بالرزانة والبعد عن الهوى والتعصب أو التحيز، وذلك تماشيا مع مقتضيات العقلانية نفسها من حيث هي تفكير يحتكم إلى العقل والمنطق والحجة والبرهان، ولا يرضى بغير النظر العقلي خصما وحكما. وحتى إن هو أسند الحكم للنظر الشرعي، لم يتوان في جعل هذا من ذاك ولم يدخر جهدا في الكشف عن وحدتهما باعتبارهما توأمين يولدان من نفس الرحم ويتنزلان نفس المنزلة<sup>(٢)</sup>.

## ٢.٢ تقسيم ابن رشد للعلم:

ينطلق ابن رشد في نظره للعلم من أن "مقصود الشرع إنما تعليم العلم الحق والعمل الحق: والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه، وبخاصة الشريعة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي. والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء. والمعرفة بهذه الأفعال هي التي تسمى العلم العملي، وهذه الأفعال تنقسم إلى قسمين: أفعال ظاهرة بدنية، والعلم بهذه هو الذي يسمى الفقه، والقسم الثاني أفعال نفسانية، مثل الشكر والصبر، وغير ذلك من الأخلاق التي دعا إليها الشرع"<sup>(٣)</sup>.

يتضح من خلال هذا النص من "فصل المقال" أنه يقسم العلوم إلى نظرية وعملية، يدخل علم العقيدة ضمن العلوم النظرية، أما الفقه والأخلاق فهما من العلوم العملية.

١- نفسه، ص ٥٠.

٢- نفسه، ص ٧٧ وما بعدها.

٣- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٩٩٧م، ص ١١٥.

أما عن الفرق بين العلم النظري والعلم العملي فإنه يرى أن العلم العملي يباين بجوهره العلوم النظرية، إذ كان موضوعه يختلف عن موضوعات العلوم النظرية ومبادئه تختلف عن مبادئها؛ وذلك لأن موضوع هذا العلم هو الأفعال الإرادية التي تصدر عنا ومبادئها الإرادة والاختيار، كما أن موضوع العلم الطبيعي هو الأشياء الطبيعية ومبادئها الطبع والطبيعة، وموضوع العلم الإلهي الأمور الإلهية، ومبدؤه الله سبحانه وتعالى.

ثم إن هذا العلم<sup>(١)</sup> يختلف أيضا عن العلوم النظرية من جهة أن غاية هذه هي العلم لذات العلم، وإن وجد فيها ماله صلة بالعمل فبالعرض<sup>(٢)</sup> كما هو الشأن في كثير من الأمور التي ينظر فيها أهل التعاليم. وفي العلاقة بين العلوم النظرية والعملية يقول رحمه الله: "العلوم النظرية إنما هي ممهدة للعمل (...)" وأنها تخدم العلوم العملية في بلوغ مقصدها، إذ أن تلك تمكن هذه بأن توجهها شطر غايتها<sup>(٣)</sup>.

ويضيف ابن رشد في كتابه "الضروري في أصول الفقه" نوعا ثالثا ليصير تصنيفه للعلوم تصنيفا "ثلاثيا": نظرية وعملية وآلية، فيذكر أن العلوم والمعارف ثلاثة أصناف: - معرفة غايتها الاعتقاد الحاصل عنها في النفس فقط، كالعلم بحدوث العالم، والقول بالجزء الذي لا يتجزأ وأشباه ذلك.

- معرفة غايتها العمل، وهذه منها كلية وبعيدة في كونها مفيدة للعمل. فالجزئية كالعلم بأحكام الصلاة والزكاة وما أشبهها من جزئيات الفرائض والسنن، والكلية كالعلم بالأصول التي تبنى عليها هذه الفروع من الكتاب والسنة والإجماع... - معرفة تعطي القوانين والأحوال التي يتسدد الذهن بها نحو الصواب في هاتين المعرفتين، كالعلم بالدلائل وأقسامها، وبأي أحوال تكون دلائل وبأيها لا، وهذه فلنسميها سبارا أو قانونا، فإن نسبتها إلى الذهن كنسبة البركار<sup>(٤)</sup> والمسطرة إلى الحس في ما لا يؤمن أن يغلط فيه<sup>(٥)</sup>.

١- أي العلم العملي.

٢- ابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٧٢.

٣- نفسه، ص ١٥٠.

٤- لا شك أن القارئ سيستغرب لاستعمال كلمة البركار التي لم يكن الأندلسيون ولا المغاربة يستعملونها ولكنه من جهة أخرى لن يستغرب من استعمالها عند ابن رشد الموسوعي قارئ النصوص الطبيعية والفلسفية

ويذكر هنا أن العلوم "كلما كانت أكثر تشعباً، والناظرون فيها مضطرون في الوقوف عليها إلى أمور لم يضطر إليها من تقدمهم، كانت الحاجة فيها إلى قوانين تحوط أذهانهم عند النظر فيها أكثر"<sup>٢</sup>. كما يذكر أن الصناعة الموسومة بصناعة الفقه -مثلاً- في هذا الزمان، لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم فيها محتاجين إلى هذه الصناعة التي تعطي القوانين<sup>٣</sup> مثلما لم يكن الأعراب محتاجين إلى قوانين تحوطهم في كلامهم وأوزانهم، وإنما وقع الاحتياج إليها بوفاة الرسول ﷺ وتفرق أصحابه على البلاد واختلاف النقل عنه<sup>٤</sup>.

أشير أيضاً إلى أن ابن رشد قد ميّز بين العلم الكلي والعلم الجزئي، وأن كلا النوعين مرتبط بالآخر، فالكلي إنما وصلنا إليه بالجزئي، يقول رحمه الله: "بل كثير من المعاني الكلية الموضوعية في هذه الصناعة (يقصد أصول الفقه) إنما صححت بالاستقراء من فتوَاهم في مسألة مسألة<sup>٥</sup>، ثم يصير الكلي بعد ذلك بمثابة الأصل لما يُردّ إليه من فروع جزئية، يقول: "ونحن نذكر أولاً المنطوق به في الشرع، وما يتعلق به من الفقه، ثم نذكر بعد ذلك من المسكوت عنه ما شهِرَ الخلاف فيه فقهاء الأمصار ليكون كالقانون في نفس الفقيه، أعني: في رد الفروع إلى الأصول"<sup>٦</sup>.

وقارئ أبي نصر الفارابي، وقبل ذلك المتخصص في علم الفلك. [ينظر: تعليق جمال الدين العلوي: الضروري في أصول الفقه، ابن رشد، ص ٣٥، الإحالة ١].

١- ابن ارشد، الضروري في أصول الفقه، تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٣٤-٣٥.

٢- ابن ارشد، الضروري في أصول الفقه، تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٣٥.

٣- يقصد ابن رشد هنا علم أصول الفقه (أو "علم الكلام الفقهي" كما يسميه في بداية المجتهد)، وقد جعله ضمن العلم الذي يعطي القوانين والأصول التي بها يتسدد العقل الفقهي.

٤- ابن ارشد، الضروري في أصول الفقه، ص ٣٥.

٥- نفسه، ص ٣٦.

٦- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، ٢٠٠٣م: ٢/ ٢٥٦. وابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ١٤٧.



أما عن العلاقة بين العلم الكلي والجزئي في إفادة العمل وعدمه فيرى أنه كلما كانت الأمور العامة المستنبطة في العلم أكثر كلية كان أكثر بعدا عن العمل، وما كان منها أقل كلية ازداد منه قربا (أي من العمل) كونها مستفادة مما هو عملي.

فالمعرفة الفقهية حسب ابن رشد غايتها العمل<sup>١</sup>، منها معرفة كلية بعيدة في كونها مفيدة للعمل كالعلم بالأصول التي تبنى عليها هذه الفروع من الكتاب والسنة والإجماع، والعلم بالأحكام الحاصلة عن هذه الأصول على الإطلاق وأقسامها، وما يلحق بها من حيث هي أحكام، ومعرفة جزئية كالعلم بأحكام الصلاة والزكاة، وما أشبهها من جزئيات الفرائض والسنن<sup>٢</sup>.

أقول: وإذا كان ابن رشد قد بسط القول في الجانب الكلي من المعرفة الفقهية في كتابه "الضروري" تبعا للأصوليين، بالرغم من أنه يرى أن هذا النوع من المعرفة هو ألصق بالفقه منه بالأصول، فإنه في كتابه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" وهو يتحدث عن المعرفة الفقهية في جانبها الجزئي يحرص كل الحرص على تطبيق منهجه الإصلاحية الذي يتم من طريقه ربط أقوال المجتهدين في كل مسألة بأصحابها مع تصنيفها تبعا للفكرة التي تتمحور حولها، ثم ربط هذه الأقوال بالمصادر التي منها استنبطت، ثم بالقواعد الأصولية والمقاصد الشرعية التي عن طريقها يتم الفهم<sup>٣</sup> كما اعتبر الأخيرة -أي المقاصد الشرعية- آلية لضبط حركة الفقه، تعطيه الوجهة والقبلة، وتنفي عنه الشكليات والجزئية، والنفس القانوني الجامد وتجعله "فقها في الدين" يتعامل مع الإنسان "بكينونته الكاملة".

### ٣.٢ . خصائص العلم:

- التراكمية:

١ - وفي كل ذلك يؤكد ابن رشد أن البحث في الفقه يجب أن يكون في المسائل التي وراءها نفع وغناء؛ يقول رحمه الله: "واختلف الفقهاء هل من شرط وجوبها الإسلام أم لا (أي الطهارة)، وهي مسألة قليلة الغناء في الفقه لأنها راجعة إلى الحكم الأخرى". [ابن رشد، بداية المجتهد: ٢٢/١].

٢- ابن رشد، الضروري في أصول الفقه، ص ٣٤.

٣- إدريس حمادي، إصلاح الفكر الديني من منظور ابن رشد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص ١٥٥.

يعتبر ابن رشد أن العلم والمعرفة عمل إنساني تتعاون فيه البشرية من كل البلاد والأمم، بغض النظر عن معتقداتها الدينية<sup>١</sup>، والتعاون بهاته المثابة يصبح تكاملاً تنشأ عنه ظاهرة التراكم المنظم للعلم<sup>٢</sup>.

ولعل أبرز ما يفرض نفسه علينا كعنصر حي في فكر ابن رشد، تأكيده على الطابع التراكمي الذي يميز المعرفة البشرية، والعلمية منها خاصة<sup>٣</sup>، وهو ما بينه ابن رشد أيضاً حينما أقام الدليل على ضرورة التعاون في كل الأعمال العلمية بين الأجيال والأمم، بين المتقدمين والمتأخرين فقال: "وإن كان غيرنا قد فحص عن ذلك، فبيّن أنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك، وسواء أكان ذلك الغير مشاركا لنا أم غير مشارك لنا في الملة، فإن الآلة التي تصح بها التزكية، ليس يعتبر في صحة التزكية بها كونها آلة لمُشارك لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة، وأعني بغير المشارك من نظر في هذه الأشياء من القدمات قبل ملة الإسلام"<sup>٤</sup>.

وأقدم في هذا الصدد أمثلة من مجالات معرفية متعددة، فمثلاً في مجال المعرفة الفلسفية والمنطقية أو النظر العقلي -بعبارة ابن رشد- يقول رحمه الله: "إذا تقرر أنه يجب بالشرع النظر في القياس العقلي وأنواعه، كما يجب النظر في القياس الفقهي فبيّن أنه، إن كان لم يتقدم أحد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وأنواعه، أنه يجب علينا أن نبتدئ بالفحص عنه، وأن يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم، حتى تكتمل المعرفة به، فإنه عسير أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس، من تلقائه وابتدائه، على جميع ما يحتاج إليه من ذلك،

١- طه جابر العلواني، ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٣٨.

٢- محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي"، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١/١٩٨١م، ص ٤١-٤٢.

٣- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، سنة ٢٠٠٧م، ص ٢٣٢.

٤- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ٩١.

كما أنه عسير أن يستنبط واحد جميع ما يحتاج إليه من معرفة أنواع القياس الفقهي، بل معرفة القياس العقلي أخرى بذلك<sup>١</sup>.

وفي مجال البحث الفقهي الأصولي وباعتبار خاصية التراكمية في المعرفة والعلم عند ابن رشد نفهم انتقاده للموحدين الذين كانوا يلزمون الناس بترك آراء الفقهاء وما وصلت إليه المعرفة الفقهية من تراكم في فهم الآيات والأحاديث، مما يُوصل - حسب ابن رشد - إلى اجتهادات قد لا تكون صائبة لأنه لم يُراعَ فيها مبدأ التراكمية واستفادة المتأخر من المتقدم، وأستشهد لهذا بكلام نفيس لابن رشد في "فصل المقال" يقول:

"وهذه صناعة أصول الفقه والفقه نفسه لم يكمل النظر فيهما إلا بعد زمن طويل، ولو رام إنسان من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحجج التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وُضعت المناظرة فيها بينهم في معظم بلاد الإسلام - ماعدا المغرب<sup>٢</sup> - لكان أهلا أن يضحك منه، لكون ذلك ممتنعا في حقه، مع وجود ذلك مفروغا منه، وهذا أمر بيّن بنفسه، ليس في الصنائع العلمية فقط بل وفي العملية، فإنه ليس منها صناعة يقدر أن يُنشئها واحد بعينه<sup>٣</sup>.

- النسبية:

١- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ٩٠.

٢- يقصد بالمغرب هنا الغرب الإسلامي عموما حيث كانت السيادة وماتزال للمذهب المالكي، والمناظرات الفقهية التي أشار إليها هي التي كانت تنظم بين أقطار المشرق العربي حيث يوجد هذا التعدد المذهبي في الفقه، يقول ابن خلدون في هذا الصدد وهو يتحدث عن علم الخلافيات: "وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم، ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه. وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية؛ لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت، فهم لذلك أهل النظر والبحث. وأما المالكية فالأثر أكثر معتمدتهم وليسوا بأهل نظر. وأيضا فأكثرهم أهل المغرب". [عبد الرحمن بن محمد خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠١٢م. ص ٤٧٥ وما بعدها].

٣- ابن رشد، فصل المقال، ص ٩٢-٩٣.

إن أهم طروحات ابن رشد كانت هي الارتقاء بالعقل الإنساني والفعل المعرفي إلى اليقينية والموضوعية وبالتالي الابتعاد عن الظنية والخطأ<sup>١</sup>. والعلم اليقيني كما يعرفه ابن رشد "هو معرفة الشيء بما هو عليه"<sup>٢</sup>، ولا طريق له حسب فقيهننا وفيلسوفنا إلا الصرامة المنطقية، لذلك لم يُخَفِ ابن رشد إعجابه بمنطق أرسطو، والواقع أن ما كان يجذب ابن رشد إلى هذا المجال هو الروح العلمية والصرامة المنطقية والبناء المنطومي الأكسيومي لمذهب أرسطو، وهي المميزات التي جعلت منه بناء متماسكا متناسقا يجد فيه كل جزء مكانه في المجموع كما هو الشأن في الأساق الرياضية<sup>٣</sup>.

ومن جهة أخرى كانت المعرفة الدينية أو فهم الناس للدين يحتاج إلى أعمال العقول، وبالتالي التوفيق بين ما سيشيده العقل من تصورات معقولة يرتاح إليها، وبين ما يأتي به الوعي من عقائد وشرائع قد يوجد فيها، أو في ظواهر نصوصها، ما يتعارض مع العقل نوعا من التعارض<sup>٤</sup>، لذلك كان ابن رشد يدعو إلى البدء بالمنطق في التعلم والتحصيل لكونه "العلم الذي يعصم العقل من الخطأ" كما قيل في تعريفه: "فهو العلم الذي يؤسس العلم الصحيح"<sup>٥</sup>.

ورغم ما كان يطمح إليه ابن رشد من المعرفة اليقينية فإنه كان على وعي عميق بـ"نسبية" المعرفة، يقول رحمه الله في كتابه الكليات في الطب: "ويشبه ألا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه المطالب، لكن مع هذا ينبغي أن يقال في ذلك بحسب الطاقة، فإنه غير ممتنع أن تلوح ها هنا أشياء فيما بعد يمكن منها الوقوف

١- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٦٨.

٢- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٥١٣.

٣- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٧٤.

٤- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٥٢.

٥- ابن رشد، الضروري في السياسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٦٠.

على اليقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا<sup>١</sup>. وهذا تعبير عن وعي عميق بالطبيعة المؤقتة (النسبية) للحقيقة العلمية، وهو شيء لم يصبح قناعة علمية إلا في العصر الحديث<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر من كتاب "التهافت" ينبه ابن رشد إلى خاصية النسبية في العلم والمعرفة قائلاً: "ولكن كثيراً من هذه الأسباب الجزئية، إما ألا يوقف عليها أصلاً، وإما أن يوقف عليها بعد زمن طويل وتجربة طويلة"<sup>٣</sup>. وفي كتابه "تلخيص الخطابة" بعد بيانه معاني المقالة الثالثة يقول: "وقد لخصنا منها ما تأدّى إلينا فهمه وغلب على ظننا أنه مقصوده"<sup>٤</sup>. وفي السياق نفسه يقول رحمه الله: "فلا يبعد أن يظهر في آباء السنين الطويلة كثير من الحكمة التي في الأجرام السماوية..."<sup>٥</sup>.

فالحقيقة العلمية تبدو نسبية أيضاً إذا تعلق الأمر بأنواع من الخاطبين، يتفاوتون في تكوينهم العلمي خاصة إذا تعلق الأمر بالعلوم الدقيقة التي تتطلب استعداداً علمياً معيناً، وهو ما عبر عليه بقوله: "إنه ينبغي للذي يريد أن يخوض في هذه الأشياء، أن يعلم أن كثيراً من الأمور التي تثبت في العلوم النظرية، إذا عرضت على بادئ الرأي وإلى ما يعلقه الجمهور من ذلك، كانت بالإضافة إليهم شبيهاً بما يدرك النائم في نومه، وأن كثيراً من هذه، ليس تلقى لها مقدمات من نوع المقدمات التي هي معقولة عند الجمهور، يقتنعون بها في أمثال هذه المعاني. بل لا سبيل إلى أن يقع بها لأحد إقناع، وإنما سبيلها أن يحصل بها اليقين لمن يسلك في معرفتها سبيل اليقين"<sup>٦</sup>.

١- ابن رشد الكليات في الطب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ص ٢٠٨.

٢- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، ص ٢٣٢ وما بعدها.

٣- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٤٨١.

٤- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت-لبنان، ص ٣٣٢.

٥- ابن رشد، تهافت التهافت، ص ٤٨١.

٦- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٢٦٧.

ويمثل ابن رشد لذلك بمثال من علم دقيق هو علم الفلك يقول: "مثال ذلك أنه لو قيل للجمهور ولمن هو أرفع رتبة في الكلام منهم<sup>١</sup>: إن الشمس التي تظهر للعين في قدر قدم، هي نحو من مائة وسبعين ضعفا من الأرض، لقالوا هذا من المستحيل، ولكان من يتخيل ذلك عندهم كالنائم، ولعسر علينا إقناعهم في هذا المعنى بمقدمات يقع لهم التصديق بها من قرب، في زمان يسير"<sup>٢</sup>.

بل إن ابن رشد لم يكن يتردد في الاعتراف بالخطأ إذا تبين له الوقوع فيه، ولم يكن يتردد في التصريح بالتقصير وباحتمال وقوعه في الخطأ، والتنبيه إلى أن رأيه لا يمثل الحقيقة النهائية، طالبا من قرائه أن يكاتبوه وي طرحوا ما قد يبدو لهم من شكوك أو مآخذ على ما قرره في مسألة من المسائل. يقول في آخر مقالة الزاي من كتابه "شرح ما بعد الطبيعة" الذي ألفه أواخر عمره، بعد فترة تجاوزت الأربعين سنة من البحث والتأليف والتدريس: "هنا انقضت هذه المقالة، والحمد لواءب العقل كثيرا، وقد بلغت في تفسيرها أقصى ما انتهى إليه جهدي بعد تعب طويل وعناية بالغة، وأقول لمن وقف على تفسيرنا لهذا الكتاب ما قاله أرسطو في آخر كتاب السفسطة: إنه من وقف على تقصيرنا في ما وصفناه فليعذرنا"، وفي شرح كتاب "النفس"، يقول بصدد طبيعة العقل، بعد أن انتهى من مناقشة آراء الشراح السابقين ونقدها: "ولما كان ذلك كما وصفنا، فقد ينبغي أن ندلي هنا برأينا، وإذا كان ما ظهر لي لا يفسر كل شيء فقد يكون منطلقا لتفسير أكمل. ولهذا أطلب الآن من الأصحاب الذين سيقروون هذا الكتاب أن يطرحوا أسئلتهم كتابية، لأنه قد نجد الحقيقة بهذه الطريقة، إذا لم أكن قد صادفتها بعد، وإذا كنت قد صادفتها، كما يُخيل إليّ، فإن أسئلتهم ستساعدني على توضيحها أكثر"<sup>٣</sup>.

٣. المحور الثاني: حدود "العلمية" في المجالات المعرفية عند ابن رشد:

١.٣ . المنطقية والمعتولية: "البرهان شرط العلمية".

١- يريد علماء الكلام.

٢- ابن رشد، تهافت التهافت، ص ٢٦٨.

٣- نقلا عن الجابري: ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٧-١٨.

لقد كان الأمير الموحي أبو يعقوب إبان شبابه يتطلع إلى نشر الفكر الفلسفي والعلمي بين الناس "ولعله كان يرمي بذلك لأن يكون في الغرب كما كان المأمون في الشرق"<sup>١</sup>. وقد عبر عن رغبته تلك لصديقه وملازمه ابن طفيل الذي نقل تلك الرغبة إلى ابن رشد طالباً منه الانكباب على شرح أرسطو وتقريبه إلى أفهام عامة الناس -أي المتعلمين- يقول عبد الواحد المراكشي في هذا الصدد بلفظ ابن رشد نفسه نقله عن تلميذه أبي بكر بندود بن يحيى القرطبي، قال ابن رشد: "استدعاني أبو بكر بن طفيل يوماً فقال لي: سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أرسطو طاليس، أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها جيداً لقرب مأخذها على الناس، فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، وإنني لأرجو أن تفي به، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة، وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سنّي واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي منه. قال أبو الوليد: فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس"<sup>٢</sup>. فأفرغ ابن رشد همته كلها في دراساته الفلسفية.

أعلن ابن رشد في بداية مشروعه الفلسفي، فكتب يقول في المقدمة التي استهل بها أول كتاب له في الفلسفة ما نصه: "فإن غرضنا في هذا القول أن نعد إلى كتب أرسطو فنجرد منها الأقاويل العلمية التي تقتضي مذهب، أعني أوثقها، ونحذف ما فيها من مذاهب غيره من القدماء، إذ كانت قليلة الإقناع وغير نافعة في معرفة مذهب. وإنما اعتمدنا نقل هذا الرأي من بين آراء القدماء إذ كان قد ظهر للجميع أنه أشدها إقناعاً وأثبتها حجة [...] فلنبداً بأول كتاب من كتبه، وهو المعروف بالسماع الطبيعي، ونلخص ما في مقالة مقالة من الأقاويل العلمية، بعد أن نحذف الأقاويل الجدلية"<sup>٣</sup>، لأنها إنما مضطّر إليها عندهم في الفحص

١- محمد لطفي جمعة، ابن رشد تاريخه فلسفته، دار المعارف، سوسة-تونس، ١٩٩٦م، ص ١١-١٢.  
٢- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣، ص ٢٤٣.

٣- يستحضر ابن رشد هنا درس أرسطو لأنواع الأقاويل أو كما نقول اليوم "أصناف الخطاب" من زاوية درجة الصدق واليقين، فيميز فيها بين خمسة أصناف يربتها كما يلي: ١- الأقاويل البرهانية (أو القياس البرهاني) وهي التي تفيد العلم اليقيني في المطلوب الذي نلتزم معرفته، وهو العلم الذي لا يمكن أصلاً أن يكون خلافاً، ولا يمكن أن يرجع الإنسان عنه. ٢- الأقاويل الجدلية: التي يعتمد فيها المرء على المشهور من

عن المطالب الفلسفية قبل أن يوقع عليها بالأقاويل العلمية. فأما إذا وقع عليها فلا مدخل لها (=الأقاويل الجدلية) في التعليم، إلا على جهة الارتياض، ويكفي في ذلك الاختصار على مسائل محدودة العدد<sup>١</sup>.

لقد أدرك ابن رشد أن الآثار الأرسطية المشروعة تكابد سطوة عوائقها المعرفية الذاتية، فأعلن عن ضرورة تخليصها من أخلاطها الغريبة عنها، وميز تمييزاً حاسماً بين العلم واللاعلم في قلب المتن الأرسطي نفسه، أي بين الأقاويل البرهانية وغيرها من الأقاويل التي لا تحقق شروط إنتاج المتن الأرسطي اللغوية والمفاهيمية.

لقد كان هدف ابن رشد تجريد الأقاويل العلمية من نفس المادة النصية التي يقدمها المتن الأرسطي، والبحث في سلسلة معانيه طبقاً لمعيار واحد، هو معيار معقولية بنائها المنطقي واحترامها لأوائل البرهان. وهذا هو بعينه الهدف الذي اختاره في شروحه لمقالات ما بعد الطبيعة، ففي ديباجة الجوامع، يعرف ابن رشد بهدفه المعرفي كالتالي: "قصداً في هذا القول أن نلتقط الأقاويل العلمية من مقالات أرسطو الموضوعة في علم ما بعد الطبيعة على نحو ما جرت به عادتنا في الكتب المتقدمة"<sup>٢</sup>.

إن شرطي اليقين والبرهان كانا غائبين أيضاً في مجال قريب من الفلسفة وهو "علم الكلام" مما دفع ابن رشد إلى القيام بدراسات نقدية يتناول فيها مذاهب المتكلمين الأشاعرة منهم خاصة في كتابيه "فصل المقال" و"الكشف عن مناهج الأدلة" كما سينتقد الغزالي بصورة

الآراء والأفكار، إما لنصرة وجهة النظر التي يدافع عنها وإبطال وجهة نظر خصمه، وإما لتعزيز رأي أو دعوى وتقديمها في صورة المعرفة اليقينية دون أن تكون كذلك. ٣- الأقاويل السفطائية: والهدف منها التعليل والتوضيح والتوهم والتلبس، وتقديم الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل. ٤- الأقاويل الخطابية: التي تستعمل من أجل إقناع الناس "في أي شيء كان"، وأن يميل ذهنه إلى أن يسكن إلى ما يقال له ويصدق به تصديقاً ما، إما أضعف وإما أقوى، وذلك باستعمال الشواهد المختلفة لتدعيم الرأي وحمل الناس عليه. ٥- الأقاويل الشعرية: وهي التي تعتمد التخيل والتصوير بهدف حمل المخاطب على أن يرى في الشيء إما جمالاً أو قبحاً أو جلالاً أو هواناً أو غير ذلك، وإنما تستعمل الأقاويل الشعرية في مخاطبة إنسان يستنهض لفعل شيء ما باستقرار إليه واستدراج نحوه. [أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1996م. ص ٣٨ وما بعدها].

١- حيدر آباد الدكن، رسائل ابن رشد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى ١٩٤٧، ص ٣.

٢- ابن رشد، جوامع ما بعد الطبيعة، مطبعة الابيرية، ١٩١٨، ص ٥١.



أكثر خصوصية في كتابه "تهافت التهافت"، فنجدده يفند آرائهم وانتقادهما، ويعدُّ علم الكلام عاجزا عن الوصول إلى كمال المعرفة. وبلغه ابن رشد: "ليس في قوة صناعة الكلام الوقوف على القدر من المعرفة؛ إذ أغنى مراتب صناعة الكلام أن يكون حكمة جدلية لا برهانية، وليس في قوة صناعة الجدل الوقوف على الحق في هذا".<sup>١</sup>

فاتهم مناهج المتكلمين بأنها في أغلبها خطابية وغير برهانية وسفسطائية وأنها سخافات وتناقضات، وأنها مجرد شكوك عويصة. كما انتقد ابن رشد على المتكلمين خوضهم في أمور العقيدة مع العامة مما أدى إلى فساد عقائدهم وتكليفهم ما لا يطيقون وما لا يستطيعون فهمه. ف"الكلام في علم الباري سبحانه بذاته وبغيره مما يحرم على طريق الجدل في المناظرة، فضلا عن أن يثبت في كتاب، فإنه لا تنتهي أفهام الجمهور إلى مثل هذه الدقائق. وإذا خيض معهم في هذا بطل معنى الإلهية عندهم. فلذلك كان الخوض في هذا العلم محرما عليهم إذ كان الكافي في سعادتهم أن يفهموا من ذلك ما أطاقتهم أفهامهم".<sup>٢</sup>

ثم إن التحدث في الإلهيات يقتضي تحصيل علوم عديدة ليحصل الاستعداد لذلك؛ "فهذه المسألة هي خاصة بالعلماء الراسخين الذين أطلعهم الله على الحقائق. ولذلك لا يجب أن تثبت في كتاب إلا الكتب الموضوعة على الطريق البرهاني، وهي من التي شأنها أن تقرأ على ترتيب، وبعد تحصيل علوم آخر يضيق على أكثر الناس النظر فيها على النحو البرهاني إلا إذا كان ذا فطرة فائقة، مع قلة وجود هذه الفطرة في الناس".<sup>٣</sup>

أما عن الوسائل المتبعة في المشروع الرشدي في تخليص العقيدة الإسلامية من تشغيبات المتكلمين فإن ابن رشد "يدافع عن الطابع الخاص والخصوصي للعقائد الدينية، والمناداة بضرورة قراءتها بلغتها ومضامينها المفهومية المنزلة دونما أي اعتماد لأساليب

١- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٦٤م، ص ٧٦.

٢- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٣٧٨.

٣- ابن رشد، تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م، ص ٣٧٨.

أخرى كأساليب المتكلمين الخطابية والجدلية<sup>١</sup> التي ترجع إلى الاستدلال بالشاهد على الغائب: فما ينتجه هذا القياس من أدلة وحجج إلى عدم القول بالنظام والسببية في الكون -الذي يدل بشكل أقوى على عظمة الخالق- بدل مبدأ التجويز والعادة لتفسير ظواهر الكون ما ينتهي بالمتكلمين إلى مواقف متناقضة ومتضاربة<sup>٢</sup> كآرائهم حول مسألة القضاء والقدر<sup>٣</sup> حتى صارت مواقفهم وطرقهم "معتاصة، تذهب على كثير من أهل الرياضة (المدرسين الماهرين) في صناعة الجدل (علم الكلام) فضلا عن الجمهور، وهي غير برهانية ولا مفضية بيقين إلى وجود الباري سبحانه"<sup>٤</sup>.

إلى ما تحدثه تفريعات المتكلمين وآراؤهم "من التشغيب والشكوك العويصة التي لا يتخلص منها العلماء المهرة بعلم الكلام والحكمة فضلا عن العامة، ولو كُلف الجمهور العلم

١- سالم يفو، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ٣٠٥.

٢- يرى الدكتور عبد المجيد الصغير "أن الأمر يتعلق هنا بسلوك فكري ثابت يكاد يطبع مختلف المعالجات الكلامية، داخل المنهج الأشعري للأطروحات الفكرية المختلفة، فهذا المنهج كما لاحظ ابن رشد وابن تيمية بعده، يكاد يكون مطبوعا بطابع "السفسطة" ورغم ما يبدو في هذا النعت من معنى قذحي ومبالغة ظاهرة، إلا أن ما بيرر وجوده يتمثل فيما نلاحظه في جل "الأصول" الأشعرية من حرص على التوفيق بين المواقف المتناقضة والمتعارضة، واتخاذ "موقف وسط" الشيء الذي تبدو معه تلك الأصول أحيانا كثيرة وكأنها له تتخرج من الجمع بين المتناقضات، ولو على مستوى الظاهر: فالصفات الإلهية مثلا، لاهي عين الذات ولا هي غيرها. والقرآن قديم المعنى، محدث اللفظ. والرؤية ممكنة الوقوع، إلا أنها لا تقع على المحسوس. والكسب، لا هو جبر ولا بالاختيار. والإنسان غير خالق لأفعاله، ولكنه مسؤول عنها...ولقد صارت مثل هذه الرغبة في التوفيق والجمع بين المتقابلات سلوكا ثابتا في بنية الفكر الأشعري -المتأخر منه خاص- حتى أصبحت لديه قابلية للجمع بين المتقابلات. [يراجع عبد المجيد الصغير، المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية- قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة -، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص ٦٤-٦٥].

٣- سالم يفو، ابن حزم والفكر الفلسفي، ص ٤٨١.

٤- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، طبعة ١٩٦٤م، ص ١٠٣.

من هذه الطرق لكان من باب تكليف ما لا يطاق"<sup>١</sup>، "فقد تبين لك من هذا أن هذه الطرق ليست برهانية صناعية ولا شرعية"<sup>٢</sup>.

أما الطرق الشرعية في إثبات العقائد حسب ابن رشد "إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين أحدهما أن تكون يقينية، والثاني أن تكون بسيطة غير مركبة"<sup>٣</sup>.

والطريق التي سلك ابن رشد هي طريق القرآن الكريم باعتماد الاستقراء كتقنية إجرائية في إثبات مقاصد العقيدة الإسلامية وإلى ذلك يشير في قوله: "فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة أن يعمد إلى الكتاب العزيز، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء شيء مما كلفنا اعتقاده ويجتهد في نظره إلى ظاهرها ما أمكن من غير أن يتأول من ذلك شيئاً إلا إذا كان التأويل ظاهراً بنفسه، أعني ظهوراً مشتركاً للجميع"<sup>٤</sup>.

٢.٣. الانتظام القانوني: "القانون في الطب كالقانون في الفقه".

العلوم بالنسبة لابن رشد "كلما كانت أكثر تشعباً، والناظرون فيها مضطرون في الوقوف عليها إلى أمور لم يضطر إليها من تقدمهم، كانت الحاجة فيها إلى قوانين تحوط أذهانهم عند النظر فيها أكثر"<sup>٥</sup>.

هكذا فالحاجس الذي حرك أبا الوليد إلى تأليف كتاب "الكليات"<sup>٦</sup> هو نفسه الحاضر في كتاب "البداية"، وهو وضع دساتير وقوانين للقول الطبي والقول الفقهي.

لقد كان الغرض الأول من كتاب الكليات هو نقل النظر الطبي من الإغراق في الجزئيات التي لا تنتهي إلى الإمساك بالكليات التي تنير تلك الجزئيات وتعمل على تنظيمها وضبطها، ومن ثم نقل القول الطبي من ضعف الجدل إلى قوة البرهان<sup>٧</sup>، يقول ابن رشد: "فإن

١- نفسه، ص ١٠٥.

٢- نفسه، ص ١١.

٣- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٦٤م، ص ١١٦.

٤- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص ١٢٤.

٥- ابن رشد، الضروري في أصول الفقه، تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٣٥.

٦- الكليات في الطب، ألفه عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م.

٧- جمال الدين العلوي، المتن الرشدي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ١٨١.

"فإن كتابنا هذا إنما قصدنا فيه أن نجعله كالدستور والقانون لمن أحب أن يستوفي أجزاء الصناعة على هذا التقسيم والترتيب"، وذلك على الرغم من أن اليقين في هذه الصناعة أمر متعذر الوقوع دفعة واحدة.

إن ضبط القول الطبي من خلال إرجاعه إلى أصول موضوعه ومبادئ ثابتة، والحرص على الصناعة الطبية بمقدمات وأصول من العلم الطبيعي، بالإضافة إلى معطيات كثيرة من علوم أخرى بعيدة عن السحر والتنجيم وعدم التقيد بالتجربة، والعناية برفع القول الطبي إلى مستوى القوانين والدساتير، واحتقار الممارسة العلاجية التي لا تهدي بتلك القوانين كلية؛ هذا أهم ما يرومه أبو الوليد من تأليف كتاب الكليات. وإذا كان الأمر كذلك فليس من السهل أن ننسب كتابا ككتاب الكليات إلى فيلسوف لا إلى طبيب، بل من الأحرى بنا أن ندمجه في جسم المتن الرشدي.

في مجال آخر دعا ابن رشد رحمه الله إلى تصحيح مفهوم "الاجتهاد التقليدي" الذي كان سائدا في زمانه؛ فالاجتهاد بالنسبة إليه ليس حفظا ونقلًا للآراء الفقهية بل هو توليدها وإيجاد الأحكام المناسبة لنوازل الأمة وقضاياها، دون أن تنسى ذكر ما يمكن اعتباره سعيا نحو التقعيد أو التأصيل، أي ذلك الحرص على القواعد والأصول من القضايا الجديرة بأن تصبح قانونا ودستورا للاجتهاد والمجتهد<sup>٣</sup>.

وهذا "السعي نحو خلق جهاز فقهي متماسك الأجزاء ومرتكز على العقل والحرص على تلمس الموضوعية واليقين"<sup>٤</sup> دفع ابن رشد إلى وضع دستور أو قانون للقول الفقهي ورفع

١- ابن رشد، الكليات في الطب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ص ٥١٣

٢- لا نحتاج هنا إلى التأكيد على الطابع العلمي للصرف لكتاب "الكليات"، فهو يخلو تماما من أي شيء ينتمي إلى السحر والنظرة السحرية التي نجدها بهذه الدرجة أو تلك في كتب الطب القديمة التي كانت تعزو كثيرا من الأمراض إلى قوى خفية، فهو يعترض على ابن سينا الذي نسب إلى القمر التأثير على الإنسان صحته وممرضه، مذكرا بأن هذا القول ليس من صناعة التنجيم ... [محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان، سنة ٢٠٠٧م، ص ٢٣٤ وما بعدها].

٣- عبد المجيد محمد تركي، مكانة ابن رشد من تاريخ المالكية بالأندلس، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ص ٢٤٢ وما بعدها.

٤- نفسه، ص ٢٤٧.

على مستوى الجزئيات والوقائع اللامتناهية إلى مستوى الأصول المقررة والقواعد الثابتة<sup>١</sup>. ليمتلك المجتهد آلية تصلح للتفريع عليها واستنباط أحكام المسائل المسكوت عنها في الشرع، حتى يبلغ في هذه الصناعة رتبة الاجتهاد.

وهذا الغرض والمبتغى كان ابن رشد يُلحِإ إليه في مواضع متعددة من كتابه "بداية المجتهد" حيث نجده يقول مثلاً: "ونحن نذكر من هذه المسائل ما اشتهر الخلاف فيه بين الفقهاء ليكون ما يحصل من ذلك في نفس الفقيه يعود كالقانون والدستور الذي يعمل عليه فيما لم يجد فيه نصاً عن تقدمه، أو فيما لم يقف على نص فيه لغيره"<sup>٢</sup>. ويقول أيضاً: "وأما المسائل المسكوت عنها في هذا الباب المختلف فيها بين الأمصار فكثيرة، لكن نذكر منها ما اشتهر لتكون كالقانون للمجتهد النظار"<sup>٣</sup>.

لذلك كان كتاب البداية كتاباً يبحث فيه ابن رشد عن الأصول الضابطة للشرعية، ورفع البحث الفقهي من مستوى الجزئيات والوقائع اللامتناهية إلى مستوى الأصول المقررة والقواعد الثابتة، يقول بهذا الخصوص: "وقصدنا من هذه المسائل إنما هو الأصول الضابطة للشرعية لا إحصاء الفروع لأن ذلك غير منحصر"<sup>٤</sup>، و"ليس كتابنا هذا موضوعاً على الفروع"<sup>٥</sup>. إذ الأصول حاكمة للفروع وضابطة لها، بين ذلك ابن رشد بقوله: "ونحن نذكر أولاً المنطوق به في الشرع وما يتعلق به من الفقه، ثم نذكر بعد ذلك من المسكوت عنه ما شهر الخلاف فيه فقهاء الأمصار ليكون كالقانون في نفس الفقيه، أعني في ردّ الفروع إلى الأصول"<sup>٦</sup>.

أما الوسائل الكفيلة بتحقيق غرضه هذا فهي لن تكون غير "إثبات المسائل المشهورة التي وقع الخلاف فيها بين فقهاء الأمصار، مع المسائل المنطوق بها في الشرع... المتفق

١- مصطفى نجيب، المنهج الفقهي عند ابن رشد، ضمن "العطاء الفكري لأبي الوليد ابن رشد" المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠/٥١٩٩٩م، ص ٥٥ وما بعدها.

٢- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، ٢٠٠٣م: ٣٠٧/٢.

٣- نفسه: ٢٧١/٢.

٤- نفسه: ٣٥٥/٢.

٥- نفسه: ٩٩/٢.

٦- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، ٢٠٠٣م: ٢٥٦/٢.

عليها والمختلف... فإن معرفة هذين الصنفين من المسائل هي التي تجري للمجتهد مجرى الأصول في المسكوت عنها، وفي النوازل التي لم يشهر الخلاف فيها بين فقهاء الأمصار، سواء نقل فيها مذهب عن واحد منهم أو لم ينقل<sup>١</sup>.

إن فقد هذا الدستور أو القانون لدى الفقيه سيكون سببا في الإفتاء بالآراء المتعارضة في النوازل المتشابهة أو في النازلة الواحدة في أوقات مختلفة، وبيانه: "أن الإنسان إذا سئل عن أشياء متشابهة في أوقات مختلفة، ولم يكن عنده قانون يعمل عليه في تمييزها إلا ما يعطيه بادئ النظر في الحال جاوب فيها بجوابات مختلفة، فإذا جاء من بعده أحد فرام أن يجزي تلك الأجوبة على قانون واحد وأصل واحد عسر ذلك عليه، وأنت تتبين ذلك من كتبهم"<sup>٢</sup>.

بصورة أوضح يصف ابن رشد حال فقهاء زمانه ومحدوديتهم في "البداية" قائلا: "متفقهة زماننا يظنون أن الأفقه هو الذي حفظ مسائل أكثر، وهؤلاء عرض لهم شبيه ما عرض لمن ظن أن الخفاف هو الذي عنده خفاف كثيرة، لا الذي يقدر على عملها، وهو بين أن الذي عنده خفاف كثيرة سيأتيه إنسان بقدّم لا يجد في خفافه ما يصلح لقدمه، فيلجأ إلى صانع الخفاف ضرورة وهو الذي يصنع للقدم خفا يوافقه، فهذا هو مثال أكثر المتفقهة في هذا الوقت"<sup>٣</sup>.

ولقناعة ابن رشد بجدوى هذا المنحى الذي رسمه ووصفه في كتابه يؤكد "أن في قوة هذا الكتاب أن يبلغ به الإنسان -كما قلنا- رتبة الاجتهاد، إذا تقدم فعلم من اللغة العربية وعلم أصول الفقه، ما يكفيه في ذلك، ولذلك رأينا أن أخص الأسماء بهذا الكتاب، أن نسميه بداية المجتهد وكفاية المقتصد"<sup>٤</sup>.

بل يرى أنه كفيل بالبلوغ به إلى رتبة الاجتهاد في كل مذهب مذهب، إذ "يشبه أن يكون من تدرب في هذه المسائل، وفهم أصول الأسباب التي أوجبت خلاف الفقهاء فيها، أن يقول ما يجب في نازلة من النوازل، أعني أن يكون الجواب فيها على مذهب فقيه من فقهاء الأمصار، أعني في المسألة الواحدة بعينها، ويعلم حيث خالف ذلك الفقيه أصله، وحيث لم

١- نفسه: ٤٢١/٢.

٢- نفسه: ٢٤١/٢.

٣- نفسه: ٣٤٠/٢.

٤- نفسه: ٦٨٣/٢.

يخالف، وذلك إذا نقل عنه في ذلك فتوى، فأما إذا لم ينقل عنه في ذلك فتوى، أو لم يبلغ ذلك الناظر في هذه الأصول، فيمكنه أن يأتي بالجواب بحسب أصول الفقه الذي يفتي على مذهبه، وبحسب الحق الذي يؤدي إليه اجتهاده".<sup>١</sup>

### ٣.٣. السلامة من الإيديولوجيا: "الغرض العلمي أولا".

وصف الواقع الذي عاش فيه فقيهننا وفيلسوفنا ابن رشد بـ "الواقع المأزوم"؛ إنه واقع الفرقة والتشتت، تمثل في "الأضرار" التي نجمت عما قامت به الفرق الكلامية من التصريح للجمهور - أي العامة - بتأويلاتها، وما نتج عن ذلك من "شنآن" و"تباغض وحروب" و"تمزيق للشرع" و"تفريق للناس كل تفريق". يصفه قائلنا: "فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى، كل الاضطراب، في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة وأصناف مختلفة".<sup>٢</sup> وكان نتيجة ذلك أن "تشأت فرق الإسلام حتى كفر بعضهم بعضا، وبدع بعضهم بعضا... فأوقعوا الناس من قبل ذلك في شنآن وتباغض وحروب، ومزقوا الشرع، وفرقوا الناس كل تفريق".<sup>٣</sup>

لقد كانت كل فرقة ترى أنها على "الشريعة الأولى"، وأن من خالفها "إما مبتدع وإما كافر مستباح الدم والمال".<sup>٤</sup> وابن رشد يرى أن هذه السلوكات كلها ابتعاد وعدول عن مقصد الشارع، واتباع لمقاصدهم التي تخفي وراءها الأهواء الفاسدة والمصالح الخاصة والاعتقادات المحرقة، وسبب ذلك كله "ما عرض لهم (أي الفرق) من الضلال عن فهم مقصد الشريعة".<sup>٥</sup>

وهكذا يمكن القول عن واقع الشريعة من خلال الفرق الحادثة - في ضوء كلام ابن رشد عنه - أن هذه الفرق الإسلامية كانت على خلاف فيما بينها، يكفر أو يبدع بعضهم بعضا، وأن ذلك انعكس على الناس في المجتمع الإسلامي فظهر بينهم الخلاف والاضطراب

١- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، ٢٠٠٣م: ٤٢١/٢.

٢- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٦٤م، ص ١٠٠.

٣- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، بيروت- لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى نونبر ١٩٩٧م، ص ١٢١- ١٢٢.

٤- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ١٠٠.

٥- نفسه، ص ١٠٠.

٦- نفسه، ص ١٠٠.

والعداوة والمشاجرة، وأن اختلاف هذه الفرق يرجع إلى أنها نصبت لها مقاصد خاصة خاضعة للإيديولوجية والأهواء ابتعدت بها عن تحقيق مقصد الشريعة.

وأن هذه الفرق أو بعضها كانت تظن أنها تحقق مقصد الشريعة في حين أنها لم تفهم مقصد الشريعة حقاً، أو لم تكن مؤهلة لإدراك ذلك المقصد ولم تكن هي الأحق بالقيام بذلك، لأنها مهمة الراسخين في العلم على حد التعبير القرآني.

يتضح هذا الشاغل بمثال يقدمه ابن رشد في فصل المقال وفي غيره من الكتب السابق ذكرها، وهو يشبه حال الشريعة (يعني الدين) بدواء ركه من عدة عناصر "طبيب ماهر ليحفظ صحة جميع الناس أو الأكثر، فجاء رجل لم يناسبه ذلك الدواء فغير من تركيبه وقال للناس: هذا هو الذي قصده ذلك الطبيب، فصدوه وأخذوا من ذلك الدواء، فأصابهم بسببه مرض. ثم جاء رجل آخر وادعى نفس الادعاء وفعل الشيء نفسه، وأصاب الناس من ذلك مرضاً آخر، ثم جاء ثالث فراجع (...) وادّعوا ما ادّعى الأول والثاني وفعلوا فعله، وكانت النتيجة أن توالى الأمراض على الناس بسبب ذلك، حتى فسدت المنفعة المقصودة بهذا الدواء المركب". ثم يخاطب ابن رشد قارنه قائلاً: "وأنت إذا تأملت ما في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح" فذلك ما فعله بالشرع الخوارج ثم المعتزلة، ثم الأشعرية ثم الصوفية...<sup>(١)</sup>.

وفي جانب آخر وسمت الحضارة زمن ابن رشد بأنها حضارة فقه تؤول المشروعية فيها إلى سلطة الفقهاء باعتبارهم أهل الحل والعقد، بمن فيهم الخلفاء الذين غالباً ما تزوج فيهم هذه الصفة التي يستمدون منها شرعية الحكم المطلق<sup>(٢)</sup>. لاسيما وأن "الحكام آنذاك كانوا يرون أن قوة الدولة سياسياً لا تقوم إلا بوجود اتجاه معرفي وفكري يدعم تلك القوة وسيادتها، وقد وجدوا ذلك ممثلاً في المذهب المالكي"<sup>(٣)</sup>.

١- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، بيروت- لبنان: مركز دراسات

الوحدة العربية، الطبعة الأولى نونبر ١٩٩٧م، ص ١٢٠ وما بعدها.

٢- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح، الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة ٢٠١٠م، ص ١٠.

٣- سعيد بنكروم، المنهجية الأصولية في الأندلس من خلال تاريخها السياسي والثقافي: أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الرباط- السنة الجامعية ١٤١٦-١٤١٧/١٩٩٥-١٩٩٦م، ص ١١٨.



كان نتيجة ذلك أن صار فقهاء الأندلس المالكيون من أشد الناس كراهة لكل حركة ترمي إلى التجديد -خاصة ميدان الفقه- ومخالفة ما كانوا سائرين عليه، وشدت الدولة أزرهم في حزم فحرمت على الناس كتب الفقه غير المالكي. ولو كان أصحابها من أجراء أهل السنة كمسند ابن أبي شيبه (٢٣٥هـ)<sup>(١)</sup>.

وبعد أن وافق في نفوس الفقهاء ما تدعو إليه دولة الملتزمين (المرابطين) من اهتمام بالفقه ونبذ الأصول... بل ونبذ كل ما لا يمتّ بصلة إلى الفقه المالكي<sup>(٢)</sup>؛ احتضن البلاط المرابطي عددا كبيرا من فقهاء الأندلس. فانتقلت معهم التقاليد التي كانت سائدة بالمجتمع الثقافي الأندلسي والمبنية على التشدد والتعصب، فتزايد نفوذهم واستفحل بسرعة كبيرة: "وتزايد نفوذهم إلى درجة السيطرة الفكرية والسياسية؛ يشاركون في جميع مظاهر الحياة، فشاركوا في السياسة وتقلدوا مناصب سياسية كبرى"<sup>(٣)</sup>.

ولما خلف الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أباه عرفوا كيف يستميلونه إليهم حتى أصبح لا يبرم شيئا دون استشارتهم وموافقتهم<sup>(٤)</sup>. ويحكي صاحب المعجب هذا الارتباط بين هذا الأمير المرابطي والفقهاء في قوله: "ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع. أعني فروع مذهب مالك، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله"<sup>(٥)</sup>. وتزايد قرب الفقهاء منه، واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع

١- أنجيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 1955، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٢- المصطفى الوضيبي، أصول التشريع الإسلامي بين الفقهاء والمتكلمين إبان القرن الخامس: دراسة في تداخل أصول الكلام مع أصول التشريع، المجلس العلمي المحلي، مراكش-المغرب، الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص ٣١.

٣- المصطفى الوضيبي المناظرة في أصول التشريع الإسلامي: دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٧.

٤- محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي"، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان: الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ٣٠.

٥- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣، ص ١٧٣.

مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيما يُعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبت حكما في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء. فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس<sup>(١)</sup>.

ولقد أصبح هذا الارتباط بين عاهل المغرب وفقهاء الأندلس من الظواهر التاريخية والاجتماعية التي لفتت أنظار المعاصرين، فتحدثوا بالحاح، كما سجلوا -في الوقت نفسه- تضاييق الناس بنفوذ الفقهاء وتشددهم واستئثارهم بالمصالح والفوائد<sup>(٢)</sup>. يقول صاحب المعجب: "ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثر لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم"<sup>(٣)</sup>.

ولم تعرف الثقافة الفقهية السائدة بالمغرب والأندلس تغيرا زمن الموحدين الذين أرادت دولتهم في البدء أن توقف سيطرة الفقهاء عند حد صغير، لتفسح المجال لمذهبها الجديد، لكن الظاهر أنها صادفت داخل المجتمع المغربي مقاومة للسير قدما في مثل هذا الاتجاه<sup>(٤)</sup>.

لقد دلت الأحداث على أن تيار فقهاء المالكية كان راسخا في المغرب أكثر مما كان يتصور الموحدون. فعلى الرغم من تحفظاتهم وانتقاداتهم، اضطروا إلى التعامل اليومي مع فقهاء المالكية الذين كانوا يشكلون الإطار الذي ارتكزت دولتهم عليه، بصورة عملية. وابن رشد كان من أقطاب المالكية، ولعل الخطأ الذي ارتكبه الموحدون هو أنهم لم يفرقوا بين المالكية كمذهب وفقهاء الفروع الذين ساندوا المرابطين. فالقرارات المبدئية التي اتخذوها من أجل تحويل الناس عن المذهب المالكي لم تكن موفقة لأنها اكتست طابع اضطهاد فكري وديني<sup>(٥)</sup>؛ فحاولوا محو مذهب مالك وإحياء ما يمكن أن نسميه بـ"شبه الاجتهاد".

١ - نفسه، ص ١٧١.

٢ - محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ص ٣٠.

٣ - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٧١.

٤ - محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ص ٥٠.

٥ - محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي"، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ٥٠.

هكذا طرح مشكل الحرية في المجتمع الأندلسي ولذلك، فقد كان الشغل الشاغل بالنسبة لمثقفى الأندلس الذين لا ينتمون لهذه الطائفة ولا يوافقون على سلوكها وموقفها؛ هو أن يحدوا من غلواتها ويحاولوا فتح باب نحو الحرية ولو كان باباً صغيراً. وكذا السعي إلى تقديم صورة أخرى عن الدين، صورة مبنية من جهة، على التفتح والتسامح والجدال والحوار، وعلى مناهضة مواقف الجمود، ورفض كل التأويلات الهادفة إلى مضايقة الناس والتشديد عليهم وحرمانهم من استعمال العقل والرأي من جهة أخرى<sup>(١)</sup>.

يرى ابن رشد أن الوضع الطبيعي للحياة الفقهية في كل مجتمع هو أن يكون في الناس صنفان: "صنف فرضه التقليد وهم العوام الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد، وصنف ثان وهم المجتهدون الذين كملت فيهم شروط الاجتهاد"<sup>(٢)</sup>، غير أنه بعد تشخيصه لواقعه يلاحظ "أن ههنا طائفة تشبه العوام من جهة، والمجتهدين من جهة، وهم المسمون في زماننا هذا أكثر ذلك بالفقهاء، فينبغي أن ننظر في أي الصنفين أولى أن نلحقهم"، ليصل إلى نتيجة لهذا التشخيص والفحص وهي أن "الظاهر من أمرهم أن مرتبتهم مرتبة العوام وأنهم مقلدون"<sup>(٣)</sup>.

بالنسبة لابن رشد لابد أن يكون الفقيه والعالم من أهل الأخلاق الفاضلة فيكون مقصده الحق، ولا شيء غيره كالكذب أو التغرير بالمسلمين أو أغراض إيديولوجية أو سياسية أو شهرة أو مال... مما لا علاقة له بالفضيلة. يقول ابن رشد رحمه الله: "وهذا الذي عرض لهذه الصناعة (أي الفقه) هو شيء عارض لسائر الصنائع، فكم من فقيه كان الفقه سبباً لقلّة تورعه وخضوعه في الدنيا، بل أكثر الفقهاء كذلك نجدهم وصناعتهم إنما تقتضي بالذات الفضيلة العملية"<sup>(٤)</sup>.

١- محمد زنيبر، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ص ٢٦.

٢- ابن رشد، الضروري في أصول الفقه،: تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ١٤٤.

٣- نفسه، ص ١٤٤.

٤- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٩٥.

خاتمة:

إن ما كان يطمح إليه فكر الرجل، هو إعطاء الأولوية للبحث عن المصادقية العلمية والتماسك العقلائي، والدفع بأتمته إلى التفكير والإقبال على النظر، وإعمال العقل في كل شيء، وقد تجلّى لنا هذا المطلب في أكثر من سياق، ورأيناه يدافع بكل السبل الممكنة موظفاً لأجل ذلك الأدلة الشرعية والعقلية معاً، محاولاً إبراز الجذر المشترك لكل منهما دون تطاول على الملة أو تحامل على العقل.

لقد آمن ابن رشد بالتفكير العلمي وبالتراكمية والنسبية في المعرفة والعلم واصطبغ بذلك إبداعه في شتى الميادين العلمية التي جابها العقل الرشدي، ومنها مجال الاجتهاد الفقهي والأصولي، وما من شك أن هذا هو المطلوب في الفقيه العالم، وهو لن يكون كذلك، إلا إذا كان تفكيره الفقهي تفكيراً إنسانياً يقرّ بأن ما ينتجه الإنسان في الكون بالرغم من تنوع الهويات واختلاف الأديان، يهم في الأصل الإنسانية جمعاء.

كما وضع ابن رشد تقسيمات وتصنيفات للعلوم؛ فمنها النظرية والعملية والآلية؛ ومنها المعرفة التي غايتها الاعتقاد، ومنها المعرفة التي غايتها العمل، وهذه منها الجزئية والكلية، فالجزئية كالعلم بأحكام الصلاة، والكلية كالعلم بالأصول التي تبنى عليها الفروع. ومنها المعرفة التي تعطي القوانين والأحوال التي يتسدد الذهن بها نحو الصواب في هاتين المعرفتين... ولا شك أن هذه التقسيمات والتصنيفات الدقيقة للعلوم تفيد العالم في ضبطه لحقيقة تخصصه ومعرفة طبيعة النتائج العلمية التي يتوصل إليها، ومن ناحية أخرى تعرّف نوع المناهج المفيدة في بحثه، وأنواع الروابط والعلاقات بين تخصصه وباقي التخصصات.

ثم جعل ابن رشد المنطقية والمعقولية شرطاً أساساً لـ "العلمية"، وميز تمييزاً حاسماً بين العلم واللاعلم في قلب كل مجال علمي جابه عقله؛ ففي الفلسفة مثلاً كان هدف ابن رشد تجريد الأقاويل العلمية من نفس المادة النصية التي يقدمها المتن الأرسطي، والبحث في سلسلة معانيه طبقاً لمعيار واحد هو معيار معقولية بنائها المنطقي واحترامها لأوائل البرهان. كما أن شرطي اليقين والبرهان كانا غائبين في مجال قريب من الفلسفة وهو "علم الكلام" مما دفع ابن رشد إلى القيام بدراسات نقدية يتناول فيها مذاهب المتكلمين الأشاعرة منهم خاصة فنجدده يفند آرائهم وانتقادهما، ويعدّ علم الكلام عاجزاً عن الوصول إلى كمال المعرفة وإلى اليقين فيها.

إن الانتظام القانوني محدّد من محددات العلمية بالنسبة لابن رشد، وهو الهاجس الذي حرك أبا الوليد إلى تأليف كتاب "الكليات" هو نفسه الحاضر في كتاب "البداية"؛ وهو وضع دساتير وقوانين للقول الطبي والقول الفقهي. ونقل النظر الطبي من الإغراق في الجزئيات التي لا تنتهي إلى الإمساك بالكليات التي تنير تلك الجزئيات وتعمل على تنظيمها وضبطها، ومن ثم نقل القول الطبي من ضعف الجدل إلى قوة البرهان. وفي كتاب "البداية" سعى ابن رشد إلى خلق جهاز فقهي متماسك الأجزاء ومرتكز على العقل وتلمس الموضوعية واليقين؛ وذلك بوضع دستور أو قانون للقول الفقهي ورفع على مستوى الجزئيات والوقائع اللامتناهية إلى مستوى الأصول المقررة والقواعد الثابتة؛ ليمتلك المجتهد آلية تصلح للتفريع عليها واستنباط أحكام المسائل المسكوت عنها في الشرع، حتى يبلغ في هذه الصناعة رتبة الاجتهاد.

إن الفقيه والعالم بالنسبة لابن رشد لابد أن يكون من أهل الأخلاق الفاضلة فيكون مقصده الحق، ولا شيء غيره كالكذب أو التغرير بالمسلمين أو أية أغراض إيديولوجية أو سياسية أو شهرة أو مال... مما لا علاقة له بالفضيلة، فرفض كل التأويلات الهادفة إلى مضايقة الناس والتشديد عليهم وحرمانهم من استعمال العقل والرأي، وعاب على الفقهاء قلة تورعهم وخضوعهم وانغماسهم في الدنيا، كما عاب على الفرق الإسلامية ما كانت عليه من خلاف فيما بينهما مما انعكس على المجتمع الإسلامي حتى شاع الخلاف والعداوة والمشاجرة بسبب نشر خطاب إيديولوجي بعيد عن حقيقة الشريعة. لقد كانت السلامة من الإيديولوجيا، ونشدان الغرض العلمي دونما سواه من أهم شروط العلمية عند فقيهننا وفيلسوفنا أبي الوليد.

قائمة المراجع:

- حميد الصولي، الاجتهاد والتجديد في الفكر المغربي المعاصر، مراكش-المغرب: المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
- إدريس حمادي، إصلاح الفكر الديني من منظور ابن رشد، الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- المصطفى الوضيقي، أصول التشريع الإسلامي بين الفقهاء والمتكلمين إبان القرن الخامس: دراسة في تداخل أصول الكلام مع أصول التشريع، مراكش: المجلس العلمي المحلي، الطبعة الأولى ٢٠١٢.
- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، ٢٠٠٣/٥١٤٢٤م.
- أنجيل جنثال بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مصر: مكتبة الثقافة الدينية ١٩٥٥.
- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، بيروت-لبنان: دار القلم.
- ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق جبرار جهامي، بيروت-لبنان: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ابن رشد، تهافت التهافت، بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.
- ابن رشد، جوامع ما بعد الطبيعة، مطبعة البيرقية، ١٩١٨.
- سالم يفو، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٩/٥١٤٣٠م.
- رسائل ابن رشد، حيدر آباد الدكن، الهند: ١٩٤٧.
- طه جابر العلواني، ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٠/٥١٤٣١م.

- حسن عبد اللطيف الشافعي، ابن رشد الفقيه وكتابه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، القاهرة: مجلة كلية الآداب-جامع القاهرة، مركز النشر لجامعة القاهرة، العدد ٣ مارس ١٩٩٢م.
- محمد لطفي جمعة، ابن رشد تاريخه فلسفته، سوسة-تونس: دار المعارف، ١٩٩٦م.
- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠٠٧م.
- محمد مفتاح، ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي،: ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي" جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت-لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠١/٥١٩٨٧م.
- محمد زبيير، ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي، ضمن "ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي"، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت-لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠١/٥١٩٨١م.
- عبد الرزاق مشوم، سلطة التأويل في الخطاب الرشدي فقها وفلسفيا، ضمن "الأفق الكوني لفكر ابن رشد" منشورات الجمعية الفلسفية المغربية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ابن رشد الضروري في أصول الفقه،: تقديم وتحقيق جمال الدين العلوي، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ابن رشد، الضروري في السياسة، بيروت- لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، بيروت- لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى نونبر ١٩٩٧م.
- خديجة الحريري، الفكر الاجتماعي في فلسفة ابن رشد، القاهرة-مصر: مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، في الحاجة إلى ابن رشد، الجديدة-الدار البيضاء: منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى ١٤٣١/٥١٢٠١٠م.
- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م.

- ابن رشد الكليات في الطب، بيروت - لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.
- جمال الدين العلوي، المتن الرشدي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
- عزمي طه السيد أحمد، مشروع التجديد الفكري عند ابن رشد، وصلته بمقصد الشارع وقانون التأويل، ضمن "العطاء الفكري لأبي الوليد ابن رشد"، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣.
- عبد المجيد الصغير، المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية - قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة -، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأول ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- عبد الرحمن بن محمد خلدون، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- عبد المجيد محمد تركي، مكانة ابن رشد من تاريخ المالكية بالأندلس، قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي.
- مصطفى نجيب، المنهج الفقهي عند ابن رشد، ضمن "العطاء الفكري لأبي الوليد ابن رشد" المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- سعيد بنكروم، المنهجية الأصولية في الأندلس من خلال تاريخها السياسي والثقافي: أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، -الرباط- جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية ١٩٩٥-١٩٩٦م.
- البخاري جمانة، ماذا يمكن أن نستفيد من ابن رشد اليوم، ضمن "ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب" تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٩م.



- العمراني جمال عبد العلي، تطور نظرية العقل عند ابن رشد، ضمن "ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب"، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٩م.

- محمد المصباحي، مع ابن رشد، الدار البيضاء- المغرب، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.



## مدى استخدام معلمي العلوم (المرحلة الثانوية) لمهارات التفكير العليا للوصول بالتلاميذ للإبداع والابتكار من خلال التدريس، بولاية الخرطوم

د. هدى داؤود حسن داؤود

أستاذ مساعد قسم المناهج وطرائق التدريس جامعة أم درمان الإسلامية

### مستخلص:

تناولت الورقة مدى استخدام معلمي العلوم (المرحلة الثانوية) لمهارات التفكير العليا للوصول بالتلاميذ للإبداع والابتكار من خلال التدريس، بولاية الخرطوم. نبعت أهمية الورقة من أهمية التفكير والانجاز المعرفي، وأهمية التعلم بطريقة التفكير الإبداعي، وتوليد الأفكار الإبداعية الجديدة وتحفيز التعلم المستمر والتعلم الإبداعي، وكذلك توجيه سلوك الفرد (المتعلم) نحو اعمال العقل والابتكار. هدفت الورقة لمعرفة الطريق الى استثمار ذكاء الشباب في المرحلة الثانوية والتوصل الى معرفة مهارات التفكير الإبداعي والوقوف على طرائق التدريس الفعالة لتدريس العلوم. وتمثلت مشكلة الورقة في الإجابة على السؤال الآتي: ما مدى ادراك معلم العلوم بأهمية تنمية مهارات التدريس الإبداعي؟ وقد انبثقت منه اسئلة فرعية، ما هي الانماط التي تدرس بها العلوم في المدارس الثانوية؟ هل يمتلك معلم العلوم لهذه المهارات؟ هل يصل المعلم بالطلاب للمستويات العليا من التفكير من خلال التدريس؟ استخدمت الورقة المنهج الوصفي والتحليل الإحصائي. وخرجت الورقة بعدة نتائج منها؛ أن معلم العلوم للمرحلة الثانوية يستخدم الطريقة التقليدية في تحضيره للدرس اليومي ابتداء من التمهيد للوصول لعنوان الدرس. وأنه يركز في تدريسه على الاهداف المعرفية دون الاهداف النفس حركية والاهداف الوجدانية. كما أنه لا يصل بالتلاميذ لمستويات تفكير عليا اثناء التدريس. وعدم قياس الاهداف بصورة شاملة عند التقويم. أوصت الورقة بعدة توصيات أهمها أنه لابد من القيام بدورات تدريبية وتثقيفية لمعلم العلوم لأهمية التدريس بصورة تمكن من الوصول بالتلاميذ لمستويات تفكير عليا. وضرورة تدريب معلمي العلوم على أحدث الطرائق في التخطيط والتقويم للدرس.

**Abstract:**

The paper dealt with the extent to which science teachers (secondary school) use higher thinking skills to reach students for creativity and innovation through teaching, in Khartoum State. The importance of the paper stemmed from the importance of thinking and cognitive achievement, and the importance of learning in a creative way of thinking, generating new creative ideas and stimulating continuous learning and creative learning, as well as directing the behavior of the individual (the learner) towards the work of the mind and innovation. The paper aimed to find out the way to invest in the intelligence of young people in high school, to gain knowledge of creative thinking skills, and to stand on effective teaching methods for teaching science. The problem of the paper was represented in answering the following question: To what extent is the science teacher aware of the importance of developing creative teaching skills? Sub-questions emerged from it: What are the patterns in which science is taught in secondary schools? Does the science teacher have these skills? Does the teacher reach students to higher levels of thinking through teaching? The paper used the descriptive approach and statistical analysis. The paper yielded several results, including: The science teacher for the secondary stage uses the traditional method in preparing for the daily lesson, starting from the introduction to the title of the lesson. And it focuses in its teaching on cognitive goals without psychological goals and emotional goals. It also does not reach students to higher levels of thinking during teaching. And not measuring goals comprehensively when evaluating. The paper recommended several recommendations, the most important of which is that it is necessary to conduct training and educational courses for science teachers due to the importance of teaching in a way that enables students to reach higher levels of thinking. And the need to train science teachers on the latest methods of planning and evaluation of the lesson.

## المقدمة:

كرم الله تعالى الانسان وفضله بنعمة العقل قال تعالى (أو لم يتفكروا في أنفسهم) <sup>(١)</sup> والتفكير عملية طبيعية يقوم بها الانسان دون سائر المخلوقات الى ان توصل العلماء الى ان التفكير مهارة يجب صقلها بالدراسة وبواسطة برامج بتعليم مهارات التفكير ومن هذا المنطلق أرادت الباحثة معرفة مدى ادراك معلمي المرحلة الثانوية لأهمية توصيل طلابهم لهذه المهارة والاستفادة من مهارة التفكير للتوصل للإبداع والابتكار فكان لابد من معرفة الى أي مدى يصل معلم العلوم من خلال الحصص بتلاميذه الى المهارات العليا من تفكير وابداع واختراع.

## المصطلحات:

تعريف إجرائي

- ١- معلم العلوم: هو المعلم الذي يحمل بكالوريوس في التربية والعلوم للمرحلة الثانوية
  - ٢- الإبداع: تقصد به الباحثة انشاء وابتكار شيء جديد لم يكن موجودا من قبل كذلك قدرة الفرد على التفكير الحر مما يمكنه من حلول للمشكلات وإيجاد أكثر من بديل لحل المشكلة وإعادة صياغتها
- اصطلاحا:

- ١- هي أداء نشاط معين بأكثر دقة وادقان وسرعة وبأقل وقت وجهد.
- ٢- عرفها البعض بانها القدرة المكتسبة التي تمكن الفرد المتعلم من انجاز ما يوكل اليه من اعمال بكفاءة واتقان بأقصر وقت وبأقل جهد وعائد وافر. <sup>(٢)</sup>
- ٣- مهارات التدريس الإبداعي Creativity Teaching Skills: ان التدريس الإبداعي هو مجموعة السلوكيات التدريس الفعالة التي يظهرها معلم العلوم في نشاطه المدرسي في شكل استجابات حركيه أو لفظيه تمتاز بالدقة والسرعة في الاداء والتوافق مع متطلبات الموقف التدريسي من خلال استراتيجيات التدريس الإبداعي. <sup>(٣)</sup>

١. سورة الروم، الآية ٨.

٢. الحميدان، ابراهيم بن عبدالله، (٢٠٠٤) التدريس و التفكير، القاهرة، دار الكتاب للنشر، ص ١٢.

٣. المرجع نفسه، ص ١٢٠.

- ٤- التفكير: التفكير بمعناه العام يشمل كل أنواع النشاط العقلي أو السلوك المعرفي الذي يتميز بتوظيف الرموز في معالجة الأشياء والاحداث.
- ٥- الابداع لغة: الابداع يأتي من بدع الشي وابتدع أي اتى ببدعه، أي اوجده من لاشي أو من العدم، أو انشاه من غير مثال سابق. (١)
- ٦- التفكير الإبداعي: عرفه أحد الباحثين العرب على انه (قدرة الفرد على الانتاج بتميز وبأكبر عدد من الطلاقة الفكرية والمرونة التلقائية والاصالة
- ٧- استراتيجية التدريس: هي اجراءات التدريس التي يخططها القائم بالتدريس مسبقا، بحيث تعينه على تنفيذ التدريس على ضوء الامكانات المتاحة لتحقيق الأهداف التدريسيين لمنظومة التدريس التي يبنها، وبأقصى فعالية ممكنة. (٢)

### الإطار النظري والدراسات السابقة:

تعريف التفكير:

جاء على لسان العرب الفكر والتفكير هو اعمال الخاطر في الشيء وجاء في المعجم الوسيط فكر في الامر فكرا اعلم العقل فيه ورتب بعض ما يعمل ليصل به الى مجهول. ويستخدم اللفظ في المشكلة ليتوصل الى حل لها (المعاجم العربية)، إذا ان التفكير بمعناه المجرد هو اعمال العقل في امر ما، وقد ميز الكثير من الباحثين مستويات التفكير الى مستويين هما (٣):

أولاً: المستوى الأدنى أو الأساسي ويتضمن هذا المسنود من التفكير الكثير من المهارات من بينها المعرفة (اكتسابها وتذكرها) والملاحظة والمقارنة والتصنيف، وهي مهارات يتوجب على المعلم اتقانها حتى يستطيع أن ينتقل بالتلميذ لمستوى التفكير الاعلى. ثانياً: المسنود الاعلى أو المركب: وهذا يتطلب مهارات أكثر من الاول ويشمل خمسة من أنواع التفكير العليا منها:

١. (المعجم الوجيز ، مصدر سابق.

٢. زينونة، كمال عبد الحميد، (٢٠٠٣) التدريس نماذج ومهارات، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ص ٢٦٦.

٣. Slobber، J.A.(1994) Creativity in education Revisited; Reflection in aid of profession..Journal of Creative Behavior

١- التفكير الناقد حيث ينظم المتعلم المعلومات ويصفها ويحللها ويقيمها للوصول الى استنتاج معين

٢- التفكير الإبداعي وهو يكمل التفكير الناقد حيث تتولد أفكار جديدة ويتم حل المشكلة بطريقة ابداعية.

٣- حل المشكلات.

٤- اتخاذ القرار.

٥- التفكير فوق المعرفي

الفرق بين التفكير ومهارة التفكير

كما ذكرنا سابقا في تعريف التفكير بانه معالجة عقليه للمدخلات الحسيه والمعلومات المسترجعة لتكوين الافكار واستدلالاتها، والحكم عليها وهذا ما فطر الله عليه البشر، حيث فطرهم على التعلم، حيث يقول: (وعلم ادم الاسماء كلها) <sup>(١)</sup>، وهذا بنعمة العقل التي انعمها الله على بنى البشر دون سائر الخلق، وهذا تعلم فطرى، ثم تأتى التربية التي تستغل هذا التعليم الفطري والقدرات التي اودعها الله في عقل الانسان ليعود عليه بالنفع على نفسه وعلى المجتمع ، وبالتالي تكسبه المهارات المختلفة في التفكير لمواجهة تحديات الحياة المختلفة، وهذه التحديات تحتاج وتطلب امتلاك الفرد لمهارات التخطيط وما يتدرج تحتها علم وفن ومنطق، والتفكير بعقلانية يتطلب التفكير المختلفة حتى يكون الفرد استدلالى وناقد وإبداعي، ولا يتم ذلك الا بالمعرفة، لذلك فان العقل يجمع بين التفكير العقلاني ومهارات التفكير معا، لذلك فان المعرفة هي الوسيلة الوحيدة لتوجيه حياة الفرد بطريقة تمكن العقل من القيام بنشاطه ببطرقه مثمرة.

كما ذكرنا فان التفكير العقلاني يتطلب مهارات للتفكير مختلفة، منها التفكير الإبداعي حتى يكون المتعلم ناقدا واستدلالي.

## التفكير الإبداعي

عرفه أحد الباحثين العرب على انه (قدرة الفرد على الانتاج بتميز وبأكبر عدد من العلاقة الفكرية والمرونة التلقائية والأصالة). وعرفه اخرون بانه (نشاط عقلي مركب وصادق توجه رعاية قوية في البحث عن حلول او التوصل الى نواتج اصلية لم تكن معروفة

١. سورة البقرة، الآية ٣١.

سابقاً). وفي الحقيقة لا يوجد تعريف جامع ومحدد لمفهوم الابداع انما يمكن ان نتوصل للمعنى العام من خلال تعريف الباحثون وهم كثر. مركز الابداع في العقل الذي يمثل مركز التفكير لدى الانسان. حاجات الانسان منها الى تحقيق الذات، الاحترام، والاستحسان من حولك، والحب، والامن، والحاجات الفسيولوجية، من طعام وشراب وغيره، وحل للمشكلات والحاحه للتطور والاختراع. الكثير يعتقد بان الناجحين هم فقط الذين يبدعون بل يمكن لكل مجتهد أن يبدع.<sup>(١)</sup>

إذا يمكن ان نقول إن المشكلة تكمن في مواكبة المناهج وخاصة المقررات الدراسية لمواكبة المتغيرات المتلاحقة، وقد نختلف كثيراً ولكن الذي نتفق عليه أن لأبنائنا استعداد للتعلم لان الله سبحانه وتعالى خلقهم كذلك وأن العصر الذي نعيشه محكوم بذلك أي بقوة العقل وأصالة الفكر فقوة العقل تعتمد على عمق الخبرات الغنية التي يحتويها العقل. والواقع يشير على عدم قناعة المجتمع بمخرجات المدرسة، فهذه النغمات صرنا نسمعها من أولياء الامور الذين يمثلون المجتمع وعلى الخصوص التربويون منهم وقد انخفضت الدافعية على التعليم من قبل المعلمين والتلاميذ وهذا التعليم الذي يعيق القدرات ولا ينميها.

على الرغم من ان التوصية الى تنمية مهارة التفكير لدى الطلاب توجيهها تربوياً وعالمياً الا ان الدين الإسلامي كان له الريادة في حث العقل على التفكير والتدبير والتبصرة في آيات الله بل وصف الذين يتدبرون في ملكوت السموات والارض ب ( . وما يذكر الا اولو الالباب)<sup>(٢)</sup>، ومن هذه القاعدة يمكن أن نقول إن تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب واجب ديني أولاً لأيقاظ الفكر للتدبير والتفكير ومزيد من المعرفة وبذلك تصبح ضرورة تربوية تدفع للمعرفة أي حث الجانب الروحي والوجداني وهذا مما يثير الرغبة في التعليم.

كما انه من أهداف التعلم والتي ما أصبحت خافية على أحد، وهي تنمية المهارات المعرفية، والمهارات النفس حركية، بالإضافة الى المهارات الوجدانية، وهذه المهارات مجتمعة تبني الانسان السوي الانسان الصالح الذي يكون اضافة للمجتمع وليس خصماً عليه. وهذه المهارات إذا ما اكتسبها التلميذ تسوقه وبلا شك للإبداع. إذا أن التفكير الإبداعي

١. Gardner (1993) multiple intelligences ; the theory into practice . New York ;Basic Books

٢. سورة البقرة، الآية ٢٦٩

أحدى مهارات التفكير، وإذا تحدثنا عن التفكير الإبداعي فإننا نعنى به العمليات نفسها، وهي المهارات الذهنية، فهي الأساس في عملية التفكير الإبداعي، وهو الذي نحتاجه ليخرجنا من الخط التقليدي، الى الخط الحديث المعاصر. (١)

ويعتبر التفكير الإبداعي التي تعكس تعقد العقل وهو يتطور مع تطور الزمن المرحلي للنمو ويعد مهم لخلق شخص ناضج واعى يكون اضافة للمجتمع الذى ينتمى اليه. إذا المطلوب من معلم العلوم أن يمتلك تلك المهارات حتى يستطيع أن يكسبها لتلاميذه، ووضع استراتيجيات للتدريس المبدع والفعال.

في رأي الباحث ان تكون مهمة معلم العلوم على مدار تدريسه لمنهج العلوم اكساب تلاميذه هذه المهارة كواحدة من أهم المهارات التي يجب أن يكسبها لتلاميذه وتكون هدف أساسي لتدريس العلوم.

يتميز العصر الحديث بالتغير السريع والمتطور خاصة في مجال العلوم والتكنولوجية بحيث اننا نتقدم سريعاً في كثير من المجالات مثل مجال الاتصالات ومجال الطب والهندسة وخلافه وهكذا اقتحمت التكنولوجيا حياتنا وعقولنا وبالتأكيد لهذه التكنولوجيا فوائد وأيضاً مضار ولكن إذا ما تم الاستخدام الامثل لها اكيد سوف تقل الاضرار لأقصى حد إذا هذا التقدم اساسه العلوم الطبيعية.

### مفهوم العلم:

العلم من اهم العوامل المؤدية الى التنمية والتقدم خاصة للدول النامية وهو سبب في بنائها. كما وضحت نظرية البناء المعرفي الذي وضعها وطورها كل من كارل بريتير ومارلين سكاردماليا وتتناول النظرية ضرورة تعليم الاشخاص من أجل اعدادهم لمجتمع عصر المعرفة التي تتغلغل فيه المعرفة والابداع. (٢)

اما طريقة التفكير يمكن أن نستدل عليها من النظرية السلوكية حيث ينظر السلوكيين الى التفكير كشيء ينتج ، من خلال التعلم و التدريس خاصة عن طريق استخدام لطرائق تدريس فعالة وهي كانت في السابق تركز على التلقين وانما التجارب فكانت للتأكد من المعلومة وليس لاكتشاف المعلومة أما النظرة الجديدة الديناميكية للتدريس، فهي تعنى بان

١. ارمسترونج، توماس، (٢٠٠٦) الذكاءات المتعددة فى غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران المملكة

السعودية، دار الكتب التريوى للنشر والتوزيع.

٢. مراد الشوايكة (٢٠٠٨)، بحث عن العلم، mowdoo3.com



العلم طريق للتفكير، فعلى الطالب أن يصل للمعلومة والمعرفة عن طريق مواقف تجريبية اكتشافية أي يوصل للمعرفة بعد التفكير والوصول للنتيجة بعد التجربة وهذه ما تسمى طريقة ( حل المشكلات) أي الخطوات العلمية في حل المشكلات مما يتولد عنه حب العلم وتقييمه أي خلق نظره ايجابيه للمؤثر والاستجابة له أي التقدير للعمل والتنظيم للقيم داخل النفس في تناغم هرمى قيمي بمعنى أن تتكون مجموعته قيم متناغمة ومتناسقة ومرتبته حتى نقضى على التناقض والتعارض في داخلنا في تنظيم قيمي مثلا الدفاع عن فكرة ما حب ماله معينه حب نشاط معين أي تكوين اتجاه إيجابي نحو العلم وهذا ما حدث بالضبط عندما حرم الله الخمر ، فان التحريم لم ينزل جملته واحده هكذا انما تتدرج الامر حتى حصل التناغم القيمي داخل نفوس المسلمون وأصبح الامتناع من شرب الخمر هو القيمة الإيجابية في داخلهم. (١)

على المعلم كذلك ان يدرك تماما ماهية العلم؛ وهنا يقصد الباحث أن يطبق المعلم في تدريسه عمليات العلم الاساسية والتكاملية على الاهداف المعرفية سواء كانت اهداف معرفيه او أهداف وجدانية أو اهداف نفس حركيه والتطبيق على مستويات التفكير المختلفة الدنيا منها والعليا ولا بد للمعلم ان يصل بالطالب في الحصة لهذه المستويات الست وهي: المستوى المعرفي، ومستوى الفهم، ومستوى التطبيق؛ وهي ما تسمى بالمستوى الأدنى في التفكير، ثم يتدرج بالتلاميذ الى مستويات العلى وهي مستوى التحليل، ثم مستوى التركيب، وهو اعلى من مستوى التحليل ، لان في مستوى التحليل قد تكون العلاقة موجوده ، ولكن في مستوى التطبيق يبحث المتعلم عن هذه العلاقة ، فهي مستوى في التفكير أعلى، ثم يرتفع بهم الى اعلى مستوى وهو التقويم ، بحيث يستطيع المتعلم ان يصدر حكما معياريا على الشئ الذى درسه ، كما يمكن ان يستنتج الخطأ في التجربة مثلا، وان يتعدى هذا بان يصمم تجريه ،أو يخترع جهازا للقياس مثلا ، وان يبدع في ايجاد العلاقات المختلفة، بان يصمم عملا ما، وهكذا يستطيع المعلم ان يصل بالتلميذ لمستويات عليا من التفكير الإبداعي. (٢)

كما يجب على المعلم وضع استراتيجيه واضحه للتدريس تبنى على التدريس الفعال الذي يوصل للإبداع مستخدما استراتيجيات للتدريس متعددة توصل للهدف المنشود.

١. المراجع نفسه.

٢. مراد الشوابكة، مرجع سابق.

## استراتيجية التدريس:

هي اجراءات التدريس التي يخططها القائم بالتدريس مسبقا، بحيث تعينه على تنفيذ التدريس على ضوء الامكانيات المتاحة لتحقيق اهداف التدريسية لمنظومة التدريس التي يبنيتها واقصى فاعليه ممكنه. (١)

إذا الاستراتيجية يتم انتقاؤها تبعا لمتغيرات معينه وهي بالتالي توجه لاختيار الطريقة ومن ثم توجه المعلم لاختيار اسلوبه في التدريس الذي به يستطيع تحقيق الهدف.

الوسائل التعليمية وأهميتها في تدريس العلوم: -

للسائل التعليمية أهمية كبيره في تنمية حب الاستطلاع والتشوق للعلم، كما تنمى نشاط المتعلم كذلك تقوى العلاقة بين المعلم والمتعلم مما يزيد من حبه في المادة التي يدرسها. تتيح فرصة اكتساب الخبرات والمهارات المختلفة، وتتيح من فرصة بقاء المعرفة لمدة اطول، تساعد المعلم في تحضير والاستعداد للدرس، توفر وقت كل من العلم والمتعلم أهمية اعداد المعلم:

هل كل انسان تحصل على قدر من العلم او المعرفة في تخصص معين أن يعمل كمعلم؟ ليس على فرد مهما بلغ من العلم او التخصص ان يعمل كمعلم بل لابد ان يتوفر فيه الاعداد التربوي المهني للعمل كمعلم.

الاعداد الجيد للمعلم يعتبر من الشروط الاساسية لإصلاح وتحسين النظام التربوي وريادة كفاءته وفعاليته ويتوقف نجاح المعلم في عمله بالدرجة الاولى على نوع الاعداد المهني الذي يناله في المؤسسات التربوية المتخصصة كمعاهد المعلمين وكليات التربية وعلى حسن الاختيار منذ البداية لهذه المهنة. صفات المعلم المبدع (٢):

هناك كفايات عديدة للمعلم المبدع منها الكفايات الشخصية

١. مهارات تواصل جيده مع الطلاب وهي القدرة على التواصل الشفهي وغير

الشفهي

١. زيتونة، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

٢. أبو هشام، السيد محمد، كمال، صافيناز احمد، (٢٠٠٨)، اساليب التعلم والتفكير المميز لطلاب الجامعه فى ضوء مستوياتهم التحصيليه وتخصصاتهم الاكاديمية المختلفة، ص ١٦.

٢. التعامل بإيجابيه مع الطلاب فالقدرة على تحويل السلبية الى ايجابية في جميع

الامور المتعلقة بمهنة التدريس وهي ميزة وصفة المعلم الحقيقي.

٣. احترام الطلاب بحيث يسمح المعلم للطلاب بأبداء آرائهم وافكارهم ثم تقييم هذه

الافكار والآراء بعيدا عن السخرية او التقليل من قيمة الطلاب.

الصفات الشخصية للمعلم الجيد:

١- التواصل

٢- الصبر

٣- الحماس والاهتمام

٤- الإيجابية

٥- التمكن من المادة

طرائق التدريس التي يمكن ان تعين المعلم في تحقيق مهارات التفكير العليا داخل الحصة هي الطرائق القائمة على جهد المعلم والمتعلم معا منها الطريقة الحوارية (طريقة المناقشة) منها المناقشة الجماعية المناقشة في مجموعات التعليم التعاوني. الطرائق القائمة على جهد المتعلم وحده مستخدما في ذلك الاستحداثات التقنية الحديثة مثل الحاسب الآلي والفيديو واشرطة التسجيل والتلفزيون وفي هذه الطريقة يعلم التلميذ نفسه بنفسه من مصادر التعلم المختلفة. (١)

### الدراسات السابقة:

١- دراسة السعيد هدى راشد، ١٩٩٨، مدى ممارسة أساليب التفكير الإبداعي مع تلميذات المرحلة الابتدائية في أثناء الدروس، هدفت الدراسة لمعرفة مدى ممارسة المعلمات لأساليب التفكير الإبداعي مع تلميذات المرحلة الابتدائية أثناء تنفيذ الدرس، مجتمع البحث هو معلمات منطقة الرياض التعليمية عددهم عينة الدراسة ٧٥٠ معلمة اختيرت بطريقة عشوائية ادوات البحث هي الاستبانة. نتائج البحث كان ان ظهر ممارسة معلمات المرحلة الابتدائية لأساليب التفكير الإبداعي بصورة قليلة أثناء تنفيذ التدريس

١. البشير ، محمد مزمل ، المناهج العامة ، جامعة السودان المفتوحة برنامج التربية (٤٠١)، ص ٥٠.

- ٢- دراسة نور الهدى ،٢٠٠٣، برنامج تدريبي قائم على نظرية ما وراء المعرفة لتنمية بعض مهارات التدريس الإبداعي لطلاب كلية التربية جامعة أسيوط. هدف الدراسة: بناء برنامج تدريبي قائم على نظرية ما وراء المعرفة لتنمية بعض مهارات التدريس الإبداعي لدى طلاب كلية التربية أسيوط كما هدفت الدراسة الى اعداد قائمه بمهارات التدريس الإبداعي استخدم الباحث المنهج التجريبي. نتائج البحث: سفرت الدراسة عن الوصول الى قائمة بمهارات التدريس الإبداعي وكما توصلت الدراسة الى فاعلية برنامج تدريبي قائم على نظرية ما وراء المعرفة في تنمية مهارات التدريس الإبداعي
- ٣- ممدوح عيد العظيم ،٢٠٠٣، فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتطوير كفاءة معلمي العلوم بالمرحلة الابتدائية لاستدام الطريقة الترابطية في التدريس ، واثره على تنمية مهارات التخطيط استخدمت الاستبانة لتقييم أداء المعلم واداه لفحص خطط الدرس بلغت ٣٦ معلما بمحافظة الدقهلية بمصر ايضا تم اجراء اختبار تحصيلي على عينة من الطلاب وتوصلت الدراسة الى فاعلية البرنامج التدريبي المقترح على الالمام بالطريقة الترابطية، كما ان البرنامج التدريبي ساعد المعلمين على اكتساب وتنمية الكثير من المهارات الفكرية العليا لديهم كالفحص والتفسير والتحليل والوصف وادراك العلاقات والنقد
- ٤- خالد بن عبدالله بن سلمان بن سدير،(١٤٣١، ١٠، ٢٠١٠) تنمية العقل ومهارات التفكير في تربية النبي لأصحابه رضى الله عنهم أجمعين، دكتوراه ، التربية أصول الدين، كلية الدراسات العليا، ام درمان الاسلاميه. المنهج المتبع: الوصفى والاستنباطى الهدف من الدراسة: اثبات اهتمام النبي عليه السلام بالتفكير، اظهار أهمية التفكير في الاسلام. أهم النتائج: التفكير ضرورة انسانيه للاهمية الارتباطيه بحياة الانسان في تفاعله بالكون. وليس هناك مفهوم محدد للتفكير سواء من الناحية اللغويه أو الفسيولوجيه او النفسيه بل تتعدد وتختلف مفاهيمه تبعا لتباين الرؤى
- ٥- عبدالله محمد عبدالرحمن القرني ، مدى استخدام معلم المرحلة الثانوية لاساليب تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب وتاصيلها بمكة المكرمة،(١٤٢٧-١٤٢٨-٢٠٠٧-٢٠٠٨م)، دكتوراه، مناهج وطرق تدريس، معهد دراسات العالم الإسلامي، ام درمان الاسلاميه، قسم الدراسات النظرية. أهداف الدراسة: التعرف على درجة أهمية استخدام معلم مرحلة الثانوية لمهارات التفكير الناقد لدى الطلاب. مجتمع الدراسة: المعلمون بالمرحلة الثانوية بمنطقة مكة المكرمة(٤١٥ معلما) العينه من جميع المجتمع مستخدما

الاستبانة كأداة لجمع المعلومات. اهم النتائج: درجة أهمية استخدام معلم المرحلة الثانوية لاساليب تنمية مهارات التفكير الناقد لدى الطلاب كانت بدرجة كبيره جدا. ودرجة اهمية استخدام المعلم لاساليب تنمية مهارة التفكير الإبداعي بدرجة كبيره .

أوجه الشبه والاختلاف بين دراسته الحاليه والدراسات السابقة:

اتفقت معظم هذه الدراسات مع الدراسة الحالية على أهمية اتباع معلم العلوم لاستخدام الطرائق الفعالة والاساليب المناسبة لتدريس العلوم وتنمية مهارات التدريس الابداعي لدى المعلمين في تخصصات مختلفة كما اظهرت معظم الدراسات السابقة ضعفا في مستوى أداء المعلمون لمهارات التدريس الإبداعي واُفترحت ضرورة تطوير أداء المعلمين بالتدريب المستمر اثناء الخدمة لتنمية ابتكارية المعلم، وتدريبه على استراتيجيات التدريس الموصلة للتفكير الإبداعي وتنمية ابتكارية الطلاب .

وتفردت هذه الدراسة بانها من الدراسات التي التي هدفت الى تحديد مهارات التدريس الإبداعي لدى معلمي مرحلة الثانوى. كما اهتمت من بمهارات التدريس الإبداعي من ناحية (التخطيط، وأداء التدريس ، والتقويم).

## الدراسة الميدانية

### أجراءات الدراسة الميدانية

#### مقدمة:

يتناول هذا الفصل المنهجية التي تم اتباعها في هذه الدراسة، فقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي كمنهج للدراسة، أما مجتمع الدراسة مكون من مدارس محلية الخرطوم حيث تم تحديد العينة منه ضمن اعتبارات وشروط محددة، كما تم جمع المعلومات من خلال المصادر الثانوية والمصادر الأولية، أما بخصوص أدوات جميع البيانات فقد تم تصميم استبيان حيث تم تحكيمه بواسطة المحكمين وتم وتوزيعها

#### منهجية البحث:

استخدم الباحث في إعداد الجزء الميداني من هذا البحث المنهج الوصفي، ومشاركاً بين كل المناهج العلمية الأخرى، إذ لا يمكن أن يستغنى عنه أي باحث عند دراسته لأي ظاهرة بغض النظر عن نوع منهج البحث المستخدم في الدراسة. وطبيعة ومتطلبات هذه الدراسة تقتضى استخدام المنهج الوصفي التحليلي .

مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث من معلمي مدارس محلية الخرطوم الثانوية علوم الذين يبلغ عددهم (٢٩٩٢) معلماً ومعلم.

عينة البحث: تكونت عينة الدراسة من (٦٠) معلماً ومعلمه عبارة عن ٢% من مجتمع الدراسة اختير بطريقة عشوائية بسيطة يمثل مجتمع البحث ويحمل صفاته مصادر البيانات: إستندت هذه الدراسة إلى العديد من المصادر ذات منهجيات بحثية كمّاً ونوعاً من أهمها:

المصادر الثانوية: تم زيارة معظم المراكز البحثية والمكتبات المتخصصة وإجراء مراجعة شاملة تقريباً لمختلف المصادر الثانوية المتوفرة والمتعلقة بموضوع الدراسة. المصادر الأولية: تم جمع البيانات الأولية اللازمة للبحث من خلال استبيان لمعرفة مدى وصول معلم العلوم للمرحلة الثانوية بالتلاميذ لمستوى الإيداع من خلال التدريس وقام الباحث بإعداد استبيان مفصل بشكل دقيق يشمل أهداف البحث وفرضياته.

## أدوات تجميع البيانات:

اعتمد الباحث على أسلوب الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات، وأساساً لمعرفة آراء واتجاهات عينة البحث، حيث تعتبر الاستبانة من الأدوات المهمة والأساسية لجمع البيانات في الدراسة الميدانية ويعود ذلك إلى إمكانية تحكم الباحث في الأسئلة والحقائق المراد جمعها من مجتمع البحث، حيث تم توزيع ( ٦٠ ) استمارة

جدول رقم (١) يوضح استمارات المبحوثين

| الرقم | البيان                  | العدد | النسبة |
|-------|-------------------------|-------|--------|
| ١     | الاستمارات المستلمة     | ٥٥    | ٩١.٦%  |
| ٢     | الاستمارات غير المستلمة | ٥     | ٨.٤%   |
| ٣     | المجموع                 | ٦٠    | ١٠٠%   |

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية ٢٠١٦م

وقد روعي في تصميم الاستبيان الدقة واتباع الأصول والقواعد اللازمة في وضع صيغة الأسئلة، حيث ضمن جميع أسئلة الاستبيان أسئلة مغلقة. وتم استخدام مقياس من ثلاثة نقاط حسب ما يلي:-

النقطة الأولى تعني ( 1 ) اتجاهاً لاوافق مطلقاً نحو العبارة

النقطة الثانية تعني ( 2 ) اتجاهاً متردد نحو العبارة (أحياناً)

النقطة الثانية تعني ( 3 ) اتجاهاً أوافق نحو العبارة (دائماً)

المحاور الرئيسية في الاستبيان:

تضمن استبيان اربع محاور رئيسية :

المحور الأول: التمهيد للدرس.

المحور الثاني : صياغة الأهداف.

المحور الثالث: الرسائل التعليمية

المحور الرابع: مراعاة الفروق الفردية في استخدام مستويات التفكير المختلفة

المحور الخامس: التقييم

## تحكيم الاستبيان:

تم عرض الاستبيان على عدد (٤) من المحكمين الأكاديميين للتأكد من استيفاء الاستبيان للشروط والمعايير الأكاديمية والمهنية الملائمة وفحص انسجام الأسئلة مع نظام إدخال المعلومات وتم تعديله حسب الملاحظات التي أبدتها هؤلاء المحكمين.

الاختبار الميداني الأولي للاستبيان:

تم إجراء الدراسة الاستطلاعية للاستبيان من خلال توزيع عينة على ١٠ وتمت الإجابة عليها من قبل المعلمين ذوي الخبرة في المجال في تلك المدارس للتأكد من وضوح الأسئلة. والهدف من الدراسة الأولى معرفة الصدق والثبات للاستبيان عن طريق المحلل الإحصائي كرنباخ الفا وكانت نتائج الأولى كما يلي :

أ. كرنباخ الفا : هو مقياس أو مؤشر لثبات وصدق الاختبار ( بطارية الاختبار)، يشار إلى كرنباخ الفا على أنه مقياس للاتساق (الاتساق الداخلي)، وقيمة كرنباخ الفا تمثل الحد الأدنى لثبات الاستبانة يعني أن كرنباخ الفا مقياس وتحفظ للثبات وتم تنفيذ المقياس على (٥٥) استبانة.

تم حساب قيمة الثبات بالمعادلة أدناه:

$$\alpha = \frac{k}{k-1} \left( 1 - \frac{\sum s_i^2}{s^2} \right)$$

صيغة حساب معامل كرونباخ ألفا

عدد العناصر

مجموع كياتفات العناصر

كياتفات الدرجة الكلية

لمتوسط معاملات الارتباط بين العناصر) عناصر الإختبار أو الإستبانة) وصيغة الحساب

التالية (معامل كرونباخ ألفا المعياري) توضح الفكرة:

$$\alpha = \frac{N \cdot \bar{r}}{1 + (N - 1) \cdot \bar{r}}$$

## أساليب المعالجة الإحصائية:

تم إجراء التحليل الإحصائي لإجابات عينة الدراسة باستخدام الأساليب الإحصائية التالية:

١- التكرارات والنسب المئوية لوصف أفراد الدراسة وتحديد نسب إجاباتهم على عبارات الاستبانة.



- ٢- إجراء اختبار الصدق والثبات لأسئلة الاستبانة المستخدمة في جمع البيانات وذلك باستخدام معامل "ألفا كرونباخ" (Cronbach Alpha)
- ٣- إجراء اختبار كاي تربيع: هو "مجموع مربعات الفرق بين التكرارات المشاهدة والتكرارات المتوقعة"، حيث يقيس المدى الذي تقترب أو تبتعد فيه التكرارات المشاهدة من التكرارات المتوقعة. فعندما يكون هذا المدى كبيراً نرفض فرضية العدم، وعندما يكون هناك تطابق بين المشاهدة والمتوقعة نقبل فرضية العدم. أي نقوم بحساب التكرارات المتوقعة فإذا كانت كاي سكوير أكبر من القيم الحرجة لها عند مستوى معنوية بين ٠.٠١ و ٠.٠٥ نستنتج أن التكرارات المشاهدة تختلف معنوياً عن التكرارات المتوقعة ونرفض فرضية العدم.
- ٤- المتوسط الحسابي لترتيب إجابات أفراد الدراسة لعبارات الاستبانة حسب درجة الموافقة.
- ٥- الانحراف المعياري "حيث يدل على كفاءة الوسط الحسابي في تمثيل مركز البيانات بحيث يكون الوسط الحسابي أكثر جودة كلما قلت قيمة الانحراف المعياري".  
صدق الاتساق الداخلي للفقرات :  
(١) الصدق التجريبي<sup>(١)</sup>:  
قام الباحث باختبار معامل الصدق التجريبي، وذلك عن طريق استخدام معادلة الارتباط لبيرسون بين فقرات المقياس ذات العلاقة، فتراوحت قيم معاملات الارتباط بينها ما بين (٠ - ٠.٦٥).  
جدول رقم (١) يوضح نتيجة معامل الارتباط لبيرسون (n=٥٥)

١. وهو أهم أنواع الصدق وأكثرها شيوعاً، ويسمى أيضاً معامل ارتباط الاختبار بالمقياس، و يتم تقديره بحساب انحدار درجات المقياس على درجات الاختبار.

جدول رقم (١)

| البعد الأول      |    | البعد الثاني     |    | البعد الثالث     |    |
|------------------|----|------------------|----|------------------|----|
| Cronbach's Alpha | NO | Cronbach's Alpha | NO | Cronbach's Alpha | NO |
| .272             | 1  | .804             | 1  | .402             | 1  |
| .451             | 2  | .478             | 2  | .597             | 2  |
| .483             | 3  | .428             | 3  | .572             | 3  |
| .178             | 4  | .338             | 4  | -.555            | 4  |
| .٨٥٢             | 5  | .260             | 5  | .241             | 5  |
|                  |    | .339             | 6  |                  |    |
|                  |    | -.060            | 7  |                  |    |

جدول رقم (٢)

| Cronbach's Alpha | NO | Cronbach's Alpha | NO |
|------------------|----|------------------|----|
| -.050            | ١  | .496             | ١  |
| .409             | ٢  | .328             | ٢  |
| .779             | ٣  | .322             | ٣  |
| .152             | ٤  | .131             | ٤  |
| .609             | ٥  | .802             |    |
| .536             | ٦  |                  |    |

يتضح من الجدول رقم (١) أن هناك ارتباطا ايجابيا قوي بين الأبعاد والمقياس ككل، مما يدل على صدق المقياس في قياس ما وضع لأجله عدا البند (٢، ٤) لمعرفة الثبات للدرجة الكلية للمقياس في صورته النهائية فقرة في مجتمع البحث الحالي، قام الباحث بتطبيق معادلة ألفا كرونباخ على بيانات العينة الأولية، فبيّنت نتائج هذا الإجراء النتائج المعروضة بالجدول التالي:

يتضح من الجدول رقم (٢) أن هناك ارتباطا ايجابيا متوسط القوة بين الأبعاد والمقياس ككل، مما يدل على صدق المقياس في قياس ما وضع لأجله عدا البند (٢، ٣، ٤) .

لمعرفة الثبات للدرجة الكلية للمقياس في صورته النهائية ، قام الباحث بتطبيق معادلة ألفا كرونباخ على بيانات العينة الأولية، فبيّنت نتائج هذا الإجراء النتائج المعروضة بالجدول التالي:

نتائج معاملات الثبات للأبعاد بمقياس بمجتمع البحث الحالي

| المقاييس       |  | عدد الفقرات | الخصائص السايكومترية |              |
|----------------|--|-------------|----------------------|--------------|
| عبارات المقياس |  |             | (ألفا كرونباخ)       | الصدق الذاتي |
| ٢٦             |  | ٠.٨٠        | ٠.٨٩                 |              |

### البرنامج المحوسب المستخدم في تحليل البيانات:

تم استخدام البرنامج الإحصائي (Statistical Package for Social Science) SPSS (في إدخال وتحليل البيانات وهذا البرنامج يعمل تحت بيئة Windows وهو من أبسط وأكثر البرامج الإحصائية كفاءة حيث يعتمد على اختبار الأوامر من القوائم ويحوى على عدد كبير من الأدوات الإحصائية يعرف SPSS بأنه نظام احصائي ذو مزايا متعددة في المجالات الآتية:

- التعامل مع البيانات والتحليل الإحصائي للبيانات الكمية والنوعية
- عمل الرسوم البيانية الإحصائية
- كتابة وطباعة التقارير

عرض وتحليل بيانات الدراسة الميدانية

وللتحقق من إجابات أفراد عينة الدراسة لاعتماد نتائجها بالمجتمع تم إجراء اختبار كما وهو ما يوضحه الجداول التالية

## المحور الأول: التخطيط للدرس

جدول رقم (١) اختبار إحصائية كآي لعبارات البعد الأول

| أكتب<br>العنوان<br>مباشرة<br>على<br>السيورة | أصيغ أسئلة<br>توصل<br>لعنوان<br>الدرس | أجهز قصة<br>للتوصل<br>لعنوان<br>الدرس | أجهز نشاط ليتوصلوا<br>من خلاله لعنوان<br>الدرس |
|---------------------------------------------|---------------------------------------|---------------------------------------|------------------------------------------------|
| 27.655 <sup>a</sup>                         | 22.509 <sup>b</sup>                   | 13.255 <sup>a</sup>                   | 27.655 <sup>a</sup>                            |
| 1                                           | 2                                     | 1                                     | 1                                              |
| .000                                        | .000                                  | .000                                  | .000                                           |

• الفرضية الصفرية (لا توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة)

• الفرضية البديلة (توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة)  
من الجداول رقم (١) إن قيمة (P- Value)  $< 0.05$  المصاحبة لإحصائية كآي أقل من ٠.٠٥ ولهذا نستطيع رفض الفرضية الصفرية لمستوى دلالة ٥% وقبول الفرضية البديلة أي توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة. وذلك واضح من الجدول باستخدام بسلوب طرح الاسئلة التقليدية للوصول لموضوع الدرس.

جدول رقم (٢) اختبار إحصائية كاي لعبارات البعد الثاني

| أحدد السلوك المعرفي المتوقع أن يكتسبه التلميذ في نهاية الحصة | أحدد السلوك النفس حركي المتوقع أن يكتسبه التلميذ في نهاية الحصة | أحدد السلوك الوجداني المتوقع أن يكتسبه التلميذ في نهاية الحصة | أكتب الأهداف بطريقة سلوكية يمكن قياسها نهاية الحصة |                   |
|--------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------|-------------------|
| 41.709 <sup>a</sup>                                          | 35.927 <sup>a</sup>                                             | 21.418 <sup>a</sup>                                           | 7.127 <sup>a</sup>                                 | قيمة كاي المحسوبة |
| 2                                                            | 2                                                               | 2                                                             | 2                                                  | درجة الحرية       |
| .000                                                         | .000                                                            | .000                                                          | .028                                               | مستوى المعنوية    |

جدول رقم (٣) اختبار إحصائية كاي لعبارات البعد الثالث

| أكتب الأهداف التي تقيس سلوك التلميذ وليس المعلم | أفضل كل هدف منفردا عن الآخر | لا أستخدم أفعال سلوكية لا أستطيع قياسها نهاية الحصة |                   |
|-------------------------------------------------|-----------------------------|-----------------------------------------------------|-------------------|
| 13.236 <sup>a</sup>                             | 35.055 <sup>a</sup>         | 31.236 <sup>a</sup>                                 | قيمة كاي المحسوبة |
| 2                                               | 2                           | 2                                                   | درجة الحرية       |
| .001                                            | .000                        | .000                                                | مستوى المعنوية    |

• الفرضية الصفرية (لا توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة)

• الفرضية البديلة (توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة)  
من الجداول رقم (٣) إن قيمة (P- Value)  $< 0.05$  المصاحبة لإحصائية كاي أقل من ٠.٠٥ ولهذا نستطيع رفض الفرضية الصفرية لمستوى دلالة ٥% وقبول الفرضية البديلة أي توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة. مما يدل على أن المعلم لا يستخدم الطريقة العلمية في كتابة الأهداف

جدول رقم ( ٤ ) اختبار إحصائية كآي لعبارات البعد الخامس

| استخدم وسائل تعليمية من بيئة الطالب | استخدم في تدريسي الخبرات المباشرة | استخدم في تدريسي مجسمات من بيئة التلميذ | استخدم صور كوسيلة في التدريس | استخدم فيديوهات كوسيلة في التدريس |                   |
|-------------------------------------|-----------------------------------|-----------------------------------------|------------------------------|-----------------------------------|-------------------|
| 28.509 <sup>a</sup>                 | 20.982 <sup>a</sup>               | 17.055 <sup>a</sup>                     | 36.818 <sup>b</sup>          | 24.891 <sup>b</sup>               | قيمة كاي المحسوبة |
| 2                                   | 2                                 | 2                                       | 1                            | 1                                 | درجة الحرية       |
| .000                                | .000                              | .000                                    | .000                         | .000                              | مستوي المعنوية    |

• الفرضية الصفرية ( لا توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة )

• الفرضية البديلة (توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة )  
 من الجداول رقم (٤) إن قيمة (P- Value)  $0.05 < P$  - Value < 0.05) المصاحبة لإحصائية كآي أقل من ٠.٠٥ ولهذا نستطيع رفض الفرضية الصفرية لمستوى دلالة ٥% وقبول الفرضية البديلة أي توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة .وبذلك نستطيع أن نخلص الى ان المعلم يستخدم الوسائل التقليدية في تدريس الحصة

جدول رقم (٥) اختبار إحصائية كآي لعبارات البعد السادس

| أجهز تطبيقات إضافية للتلميذ الأكثر انتباهاً | أجهز تطبيقات وظيفية للدرس | أجهز أسئلة ماذا لولت تنمية مهارات التفكير | أجهز أسئلة ما فائدة تعلم الدرس للتلميذ وللمجتمع |                   |
|---------------------------------------------|---------------------------|-------------------------------------------|-------------------------------------------------|-------------------|
| 44.764 <sup>a</sup>                         | 26.436 <sup>a</sup>       | 40.618 <sup>a</sup>                       | 14.436 <sup>a</sup>                             | قيمة كاي المحسوبة |
| 2                                           | 2                         | 2                                         | 2                                               | درجة الحرية       |
| .000                                        | .000                      | .000                                      | .001                                            | مستوي المعنوية    |

المصدر : إعداد الباحث ، من الدراسة التطبيقية ، ٢٠١٦م

• الفرضية الصفرية) لا توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات (المشاهدة)

• الفرضية البديلة) توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات (المشاهدة)

من الجداول رقم (٥) والعبارات في المحور الرابع إن قيمة) P- Value (0.05 < المصاحبة لإحصائية كآي أقل من ٠.٠٥ ولهذا نستطيع رفض الفرضية الصفرية لمستوى دلالة ٥% وقبول الفرضية البديلة أي توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة. وبذلك يمكن ان نخلص الى ان المعلم لا يصل بالتلميذ لمهارات تفكير عليا خلال التدريس للحصة

جدول رقم (٦) اختبار إحصائية كآي لعبارات البعد الخامس

| أضع مهام تقيس الجوانب المعرفية | أضع مهام تقيس الجوانب النفسية حركي | أضع مهام تقيس الجوانب الوجداني | أضع مهام تقيس المهارات الفردية | أضع مهام تقيس المهارات الجماعية | أضع مهام تقيس الجوانب الابتكاري |
|--------------------------------|------------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|---------------------------------|---------------------------------|
| 56.109 <sup>a</sup>            | 50.764 <sup>a</sup>                | 44.764 <sup>a</sup>            | 72.691 <sup>a</sup>            | 20.982 <sup>a</sup>             | 63.309 <sup>a</sup>             |
| 2                              | 2                                  | 2                              | 2                              | 2                               | 2                               |
| .000                           | .000                               | .000                           | .000                           | .000                            | .000                            |

المصدر : إعداد الباحث ، من الدراسة التطبيقية ، ٢٠١٦م

• الفرضية الصفرية) لا توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات (المشاهدة)

• الفرضية البديلة) توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات (المشاهدة)

من الجداول رقم (٦) عبارات البعد الخامس إن قيمة (P- Value)  $0.05 <$  المصاحبة لإحصائية كآي أقل من ٠.٠٥ ولهذا نستطيع رفض الفرضية الصفرية لمستوى دلالة ٥% وقبول الفرضية البديلة أي توجد فروق معنوية بين التكرارات المتوقعة والتكرارات المشاهدة. منها نستنتج أن المعلم يهتم بالمهارات المعرفية أكثر من الاهتمام والتركيز على المهارات النفس حركية والوجدانية والمهارات الفردية دون الجماعية.

## عرض وتحليل بيانات الدراسة الميدانية

### المعالجات الإحصائية:

لتحليل البيانات الخاصة بالاستبيان استخدمت الباحثة البرنامج الجاهز للتحليل الإحصائي (SPSS) (Statistical Package for Social Science) الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، وقد قامت الباحثة باستعراض كل عبارة أو مجموعة عبارات في جدول يوضح عدد الاستجابات والنسب المئوية لكل إجابة لتحليل إجابات الاستبيان، بعد ذلك قامت بالتعليق على نتيجة العبارة، وقد استخدمت الباحثة الجداول التكرارية لتحليل المعلومات وذلك بإعطاء الجداول أرقاماً متسلسلة ثم إعطائها عنواناً لمعرفة ما تحتويه من بيانات عينة الدراسة لمعرفة النسب المئوية وغيرها.

ولتحليل المعلومات والبيانات التي حصلت عليها الدراسة من خلال الاستبيان تم إدخال هذه البيانات في جهاز الحاسب الآلي ثم طبقت عليها مجموعة من المعالجات الإحصائية وهي:

١. الجداول التكرارية و النسب المئوية.

٢. الأشكال البيانية.

٣. القيمة الاحتمالية.

٤. الوسط.

٥. اختبار (كا<sup>٢</sup>).

٦. اختبار ANOVA.

٧. اختبار one sample t test

٨. معامل الارتباط ألفا ماكرونباخ.

٨. correlation



#### اختبارات الفروض:

الفرض الأول: هناك فروق ذات دلالة إحصائية على استخدام المعلم للطريقة التقليدية في التخطيط للدرس ولمعرفة ما إذا كان هناك استخدام للطرق التقليدية في التدريس والتخطيط للدرس تمت دراسة تحدد مدى تخطيط المدرس باستخدام اختبار (ت).

جدول رقم (١) يوضح الاختبار الإحصائي (ت) One-Sample Test

| حجم العينة | المتوسط الحسابي | متوسط الفرق بين المتوسطين | الانحراف المعياري | قيمة (ت) | درجة الحرية | مستوى الدلالة | الاستنتاج |
|------------|-----------------|---------------------------|-------------------|----------|-------------|---------------|-----------|
| ٥٥         | ١.٩             | ٠.١                       | ٠.٢٢              | ٢.٩٩٦    | ٥٤          | ٠.٠٠٤         |           |

استخدم اختبار (ت) لفحص دلالة الفروق بين المتوسط الفرضي الذي بلغت قيمته (٢) و المتوسط الحسابي الذي بلغت قيمته (١.٩)، وحساب قيمة (ت) ومستوى دلالتها للطرق المستخدمة في التخطيط وقد وجد من خلال نتائج الاختبار كما هو موضح في الجدول أعلاه أن هناك فرقاً في المتوسطات حيث بلغت قيمة (ت)  $t\text{-test} = 2.996$ ، عند درجات الحرية  $df = 54$ ، وقيمة (2-tailed)  $\text{Sig.} = 0.004$ ، وبما أن قيمة (2-tailed)  $\text{Sig.} < \alpha = 0.05$  إذن الفرق ذو دلالة إحصائية. بانحراف معياري (٠.٢٢) حين بلغ الفارق بين المتوسطين (٠.١) إذن توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إجابات أفراد العينة، يمكن قبول فرض الباحث الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية على استخدام المعلم للطريقة التقليدية في التخطيط للدرس) أي أن الفرض قد تحقق.

الفرض الثاني: هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على قلة كفاءة المعلم في كتابة أهداف

#### الدرس بطريقة علمية سليمة

ولمعرفة ما إذا كانت تلك المقررات تحقق النمو المهني المطلوب للمرحلة أم لا استخدم اختبار كاي لدلالة الفروق في إجابات أفراد العينة حيث أظهرت نتائج الإحصاء الوصفي أن (٢٧.١%) من الآراء تشير إلى أن المقررات تحقق النمو المهني في المتوسط، وأشار (٤٢.٩%) إلى أنها تحقق النمو المهني وهم يؤيدون ذلك بدرجة كبيرة. وللتعرف على ذلك من قرب من خلال دراسة الفرق إحصائياً وفقاً لاختبار (كا<sup>٢</sup>) كما هو موضح في

الجدول التالي.

جدول رقم (٢) يوضح اختبار (كا<sup>٢</sup>)

| المتغير                 | حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة (كا <sup>٢</sup> ) | مستوى الدلالة | الاستنتاج              |
|-------------------------|------------|-----------------|-------------------|-------------------------|---------------|------------------------|
| الآراء حول النمو المهني | ٥٥         | ٢.١             | ٠.٢٩              | ٣.٤٦٣                   | ٠.٠٠١         | الفرق غير دال إحصائياً |

من الجدول السابق نلاحظ أن العدد الكلي لأفراد عينة الدراسة (٥٥) فرداً بلغ المتوسط الحسابي للإجابات في العينة (٢.١) وانحراف معياري (٠.٢٩).  
يتضح من النتائج أن قيمة (كا<sup>٢</sup>) = (٣.٤٦٣) ، وقيمة Sig = ٠.٠٠١ ، وبما أن قيمة Sig أقل من قيمة  $\alpha = ٠.٠٥$  فإننا بالتالي نرفض الفرض البديل، الذي يطابق الفرض الصفري الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على قلة كفاءة المعلم في كتابة أهداف الدرس بطريقة علمية سليمة) إذ أن الفارق بين المتوسطين يرجع صالح الفرض البديل.

مما سبق نستنتج أن فرض الباحث الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على قلة كفاءة المعلم في كتابة أهداف الدرس بطريقة علمية سليمة) قد تحقق. أي أن هناك قلة كفاءة في كتابة أهداف الدرس بطريقة علمية سليمة.  
الفرض الثالث: هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم استخدام المعلم للوسائل التعليمية المناسبة

أما فيما يختص بدراسة الفروق حول كفاءة استخدام المعلم للوسائل التعليمية بكفاءة والتي تتضح من خلال استخدام العديد من الطرق التي تعكس ذلك في محور الوسائل التعليمية المستخدمة في التدريس و قد تم استخدام اختبار كاي كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (٣) يوضح اختبار (كا<sup>٢</sup>)

| حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة (كا <sup>٢</sup> ) | مستوى الدلالة | الاستنتاج           |
|------------|-----------------|-------------------|-------------------------|---------------|---------------------|
| ٥٥         | ١.٩٨            | ٠.٢٧              | ٠.٢٩٩                   | ٠.٧٦٦         | الفروق دال إحصائياً |

من الجدول السابق نلاحظ أن العدد الكلي لأفراد عينة الدراسة (٥٥) فرداً بلغ المتوسط الحسابي للإجابات في العينة (١.٩٨) وانحراف معياري (٠.٢٧).  
يتضح من النتائج أن قيمة (كا<sup>٢</sup>) = (٠.٢٩٩) ، وقيمة Sig = ٠.٧٦٦ ، وبما أن قيمة Sig أقل من قيمة  $\alpha = ٠.٠٥$  فإننا بالتالي نرفض الفرض الصفري، ونقبل الفرض البديل الذي ينص على (ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم استخدام المعلم للوسائل التعليمية المناسبة). كما هو مطابق لفرض الباحث.

مما سبق نستنتج أن فرض الباحث الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على قلة استخدام المعلم للوسائل التعليمية المناسبة) قد تحقق.  
الفرض الرابع: هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على وصول المعلم بالتلاميذ لمهارات التفكير العليا أثناء الحصة

أما حول مراعاة الفروق الفردية في استخدام مستويات التفكير المختلفة في الوصول إلى مهارات التفكير العليا و تم استخدام اختبار كاي كما هو موضح في الجدول التالي للتحقق من دلالة الفروق في إجابات أفراد العينة:

جدول رقم (٤) يوضح اختبار (كا<sup>٢</sup>)

| حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة (كا <sup>٢</sup> ) | مستوى الدلالة | الاستنتاج           |
|------------|-----------------|-------------------|-------------------------|---------------|---------------------|
| ٥٥         | ١.٥             | ٠.٣٩              | ٨.٩٧٠                   | ٠.٠٠٠         | الفروق دال إحصائياً |

من الجدول السابق نلاحظ أن العدد الكلي لأفراد عينة الدراسة (٥٥) فرداً بلغ

المتوسط الحسابي للإجابات في العينة (١.٥) وانحراف معياري (٠.٣٩).  
يتضح من النتائج أن قيمة (كا) = (٨.٩٧٠) ، وقيمة Sig = ٠.٠٠٠ ، وبما أن قيمة Sig أقل من قيمة  $\alpha = ٠.٠٥$  فإننا بالتالي نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم وصول المعلم بالتلاميذ لمهارات التفكير العليا أثناء الحصة). كما هو مطابق لفرض الباحث.  
مما سبق نستنتج أن فرض الباحث الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم وصول المعلم بالتلاميذ لمهارات التفكير العليا أثناء الحصة) قد تحقق.

الفرض الخامس: هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم قياس الأهداف بصورة شاملة عند التقويم (الهدف المعروف و النفس حركي و الوجداني)  
فيما يختص بهذا الجانب أخذت آراء أفراد العينة حول التقييم .

جدول رقم (٥) يوضح اختبار (كا)

| حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة (كا) | مستوى الدلالة | الاستنتاج           |
|------------|-----------------|-------------------|-----------|---------------|---------------------|
| ٣٥         | ١.٩             | ٠.٢٧              | ١.٤٩٦     | ٠.١٤٠         | الفروق دال إحصائياً |

من الجدول السابق نلاحظ أن العدد الكلي لأفراد عينة الدراسة (٥٥) فرداً بلغ المتوسط الحسابي للإجابات في العينة (١.٩) وانحراف معياري (٠.٢٧).  
يتضح من النتائج أن قيمة (كا) = (١.٤٩٦) ، وقيمة Sig = ٠.١٤٠ ، وبما أن قيمة Sig أكبر من قيمة  $\alpha = ٠.٠٥$  فإننا بالتالي نرفض الفرض الصفري، ونقبل الفرض البديل الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم قياس الأهداف بصورة شاملة عند التقويم (الهدف المعروف و النفس حركي و الوجداني)). كما هو مطابق لفرض الباحث.

مما سبق نستنتج أن فرض الباحث الذي ينص على (هناك فروق ذات دلالة إحصائية تدل على عدم قياس الأهداف بصورة شاملة عند التقويم (الهدف المعروف و النفس حركي و الوجداني) قد تحقق.

## نتائج البحث:

خلصت الدارسة الى تلخيص أهم النتائج التي توصلت اليها .

### أهم النتائج:

- ١- معلم العلوم للمرحلة الثانوية يستخدم الطريقة التقليدية في تحضيره للدرس اليومي ابتداء من التمهيدي للوصول لعنوان الدرس.
- ٢- معلم العلوم يركز في تدريسه على الاهداف المعرفية دون الاهداف النفس حركية والاهداف الوجدانية.
- ٣- معلم العلوم في الغالب لا يكتب أهداف الدرس بطريقة علمية تقيس سلوك التلميذ المكتسب.
- ٤- معلم العلوم في الغالب يستخدم وسائل غير فعالة في اكساب مهارات علمية مختلفة.
- ٥- معلم العلوم لا يصل بالتلاميذ لمستويات تفكير عليا اثناء التدريس.
- ٦- عدم قياس الاهداف بصورة شاملة عند التقويم.
- ٧- معلم العلوم يميل لقياس المهارات الفردية أكثر من المهارات الجماعية.

### التوصيات:

- الباحث يرى أن تعميق الايمان بالله سبحانه وتعالى هو المنبع الاهم لانطلاق حل مشاكل التعليم ويمكن أن نحدد أهداف المرحلة القادمة في الاتي:-
- ١- الاهتمام بالمعلم اولا والتأكد من رغبته الحقيقية في مهنة التدريس
  - ٢- تدريب المعلم على اكتساب المهارات المختلفة التي سوف يكسبها للتلميذ
  - ٣- رفع شأن المعلم ماديا ومن ثم معنويا لانه هو الذى يبني الانسان
  - ٤- تنمية الرغبة في العمل للتعليم أي التعليم الذاتى المستمر
  - ٥- تنمية قدرة الطلاب على التفكير أي تنمية مهارات التفكير الإبداعي من خلال تدريس النهج الدراسي.
  - ٦- تنمية مهارات الاتصال لدى الطلاب وهى من أدوات التفكير من خلال التدريس.
  - ٧- تنمية الرغبة في العمل الجماعي أي روح الفريق والانتماء لدى التلاميذ من خلال الانشظة المختلفة المصاحبه.
  - ٨- تنمية مهارات قياده أي المبادره لدى التلاميذ.

### بحوث مقترحه

- ١ - علاقه طرائق التدريس بالتفكير الإبداعى.
- ٢ - أهمية اهتمام معلم العلوم باستخدام الطرائق المناسبة لتدريس العلوم.

## المصادر والمراجع

المصادر: القرآن الكريم

المراجع:

- ١- المعجم الوجيز، ٢٠٠٠م
- ٢- زيتونة، كمال عبد الحميد، (٢٠٠٣) التدريس نماذج ومهارات، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- ٣- الحميدان، إبراهيم بن عبدالله، (٢٠٠٤) التدريس و التفكير، القاهرة، دار الكتاب للنشر.
- ٦- Armstrong، توماس، (٢٠٠٦) الذكاءات المتعددة في غرفة الصف، ترجمة مدارس الظهران المملكة السعودية، دار الكتب التريوى للنشر والتوزيع.
- ٧- أبوهشام، السيد محمد، كمال، صافيناز احمد، (٢٠٠٨)، أساليب التعلم والتفكير المميز لطلاب الجامعة في ضوء مستوياتهم التحصيلية وتخصصاتهم الأكاديمية المختلفة.
- ٨- البشير، محمد مزل، المناهج العامة، جامعة السودان المفتوحة برنامج التربية (٤٠١)

مراجع اجنبية:

1. Slobber، J.A.(1994)Creativity in education Revisited; Reflection in aid of profession..Journal of Creative Behavior
2. Gardner ،H(1993) multiple intelligences ; the theory into practice . New York ;Basic Books

الرسائل العلمية:-

١. السعيد، هدى راشد (١٩٩٨) مدى ممارسة المعلمات لاساليب التفكير العلمى مع تلميذات المرحلة الابتدائية، جامعة الملك سعود الرياض، كلية التربية، مناهج وطرق تدريس، ماجستير، (غير منشور).
٢. الصادق، ممدوح عبدالعزيز (٢٠٠٣) برنامج تدريبي لتطوير كفاءة معلمي العلوم، مجلة التربية العلمية.
٣. خالد بن عبدالله بن سلمان بن سدير (٢٠٠١) جامعة امدرمان الاسلامية، كلية الدراسات العليا، تربية اصول الدين، دكتوراه (غير منشور).

٤. عبدالله محمد عبدالله القرنى (٢٠٠٨) ام درمان الاسلامىة ،معهد الدراسات الاسلامىة ،قسم الدراسات النظرىة، دكتوراه (غير منشوره).
٥. نور الهدى (٢٠٠٣) برنامج تدريبى قائم على نظرىة ماوراء المعرفة لتنمىة مهارات التدريس الإبداعى ،جامعة أسىوط ، ماجستير (غير منشور).
٦. مراد الشواىكة (٢٠٠٨) بحث عن العلم، [mowdoo3.com](http://mowdoo3.com)

